

UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234051

UNIVERSAL
LIBRARY

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿التعريف بابن خلدون﴾

مؤلف هذا الكتاب ﴿﴾

أصل هذا البيت من

اشيلية انتقل عند الجلاء

وغلب ملك الجلائقة ابن

أدقونش عاينها الى تونس

في أواسط المائة السابعة

﴿نسبه﴾ عبد الرحمن

ابن محمد بن محمد بن محمد

ابن الحسن بن محمد بن

جابر بن محمد بن ابراهيم

ابن عبد الرحمن بن خلدون

هذا لأذكر من نسي

الي خلدون غير هذه

العشرة ويغلب علي الظن

أنهم أكثر وأنه سقط مثاهم

عدد الان خلدون هذا

هو الداخلى الى الاندلس

فان كان أول الفتح فالدة

لهذا العهد سبعمائة سنة

فيكون زهاء العشرين

ثلاثة لكل مائة كاتقدم

في أول الكتاب الاول

ونسبنا في حضرموت من

عرب اليمن الى وائل بن

حجر من اقبال العرب

معروف وله صحبة قال

أبو محمد بن حزم في كتاب

الجمهرة هو وائل بن حجر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى ﴿﴾
الحمد لله الذي له العزة والخيروت ويده الملك والملكوت وله الأسماء الحسنى والنعوت العالم فلا يعزب
عنه ما تظهره النجوى أو يخفيه السكوت القادر فلا يعجزه شيء في السموات والأرض ولا يفوت أنشأنا من
الأرض نسما واستعمرنا فيها احيالا وأمما ويسر لنا منها أرزاقا وقسمنا تكفينا الارحام واليوت
ويكفينا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت وتغورنا الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت وله
البقاء والثبوت وهو الحي الذي لا يموت والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي الامي العربي المكتوب
في التوراة والانجيل والنعوت الذي تمخض لفصالة الكون قبل أن تتعاقب الآحاد والسبوت ويتباين زجل
واليهموت وشهد بصدقه الحما والعنكبوت وعلى آله وأصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الأثر البعيد والصيت
والشمل الجميع في مظاهره ولعدوهم الشمع الشئت صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المبخوت
وانقطع بالكفر حبله المبتوت وسلم كثيرا (أما بعد) فان فن التاريخ من الفنون التي يتداولها الامم والاحيالا
وتشدد اليه الركايب والرجال وتسمو الى معرفته السوق والاغفال وتتنافس فيه الملوك والاقبال
ويتساوى في فهمه العلماء والجهال اذ هو في ظاهره لا يزد على إخبار عن الايام والدول والسوابق من
القررون الاول تمعي فيها الأقوال وتضرب فيها الامثال وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال
وتؤدى النباشان الخليفة كيف تقلبت بها الاحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال وعمرها والارض
حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادهادقيق وعلم
بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق
وان غول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الايام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر

وأودعوها وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهو أفيها وأبتدعوها وزخارف من الر وايات المضعفة
لنقصوها وضعوها واقتنى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها النسا كما سمعوها ولم
يلاحظوا أسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفوضات الرهايات ولا دفعوها فالتحقيق قليل
وطرف التحقيق في الغالب كليل والغلط والوهم نسب للاخبار و خليل والتقليد عريق في الادميين
وسليل والتطفل على الفنون عريض وطويل ومرعى الجهل بين الانام وخيم وبيل والحق لا يقاوم
سلطانها والباطل يذف بشهاب النظر شيطانه والناقل انما هو على وينقل والبصيرة تنقد الصحيح اذا
تمثل والعلم يحولها صفحات الصواب ويصقل (هذا) وقد دون الناس في الاخبار وأكثر وا وجمعوا
تواريخ الامم والدول في العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المتبره واستفروا
دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخره هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل والحرركات العوامل
مثل ابن اسحق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الأسدي والمسعودي
وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المظمن والمغز
ما هو معروف عند الأثبات ومشهور بين الحفظة الثقات الا ان الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم واقتفاء
سننهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في زيغهم فيما ينقلون أو اعتبارهم فللمعمران
طباع في أحواله ترجع اليها الاخبار وتحمل عليها الر وايات والآثار ثم ان أكثر التواريخ لهؤلاء عامة
المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام في الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ
والمشارك ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والامم والأمر العمم كالمسعودي ومن نحامنه
وجاء من بعدهم من عمل عن الاطلاق الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعد فقيس
شوارد عصره واستوعب أخبارا فقه وقطره واقتصر على أحداث دولته ومصره كالفعل أبو حيان مؤرخ
الإندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ أفر بقة والدول التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعد
هؤلاء الا مقلد وبلد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثل ويذهل عما
أحاطه الايام من الاحوال واستبدلت به من عوائد الامم والاحيال فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات
الوقائع في العصور الاول صور اقد تخرجت عن موادها وصفاحا انتضت من أعمادها ومعارف تستنكر
للتجهل بطارفها وتلادها انما هي حوادث لم تعلم أصولها وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها يكررون
في موضوعاتهم الاخبار المتداولة بأعيانها أتباعا عنى من المتقدمين بشأنها ويغفلون أمر الاحيال الناشئة
في ديوانها بما أعوز عايشهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم عن بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا
اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما أوصدقا لا يتعرضون لبدائنها ولا يذكر ون السبب الذي رفع
من رايها وأظهر من آياتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى افتقاد أحوال مبادي
الدول ومراتبها مفقشا عن أسباب تراحمها وتعاقبها باحثا عن المنفع في تباينها وتناسبها حسبا نذكر ذلك
كله في مقدمة الكتاب ثم جاء آخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقصصار
مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعه عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيقي في ميزان
العمل ومن اقتنى هذا الأثر من العمل وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولا يمد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا
من الفوائد وأخلوا بالمذهب المعروف للمؤرخين والعوائد (ولما طالت) كتب القوم وسبوت غور
الأمس واليوم نهيت عين القرحة من سنة الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسى وأنا المنفلس أحسن
السوم فأنشأت في التاريخ كتابا رفعت به عن أحوال الناشئة من الاحيال حيا وفصلته في الاخبار

ابن سعد بن مسروق بن
وائل بن النعمان بن ربيعة
ابن الحرث بن عوف بن
عدي بن مالك بن شرحبيل
ابن الحرث بن مالك بن
مرة بن حمير بن زيد بن
الحضرى بن عمر بن عبد
الله بن عوف بن جردم
ابن جرس بن عبد شمس
ابن زيد بن لؤي بن شبت
ابن قدامة بن أعجب بن
مالك بن لؤي بن قحطان
وابنه علقمة بن ائمل
وعبد الحيار بن علقمة
ابن وائل وذكره أبو
عمر بن عبد البر في حرف
الواو من الاستيعاب وأنه
وفد على النبي صلى الله
عليه وسلم فبسط له رداءه
وأجلسه عليه وقال اللهم
بارك في وائل بن حجر
وولده وولد ولده الى يوم
القيامة وبث معاوية بن
أبي سفيان الى قومه
يعلمهم الاسلام والقرآن
فكان له بذلك صحابة مع
معاوية ووفد عليه لأول
خلافة فأجاز له فرد عليه
جائزته ولم يقبلها ولما كانت
وقعة حجر بن عدي

بالكوفة اجتمع رؤس أهل
البن فيهم وائل هذا
فكانوا مع زياد بن أبي
سفيان عليه حتى أوثقوه
وجأؤا به الي معاوية فقتله
كما هو معروف وقال ابن
حزم ويذكر بنو خلدون
الاشيليون من ولده جدهم
الداخل من المشرق خالد
المعروف بن خلدون بن
عثمان بن هاني بن الخطاب
ابن كريت بن معدي كرب
ابن الحرث بن وائل بن
حجر قال ابن حزم وأخوه
محمد كان من عقبه أبو
العاصي عمر بن محمد بن
خالد بن محمد بن خلدون
وترك أبو العاصي محمدا
وأحمد وعبد الله قال
وأخوه عثمان له عقب
ومنهم الحكيم المشهور
بالاندلس تلميذ مسلمة
المجريطي وهو أبو مسلم
عمر بن محمد بن تقي بن
عبد الله بن أبي بكر بن خالد
ابن عثمان بن خلدون
الداخل وابن عمه أحمد
ابن محمد بن عبد الله قال
ولم يبق من ولد كريت
الرئيس المذكور إلا أبو

والاعتبار بابابا وأبدت فيه لاولية الدول والعمران عللا وأسبابا و بنته على أخبار الامم الذين عمروا
المغرب في هذه الاعصار وملؤا أكناف النواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول الطوال أو القصار
ومن سلف من الملوك والانتصار وهم العرب والبر برادهم الحيلان اللذان عرف بالمغرب مأواهما وطال
فيه على الاحتباب متواهما حتى لا يكاد يتصور فيه ماعداهما ولا يعرف أهله من أجيال الآدميين سواهما
فهذب مناحيه تهديبا وقر به لافهام العلماء والخاصة تقريبا وسلكت في ترتيبه وتبويبها مسلكا غريبا
واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة وأسلوبا وشرحت فيه من أحوال العمران والمدن
وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتنعك بعلم الكواكن وأسبابها ويعرفك كيف
دخل أهل الدول من أبوابها حتى تنزع من التقليديك وتقف على أحوال من قبلك من الايام والايال
وما بعدك (ورتبته) على مقدمة وثلاثة كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع بمغالط المؤرخين

(الكتاب الاول) في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والسكسب
والمعاش والصنائع والعلوم ومال ذلك من العلل والاسباب

(الكتاب الثاني) في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبداء الخليفة الي هذا العهد وفيه الاماع ببعض
من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسر يانيين والفرس وبخا اسرائيل والقبط ويونان
والروم والترك والافرنجة

(الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومن اليهم من زنانة وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب
خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الي المشرق لاجتلاء أنواره وقضاء الفرض والسنة في مطافه
ومزاره والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره فافتت ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار
ودول الترك فيما ملكوه من الاقطار وأتبعتهما ما كتبه في تلك الأسطار وأدرجتها في ذكر المعاصرين
تلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار والضواحي سالكا سبيل الاختصار والتلخيص مفتديا
بأثر ام السهل من العويس داخلا من باب الاسباب على العموم الي الاخبار على الخصوص فاستوعب أخبار
الخليفة استيعابا وذل من الحكم النافذة صعبا وأعطي لحوادث الدول عللا وأسبابا وأصبح للحكمة صوابا
وللتاريخ جرأبا (ولما كان) مشتملا على أخبار العرب والبربر من أهل المدن والوبر والاماع من
عاصرهم من الدول الكبر وأفصح بالذكرى والعبر في مبتدا الاحوال وما بعدهما من الخبر (سميته)
كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر
ولم أترك شيئا في أولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول وأسباب التصرف والحوال في القرون
الحالية والمال وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحل و عزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة
وكسب واضاعة وأحوال متقلبة مشاعه وبدو وحضر واقع ومنتظر الا واستوعبت حله وأوضحت
براهينه وعلله فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنت من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبه وأنا من
بمدها وقتن بالتصور بين أهل العصور معترف بالعجز عن المضاء في مثل هذا القضاء راغب من أهل اليد
اليضاء والمعارف المتسعة الفضاء النظر بين الانتقاد لابمين الارتضاء والتعمد لايثر ون عليه بالاصلاح
والاغضاء فالجناعة بين أهل العلم مزجاء والاعتراف من اللوم منجاء والحسن من الاخوان مرتجاء والله
أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل وبعد أن استوفيت علاجه وأثرت
مشكاته للمستبصرين وأذ كيت سراجيه وأوضحت بين العلوم طريقه ومنهاجه وأوسعت في قضاء المعارف

نطاقه وأدركت سياجه أتحفت بهذه النسخة منه (١) خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح المهاد المتحلي منذ خلع التمايم ولوث العمام بحل القانت الزاهد المتوشح من زكاء المناقب والمحامد وكرم الشمايل والشواهد باجمل من القلائد في محور الولائد المتناول بالعزم القوي الساعد والجهد الموالي المساعد والمجد الطارف والثالث ذوائب ملكهم الراسي القواعد الكريمة المعالي والمساعد جامع أشتات العلوم والفوائد وناظم شمل المعارف الشوارد ومظهر الآيات الربانية في فضل المدارك الانسانية بفكره الثاقب الناقد ورأيه الصحيح المعاهد النير المذاهب والعنائد نور الله الواضح المرشد ونعمته العذبة الموارد ولطفه الكامن بالمراسد للشدائد ورحمته الكريمة المقالة التي وسعت صلاح الزمان الفاسد واستقامة المائت من الاحوال والعوائد وذهبت بالخطوب الاوايد وخلعت على الزمان رونق الشباب العائد وحبته التي لا يبطلها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند (أمير المؤمنين) أبو فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان الكبير المجاهد المقدس أمير المؤمنين أبي الحسن ابن السادة الاعلام من بني مرين الذين جددوا الدين ونهجوا السبل للمهتدين ومحو آثار البغاة المفسدين أفاء الله على الأمة ظلاله وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله وبعثه الى خزائهم الموقنة لطلبة العلم بجامع القرين من مدينة فاس حضرة ملكهم وكرسى سلطانهم حيث مقر الهدى ورياض المعارف خضلة الندى وفضاء الاسرار الربانية فسيح المدى والامامة الصكرية الفارسية (٢) العزيزة ان شاء الله بنظرها الشريف وفضلها الغني عن التعريف تبسط له من العناية مهادا وتفسح له في جانب القبول آمادا فتوضح بها أدلة علي رسوخه وأشهادا فني سوقها تنفق بضائع الكتاب وعلي حضرتها تكف ركائب العلوم والآداب ومن مدد بصائر النيرة نتائج القرائح والالباب والله يوزعنا شكر نعمتها ويوفر لنا حظوظ المواهب من رحمته ويعيننا على حقوق خدمتها ويجعلنا من السابقين في ميدانها الجليل في حومتها ويضفي على أهل إيلاتها وماوى من

(١) قوله أتحفت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله أتحفت وبعد قوله وأدركت سياجه ونصها التمس له الكف الذي يلمح بعين الاستبصار فتونه * ويلحظ بمداركة الشريفة معياره الصحيح وقانونه * ويميز رتبته في المعارف سمادونه * فسرحت فكري في فضاء الوجود * وأجلت نظري ليل التمام والهجود * بين التهايم والتجود * في العلماء الركن السجود * والحلفاء أهل الكرم والجلود * حتى وقف الاختيار بساحة الكمال * وطافت الأفكار بموقف الآمال * وظفرت أيدي المساعي والاعمال * بمتدى المعارف مشرقة فيه غر الجمال * وحدائق العلوم الوارفة الظلال عن اليمن والشمال فأتحفت مطي الأفكار في عرصاتها وجلوت محاسن الانظار على منصاتها وأتحفت بدويانها مقاصير ايوانها وأطاعته كوكبا وقاداف في أفق خزايمها وصوانها ليكون آية للعقلاء يهتدون بمناره ويعرفون فضل المدارك الانسانية في آثاره وهي خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح المهاد الى آخر النعوت المذكورة هنا (ثم قال) الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبو العباس أحمد بن مولانا الامير المظاهر المقدس أبي عبد الله محمد بن مولانا الخليفة المقدس أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ابن الخلفاء الراشدين من أئمة الموحدين الذين جددوا الدين ونهجوا السبل للمهتدين ومحو آثار البغاة المفسدين من المجسمة والمتعدين سلالة أبي حفص الفاروق والنبغة النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق والنور المتلائي من تلك الاشعة والبروق فأوردته من مودعها العلى بحيث مقر الهدى ورياض المعارف خضلة الندى الى آخر ما ذكر هنا لأنه لم يقيد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه النسخة المنقولة من خزنة الكتب الفارسية ولم يقل فيها تم كانت الرحلة الى المشرق الخ (٢) قوله الفارسية أى المنسوبة الى الامير أبي فارس المتقدم ذكره اه

الفضل بن محمد بن خلف
ابن أحمد بن عبد الله بن
كريت انتهى كلام ابن
حزم (سلفه بالاندلس)
* ولم ادخل خلدون بن
عثمان جدينا الى الاندلس
نزل بقرمونة في رهط من
قومه حضرموت ونشأ
بيت بنيه بهائم انتقل الى
اشيلية وكانوا في جند اليمن
وكان لكريت من عقبه
وأخيه خالد الثورة المعروفة
باشيلية أيام الامير عبد الله
المرواني ثار علي أبي عبدة
وملكها من يده أعواما
ثم ثار عليه عبد الله بن
حجاج باملاء الامير عبد
الله وقتله وذلك في أواخر
المائة الثالثة (وتلخيص
الخبر عن ثورته) ما نقله
ابن سعيد عن الحجازي
وابن حيان وغيرهما ويقلونه
عن ابن الأشعث مؤرخ
اشيلية أن الاندلس لما
اضطربت بالفتن أيام الامير
عبد الله تطاول رؤساء
اشيلية الى الثورة والاستبداد
وكان رؤسها المتطاولون
الى ذلك في ثلاثة بيوت بيت
أبي عبدة ورئيسهم يومئذ

الاسلام الى حرم عمارتها لبوس حمايتها وحرمتها وهو سبحانه المسؤول أن يجعل أعمالنا خالصة في وجهتها
بريئة من شوائب الغفلة وشبهتها وهو حسبان ونعم الوكيل

المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والامناع لما يعرض للمؤرخين

من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها

(اعلم) أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذهو يوقنا على أحوال الماضين من
الامم في أخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه
في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ما خذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان
بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم
تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها
بالشاهد والحاضر بالذاهب فرغم ما يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع
للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غنا أو سميان
يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشبابها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات
وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلو عن الحق وتأهوا في بيءاء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد
من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذهي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول
وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل وأن موسى
عليه السلام احصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا
ستمائة ألف أو يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعها مثل هذا العدد من الحيوش لكل
مملكة من الممالك حصه من الحامية تسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عمافوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة
والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الحيوش البالغة الى مثل هذا العدد بعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق
ساحة الارض عنها وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثا أو أزيد فكيف يقتل هذان الفرقتان
أو تكون غلبة أحد الصفيين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه
بالآتي من الماء بالماء (ولقد كان) ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك
ما كان من غلب مختصر لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم ونحر يبيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم
وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين
وخراسان وما وراء النهر والابواب أوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط
مثل هذا العدد ولا قربا منه وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفا كلهم متبوع على ما نقله
سيف قال وكانوا في اتباعهم أكثر من مائتي ألف (وعن عائشة والزهرى) ان جموع رستم التي زحف
بها لسعد بالقادسية انما كانوا ستين ألفا كلهم متبوع وأيضا قالوا بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لا تسع
نطاق ملكهم وانسفع مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقييل القائمين بها في
قتلها وكثرة احسانين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم لم تسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين
من الشام وبلاد يرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وأيضا قال لذي بين موسى واسرائيل انما هو
أربعة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بفتح الهاء وكسرها ابن لاوى
بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبته في التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودي
قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر

أمية بن عبد الغافر بن لطي
عبيدة وكان عبد الرحمن
الداخل ولي اشيلية
وأعمالها أباعدة وكان
حافده أمية من أعلام الدولة
بقرطبة ويولونه الممالك
الضخمة وبيت بنى خلدون
ورئيسهم كريت المذكور
ويردفه خالد أخوه قال
ابن حبان وبيت بنى
خلدون الى الآن في
اشيلية نهاية في البهاة ولم
تزل أعلامه بين دياسة
سلطانية ورئاسة علمية
ثم ميت بنى حجاج ورئيسهم
يومئذ عبدالله قال ابن
حبان هو من لحوم بينهم
الى الآن في اشيلية ثابت
الاصل ثابت الفرع
موسوم بالرئاسة السلطانية
والعلمية فلما عظمت الفتنة
بالاندلس أعوام الثمانين
ومائتين كان الأمير عبد
الله قد ولي على اشيلية
أمية بن عبد الغافر وبعث
معه ابنه محمد وجعله في
كفاله فاجتمع هؤلاء
الثفر وناروا بمحمد ابن
الأمير عبد الله وبأمية
صاحبهم وهو يماثلهم على

الى أن خر جوامع موسى عليه السلام الي آتية مائتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من الفراغة و بعد
أن يتشعب النسل في أربعة أجيال الي مثل هذا العدد وان زعموا أن عدد تلك الحيوش انما كان في زمن
سليمان ومن بعده فبعيداً أيضاً أذليس بين سليمان واسرائيل الا أحد عشر أباً فانه سليمان بن داود بن ايشا بن
عوفيد و يقال بن عوفد بن باعز و يقال بوعر بن سلمون بن نحشون بن عمنوذب و يقال حينئذ ابن
رم بن حصرون و يقال حصر ون بن يارس و يقال بيرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب النسل في أحد
عشر من الولد الي مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الي المئين والآلاف فما يكون وأما أن يتجاوز الي
ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعرف ونجد زعمهم باطلا ونقلهم
كاذبا (والذي ثبت في الاسرائيليات) أن جنود سليمان كانت اثنا عشر ألفا خاصة وأن مقر بانه كانت ألفا
وأربع مائة فرس مرتبطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت الي خرافات العامة منهم (وفي
أيام سليمان عليه السلام وملكه) كان غفوان دولتهم واتسع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من أهل العصر اذا
أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعدهم أو قريباتهم وتفاصيلهم في الأخبار عن جيوش المسلمين أو
التصارى أو أخذوا في احصاء أموال الحيات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء الموسرين
توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساسوا الاغراب (١) فاذا استكشفت أحجاب
الدواوين عن عساكرهم واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجلبت عوائد المترفين في
نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على
المتعقب والمتتبع حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يظال بها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الي
بحث وتفتيش فيرسل عنه ويسمى في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفة خاسرة (ومن الاخبار الواهية للمؤرخين) ما ينقلونه كافة في أخبار
التيابعة لملوك اليمن وحزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الي افرقية والبر من بلاد المغرب وان
افر يقش بن قيس بن صيفي من أعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل غزا افرقية
وأثنى في البر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانهم وقال ما هذا البر برة فأخذ هذا الاسم عنه
ودعوا به من حينئذ وأهل المغرب حجاز هنالك قبائل من حير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم
صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهي الي أن صنهاجة وكتامة
من حير وتأباه نسبة البر وهو الصحيح (وذكر المسعودي أيضاً) أن اذا الأذعار من ملوكهم قبل
افر يقش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه
بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو
أسعد أبو كرب وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية أنه ملك الموصل وأذر بيجان ولقي الترك
فهزمهم وأثنى ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بني بلاد فارس الي بلاد الصغد من
بلاد أمم الترك وراء النهر الي بلاد الر وملك الاول البلاد الي سمرقند وقطع المفازة الي الصين فوجد أخاه
الثاني الذي غزا الي سمرقند قد سبقه اليها فأتخاها في بلاد الصين ورجعا جميعا لغنا ثم وركوا بلاد الصين قبائل
من حير فهم بها الي هذا العهد وبلغ الثالث الي قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع (وهذه الاخبار)
كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشباه حاديث القصص الموضوعة وذلك أن ملك التيابعة انما
كان يحجز برقة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وحزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهات فبحر

ذلك ويكيد بابن الامير
عبد الله وحاصروه حتي
طلب منهم اللحاق بأبيه
فأخرجوه واستبدأمية
باشيلية ودرس علي عبد
الله بن حجاج من قتل
وأقام أخاه ابراهيم مكانه
وضبط اشيلية واسترهن
أولاد بني خلدون وبني حجاج
ثم تاروا به وهم يقتل
أبناءهم فراجعوا طاعته
وحلفوا له فأطلق أبناءهم
فانتقض ثأنية وحراره
فاستمات وقتل حرره وعقر
خيوله وأحرق موجوده
وقاتلهم حتي قتلوه مقبلا غير
مدبر وعانت العامة في رأسه
وكتبوا الي الامير عبد الله
بأنه خلع فقتلوه فقبل منهم
مداراة وبث عليهم هشام
ابن عبد الرحمن من قرابته
فاستبدوا عليه وقتلوا
بابنه وتولي كبر ذلك
كريت بن خلدون واستقل
بامارتها وكان ابراهيم بن
حجاج بسد ما قبل أخوه
عبد الله علي ما ذكره ابن
سعيد عن الحجازي سمع
نفسه الي التفرد فصاهر
ابن حفصون أعظم نوار

الاندلس يومئذ وكان عمالة
وأعمالها في رندة فكان
له منه ردة ثم انصرف الي
مدارة كريت بن خلدون
وملا بستانه فرد في أمره
وأشركه في سلطانه وكان
في كريت تحامل على
الرعية وتعصيف فكان
يتجههم لهم ويغلب عليهم
وابن حجاج يسألك بهم
الرفق والتلطف في الشفقة
بهم عنده فأنحرفوا عن
كريت الى ابراهيم ثم دس
الى الامير عبدالله يطلب
منه الكتاب بولاية اشيلية
ليسكن اليه العامة فكتب
اليه العهد بذلك وأطاع عليه
عرفاء البلد مع ما أثر بوا
من حبه والنفرة عن كريت
ثم أجمع الثورة وهاجت
العامة بكريت فقتلوه وبعث
برأسه الى الامير عبدالله
واستقر بامارة اشيلية قال
ابن حيان وحصن مدينة
قرمونة من أعظم مآقل
الاندلس وجعلها مرتبطا
لجليه وكان ينتقل بينها وبين
اشيلية واتخذ الجند
ورثهم طبقات وكان يصانع
الامير عبدالله بالاموال

الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من المشرق وبحر السويس الهابط منه الى السويس
من أعمال مصر من جهة المغرب كما تراهم في مصور الجفر ايا فلا يجد السالكون من اليمن الى المغرب طر يقامن
غير السويس والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر ممر حلتين فادونهما وبعدان يمر بهذا
المسلك ملك عظيم في عسا كرموفو ردة من غير أن تصير من أعماله هذا تمتع في العادة وقد كان بتلك الاعمال
العمالة وكنعان بالشام والقطر بمصر ثم ملك العمالة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط أن التبابعة
حاربوا أحدا من هؤلاء الامم ولا ملكوا شيئا من تلك الاعمال وأيضا فالشقة من البحر الى المغرب بعيدة
والازودة والعلوفة للعسا كرموفو ردة من غير أعمالهم احتاجوا الى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب
البلاد فيما يمر ون عليه ولا يمكن ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تقي لهم
الزراة وحل بقله فلا بدوا يمر وفي طريقهم كلها بأعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان
تلك العسا كرموفو ردة من غير أن تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسألة فذلك أبعدا وأشد امتناعا فدل على أن
هذه الاخبار واهية أو موضوعة (وأما) وادي الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على
كثرة سالكيه ومن يقص طريقه من الركب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ماذكر ومن الغرابة
توفر الدواعي على نقله وأما غز وهم بلاد المشرق وأرض الترك وان كانت طريقه أوسع من مسالك السويس
الأن الشقة هنا أبعد وأهم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس
ولا بلاد الروم وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحر والحيرة والجزيرة
بين دجلة والفرات وما بينهما في الاعمال وقد وقع ذلك بين ذي الاذعار منهم وكيكاوس من ملوك الكيانية
وبين تبع الاصغر ابوكرب ويستأسف منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم
بمجاوزة أرض فارس بالغز الى بلاد الترك والتبت وهو تمتع عادة من أجل الامم المعترضة منهم والحاجة الى
الازودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر فالأخبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة الثقل لكان ذلك
قادحاً فيها فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق في خبر يثرب والأوس والحزرج ان تبعا
الآخر سار الى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غز وهم اليها بوجهها
تقر فلا تتقن بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار وأمر ضاع على القوائين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن
وجه والله الهادي الى الصواب

فصل ١٠ وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله تعالى ألم
تر كيف فعدر بك بعد ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما للمدينة وصفت بأنها ذات عماد أي أساطين
ويقولون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شيد وشداد ملكا من بعده هلك شيد فخلفه الملك لشداد
ودانت له ملوكهم وسمع وصف الحجة فقال لأبنين مثلها في مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثلثمائة سنة وكان
عمره تسعمائة سنة وأنها مدينة عظيمة قصور هامة من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أبناف
الشجر والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته حتى اذا كان منها على مسيرة يوم وليه بعث الله
عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزحمرى وغيرهم من المفسرين
ويقولون عن عبدالله بن قلابة من الصحابة أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عايشه وبلغ خبره
الى معاوية فاحضره وقص عليه فبحث عن كعب الاحبار وسأله عن ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض

وحجاري عبد النبي زعموا أنها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه من كل
وجوه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس
من الآثار لكان أشبه الآن بظاهر كلامهم أنها موجودة وبخبرهم يقول لها دمشق بناء على أن قوم عاد ملكوها
وقديتهم الهذليين ببعضهم إلى انها غابية وانما يعثر عليها أهل الرضاة والسحر مزاعم كلها أشبه بالخرافات والذي
حل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظة ذات العماد أنها صفة ارم وحاولوا العماد على الاساطين
فتعين أن يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءتا بن الزبير عذارم على الاضادة من غير تنوين ثم وقفت على تلك
الحكايات التي هي أشبه بالاقاصيص الموضوعة التي هي أقرب إلى الكذب المتقولة في عداد الخفحات والافعال
هي عماد الاخبية بل الحيام وان اراد بها الاساطين فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء واساطين على العموم بما
اشتهر من قوتهم لا أنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها وان أضيفت كفي قراءتا بن الزبير فعلى اضافة
الانصيلة إلى القليلة كما تقول قر يش كنانة والياس مضر وربيعة زار وأى ضرور قال في هذا الحمل البعيد الذي
تمحدثت وجهه لأمثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها البعد عن الصحة (ومن الحكايات)
المدخولة المؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن
خالد المراد أنه لكانه بمكانهم من معاقرة اياهم الخمر أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما
في مجامع وأن العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما اشغفها من جبه حتى واقعها زعموا في حالة سكر فحملت
ووشى بذلك الرشيد فاستغضب وهيات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبوا جلالها وأنها بنت عباس
ابن عباس ليس بينها وبينه الأربعة رجال هم أشرف الدين وعظماء الملة من بعدهم العباسة بنت محمد المهدي بن
عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي
صلى الله عليه وسلم ابنة خالفة أخت خليفة مخنوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومتها وامة
المؤمنين والوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قرية عبيد ببادوا والعر وبيتة وسداجة الدين البعيدة عن
عماد البترف ومراتع الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها أو أين توجد العجايب والارواء اذا
فقد من بينها وكيف تاجم اسمها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها لعر بن مولي من موالي العجم بل كذا جديده من
الفرس أو بولاء عبيدها من عمومرة الرسول وأشرف قر يش وغايتها أن جذبت دولتهم بفضعه وضبع أبيه
واستخلصتهم ورتبهم إلى منازل الاشراف وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالي الاعاجم على بعد مدته
وعظم آباءه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بآبائه ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف
لها عن مثله مع مولي من موالي دولتها وفي سلطان قومه واستكروا في تكذيبه وأين قدر العباسة والرشيد
من الناس وانما نكبة البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجاجهم أموال الجبابرة حتى كان الرشيد
يطلب السير من المال فلا يصل إليه فغلبوا على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن لهم معهم تصرف في أمره ملكه
فعظمت آثارهم وبعدهم وعرروا مراتب الدولة وخططوا بالرساء من ولدهم وحناهم واجاز وشا
عن سواهم من وزارة وكتابة وقادة وحجابة وسيف ونظم يقال أنه كان بدار الرشيد من ولده يحيى بن خالد خمسة
وعشر وبنوهم من صاحب سيف وصاحب قلم زاحوا في أهل الدولة بالناكب ودفنهم عن بالراح لكان
أبيهم يحيى من كنانة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلب على أمره وكان
يدعوها بآب فتوجه الأيثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبعث الجاهل عندهم وانصرف نحوهم
الوجود وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال وتخبط اليهم من أقصى التذوم هدايا الملوك وتخلف
الامراء سيرت إلى خزائنهم في سبل الزرائب والاستمالة أموال الجبابرة وأفاضوا في رجال الشيعة وعظمت انفرادية

والله ياو بعث إليه المدد في
الطوائف وكان مقصودا
ممدحا قصده أهل البيوتات
فوصلهم ومدحه الشعراء
ومدحه أبو عمر بن عبد
ربه صاحب العقد وقصده
من بين سائر الثوار فعرف
حقه وأعظم جائزته ولم
يزل بيت بني خالدون باشيلية
كذلك ذكره ابن حيان وابن
حزم وغيرهما سائر أيام
بني أمية إلى زمان الطوائف
وأصبحت عنهم الامارة بما
ذهب لهم من الشوكة ولما
غلب ابن عباد على اشيلية
واستبد على أهله استوزر
من بني خالدون هؤلاء
واستعاهم في رتب دولته
وحضر وامة وقعة الجلالة
كانت لابن عباد وليوسف
ابن تاشفين علي ملوك
الجلالة فاستشد فيها
طائفة من بني خالدون
هؤلاء في الجولة مع ابن
عباد فاستاحموا في ذلك
الموقف بما كان الظهور
للعساة ونصرهم الله على
عدوهم ثم تغلب يوسف
ابن تاشفين والمرابطون
علي الاندلس واضمحلت

البيال عامنا هذا من عطائي ذلك ولم يبدد عنه ولا سمح بالاتفاق من أموال المسلمين فكيف يليق
بالرشيد علي قرب العهد من هذا الخليفة وأبوته ومار بي غايه من أمثال هذه السير في أهل بيته والتخلق بها أن
يعاقر الخمر أو يجامع بها وقد كانت حالة الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة لم يكن الكرم
شجرتهم وكان شر بهامدة عند الكثير منهم والرشيد وآباؤه كانوا على شج من اجتناب المذمومات في دينهم
ودنياهم والتخلق بالحامد أو صاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبري والمسمودي في قصة
جبريل بن جنيشوع الغليل حين أحضر له السمك في مائدة فخمة عنه ثم أمر صاحب المائدة بجماعه إلى منزله
ونظن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى غايته يتناوله فأعدها بن جنيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في
ثلاثة أقداح خلط أحدها بالاجم المعالج بالتوابل والبقول والبرارد والحلوي ودسب على الثانية ماء مثلاً جوا على
الثالثة خرافاً * وقال في الأول والثاني هذا طعام أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره أو لم يخلطه وقال في
الثالث هذا طعام ابن جنيشوع ودفعها إلى صاحب المائدة حتى إذا أتته الرشيد وأحضره للتو بيخ أحضر الثلاثة
الأقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت وجد الآخر قد فسد أو تغيرت رأيتهم فكانت له
في ذلك معذرة وتبين من ذلك أن حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته وأهل مائده ولقد ثبت
عنه أنه عهد بجس أبي نواس ما بلغه من أنهما كفي المعاصرة حتى تاب وأقنع وإنما كان الرشيد يشرب نبيذاً شرب
على مذهب أهل العراق وقتاؤهم فيها معروفة وأما الخمر الصرفة فلا سبيل إلى اتهامه به ولا تقايد الأخبار الوافية
فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرماً من أكبر الكبراء عند أهل الملة ولقد كان أولئك القوم كلهم بحاجة من
ارتكاب السرف والترف في ملاسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم كانوا عليه من خشونة البداوة وسداً جاً
الدين التي لم يفارقوها بعد فظنك بما يخرج عن الإباحة إلى الحذر وعن الحلية إلى الحرمة وقد اتفق المؤرخون
الطبري والمسمودي وغيرهم على أن جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس إنما كانوا يركبون بالحلية
للخليفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسر وج وأن أول خليفة أحدث الركب بحلية الذهب هو
المعتز بن المتوكل تامة الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم أيضاً في ملاسهم فظنك بمشار بهم ويتبين ذلك
بأنهم من هذا إذا فهمت طبيعة الدولة في أولها من البداوة والنضاضة كما نثر في مسائل الكتاب الأول أن شاء
الله والله الهادي إلى الصواب (ويناسب) هذا أوفر يب منه ما يتقانونه كافة عن يحيى بن أكرم قاضي المأمون
وصاحبه وأنه كان يعاقر المأمون الخمر وأنه سكر ليلته مع شربه فدفن في الرميح حتى أفاق وينشدون على لسانه

ياسيدي وأمير الناس كلهم * قد جاز في حكمه من كان يستغني

أني غنيت عن الساقى فصيرني * كبرأتى سايب العقل والدين

وحال ابن أكرم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشرامهم إنما كان لئيد ولم يكن محذوراً عندهم وأما
السكر فليس من شأنهم وصحبته للمأمون إنما كانت خلة في الدين ولقد ثبت أنه كان ينام معه في البيت وتسل من
فضائل المأمون وحسن عشرته أنه أتته ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلتمس الاناء مخافة أن يوقظ يحيى بن
أكرم وثبت أنهما كانا يصليان الصبح جميعاً فإن هذا من المعافرة وأيضاً فإن يحيى بن أكرم كان من غيبة أهل
أهل الحديث وقد أتني عليه الامام أحمد بن حنبل واسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر
الزري الحافظ أن البخاري روى عنه في غير الجامع فالمدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ما نبذه الحجاز باليأس
إلى العلمان بهتاً على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك إلى أخبار القصاص الواهية التي لعلمها من افتراء
أعدائه فإنه كان محسوداً في كماله وخلته لسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزهاً عن مثل ذلك ولقد ذكر
لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا أو أنكر ذلك أنكر أشد أو أثني

بافريقية وانتقضت دولة
الموحدين بالاندلس وثار
عليهم ابن هود ثم هلك
واضطربت الاندلس
وتكالب الطاغية عليها
وتردد الغز والى الفرنجة
بسيط قرطبة واشيلية
إلى حيان وثار ابن الأحمر
من غرب الاندلس من
حصن أرجونة يرجو
التماسك بما بقي من
الاندلس وفاوض أهل
الشورى يومئذ باشيلية
وهم بنو الباجي وبنو الجند
وبنو الزير وبنو سيد
الناس وبنو خلدون
وداخلهم في الثورة على ابن
هود وأن يتجافوا عن
الطاغية عن الفرنجة
وتمسكوا بالخيال الساحلي
وأصارها المتوعدة من
ماتة إلى غرناطة إلى المرية
فلم يوافقوه على بلادهم
وكان مقدمهم أبو مروان
الباجي فبازدهم ابن الأحمر
وخاع طاعة الباجي وبايع
مرة لابن هود ومرة
لصاحب مراکش من
بنو عبد المؤمن ومرة

للأمير أبي زكريا صاحب
أفريقية ونازل غرناطة
وأخذها دار ملكه وبقيت
الفرشيرة وأمصارها ضحية
من ظل الملك نخشي بنو
خلدون سوء العاقبة من
الطاغية وارتحلوا من
أشبيلية ونزلوا بته وأجلب
الطاغية علي تلك الثمور
فلك قرابة وأشبيلية
وقرمونة وجيان وما إليها
في مدة عشرين سنة ولما
نزل بنو خلدون بسبته
أصهر إليهم العز في بانيه
و بنائه فاحتاط بهم وكان
لهم معهم صهر مذكور
وكان جدنا الحسن بن محمد
وهو سبط ابن المحتسب
قد أجاز فيمن أجاز إليهم
فذكر واسواق سافه
عند الأمير أبي زكريا
فقصده وقدم عليه فأكرم
قدومه وارتحل إلى المشرق
فقضي فرضه ثم رجع
ولحق بالأمير أبي زكريا
على بونة فأكرمه واستقر
في ظل دولته ومرعى نعمته
وفرض له الأرزاق وأقطع
الأنطاع وهلك هنالك
فيدفن ببونة سنة سبع

عليه اسمعيل القاضي فقيل له ما صبحان يقال في فقال ما ذا الله أنزل ول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد وقال
أيضا يحيى بن أكرم أبرا إلى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر الغلمان ولقد كنت أقب علي
سراة فاجده شديد الخوف من الله لكنه كانت فيه دعاية وحسن خلق فرمى بمارم به وذكر ما بن حبان
في الثقات وقال لا يشتغل بما يهيك عنه لأن أكثرها لا يصح عنه (ومن أمثال هذه الحكايات) ما نقله ابن عبد
ر به صاحب النعم من حديث الزنيل في سبب اصهار المأمون إلى الحسن بن سهل في بته بو ران وانه عثر في
بعض النبال في تملوا فاسكك بسكك بسكك في زنيل مدلي من بعض السطوح بمعالق وسجل مغارة القتل من الحرير
فأعتدده وتناول المعالق فاهتزت وذهب به بعدا إلى مجلس شأنه كذا وصف من زينة فرشته وتنفيداً بنيه
وجال رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس وأن امرأة برزت له من خلال الستور في ذلك المجلس
رائحة الجمال فتأثر الخحاسن فحيتته ودعته إلى المدامة فلم يزل يعاقرها لحر حتى الصباح ور جمع إلى أصحابه بمكانهم
من انتظاره وقد شغفته حبا به على الاصهار إلى أبيها وأين هذا كله من حال المأمون المعرف في دينه وعلمه
واقفاً ناسن الخلفاء الراشدين من آباءه وأخذ به سيرة الخلفاء الأربعة أركان الملة ومناظر تلاممائه وحفظه
لحدود الله تعالى في صلواته وأحكامه فكيف تصح عنه أحوال الفساق (١) المستهتر في التطواف بالليل
وطر وق المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الاعراب وأين ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما
كان بدار أبيها من الصون والعفاف وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين مرفوعة وانما سبعت
علي وضعها والحديث بها الانهمك في اللذات المحرمة وهتك قناع المحدرات ويتعللون بالناسى بالقوم فيما يأتونه
من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثير ما ياهجون بأشباه هذه الأخبار وينتقرون عنها عند تصفحهم لا وراق
الدواوين ولو اتسوا بهم في غير هذا من أحوالهم وصفات الكمال اللاتمة بهم المشهورة عنهم لكان خير لهم لو كانوا
يعلمون ولتعددت يوم ما بعض الأمراء من أبناء الملوك في كنفه بتعلم الغناء ولوعه بالأوتار وقلت له ليس هذا
من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي أفلا ترى إلى إبراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورثيق
المنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تأسيت بأبيه وأخيه أو ما رأيت كيف قعد ذلك إبراهيم عن مناصبهم
فصم عن عذلي وأعرض والله يهدي من يشاء (ومن الأخبار الواهية) ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين
والأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والظعن في
نسبهم إلى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس
ترلفا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتقتافي الشمات بعدوهم حسب ما نذكر بعض هذه الاحاديث في أخبارهم ويفعلون
عن التفطن لشواهد الواقع وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فاتهم
مفتقون في حديثهم عن مبداء دولة الشيعة أن أباعبد الله المحتسب لما دعا بكتامة للرضى من آل محمد واشتهر خبره
وعلم نحو يمد على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم خشياعلى أنفسهم ما فهم بامن المشرق محل الخلافة واحتجاز بمصر
وأهمها خرجا من الاسكندرية في زى التجار ونمي خبرهما إلى عيسى التوشري عامل مصر والاسكندرية
فسرح في طلبهما ما الحيلة حتى إذا أدركا خفي حالهما على تابعيهما بالسبوا به من الشارة والزى فأفتوا إلى
المغرب وأن المعتضد أوعز إلى الأغلبية أمراء أفريقية بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الآفاق
عليهما واذكاء العيون في طلبهما فمثر البسع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفي مكانهما ببلده واعتقلهما
مرضاة للخليفة هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغلبية بالقيروان وأن ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب
وأفريقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك الاسلام شق الالة

(١) المستهتر بالنسبة، بالفتح المولع به لا يبالي بما فعل به وشتم له والذي كثرت بأباطيله اه قاموس -

وكادوا ياجون عليهم موطنهم ويزابلون من أمرهم واتسدا ظهور دعوتهم ببغداد وعرفوا بالامير البساسيري من موالى الديلم المتغلين على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينهم وبين أمراء العجم وخطب لهم على منابرها حولاً كاملاً وما زال بنو العباس ينصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني أمية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدى في النسب يكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرطبي اذ كان دعيا في اتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه وظهر سر يعا على خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمرا بعيدين كذلك اعرف ولو بدمية

ومهماتكن عند امرى من خاتمة * وان غلطاً تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم بنحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام وملاذو موطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا امراراً بعد ذهاب الدولة ودر وسائر هاداعين الى بدعتهم هاتفين بأسماء دينان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة و يذهبون الى تعيينهم بالصيغة من سلف قباهم من الأئمة ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما يتحله (والعجب) من القاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يخرج الى هذه المقالة المار جوحة ويرى هذا الرأي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد في الدين والتعمق في الرافضية فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس أثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم فقد قال الله تعالى لو ح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمي فلن أغني عنك من الله شيئاً ومتى عرف امرؤ قضية واستيقن أمر اوجب عليه أن يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم ومحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكر رخر وجههم مرة بعد اخرى فلا ذرت رجالتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كقيل

فلو تسأل الايام ما سمي مادرت * وأين مكاني ما عرفن مكانيا

حتى لقد سمي محمد بن اسمعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالكتوم سمته بذلك شيعة لم انفقوا عليه من اخفائه حذر من المتغلين عليهم فتوصل شيعة بني العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي الفائل للمستضعفين من خلفائهم وأعجب به أو لماؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون بدع انفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتامين شيعة العبيدين وأهل دعوتهم حتى لقد أسجل القضاة ببغداد بنقيهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن البطحاوي ومن العلماء أبو حامد الاسفرايني والندوري والصيمري وابن الاكفاني والايوردي وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين وأربعمائة في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع المشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فقله الاخبار بون كما سمعوه ورواه حسبما وعوه والحق من ورائه وفي كتاب المعصدي شأن عبيد الله الي ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم فاما تضاد ما نسب أهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سروق للعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوال الحكم وتحدى اليه ركايب الروايات والاخبار وما نطق

وأربعين وولى ابنه المستنصر محمد فأجري جدنا أبا بكر على ما كان لايه ثم ضرب الدهر ضرباته وهلك المستنصر سنة خمس وسبعين وولى ابنه يحيى وجاء أخوه الامير أبي اسحق من الاندلس بعد أن كان قرأ اليه امام أخيه المستنصر نفاع يحيى واستقل هو بملك افرقية ودفع جدنا أبا بكر محمد على عمل الاشغال في الدولة على سنان عظماء الدولة الموحدين فيها قبله من الانفراد بولاية العمال وعز لهم وحسابهم على الحياة فاطمعت تلك الرتبة ثم عقد السلطان أبو اسحق لابنه محمد وهو جدنا الاقرب علي حجابة ولى عهد ابنه أبي فارس أيام أن اقصد الى بجاية ثم استعفى جدنا من ذلك فأعفاء ورجع الى الحضرة وما غلب الدعي بن أبي عمارة على ملكهم بتونس اعتقل جدنا أبا بكر محمد وأصدره على الاموال ثم قتله حقا في محبسه وذهب ابنه محمد

فيما نرى عند الكافة أن تنزه الدولة عن التفسف والميل والافس والسفسفة وسأكت التهج الامم ولم تجر (١)
 عن قصد السيل نقي في سوقها الأبريز الحاصل والحين المصفي وإن ذهبت مع الاغراض والحقود وماجت
 بسماير قالبي والباطل تنقي الهرج والزائف وانذا البصير تسطاس نظره وميزان بنحته وملتصده (ومثل
 هذا) وأبعد منه كثير ما يتناجي به العاصون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن
 علي بن أبي طالب. خبر ان الله عليهم اجمعين الامام بعد أبيه بالمغرب الاقصى ويعرضون تعريض الحسد بالتخلل في
 الحمل الخلف عن ادريس الاكبر انه ارشد مولاهم فيجزم الله وأبعدهم ما أحبهم أما يعلمون أن ادريس
 الاكبر كان أمهارة في البربر وانه منذ دخل المغرب الى أن توفاه الله عز وجل عريق في السدو وأن حال
 البادية في مثل ذلك غير خافية الا لما كان لهم بتأني فيها الركب وأحوال حرمهم أجمعين برأي من جاراتهم
 ومسح من جيرانهم لتلاصق الجدران وتطامن البنيان وعدم التواصل بين المسكن وقد كان راشديتولى
 خدمة الحرم أجمع من بعد مولاهم بشهد من أوليائهم وشيئهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب
 الاقصى عامة على بيع ادريس الاخير من بعد أبيه وأتود طاعتهم عن رضا واصفاق وياعود على الموت الا حرم
 وخاضوا دونه بخار المتناهي حر وبدو غزواته ولو حدثوا أنفسهم بمثل هذه الرتبة أو قرعت أسماعهم ولو من
 عدو كاشع أو منافق مرتاب للخفاف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بني العباس
 أقاتلهم ومن بني الأغلب عظامهم كانوا بافر يقيتو ولاتهم وذلك أنه لما فر ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة نج
 أو عز الهادي الى الأغلبة أن يقدوا بالمراد وذكوا عايشه العيون فلم يظفر وابهو خالص الى المغرب فتم
 أمره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من
 ديسمة التتبع للعلوية واذهابه في نجات ادريس الى المنزب فقتله ودرس الشماخ من مولاهم المهدي أبيه للتحويل
 على تلى ادريس فظهر الناجي بنو البراءة من بني العباس مولاهم فاشتعل عليه ادريس وخلطه بنسبه وناولاه
 الشماخ في بعض غلواته ساهما ساهما كبه ووقع خبره هكذا من بني العباس أحسن المواقع ما روجوه من قطع
 أسباب الدعوة فالتولية بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولما تأدى اليهم خبر الحمل الخلف لادريس فلم يكن لهم الا
 كلا ولا اذ بالدعوة قد عادت والشيع بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادر ادريس بن ادريس قد تجددت فكان ذلك
 عليهم أنكي من وقع السهام وكان النشل واهزم قد نزل بدولة المغرب عن أن يسمو الى القاصية فلم يكن منتهي
 قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية المغرب واشتد البربر عليه التحيل في إهلاكه بالسوم
 فعند ذلك فزعوا الى أوليائهم من الأغلبة بافر يقية في سدة تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة
 من قبائهم واقتلاع تلك العرق قبل أن تشج منهم بخاطبهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم فكان الأغلبة
 عن برابرة المغرب الاقصى أنجز ولما من الذبون على ماو كهم أحوج لماطر ق الحلافة من انزاع ممالك العجم
 على سدتها وامتطائهم صهوة التغلب عليها وتصر فيهم أحكامها طوخ أغراضهم في رجالها وجياتها وأهل
 خططها وسائر تقضها وبراها كمال شاعرهم

خليفة في قفص * بين وصيف وبقا يقول ما قاله * كما تقول البيضا

نحني هؤلاء الامراء الاغلبة بواذر السعايات وتلوا بالماذير فطورا باحقار المغرب وأهله ووطو رابا لارهاب
 بشأن ادريس الحار جبه ومن قام مقامه من أعقابيه يخاطبونهم بتجاوز حدود الترخوم من عمله وينفذون
 سكتته في تحفيهم وهداياهم ومرقع جياتهم ترميضا باستفحاله وتو يلا باشتداد شوكته وتعظيم ما ادفعوا
 اليه من مطالبته وراسه وتهيدا بقباب الدعوة أن أجروا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك

(١) تولوه لم تجر بضم الجيم مضارع جارأي لم تمل اه

جدنا الاقرب مع السلطان
 أبي اسحق وأبناء الى بجاية
 فقبض عليه ابنه أبو فارس
 وخرج مع العساكر هو
 واخوته لمدا فقتل الدعي بن
 أبي عماره وهو يشبه
 الفضل بن الخلويع حتى
 اذا استلحموا بمر ما جنة
 خالص جدنا محمد مع أبي
 حفص ابن الامير أبي زكريا
 من الماشحة وبعها
 الفازازي وأبو الحسن
 ابن سيد الناس فاستكشف
 من اثار الفازازي ولما
 استولى أبو حفص على
 الامور رعى له سابقته
 وأقطعها ونظمه في جملة
 القواد ومراتب الخروب
 واستكنى به في الكثير من
 أمر ما جنته ورشحه
 لحجابه من بعد الفازازي
 وهلك فكان من بعده
 حافداً خيه المستنصر أبو
 عصيدة واصطفي لحجابه
 محمد بن ابراهيم الدباغ
 كاتب الفازازي وجعل
 محمد بن خلدون رديفاه في
 حبابته فكان كذلك الى
 أن هلك السلطان وجاءت
 دولة الامير خالد فأبقاد

علي حاله من التجلة
والكرامة ولم يستعمله ولا
عقله الى أن كانت دولة
أبي يحيى بن الحاجاني
فاصلته واستكنى به عند
ما تلبست عروق القلب
من العسر ودفعه
الى حامية الجزيرة من لاج
احدى بغلون سايم الموطنة
بنواحيها فكانت له في
ذلك آناً مذكورة وما
انقرضت دولة ابن الحاجاني
خرج الى الشرق وقضى
فرضه سنة ثمان عشرة
وأظهر التوبة والافلاع
وعاود الحج متفلاً سنة
ثلاث وعشرين ولزم كبر
بيته وأبقى السلطان أبو
يحيى عليه نعمة في كثير مما
كان يده من الاقطاع
والجراية ودعا الى حجابته
موارفاً تبع (أخيه) في
محمد بن منصور بن مري
قال ما هلك الحاجب بن
محمد بن عبد العزيز الكردي
المعروف بالزوار سنة
سبع وعشرين وسبعمائة
استدعى السلطان بذلك
محمد بن مخلد وأراد على
الحجاجة وأن يفوض اليه

الطعن الكاذب تخفيض الشأنه لا يبالون بصدقه من كذبه بعد السافاة وأفن عقول من خلف من صبية بني العباس
ومما يليكم المعجم في القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دأبهم حتى اتقضى أمر الاغلبة فترعت
هذه الكلمة الشعاء اسماع الغرغاء وصر عايبا بعض الغلاة عن اذنه واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند
المنافسة وما لهم بجهنم الله والبدول عن مقامه الشريعة فلا تعارض فيها بين المتعلم والمظنون وادريس ولد
على فراش أبيه والولد لا فراش على أن تنزى به أهل البيت عن مثل هؤلاء عن عقائد أهل الايمان فالله سبحانه قد
أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن
ومن اعتد بخلاف هذا فقد باء بالمدو واجالك الكفر عن بابه وانما أطابت في هذا الرد سد الابواب التي يبودنها
في صدر الحاسد اسمعته اذنأي من قائلة المعتدى عليهم به التادخ في نسبهم بفرقتهم وينقله بزم عن بعض
مؤرخي المغرب ممن انحرف عن أهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والافالح منزه عن ذلك معصوم منه
ونفي العيب حيث يستحيل العيب عيبا لكتي جادات عنهم في الحياة الدنيا وأرجوا أن يجادلوا عن يوم القيامة (وتعلم)
أن أكثر الغلاة عن نسبهم انما هم الحسنة لا عتاب ادريس هذا من ينتم الى أهل البيت أو دخيل فيهم فإن
ادعاء هذا النسب الكريه دعوى شرف عريض على الامم والاحياء من أهل الافاق فتمرض التهمة فيه وما
كان نسب بني ادريس هؤلاء بواطنهم من فاس وسائر ديار المغرب بتم باع من الشهرة والوضوح بباغ الايكاد
يلحق ولا يطمع أحد في دركه اذ هو نقل الامة والجيل من السلف الى اللاحق والجيل من السلف الى اللاحق
ادريس محتفل فاس ومؤسسه بين يديهم ومسجده لصق محلاتهم ودرهم وسيفه منتضي برأس المأذنة العظمى
من قرار بلدهم وغير ذلك من آثار التي جاو زنت أخبارها حدود التواتر ومرات وكادت تالحق بالعين فاذا نظر
غيرهم من أهل هذا النسب الى ما آتاهم الله من أمثالها وما عارضهم في النبوي من جلال الملك الذي كان
لسلفهم بالمغرب واستيقن أنه بمنزل عن ذلك وأنه لا يبلغ مدأ أحد منهم ولا نصفه وأن غاية أمر المتهتمين الى البيت
الكرهيم ممن لم يحصل له أمثال هذه الشواهد أن يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون في أنسابهم وبنو ما بين العلم
والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوفة
ووضعا حسدا من عند أنفسهم فيرجعون الى العناد وأرتكاب الججاج والبهت بمنزل هذا الطعن النازل والقول
المنكذب تعالوا بالاساواة في الغلبة والمشابهة في تدارق الاحتمال وهما هاتاهم في المغرب فيما ناله من
أهل هذا البيت الكريه من يبلغ في صراحة نسبهم وضوح ما بلغ عتاب ادريس هذا من آل الحسن
وكبرائهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الخوطين بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس بن
ادريس وهم تقياء أهل البيت هناك والساكنون بيوت جدتهم ادريس ولهم السيادة على أهل المغرب كافة حسبما
نذكرهم عند ذكر الادارة ان شاء الله تعالى (ويالحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفائلة ما يتناول
ضعفة الرأي من فقهاء المغرب من التذخ في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتاييس
فيما آتاه من القيام بالتوحيد الحق والتمسك على أهل البيت قبله وتكذيبهم جميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم
الموحدون أتباعه من انسابه في أهل البيت وانما جعل الفقه على تكذيب ما كن في نفوسهم من حسد علي
شأنه فانهم اساروا من أنفسهم بناهضة في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الرأي مسموع
القول مو طالع القمب تقوم اذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذهبه والتكذيب لمدعياته وايضا فكانوا يؤنس
من ملوك لمونة أعدائه تحلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السيادة والسياسة والديانة فكان
الجملة المبدواتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل في بلده وعلى قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعة
لهم وصر بالمدوهم ونحو اعلى المهدي ما جاء به من خلافهم والتأثر بسب عليهم والمناسبة لهم تشيما لتسوية وتصبها

أمره فأبى واستغنى فأعفاه
 وأمره فيمن يوليه حاجاته
 فأشار عليه بصاحب قنر
 بحماية محمد بن أبي الحسن بن
 سيد الناس لاستحقاقه ذلك
 بكفايته واضطلاله ولقد تم
 حماية بين سلفه ما بنو نس
 وأشيائية من قبل وقال له
 هو أقدر على ذلك بما هو
 عليه من الحاشية والدين
 فعدل السلطان على اشارته
 واستدعى ابن سيد الناس
 وولاه حاجاته وكان
 السلطان أبو يحيى إذا خرج
 من تونس يستعمل جندنا
 محمدا عليا وتوفى بظلمه
 إلى أن هلك سنة سبع
 وثلاثين ونزع ابنه وهو
 والذي محمد بن أبي بكر عن
 طريقة السيف والخدمة
 إلى طريقة العلم والرباط
 لما نشأ عليه في حجر أبي
 عبد الله الرندي الشهير
 بالفقيه كان كبير تونس
 لهده في العلم والفتيا
 وانتحان طارق الولاية التي
 ورثها عن أبي حسين رحمه
 حسن الوالدين الشريفين
 وكان جندنا رحمه الله قد
 لازمته من يوم تزوجته

لدولتهم وكان الرجل غير مكاتبهم وحاله على غير معتاداتهم وما نزلك برجل تقيم على أهل الدولة ما تقيم من
 أحوالهم وخالف اجتماعهم فتهاهم فتسادي في قومه ودعالي جياهم بنفسه فاقام الدولة من أصولها وجعل
 عليهم أساليب الأعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا وحامية وتساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها
 إلا خلقهم أتباعهم على الموت وقود بانفسهم من الهلكة وتقر بوا إلى الله تعالى بألاف مخرجهم في اظهار
 تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلام ودات بالدوتين من الدول وهو بحالة من التشف
 والحصر والصبر على المكابرة والتقليل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شيء من الحفظ والمتاع في دنياه حتى الولد
 الذي ربح إلى النفوس وتجادع عن تيمه فليت شمري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل
 له حظ من الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانضحت دعوته سنة الله التي قد خلت
 في عباده (وأما) انكارهم نسبه في أهل البيت فلا تعصده حجة لهم مع أنه ان ثبت أنه ادعاه وانتسب إليه فلا
 دليل يقر على بطلانه لأن الناس مصدقون في أنسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير أهل
 جلدتهم كما هو الصحيح حسب ما يأتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قدر أس سائر المصامدة ودانوا
 باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغة حتى تم أمر الله في دعوته فاعلم أن هذا النسب الفاطمي لم يكن أمر
 المهدى يتو قف عليه ولا تبعه الناس بسببه وانما كان أتباعهم له بعضية الهرة والمصمودية وبمكانه منها
 ورسوم شجرة فيها وكان ذلك النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه
 بينهم فيكون النسب الاول كأنه انساخ منه وليس جلدته هؤلاء وظهور فيها فلا يضره الا نسب الاول في عصبيته اذ
 هو مجهول عند أهل النصابة ومثل هذا واقع كثيرا اذ كان النسب الاول خفيا (وانظر) قصة عمر حجة وجرير
 في رياسة بحيلة وكيف كان عمر حجة من الأزدي وليس جلدته بحيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضى
 الله عنه كهم مذكو رتبتهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب (وقد) كذا ان يخرج عن غرض
 الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذا الحديث
 والآراء علقوا بأفكارهم وقاموا عنهم الكفاية من ضعف النظر والغفلة عن القياس وتلقوا هاهم أيضا كذلك من
 غير بحث ولا روي وقد اندرجت في محن وظلماتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطوا ناظره مرتبكوا وعد من مناحي
 العامة فاذ يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والقبائل
 والاعتصار في السير والأخلاق والعوائد والتجمل والمذاهب وسائر الأحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة
 ما يئونه بين الغائب من الواقع أو بين ما يئونه من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول
 الدول والمملوك ومبادئ ظهورها وأسباب حدودها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون
 مستوعبا لأسباب كل حادث واقعا على أصول كل خبر وحيفة يعرف خبر المتقول على ما عنده من القواعد
 والأصول فان افتقروا جري على مقتضاها كان صحيحا ولازيمه واستغنى عنه وما استكبر القدماء علم التاريخ
 الا لذلك حتى اتحلوا العظمى والبخارى وابن اسحق من قباها وأمثالهم من علماء الأمة وقد هزل الكثير
 عن هذا السرفيد حتى صار اتحاله مجتمعة واستغنى العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحله والحوش
 فيرسل الخليل عليه فاستلطى المربي بالهمل والباب بالشر والصادق بالكاذب والي الله عاتبة الامور (ومن
 الغلط) الخفي في اتارخ الدهول عن تبدل الأحوال في الأمم والاحياء بتبدل الأعصار ومرور الأيام وهو
 داعدو شديد الحناء اذ لا يقع الا ببدأ احقاب متطاوله فلا يكاد يتفطن له الا احاد من أهمل الحاقبة (وذلك)
 أن أحوال العالم والأمم وعواندهم ونحلهم لا تدوم على تيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الأيام
 والازمنة وانتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاقوات والمصارف فكذلك يقع في الآفاق

والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد خلت في عبادته وقد كانت في العالم أمم الفرس الاولى والسر يانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقطب وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم وأحوال اعمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب قبلت تلك الأحوال واقلبت بها العوائد الى ما يجانسها أو يشابهها والى ما يباينها أو يباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلاباً أخرى وصارت الى ما أكثره متعارف لهذا العهد يأخذ الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهبت الاسلاف الذين شيدوا عزمهم ومهدوا ممالكهم وصار الامر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالغرب والفرنجية بالشمال فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد دنى شأنها وأغفل أمرها (والسبب) الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أن ذلك حيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الامثال الحكيمية الناس على دين الملك وأهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وأن يفزعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا ينفكوا عوائد حيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض الخلفاء لعوائد الحيل الاول فاذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائد خالفها أيضاً بعض الشيء وكانت للاولى أشد مخالفة ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي الى المبينة بالجملة فدامت الامم والاحوال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة والقياس والمحاكاة لانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير ما مونة تخبره مع الذهول والغفلة عن قصده وتوهم به عن مرامه فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها فيجر بها الاول وهلة على ما عرف وقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيراً فيقعي في مهواة من الغلط (فن هذا الباب) ما ينقله المؤرخون من أحوال الحجاج وان أباه كان من المعلمين مع أن التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العvisية والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم (١) فيتشوف الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا بها أهل ويدونها من المكنات لهم فذهب بهم وسوا من المطامع ووربما تقطع حبلها من أيديهم فسطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وانهم أهل حرف وصنائع المعاش وأن التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان تقالداً سمع من الشارع وتعليمات جاهل من الدين على جهة البلاغ فكان أهل الانساب والعvisية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبرى لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهمه للامة لاتصدهم عنه لائمة الكبر ولا يزعمهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كباراً أصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام وشجرت عروق الملة حتى تناو لها الامم البعيدة من أيدي أهلها واستخالت بمرور الايام أحوالها وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطا وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف كباياتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل أهل العvisية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للمعاش وشجعت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محقرة عند أهل العvisية والملك والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم ومكانهم

(١) قوله الجذم الاصل اه قاموش

طريقه وألزمه ابنه وهو
والذي رحمه الله فقراً
وتفقه وكان مقدماً في
صناعة العربية وله بصر
بالشعر وفنونه عهدي
بأهل البلد يتحاكمون اليه
فيهو يعرضون عليه وهلك
في الطاعون الجارف سنة
تسع وأربعين وسبعمائة
(أما نشأني) فاني ولدت
بتونس في غرة رمضان
سنة اثنتين وثلاثين
وسبعمائة وريت في
حجر والذي رحمه الله الى أن
أيفعت وقرأت القرآن
العظيم على الاستاذ أبي
عبد الله محمد بن نزال
الانصار أصله من جالة
الاندلس من أعمال
بلنسية أخذ عن مشيخة
بلنسية وأعمالها وكان
اماماً في القراءات وكان من
أشهر شيوخه في القراءات
السبع أبو العباس أحمد بن
البطوي ومشيخته فيها
وأسانيده معروفو بعد
أن استظهرت القرآن العظيم
عن حفطي قرأته عليه
بالقراءات السبع المشهورة
افرادوا جماعي احدي

من عصية العرب ومناهضة قریش في الشرف ما علمت ولم يكن تعلية للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من أنه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من الاموال في الاسلام (ومن هذا الباب) أيضاً ما يتوهمه المتصفحون لكاتب التاريخ اذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب وقود العساكر فتراحميهم وساوس الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون أن الشأن في خطة القضاة لهذا العهد على ما كان عليه من قبل و يظنون بأن أبي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باشيلية اذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاة من مخالفة العوائد كما نيزه في فصل القضاة من الكتاب الاول وابن أبي عامر وابن عباد كما نأمن قبائل العرب القائلين بالدولة الاموية بالاندلس وأهل عصيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم ما نالوه من الرياسة والملك بخطة القضاة كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاة في الامر القديم لاهل (١) العصية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالغرب وانظر خر وجههم بالعساكر في الطوائف وتقليدهم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الفنى فيها بالعصية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هي وأكثر ما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من أهل الاندلس لهذا العهد لقصدان العصية في مواطنهم منذ أعصار بعيدة لقضاء العرب ودولتهم بها وخر وجههم عن ملكة أهل العصيات من البربر فبقيت أنسابهم العربية محفوظة والذريعة الى العز من العصية والتناصر مفقودة بل صار وامن جملة الرعايا المخذلين الذين تعبدتهم القهر ورغوا المذلة يحسبون أن أنسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم التغلب وحكم فجند أهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعين في نيله فأم من بأشراحوال القبائل والعصية ولهم بالعدو والغلبة وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقلما يناطون في ذلك ويخطون في اعتباره (ومن هذا الباب) أيضاً ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها فيذكرون اسم ونسبه وأباه وأمه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يرضون توارى نخمهم لاهل الدولة وأبناءؤهامتشفون الى سيرة اسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الحفظ والمراتب لآبناء صنائعهم وذويهم والقضاة أيضاً كانوا من أهل عصية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله وأما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الامم أو يقصر عنها فالفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الآباء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم

(١) العصية بفتح الحاء والتعصب وهو أن يذب الرجل عن حريم صاحبه ويشمر عن ساق الجد في نصره منسوبة الى العصبة محركة وهم أقارب الرجل من قبل أيه لانهم هم الذابون عن حريم من هو منتهاهم وهي بهذا المعنى بمدوحة وأما العصية المذمومة في حديث الجامع الصغير ليس نأمن دعا الى عصية وليس منأمن قاتل على عصية وليس منأمن مات على عصية فهي تعصب رجال قليلة على رجال قليلة أخرى لغير ديانة كما كان يقع من قيام سمد على حرام نسبة الى العصبة بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولومن غير أقاربهم ظالم كان أو مظلوما وفي الفتاوى الحيرية من موانع قبول الشهادة بالعصية وهي أن يبغض الرجل الرجل لانه من بني فلان أو من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم ففي الحديث ليس منأمن دعا الى عصية وهو موجب للفسق ولا شهادة قدر تكبه قاله الاستاذ أبو الوفاء اه

وعشرين ختمة ثم جمعها في ختمة واحدة أخرى ثم قرأت بر واية يعقوب ختمة واحدة جماعين الر وايتين عنه وعرضت عليه رحمه الله قصيدة الشاطبي اللامية في القراءات والرائية في الرسم وأخبرني بهما عن الاستاذ أبي عبد الله البطوي وغيره من شيوخه وعرضت عليه كتاب التفسير لاحاديث الموطن لابن عبد البر حذاه حذو كتابه التمهيد على الموطأ مقتصر على الاحاديث فقط ودرست عليه كتابا في مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الخطيب في الفقه ولم أكملهما بالحفظ وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي وعلى أستاذه تونس منهم الشيخ أبو عبد الله محمد العربي الحصارى وكان اماما في النحو وله شرح مستوف على كتاب التسهيل ومنهم أبو عبد الله محمد الشواش المزازي ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار كان متمعا في صناعة

الاذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك أخبارهم كالحجاج وبنو المهلب والبرامكة وبنو سهل بن نوح وكافو والاششيدي وابن أبي عامر وأمثالهم فغير نكير الامساع بأهم والاشارة الى أحوالهم لانتظامهم في عداد الملوك (ولندكر) هنا فائدة نحتكم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ إنما هو ذكر الاخبار الخاصة بمصر أو حيل (فاما) ذكر الاحوال العامة للآفاق والاحيال والاعصار فهو أس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره وقد كان الناس يفرّدونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الامم والآفاق لعهد في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا وذكر نخلهم وعوائدهم وصف البلدان والحيال والبحار والممالك والدول وافرقت شعوب العرب والعجم فصار اماما للمؤرخين يرجعون اليه وأصلا يعملون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاحيال لعهد لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير وأما هذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد اقبلت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض من أحوال البر بأهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أحوال العرب بما كبر وهم وغلبوهم وانزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم هذا الى منازل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الامم وذهب باهل الحيل وطوي كثير من محاسن العمران ومحاسنها وجاء للدول على حين هزمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال أحوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والممالك وختت الديار والمنازل وضعت الدول والقبائل وتبدل السالكين وكأني بالمشرق قد نزل به مثل منازل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأني نادى لسان الكون في العالم بالحمول والاقباض فبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها اذا تبدلت الاحوال جملة فكانت تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليقة والآفاق وأحوالها والعوائد والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفوا مسلك المسعودي لعصره ليكون أصلا يقتدي به من يأتي من المؤرخين من بعده (وأناذاكر) في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي امامصر يحا أو مندرج في أخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أحواله وأعمه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأعمه وان الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما يريد منه والمسعودي إنما استوفى ذلك بعد رحلته وتقبله في البلاد كاذكر في كتابه مع أنه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء أحواله وفوق كل ذي علم عليم ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في عونه تبسرت عليه المذاهب وأنجحت له المساعي والمطالب (ونحن) آخذون بعون الله في بيان مناه من أغراض التأليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان * وقد بقي علينا أن تقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات العرب اذا عرضت في كتابنا هذا (اعلم) أن الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعدي كيفية الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الخلك والحاق والاضراس أو بقرع الشفتين أيضا فتغايرت كيفية الاصوات بتغاير ذلك القرع ونحيي الحروف بتميز في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا أيضا حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والتورك والبربر وغير هؤلاء من العجم

التحو وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الخباب النبوي وهو حي لهذا العهد بتونس ومنهم امام العربية والادب بتونس أبو عبيد الله محمد بن بحر لازمت مجلسه وأفدت عليه وكان بحر ازخر في علوم اللسان وأشار على بحفظ الشعر خففت كتب الاشعار الستة والحاسة للاعلم وشعر بياض بالاصل وطائفة من شعر المتنبي ومن أشعار كتاب الاغانى ولازمت أيضا مجلس امام المحدثين بتونس شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر صاحب الرحلتين وسمعت عليه كتاب مسلم ابن الحجاج وسمعت عليه كتاب الموطأ من أوله الى آخره وبعض من الامهات الحسن وناولني كتابا كثيرة في العربية والفقه وأجازني اجازة عامة وأخبرني عن مشايخي المذكورين أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد ابن الغماز الحزرجي

ثم إن أهل الكتاب من العرب اصطلاحوا في الدلالة على حر وفهم المسموعة بأوضاع حر وف مكتوبة متميزة بأشخاصها كوضع ألف و باء و جيم و راء و طاء إلى آخر الثمانية والعشرين وإذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حر وف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان ورمي بغيره بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يليه من لغتنا قبله أو بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله * ولما كان كتابنا مشتملاً على أخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أسمائهم أو بعض كلماتهم حر وف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أو ضاعنا اضطررنا إلى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كإفاناد لأنه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بمبادل على الحرفين اللذين يكتفانه ليتوسط القاري بالخطق به بين محر جي ذينك الحرفين فتحصل تأديته وإنما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حر وف الاشمام كالصراف في قراءة خلف فان التطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصادو رسماً في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين حرفين من حر وفنا كالصاف المتوسط عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والحيم أو القاف مثل اسم بلكن فأضعها كافاً وأقطعها بنقطة الحيم واحدة من أسفل أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو اثنتين فيدل ذلك على أنه متوسط بين الكاف والحيم أو القاف وهذا الحرف أكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معاً ليعلم القاري أنه متوسط فينطق به كذلك فتكون قد دللتنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانيه لكننا قد صرفناه من محرجه إلى محر ج الحرف الذي من لغتنا وغير نالفة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب بمنه وفضله

✽ الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب

والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب

(اعلم) أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتج له البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال * ولما كان الكذب متطراً لا يخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه فمنا التشيعات للآراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التحجيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه وإذا خسر هاتين لم يرأى أو نخلة قبلت ما يوافقه من الاخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتحجيص فتقع في قبول الكذب ونقله * ومن الأسباب المقتضية للكذب في الاخبار أيضاً الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح (ومنها) الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وأما مجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما بداخلها من التليس والتصنع فينقلها الخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجارة والمراتب بالتناء والمدح وتحسين الاحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالفوس مولمة بحب التناء والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاء أوثر ووة وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها * ومن الأسباب المقتضية له أيضاً وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطباع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله

واخذت الفقه بتونس عن جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحلياني وأبو القاسم محمد الصغير قرأت عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البراذعي مختصر المدونة وكتاب المالكية وتفقهت عليه وكنت في خلال ذلك انتاب مجلس شيخنا الامام قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام مع أخي عمر رحمة الله عليهما وأدت منه وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطن للامام مالك وكانت له طرق عالية عن أبي محمد بن هرون الطائي قبل اختلاطه إلى غير هؤلاء من مشيخة تونس وكلهم سمعت عليه وكتب لي وأجازني ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن عند ما ملك افر بقة سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه فمنهم شيخ الفيا بالمغرب وامام مذهب مالك

فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز
 الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض وكثير ما يعرض للسامعين قبول الأخبار
 المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية
 وكيف اتخذت ابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب
 الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت
 وعابتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذها تابوت الزجاج ومصادمة
 البحر وأما وجه مجرمه ومن قبل أن الملوك لا تحمل أنفسهم على مثل هذا الغرر ومن اعتمد منهم فقد عرض
 نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من
 غروره ذلك طرفة عين ومن قبل أن الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل
 وما يذكرون كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهوريل لأنها حقيقة (وهذه) كلها فادحة في تلك
 الحكاية والقادح الخيل لها من طريق الوجود أين من هذا كله وهو أن المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق
 يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وتسخن روجه بسرعة تقلبه فيفقده صاحبه الهواء البارء بالمعدل لمزاج الرئة
 والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك أهل الحمامات اذا طبقت عليهم عن الهواء البارد
 والمتدلين في الآبار والمظامير العميقة المهوي اذا سخن هواؤها بالعفونة ولم تدخلها الرياح فتدخلها فان
 المتدلي فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه في تعديل رثته
 اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله بارد والهواء الذي خرج اليه حار فيستولي الحار على روجه الحيواني
 ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وأمثال ذلك * ومن الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودي أيضاً في تمثال
 الزرزور الذي يرمي مئة تجمع اليه الزرزور في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم
 وانظر ما بعد ذلك عن المجري الطبيعي في اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب
 تحيط بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كإثباتي
 وهذه خرجت عن أن يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتمصم وكما نقله المسعودي أيضاً في حديث مدينة
 النحاش وانها مدينة كل بناء نحاس بصحراء سجلماسة فظفر بها موسى بن نصير في غزوه الى المغرب وانها
 مغلقة الابواب والصاعد اليها من أسوارها اذا أشرف على الحائط صفق ورعى نفسه فلا يرجع آخر الدهر
 في حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفضها الركب والادلاء ولم يقفوا هذه
 المدينة على خبر ثم ان هذه الأحوال التي ذكرنا عنها كلها مستحيل عادة مناف للامور الطبيعية في بناء المدن
 واختطاطها وان المعادن غاية الوجود منها أن يصرف في الآنية (١) والخزني وأما تشييد مدينة منها فكما
 تراهم من الاستحالة والبدو أمثال ذلك كثير وتمحيصه انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه
 وأوثقها في تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الر واثو لا يرجع الى
 تعديل الر واثو حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع وأما اذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل
 والتجريح ولقد عدا أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله أن يؤول بما لا يقبله
 العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية أو جب
 الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرأية بالعدالة والاضبط (وأما الاخبار
 عن الواقعات) فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر في امكان وقوعه وصار فيها ذلك

(١) قوله الخزني بالضم أنات البيت اه قاموس

أبو عبد الله محمد بن سليمان
 السطحي فكتبت انساب مجلسه
 وأفدت عليه ومنهم كاتب
 السلطان أبي الحسن
 وصاحب علامته التي توضع
 أسفل مكتوباته امام
 المحققين أبو محمد عبد المهيمن
 الحضرمي لازمه وأخذت
 عنه سماعاً واجازة الامهات
 وكتاب الموطأ والسير لابن
 اسحق وكتاب ابن الصلاح
 في الحديث وكتبا كثيرة
 سرت عن حفظي وكانت
 بضاعته في الحديث والفقه
 والعربية والادب والمقول
 وسائر الفنون مضبوطة
 كلها مقابلة ولا يخلو ديوان
 منها عن ضبط بخط بعض
 شيوخه المعروفين في سنده
 الى مؤلفه حتى الفقه
 والعربية الغريبة الاسناد
 الى مؤلفها في هذه العصور
 ومنهم الشيخ أبو العباس
 أحمد الزواوي امام المغرب
 قرأت عليه القرآن العظيم
 بالجمع الكبير بين القراءات
 السبع من طريق أبي عمرو
 الداني وابن شريح لم
 اكملها وسمعت عليه عدة
 كتب وأجازني بالاجازة

العامة ومنهم شيخ العلوم
 العقلية أبو عبد الله محمد
 ابن ابراهيم الايلي أصله من
 تلمسان وبهانشأ وقرأ
 كتب التعليم وصدق فيه
 وصله الحصار الكبير
 بتلمسان أعوام المائة
 السابعة فخرج منها وحج
 ولقي اعلام المشرق يومئذ
 فلم يأخذ عنهم لانه كان
 مختلطاً بعارض عرض في
 عقله ثم رجع من المشرق
 وأفاق وقرأ المنطق
 والاصلين علي الشيخ أبي
 موسى عدي ابن الامام
 وكان قرأ بتونس مع أخيه
 أبي زيد عبد الرحمن علي
 تلميذ أبي زيتون الشهير
 الذكر وجاء الى تلمسان
 يعلم كثير من المنقول
 والمقول فقرأ الايلي على
 أبي موسى منهما كما قلناه
 ثم خرج من تلمسان هارباً
 الى المغرب لان سلطانها
 أباحو يومئذ ولديهم
 اسن بن زيان كان يكرهه
 على التصرف في أعماله
 وضبط الحياة بحسبانه ففر
 الى المغرب ولحق بمرآكش
 ولازم العالم الشهير الذكر

أهم من التعديل ومقدماً عليه اذ فائدة الانشاء مقبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا
 كان ذلك فالتأني في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة أن تنظر في الاجتماع البشري
 الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته و بمقتضى طبعه وما يكون عارضاً لا يعتد به وما لا يمكن أن
 يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه
 برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذ اسمعنا عن شيء من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما
 نحكم بترينه وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤمن رجون طريق الصدق والصواب فيما يقولونه وهذا
 هو غرض هذا الكتاب الاول من تأليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري
 والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد أخرى وهذا
 شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً (واعلم) أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب
 النزعة غريب الفائدة أعثر عليه البحث وأدى اليه الغوص وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية فان
 موضوع الخطابة إنما هو الاقوال المفيدة النافعة في استمالة الجمهور رالى رأى أو صدقهم عنه ولا هو أيضاً من علم
 السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور
 على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه
 وكأنه علم مستبطن النشأة ولعمري لم أقف على الكلام في منجاة واحد من الحياكة ما أدى لغفلتهم عن ذلك وليس
 الظن بهم أو لعلمهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل اليها فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم أنواع الانساني
 متعددون وما لم يصل اليها من العلوم أكثر مما وصل فإين علوم الفرس التي أمر عمر رضي الله عنه بمحوها عند
 الفتح وأين علوم الكلدانيين والسرانيين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها وتاثيرها وأين علوم القبط ومن
 قبائلهم وأين ما وصل اليها علوم أمة واحدة وهم يونان خاصة لكلف المأمون باخراجهم من لغتهم واقتداره على ذلك
 بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها ولم تقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة بطبيعة
 يصاح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم
 يخصه لكن الحكماء لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا انما ثمرته في الاخبار فقط كرايت وان
 كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجره والله
 أعلم وما أوتيتم من العلم الا قليلاً (وهذا الفن) الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لاهل
 العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في اثبات
 النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه
 في باب اثبات اللغات أن الناس محتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات أخف
 ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في أن الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع وأن القتل
 أيضاً مفسد للنوع وان الظلم مؤذن بحراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في
 الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا
 في هذه المسائل المثلثة * وكذلك أيضاً يقع اليها القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليفة الحكمهم لم
 يستوفوه (فمن كلام الموبدان) بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك ان الملك لا يتم
 عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا تقوم بالشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا
 بالرجال ولا تقوم الرجال الا بالمال ولا يسبى الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والميزان
 المنصوب بين الخليفة ونصبه الرب وجعل له قوماً وهو الملك (ومن كلام أنوشير وان) في هذا المعنى بعينه

الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بالصلاح العمال والصلاح العمال باستقامة الزراء ورأس الكل باقتدار الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تأديها حتى يملكها ولا تملكه (وفي الكتاب) المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه الا أنه غير مستوفى ولا معطي حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد أشار في ذلك الكتاب الى هذه الكلمات التي نقلناها عن الموبدان وأنوشروان وجعلها في الدائرة القريبة التي أعظم القول فيها وهو قوله العالم بستان سياجها الدولة السلطان تحيا به السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام بعضه الجند الجند أعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعهم الرعية الرعية عبيد يكتفهم العدل العدل مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى أول الكلام فهذه ثمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت أعجازها على صدور رهاواتصت في دائرة لا يتعين طرفها غير بعثور عليها وعظم من فوائدها وانت اذا تأملت كلامنا في فصل الدول والملك وأعطيت حقه من التصفح والتفهم عثرت في أثناءه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها مستوفى في يناباوعب بيان وأوضح دليل وبرهان أطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة موبدان وكذلك تجد في كلام ابن المقفع وما يستطرده في رسائله من ذكر السياسات الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كبرهنا انما يجلبها في الذكر على منحي الخطابة في أسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك حرم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة انما يوجب الباب للمسئلة ثم يستكثر من الاحاديث والآثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والموبدان وحكماء الهندو المأثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من أكابر الخليفة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواظف وكأنه حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهامنا وأعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهته خبره فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية وان فاتني شيء في احصائه واشتهت بغيره مسائله فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفضل لاني نهجت له السبيل وأوضح له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء * ونحن الآن بين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة وتدفع بها الاوهام وترفع الشكوك (ونقول) لما كان الانسان متميزا عن سائر الحيوانات بنحو اختصاص بها فتمها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذا لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامى لا يفكر وروية ومنها السعي في المعاش والاعتماد في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء في حياته وبقائه وهذا الى التماسه وطلبه قال تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التساكن والتنازل في مصراوح حلة للانس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كإسنيته ومن هذا العمران ما يكون بدو ياوهو الذي يكون في الضواحي وفي الحياض وفي الحلل المنتجة في القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضر ياوهو الذي بالامصار والقري والمدن والمدائر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله في كل هذه الاحوال أمور تعرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتياله فلا جرم انحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول (الاول) في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الارض (الثاني) في العمران البدوي وذكر القبائل والامم الوحشية (والثالث)

أبا العباس بن البناء في فصل عنه سائر العلوم العقلية وورث مقامه فيها ثم صعد الى جبل الهاكرة بعد وفاة الشيخ باستدعاء علي ابن محمد بن تر وميت ليقرا عليه فأفاده وبعدها عوام استنزله ملك المغرب السلطان أبو سعيد وأسكنه بالبلد الجديد معه ثم اختصه السلطان أبو الحسن ونظمه في جملة العلماء بمجلسه وهو في خلال ذلك يعلم العلوم العقلية ويثبها وبين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصاره وألحق الاصاغر بالا كبر في تعليمه ولما قدم على تونس في جملة السلطان أبي الحسن لزمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكيمة والتعليمية وكان رحمه الله تعالى يشهد لي بالتبريز في ذلك وممن قدم في جملة السلطان أبي الحسن صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان الملقى كان يكتب عن السلطان ويلازم

في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (والرابع) في العمران الحضري والبلدان والامصار (والخامس) في الصنائع والمعاش والكسب وجوهره (والسادس) في العلوم واكتسابها وتعلمها ووقد قدمت العمران البدوي لانه سابق على جميعها كائين لك بعد ذلك كذا تقديم الملك على البلدان والامصار وأما تقديم المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كإلي أو حاجي والطبيعي أقدم من الكمالى وجعلت الصنائع مع الكسب لانها منه ببعض الوجود ومن حيث العمران ككائين لك بعد والله الموفق للصواب والمعين عليه

الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

(الاولى) في أن الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مديني بالطبع أى لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران ويانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاءها الا بالغذاء وهذا الى التماسه بفطرته وبتارك فيه من القدرة على تحصيله الان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الخطة مثلاً فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري هب أنه يأكله حيا من غير علاج فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حيا الى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحبوب من غلاف السنبيل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ويستحيل أن تو في بذلك كله أو بعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بأبناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حفظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرته الفرس مثلاً أعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل أضعاف من قدرته ولما كان العدو ان طبعها في الحيوان جعل لكل واحد منها عضو يختص بمدافعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان عوضاً من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القر و الناطحة والسيوف النشابة عن المخالب الجارحة والتراس النشابة عن البشرات الجلدية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعته وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ومالم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فرسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويطلق نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري لنوع الانساني والالم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعمار العالم بهم واستخلافه اياهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في نفسه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس أيضاً من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضل

خدمة أبي محمد عبد الله
رئيس الكتاب يومئذ
وصاحب العلامة التي توضع
عن السلطان أسفل المراسم
والخطابات وبعضها
يضمه السلطان بخطة وكان
ابن رضوان هذا من
مفاخر المغرب في براعة
خطه وكثرة علمه وحسن
سمته واجادته في فقه
الوثائق والبلاغة في الترتيل
عن السلطان وحولك الشعر
والخطابة على المنابر لانه
كان كثيراً ما يصلى
بالسلطان فلما قدم علينا
بتونس فحبته واعتبطت
به وان لم أتحذه شيئاً
لمقاربة السن فقد أدت
منه كما أدت منهم وقد
مدحه صاحبنا ابو القاسم
الرحوى شاعر تونس في
قصيدة على روى التون
يرغب منه أن يذكره
لشيخه أبي محمد عبد المهيمن
في ايصال مدحه للسلطان
أبي الحسن في قصيدة على
روى الياء وقد تقدم
ذكرها في أخبار السلطان
وذكر في مدح ابن رضوان
أعلام العلماء القادمين مع

ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كإقرارنا وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والمهمات فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتي لا يصل أحدا الى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تين لك بهذا أنه خاصة للانسان طبيعة ولا بد لهم منها وقد يوجد جد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كافي النحل والجراد لما استقرى فيهما من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنها في خلقه وجسمانه إلا أن ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة أعطي كل شيء خلقه ثم هدى وتز يد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلي وأنها خاصة بطبيعة الانسان فيقررون هذا البرهان الي غايته وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بسد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفر من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد أن يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتي يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كبراه اذ الوجود وحياة البشر قدمت من دون ذلك بما يفرضه الحاك لم نفسه أو بالعصية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته فأهل الكتاب والمتبعون للأنبياء قليلون بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والآثار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فانه يتمتع وبهذا يتبين لك غلطهم في وجوب النبوات وأنه ليس بعقل وانما مدركة الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

﴿ المقدمة الثانية ﴾

(في قسط العمران من الارض والاشارة الي بعض مافيها من الاشجار والانهار والاقاليم)
(اعلم) أنه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في أحوال العالم أن شكل الارض كرى وانما محفوفة بعنصر الماء كأنها غنية طافية عليه فأنحسر الماء عن بعض جوانبها لما أراد الله من تكون الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على سائرها وقد يتوهم من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما تحت الطبيعي قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلب بمافيها من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها وأما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وان قيل في شيء منها انه تحت الارض فبالاضافة الى جهة أخرى منه وأما الذي انحسر عنه الماء من الارض فهو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها بحر يسمى البحر المحيط و يسمى أيضا بليلة بتفخيم اللام الثانية و يسمى أوقيانوس أسماء أعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المكتشف من الارض للعمران فيه القفار والخلاء أكثر من عمرانها والحالي من جهة الجنوب منها أكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة أميل الى الجانب الشمالي على شكل مسطح كرى ينتهي من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرى و وراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما سد يأجوج ومأجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب الى عنصر الماء أيضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المكتشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة أو أقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض وأكبر خط في كرتها

السلطان وهي هذه
عرفت زمانى حين أنكرت
عرفانى
وأيقنت أن لاحظ في
كف كيوان
وأن لا اختيار في اختيار
مقوم
وان لا قراع بالقران
لا قران
وان نظام الشكل أكمل
نظمه
لاضعاف قاض في الدليل
بر جحان
وان اقتدار المرء من
قدراته
ومن نقله يغنى اليب
بأوزان
الى آخرها ثم يقول في
ذكر العلماء القاديين
هم القوم كل القوم أما
حلومهم
فارسخ من طودي تبير
ونهلان
فلا طيش يملوهم وأما
علومهم
فاعلامها تهديك من غير
نيران
ثم يقول في آخرها
وهامت علي عبدالمهيمن
تونس

كأن منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار أكبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصباً والأصبغ ست حبات شعيرة صفوفة ملصق بعضها إلى بعض ظهر البطن وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الأرض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستون درجة والباقي منها خلافاً لعمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلافاً لكها لشدة الحر كما بين ذلك كله إن شاء الله تعالى ثم إن الخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الأمصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والقفار والرمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب جاز من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة أقسام يسمونها الأقاليم السبعة بمحودود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالأقليم الأول أطول مما بعده وكذا الثاني إلى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار المساء عن كرة الأرض وكل واحد من هذه الأقاليم عندهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب إلى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال عمراته (وذكرنا) أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الأقليم الرابع البحر الرومي والمعروف في بلاد خلیج مضائق في عرض اثني عشر ميلاً ونحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينفسح إلى عرض ستمائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الأقاليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب أولها طنجة عند الخليج ثم أفريقيا ثم برقة إلى الإسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج ثم البنادقة ثم رومة ثم إفريقيا ثم الاندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل أقریطش وقبرص وصقلية وميورقة وسرانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليجين أحدهما سمات للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر مضائق في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بحار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينفسح في عرض أربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ست أميال فيمد بحر نيطش وهو بحر يتحرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية الشرق فيمر بأرض هريقلية وينتهي إلى بلاد الخزر رمية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من الجانبين أمم من الروم والترك وبران والروس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد انكلاية على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى خليج البنادقة (قالوا) وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق على ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر إلى الجنوب قليلاً حتى ينتهي إلى الأقليم الأول ثم يمر فيه مغرباً إلى أن ينتهي في الجزء الخامس من بلاد الحبشة والنموج إلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ من مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد النموج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم يمد مقدشو ثم بدسفالة وأرض الواق وأمامه أخريس بعدهم الألفقار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من الأحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد النموج عند نهايته وبعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من هذا البحر الحبشي بحران آخران (أحدهما) يخرج من نهايته عند باب المندب فيبدأ

وقد ظفرت منه بوصل

وقربان

وما عقلت من الضمائر

غيره

وان هويت كلا بحبان

رضوان

وكتب هذا الشاعر

صاحبنا الرحوي يذكر

عيد المهيم بذلك

لمي النفس باكتساب

وسي

وهو العمر في انهب

وفي

وأرى الناس بين ساع

لرشد

يتوخي الهدى وساعاني

وأرى العلم لا يزيينا

فزيانته بأحسن زى

وأرى الفضل قد تجميع كلا

في ابن عبد المهيم الحنفي

ثم يقول في آخرها

ينبغي القرب من مراقي

الاماني

والترقي للجانب العلوي

فأنلها مرامها مستهلا

كل دان يسي وكل قصي

ثم كانت واقعة العرب

على الساطان بالقيروان

فاتح تسع وأربعين فثغروا

عن ذلك ولم يظفر هذا

متضايقاتهم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال ومغر باقليل الى أن ينتهي الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني على ألف وأربعمائة ميل من مبدئه و يسمى بحر القلزم و بحر السويس و بينه و بين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة ثم مدين وأيلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعذاب وسواكن وزليع ثم بلاد الحبشة عند مبدئه وآخره عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش و بينهما نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبلة ير ومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك (والبحر الثاني) من هذا البحر الحبشي و يسمى الخليج الاخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال ومغر باقليل الى أن ينتهي الى الابله من سواحل البصرة في الجزء السادس من الاقليم الثاني على أربعمائة فرسخ وأربعين فرسخا من مبدئه و يسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابله عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليمامة وعمان والشحر والاحقاف عند مبدئه وفيما بين بحر فارس والقلزم جزيرة العرب كأنها دخلة من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب و بحر القلزم من الغرب و بحر فارس من الشرق وتفضي الى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما وهنالك الكوفة والقادسية و بغداد و ابوان كسري والحيرة و وراء ذلك أمم الاعاجم من الترك والحزر وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها و بلاد اليمامة والبحرين و عمان في جهة الشرق منها و بلاد اليمن في جهة الجنوب منها و سواحلها على البحر الحبشي (قالوا) وفي هذا المعمور بحر آخر منقطع من سائر البحار في ناحية الشمال بارض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول ألف ميل في عرض ستمائة ميل في غربيه اذربيجان والديلم وفي شرقه أرض الترك وخوار زم وفي جنوبيه طبرستان وفي شماله أرض الحزر واللان (هذه) جملة البحار المشهورة التي ذكرها أهل الجغرافيا * قالوا وفي هذا الجزء المعمور أنهار كثيرة أعظمها أنهار بعثان وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون (فأما النيل) فببؤده من جبل عظيم ورائه خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول و يسمى جبل القمر ولا يعلم في الأرض جبل أعلى منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في أخرى ثم تخرج أنهار من البحيرتين تصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل مع الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب أحدهما الى ناحية الشمال على سمتة ويمر ببلاد النوبة ثم بلاد مصر فاذا جاوزهات شعب في شعب متقارب يسمى كل واحد منهما خليجا وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية و يسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقه والواحات من غربيه و يذهب الآخر من عطف الى المغرب ثم يمر على سمتة الى أن يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان وأهمهم كلهم على ضفتيه (وأما الفرات) فببؤده من بلاد أرمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في أرض الروم وملطية الى مشيخ ثم يمر بصفين ثم بالرقه ثم بالكوفة الى أن ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة واسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتنجلب اليه في طريقه أنهار كثيرة ويخرج منه أنهار أخرى تصب في دجلة (وأما دجلة) فببؤدها عين ببلاد خلاط من أرمينية أيضا وتمر على سمت الجنوب بالموصل وأذربيجان وبغداد والي واسط فتفرق الى خليجان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس وهو في الشرق على عشرين الفرات وتنجلب اليه أنهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات ودجلة من أوله جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوى الفرات وقبالة أذربيجان من عدوة دجلة (وأما نهر جيحون) فببؤده من بلخ في الجزء الثامن من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وتنجلب اليه أنهار عظام و يذهب من الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان

الرحوى بطابته ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ودفن بمقبرة سلفنا بتونس لحلة كانت ينهون والدي رحمه الله أيام قدومهم علينا فلما كانت وقعة القير وان نار أهل تونس بمن كان عندهم من أشياء السلطان أبي الحسن فاعتصموا بالقصبة دار الملك حيث كان ولد السلطان وأهله وانتفض عليه ابن تافرا كين وخرج من القير وان الى العرب وهم يحاصرون السلطان وقد اجتمعوا على أبي دبوس و بايعوا له كما مر في أخبار السلطان فبقوا ابن تافرا كين الى تونس فحاصر القصبة وامتنعت عليه وكان عبد المهيمن يوم ثورة تونس وقد سمع الهبة خرج من بيته الى دارنا فاحتفى عند أبي رحمه الله وأقام محتفيا عندنا نحو من ثلاثة أشهر ثم نجى السلطان من القير وان الى سوسة وركب البحر

ثم يخرج منها إلى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الأقاليم الخامس فيصب في بحيرة الجرجانية التي بأسفل مدينتها وهي مسيرة شهر في مثله وإليها ينصب نهر فرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك وعلي غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى شريقه بلاد بخارى وترمد وسمرقند ومن هناك إلى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخزرجية وأمم الأعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه الشريف في كتاب زجار وصور وفي الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال والبحار والأودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لثابه لطوله ولأن عنايتنا في الأكثر إنما هي بالمغرب الذي هو وطن البر وبالأوطان التي للعرب من المشرق والله الموفق

✽ تكلمة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عمراناً من

الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك ✽

ونحن نرى بالمشاهدة والأخبار المتواترة أن الأول والثاني من الأقاليم المعمورة أقل عمراناً مما بعدهما وما وجد من عمرانها فيخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في المشرق منها ما أمم هذين الأقليمين وأناسيهم ما ليست لهم الكثرة البالغة وأمصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك أو معدومة وأناسيها تجو زالحمدن الكثرة وأمصارها ومدنها تجاو زالحمد عددوا العمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكماء أن ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرأس فلتوضح ذلك ببرهانه ويتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال إلى الخامس والسابع (فنقول) أن قطبي الفلك الجنوبي والشمالي إذا كانا على الأفق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هي أعظم الدوائر المارة من المشرق إلى المغرب وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبيين في موضعه من الهيئة أن الفلك الأعلى متحرك من المشرق إلى المغرب حركة يومية يحرك به أسائر الأفلاك التي في جوفه قهراً وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين أن للكواكب في أفلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب إلى المشرق ويختلف مؤاها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب في أفلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الأعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة بأربعين عشر برجا وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما أول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار إلى الشمال وهو من أول الحمل إلى آخر السنبلة ونصف مائل عنه إلى الجنوب وهو من أول الميزان إلى آخر الخوت وإذا وقع القطبان على الأفق في جميع نواحي الأرض كان على سطح الأرض خط واحد يسمت دائرة معدل النهار يمر من المغرب إلى المشرق ويسمى خط الاستواء ويقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ الأقاليم الأول من الأقاليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع عن آفاق هذا المعمور بالتدريج إلى أن ينتهى ارتفاعه إلى أربع وستين درجة وهناك ينقطع العمران وهو آخر الأقاليم السابع * وإذا ارتفع على الأفق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل النهار على الأفق وبقيت ستة من البروج فوق الأفق وهي الشمالية وستة تحت الأفق وهي الجنوبية والعمارة فيهما بين الأربع والتسعين إلى التسعين متمتعة لأن الحر والبرد حينئذ لا يحصلان متميزين بعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فاذا الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان تميل عن المسامتة إلى رأس السرطان ورأس الجدي ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار أربعين درجة ثم إذا ارتفع القطب الشمالي عن الأفق مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس

إلى تونس وفران نافرأكين إلى المشرق وخارج عبد المهيم من الاختفاء وأعاداه السلطان إلى ما كان عليه من وظيفة الولاية والكتابة وكان كثيراً ما يخاطب والذي رحمه الله ويشكره على موالاته وما كتب إليه وحفظه من خطه محمد ذو المكارم قدسنا في فعال شكره أبداً غنائي جزى الله ابن خلدون حياة منعمة وخلد في الجنان فكلم أولي والي من جبل وبر بالفعال وباللسان وراعى الحضرمية في الذي قد جنى من ودهو رد الحنان أبابكر سناؤك طول دهرى أردد باللسان وبالجنان وعن عليك ما امتدت حياتي أكافح بالحسام وباللسان فنك أفدت خلاست دهرى أراعى جبه أثنى غنائي وهؤلاء الأعلام الذين ذكرهم الرحوى في شعره هم سباق الحلبة في مجلس السلطان أبي الحسن اصطفاهم لصحابته من أهل المغرب فأما أبنا الإمام منهم فكانوا أخوين من

بمقدار ارتفاعه وانخفاض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساو في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤس علت عليها البروج الشمالية مندرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية من الافق كذلك الى رأس الجدي لانحرافها الى الجانبين في أفق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق الشمالي يرتفع حتى يصيراً بعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت الرؤس وذلك حيث يكون عرض البلد أربعين في الحجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في أفق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مساوفاً اذا ارتفع القطب أكثر من أربعين وبع وعشرين نزلت الشمس عن المسامنة ولا تزال في الانخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب أربعين وستين ويكون انخفاض الشمس عن المسامنة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجدو طول زمانه غير متميز بالحرارة ان الشمس عند المسامنة وما يقاربها تبعث الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما دون المسامنة على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهاذا يكون الحر عند المسامنة وما يقاربها أكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين * ثم ان المسامنة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند تقاطع الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدي الا وقد صعدت الى المسامنة فتبقى الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها ويديم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء الى عرض أربعة وعشرين فان الاشعة ملحة على الافق في ذلك بقرب من الحاحها في خط الاستواء وافرط الحر يفعل في الهواء تجفيفاً ويسا منع من التكوين لانه اذا أفرطت الحرارة جفت المياه والرطوبة وفسد التكوين في المعدن والحيوان والنبات اذا التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت الرؤس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامنة فيصير الحر الى الاعتدال أو يميل عنه ميلاً قليلاً فيكون التكوين يتزايد على التدريج الى أن يفراط البرد في شدته لقلّة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين وفسد الانفساد التكوين من جهة شدة الحرارة عظم منه من جهة شدة البرد لان الحرارة أسرع تأثيراً في التجفيف من تأثير البرد في الجمدة فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلاً وفي الثالث والرابع والخامس متوسطاً لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثير النقصان الحر وأن كيفية البرد لا تؤثر عند أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذا لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حيث من اليبس كما بعد السابع فلهاذا كان العمران في الربع الشمالي أكثر وأوفر والله أعلم * ومن هنا أخذ الحكماء خلاصة خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم أنه معمر بل المشاهدة والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يريدوا امتناع العمران فيه بالكلية إنما أداها البرهان الى أن فساد التكوين فيه قوى بافراط الحر والعمران فيه إما تمتع أو يمكن أقوى وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه عمران كان نقل فهو قليل جداً * وقد زعم ابن رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا الذي قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة أن العنصر المسائي غمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلاً للتكوين ولم يمتنع المعتدل لقلّة الماء تبعه مساو لان العمران متدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود لامن جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فبرده النقل المتواتر والله أعلم * ولنرسم بعده هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زجارتهم ناخذ في تفصيل الكلام عليها الخ

أهل بوشك من أعمال تلمسان واسم أكبرهم أبو زيد عبد الرحمن والاصغر أبو موسى عيسى وكان أبوهما ماما ببعض مساجد برشك واتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيرم بن حماد بأن عنده ودعة من المال لبعض أعدائه فطالبه بها ولاذ بالامتناع وبيته زيرم لينزع المال من يده فدافعه وقتل وارحل ابنه هذان الاخوان الي تونس في آخر المائة السابعة وأخذ العلم بهاعن تلميذ ابن زيتون وتفقه على أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي واتقيا الى المغرب بحظ وافر من العلم وأقاما بالجزائر يبتان العلم بها لامتناع برشك عليهما من أجل زيرم المتغلب عليها والسلطان أبو يعقوب يومئذ صاحب المغرب الاقصى من بني مرين جثم على تلمسان يحاصرها الحصار الطويل المشهور وبث بها جيوشه في نواحيها وغلب على الكثير من

﴿ تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا ﴾

اعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال إلى الجنوب يسمون كل قسم منها اقليما فاقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة الاقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب إلى الشرق على طوله * فالاول منها من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء بمجده من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان سحت فهي كلاعمارة ويليه من جهة شماله الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع الا الحلاء والقفار إلى أن ينتهي إلى البحر المحيط كالبحال فيما وراء الاقليم الاول في جهة الجنوب الا أن الحلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الحلاء الذي في جهة الجنوب ثم ان أزمة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فتتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقاليم الاول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي لليل و برأس السرطان للنهار كل واحد منهما إلى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني بميل على الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفي إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها الشتوي برأس الجدي ويبقى للاقصر من الليل والنهار ما يبق بعد ثلاث عشرة ونصف من جملة أربع وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الاقليم الثالث بميل الشمال أيضا يذهب إلى أربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع إلى أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس إلى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس إلى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع إلى ست عشرة ساعة وهنالك يقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الأطول من ليها ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال موزعة على أجزاء هذا البعد * وأما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت رأس خط الاستواء وبمئله سواء ينخفض القطب الجنوبي عن أفق ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة أبعاد متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل * والمتكلمون على هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب إلى المشرق بعشرة أجزاء متساوية ويذكر ون ما شتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب زهرة المشتاق الذي ألفه العلوي الادريسي الحمودي الملك صقلية من الافرنج وهو زجار بن زجار عندما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروجه صقلية من امارة مالفقة وكان تأليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتابا جملة للمسعودي وابن خرداذبه والحقوقي والقدرى وابن اسحق المنجي وبطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول إلى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصمنا منه وفضله

﴿ الاقليم الاول ﴾ وفيه من جهة غربيه الجزائر الحالدات التي منها بدأ بطليموس بأخذ أطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكررة أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا أن سفائن من الافرنج مرت بها في أواسط هذا المسافة وقتلواهم فغنموا منهم وسبوا باعوا بعض أسرارهم بسواحل المغرب الاقصي وصاروا إلى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال جزائرهم وانهم يحتفرون الارض لزارعة بالقرون وأن الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشحير وما شيتهم المعز وقتلهم بالحجارة يرمونها إلى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يرغون ديناً ولم

أعمالها وأمصارها وملك عمل مغراوة بشلف وحصر مليانة بعث اليها الحسن بن أبي الطلاق من بنى عسكر وعلى بن محمد ابن الخير من بنى ورتاجن ومعهما لضبط الجباية واستخلاص الاموال الكاتب منديل بن محمد الكتاني فارتحل هذان الاخوان من الجزائر وأخذوا عليه خليسا بعين منديل الكتاني فقرهما واصطفا هما واتخذها لتعليم ولده محمد فاما هلك يوسف بن يعقوب سلطان المغرب بمكانه من حصار تلمسان سنة خمس وسبع مائة على يد خصي من خصيانه طعنه فأشواه وهلك وأقام بالملك بعده حافده أبو ثابت بعد أمور ذكرناها في أخباره ووقع بينه وبين صاحب تلمسان من بعده يومئذ أبي زيان محمد بن عثمان بن يعمر اسن وأخيه أبي حمو العهد المتأكد على الافراج عن تلمسان ورد أعمالها عليه فوفى لهم بذلك وعاد إلى المغرب وارتحل

تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن في البحر انما هو
 بالرياح ومعرفة جهات مهابها والي أين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في ممر ذلك المهب واذا
 اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذي به القلع محاذة يحمل السفينة بها على قوانين في ذلك محصلة
 عند النواية والملاحين الذي هم رؤساء السفن في البحر والبلاد التي في حفا في البحر الرومي وفي عدوته
 مكتوبة كلها في صحيفة على شكل ماهي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب
 الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة وسموها الكتب وعلمها يعتمدون في أسفارهم
 وهذا كله مفقود في البحر المحيط فذلك لا تلجج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل أن تهدي
 الي الرجوع اليها مع ما ينعقد في جو هذا البحر وعلى سطح مائه من الابجرة الممانعة للسفن في مسيرها وهي
 بعدها لا تدر كها أضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فجعلها فذلك عبر الاهتداء اليها وصعب الوقوف
 على خبرها * وأما الجزء الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الآتي من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه
 ويسمي نيل السودان وذهب الي البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة أوليك وعلى هذا النيل مدينة سلا
 وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالي من أمم السودان والي بلادهم تسافر تجار المغرب الأقصى
 والقرب منها من شياها بلاد تنوطة وسائر طوائف المائمين ومفاوز يجولون فيها وفي جنوب هذا النيل
 قوم من السودان يقال لهم الملم وهم كفار ويكنون في وجوههم وأصداعهم وأهل غانة والتكرور يغيرون
 عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الي المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران
 يعتبر الا اناسي أقرب الي الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيا في الكهوف ويأكلون العشب والحبوب
 غير مهياة ور بما يأكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء
 المغرب مثل توات وتكدراين ووركلان فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلويين يعرفون بني
 صالح وقال صاحب كتاب جاران صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن
 حسن وقد ذهب هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالي وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث
 من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هناك ويمرر باقيغوص في مال الجراء الثاني وكان
 ملك كوكو قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد من أجل فنة
 وقعت هناك تذكرها عند ذكر دولة مالي في محلها من تاريخ البربر وفي جنوب بلد كوكو بلاد كاتم من أمم
 السودان وبعدهم ونفارة على ضفة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونفارة وكتام بلاد زغاوة وثاجرة المتصلة
 بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء الي
 البحر الرومي في الشمال ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة
 واختلاف في ضبط هذه اللفظة فضبطلها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الي قر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوئه
 وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الي قوم من أهل الهند وكذا ضبط ابن سعيد فيخرج
 من هذا الجبل عشرون تجمع كل خمسة منها في بحيرة وبينها ستة أميال ويخرج من كل واحدة من
 البحيرتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال
 وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الرربي منه الي بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي
 منه ذاهبا الي الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم في أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله
 في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ومياط ويصب واحد في بحيرة ملاحية قبل أن يتصل بالبحر في
 وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات الي أسوان وحاضرة

ابن أبي للطلاق من شلف
 والكتاني من مليانة
 راجعين الي المغرب ومروا
 بتلمسان فأوصي لهما أبو
 حمو وأتى عليهما حلة
 بمقامهما في العلم واعتبط
 بهما أبو حمو وبني لهما
 المدرسة المرفوقة بهما
 وأقاما عنده على مجرى
 أهل العلم وهلك أبو حمو
 وكانا كذلك مع ابنه أبي
 تاشفين الي أن زحف
 السلطان أبو الحسن الي
 تلمسان وملكها عنوة
 ستة سبع وثلاثين وكانت
 لهما شهرة في أقطار المغرب
 أسست لهما عقيدة صالحة
 فاستدعاهما حين دخوله
 وأذن مجلسهما وشاد
 بمكرتهما ورفع جاههما على
 أهل طبقتهما وصار يحمل
 بهما مجلسه متى مرت تلمسان
 وفداعليه في الأولى التي
 نفر فيها اعيان بلادها ثم
 استغفرهما الي الغزو وحضرا
 معه واقعة طريف وعاد الي
 بلدهما وتوفي أبو زيد منهما
 اثر ذلك وبقي أخوه موسي
 متبونا ماشاء من ظلال
 تلك الكرامة ولما سار

السلطان أبو الحسن إلى
أفريقية سنة ثمان وأربعين
كأمر في أخباره استصحب
أبوموسي بن الإمام معه
مكرما موقرا عالي المحل
قريب المجلس منه فلما
استولي على أفريقية
سرحه إلى بلده فأقام بها
يسيرا وهلك في الطاعون
الجارف سنة تسع وأربعين
وبقي أعقابهما بتمسان
دراجين في مسالك تلك
الكرامة موقرين فيها
طبقا على طبق إلى هذا العهد
وأما السطحي واسمه محمد
ابن سليمان من قبيلة سطة
من بطون أوربة بنواحي
فاس فنزل أبوه سليمان
مدينة فاس ونشأ محمد
فيها وأخذ العلم عن الشيخ
أبي الحسن الصغير إمام
المالكية بالمغرب والطائر
الذكر وقاضي الجماعة
بفاس وتنفقه وقرأ عليه
وكان أحفظ الناس لمذهب
مالك وأفقههم فيه وكان
السلطان أبو الحسن لعظم
همته وبدشاؤه في الفضل
يتشوف إلى تزيين مجلسه
بالعلماء واختار منهم جماعة

بلدان بمدينة دقله وهي في غربي هذا النيل وبمدها علوة وبلاقو بعدهما جبل الجندل على ستة
مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب
في مهبوى بعيد صباهم لا فلا يمكن أن تسلكه المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر
إلى بلد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد إلى فوق الجندل وبين الجندل وأسوان اثنتا
عشرة مرحلة والواحات في غربها عدوة النيل وهي الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة وفي وسط هذا
الأقليم في الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على وادي يأتي من وراء خط الاستواء ذاهبا إلى أرض النوبة فيصب
هناك في النيل الهابط إلى مصر وقدهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر وبطليموس ذكره
في كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل والي وسط هذا الأقليم في الجزء الخامس ينتهي بحر الهند
الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الأقليم إلى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران إلا ما كان
في الجزائر التي في داخله وهي متعددة يقال تنتهي إلى الفجزيرة أو في ما على سواحلها الجنوبية وهي آخر
المعروف في الجنوب أو في ما على سواحلها من جهة الشمال وليس منها في هذا الأقليم الأول الأطراف من بلاد
الصين في جهة الشرق وفي بلاد الصين وفي الجزء السادس من هذا الأقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا
البحر الهندي إلى جهة الشمال وهما بحر قزقم وبحر فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن
و بلاد الشحر في شرقها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما بينهما كما ذكره في
الأقليم الثاني وما بعده فاما الذي على ساحل هذا البحر من غربيه فبلد الزالع من أطراف بلاد الحبشة ومجالات
البيجة (١) في شمال الحبشة ما بين جبل العلاقي في أعلى السعيدو وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي
وتحت بلاد الزالع من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هناك بمزاحة جبل
المندب المسائل في وسط البحر الهندي ممتد مع ساحل اليمن من الجنوب إلى الشمال في طول اثني عشر ميلا
فيضيق البحر بسبب ذلك إلى أن يصير في عرض ثلاثة أميال أو نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب
اليمن إلى ساحل السوسو يسقر بيا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك وقاتله من غربيه
مجالات البيجة من أمم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في هذا الجزء تهامة اليمن ومنها على ساحلها بلد على
ابن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد الزالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قري بربر يتلو بعضها بعضا
و ينقطع مع جنوبه إلى آخر الجزء السادس ويلها هنالك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سفالة على
ساحل الجنوب في الجزء السابع من هذا الأقليم وفي شرقي بلاد سفالة من ساحل الجنوب بلاد الواواق
متصلة إلى آخر الجزء السابع من هذا الأقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط وأما جزائر هذا البحر
فكثيرة من أعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الأرض أعلى منه وهي
قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سفالة وتذهب إلى الشرق منحرفة
بكثير إلى الشمال إلى أن تقرب من سواحل أعالي الصين ويحتف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر الواواق
ومن شرقها جزائر السيلان التي جزائر آخر في هذا البحر كثيرة العدد وفيها أنواع الطيب والافاويه
وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامة أهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزائر
من أحوال العمران عجائب ذكرها أهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس
من هذا الأقليم بلاد اليمن كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زبيد والمهجم وتهامة اليمن وبمدها بلد صعدة مقر
الإمامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها

(١) قوله البيجة بضم الباء وفتح الجيم ويقال أيضا البيجة وأما الزالع فهي زيلع اهـ

صناعه و بعدهما الى المشرق أرض الاحتاف و ظفار و بعدها أرض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي و بحر فارس و هذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من أجزاء هذا الاقليم الوسطي و ينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع و أكثر منه من العاشرة أعلى بلاد الصين و من مدنه الشهيرة خانكو و قباها من جهة الشرق جزائر السيلان و قد تقدم ذكرها و هذا آخر الكلام في الاقليم الاول والله سبحانه و تعالى ولى التوفيق بمنه و فضله

❖ الاقليم الثاني ❖ وهو متصل بالاول من جهة الشمال و قبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مر ذكرها و في الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منهما أرض قنور ية و بعدها في جهة الشرق أعلى أرض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان و في الجانب الاسفل منهما صحراء نيسر متصلة من الغرب الى الشرق ذات مفاو و تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب و بلاد السودان و فيها مجالات المثلثين من صنهاجة و هم شعوب كثيرة ما بين كرولة و ملتونة و مسراتة و لمطة و وريكة و على سمت هذه المفاو و شرقاً أرض فزان ثم مجالات أركار من قبائل البر بر ذاهبة الى أعلى الجزء الثالث على سمتها في الشرق و بعدها من هذا الجزء بلاد كوار من أمم السودان ثم قطعة من أرض الباجوين و في أسفل هذا الجزء الثالث و هي جهة الشمال منه بقية أرض ودان و على سمتها شرقاً أرض سنترية و تسمى الواحات الداخلة و في الجزء الرابع من أعلاها بقية أرض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حفا في النيل الذاهب من مبدئه في الاقليم الاول الى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجليلين الحازرين و هما جبل الواحات من غربيه و جبل المقطم من شرقيه و عليه من أعلاه بلاد اسنا و أرمنت و يتصل كذلك حفا فيه الى أسبوط و قوص ثم الى صول و يفتقر النيل هنالك على شعين ينتهي الايمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون و الايسر عند دلاص و فيما بينهما أعلى ديار مصر و في الشرق من جبل المقطم محاربي عذاب ذاهبة في الجزء الخامس الى أن تنتهي الى بحر السويس و هو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي في الجنوب الى جهة الشمال و في عدونه الشرقية من هذا الجزء أرض الحجاز من جبل يلعلع الى بلاد يثرب و في وسط الحجاز مكة شرفها الله و في ساحلها مدينة جدة تقابل بلاد عذاب في المدوة الغربية من هذا البحر و في الجزء السادس من غربيه بلاد نجد أعلى علاها في الجنوب و تبالة و مجرش الى عكاظ من الشمال و تحت نجد من هذا الجزء بقية أرض الحجاز و على سمتها في الشرق بلاد نجران و خيبر و تحتها أرض اليمامة و على سمت نجران في الشرق أرض سبا و مأرب ثم أرض الشحر و ينتهي الى بحر فارس و هو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما مر و يذهب في هذا الجزء بالبحراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه و جوفيه قطعة مثلثة عليها من أعلاها مدينة قاهات و هي ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين و هجر منها في آخر الجزء و في الجزء السابع في الاعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى في السادس و يمر بحر الهند جانبه الاعلى كله و عليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران و يقابلها بلاد الطويران و هي من السند أيضاً فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء و تحول المفاو زينه و بين أرض الهند و يمر فيه نهرا الآتي من ناحية بلاد الهند و يصب في البحر الهندي في الجنوب و أول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي و في سمتها شرقاً بلاد بلهر أو تحتها الملتان بلاد الصنم المظلم عندهم ثم الى أسفل من السند ثم الى أعلى بلاد سجستان و في الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهر من الهند و على سمتها شرقاً بلاد الهند ثم بلاد مليار و في الجانب الاعلى أعلى ساحل البحر الهندي و تحتها في الجانب الاسفل أرض كابل و بعدها شرقاً الى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشمر الداخلة و قشمر الخارجة عند آخر الاقليم و في الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى و يتصل فيه الى الجانب الشرقي

لصحابه و مجالسته كان منهم هذا الامام محمد بن سليمان و قدم علينا بتونس في جلته و شهدنا و فور فضله و كان في الفقه من بينهم لا يجاري حفظاً و فهماً عهدي به رحمه الله تعالى و أخى موسى يقرأ عليه كتاب التبصرة لابي الحسن اللخمي و هو يصححه عليه من املائه و حفظه في مجالس عديدة و كان هذا حاله في أكثر ما يعاني في جملة من الكتب و حضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القصير و ان وخلص معه الى تونس و أقام بها نحواً من سنتين و انتقض المغرب علي السلطان و استقل به ابنه أبو عتات ثم ركب السلطان أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين و مر ببجاية فأدركه الفرق في سواحلها ففرقت أساطيله و غرق أهلها و أكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم و رمي به البحر ببعض الجزر هنالك حتي

استنقذه منها بعض أساطيله
ونجا إلى الجزائر بعد أن
تلف موجوده والكثير
من عياله وأصحابه وكان من
أمره ما مر في أخباره وأما
الابلي واسمه محمد بن
ابراهيم فنشؤ بتلمسان
وأصله من جالية الاندلس
من أهل إيلة من بلاد الجوف
منها أجاز بأبيه وعمه
أحمد فاستخدمهم بغير اس
ابن زيان وولده في جندهم
وأصهر ابراهيم منهما
إلى القاضي بتلمسان محمد
ابن غلبون في ابنته فولدت
له محمدا هذا ونشأ
بتلمسان في كفالة جده
القاضي فنشأ له بذلك ميل
إلى انتحال العلم عن
الجندية التي كانت منتحل
أبيه وعمه فلما أيفع
وأدرك سبق إلى ذهنه
محبة التعاليم فبرز بها
وأشتهر وعكف الناس
عليه في تعلمها وهذا في
سن البلوغ ثم أظفل
السلطان يوسف بن يعقوب
وخيم عليها محاصرها
وسير العساكر إلى الاعمال
فافتح أكثرها وكان

فيتصل من أعلاه إلى العاشر وتبقى في أسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شينغون ثم متصل بلاد
الصين في الجزء العاشر كله إلى البحر المحيط والله ورسوله أعلم وبه سبحانه التوفيق وهو ولي الفضل والكرم
❖ الاقليم الثالث ❖ هو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وهو على نحو الثلث من أعلاه
جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط إلى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البر برام
لا يحصيهم الا خلقهم حسبما يأتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط
منهار باط ماسة ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درع ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من
صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو
قليل الثياب والمسالك في هذه الناحية الغربية إلى أن يسامت وادى ملوية فتكثر ثيابها وسالكها إلى أن ينتهي
وفي هذه الناحية منها أم المصامدة ثم هتانة ثم تينملك ثم كدميوه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل
صنها كدوهم صنهاجة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هناك من جوفيه جبل
أو راس وهو جبل كتامة وبعده ذلك أم أخرى من البرابرة نذكرهم في أما كنهم ثم إن جبل درن هذا من
جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الأقصى وهي في جوفيه في الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش وأغمات
وتادلاو على البحر المحيط منهار باط أسنى ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مراکش بلاد فاس ومكناسة
وتازاو قصر كتامة وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها وعلى ساحل البحر المحيط منها بلدان
أصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على
البحر الرومي بلدهين وهران والجزائر لأن هذا البحار رومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة
في الناحية الغربية من الاقليم الرابع ويذهب مشرقا فينتهي إلى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضائق غير
بعيد انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا مكان على ساحله من هذا الاقليم الثالث
الكثير من بلاده ثم متصل ببلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في الشرق منها وفي
آخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد ومرتعا إلى جنوب المغرب الأوسط بلد
أشبر ثم بلاد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل أو راس المتصل بدرن كما مر وذلك عند آخر هذا الجزء
من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو الثلث من جنوبه
ذاها فيه من غرب إلى شرق فيقسمه بقطعتين ويقعر البحار رومي مسافة من شماله فالقطعة الجنوبية بية عن
جبل درن غربيها كله مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا أرض ودان التي بقيتها في الاقليم
الثاني كما مر والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحار رومي في الغرب منها جبل أو راس وتبسة
والاويس وعلى ساحل البحر بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد افريقية فلي ساحل البحر مدينة
تونس ثم سوسة ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد تو زر وقفصة ونفزاوة
وفيما بينها وبين السواحل مدينة القيروان وجبل سلات وسيطة وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقا بلد
طراباس على البحار رومي وبازائها في الجنوب جبل دمر ونقرة من قبائل هوارية متصلة بجبل درن وفي
مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مشكورة
على البحر وفي جنوبها مجالات العرب في أرض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم يمر أيضا فيه
جبل درن إلا أنه ينطف عند آخره إلى الشمال ويذهب على سمتة إلى أن يدخل في البحار رومي ويسمى
هناك طرف أو نان والبحار رومي من شماله غمر طاقفة منه إلى أن يضائق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء
الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية أرض ودان ومجالات العرب فيها ثم زو يلة ابن خطاب ثم رمال وقفار

الي آخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلاه وقفار تجول فيها العرب ثم أجداية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طلسمسة على البحر هناك ثم في شرق المنعطف من الجبل مجالات هيب ورواحة إلى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الأعلى من غربيه محاري بريق وأسفل منها بلاد هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طاقته منه إلى الجنوب حتى يزاحم طرفه الأعلى ويبقى ينشوي بين آخر الجزء وقفار تجول فيها العرب وعلى سمتها شرقاً بلاد الفيوم وهي على مصب أحد الشعين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمتها شرقاً أرض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويفترق هذا الشعب اقترافاً ثانية من تحت مصر على شعين آخرين من شطوف وزفتي وينقسم الايمن منهما من قرمط بشعين آخرين ويصب جميعها في البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب الشرق بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وخليجاً وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام وأكثرها على ما أسف ذلك لان بحر القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لانه في بحر مبدئ من البحر الهندي إلى الشمال ينعطف أخذاً إلى جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة فينتهي في الطرف الغربي منه إلى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم أيلة مدين ثم الحو راء في آخرها ومن هناك ينعطف بساحله إلى الجنوب في أرض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيراً من غربيه عليها القراما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيضايق ما بينهما من هناك وبقي شبه الباب مفضياً إلى أرض الشام وفي غربي هذا الباب فخص التيه أرض جرداء لا تثبت كانت مجالاً لبني اسرائيل بعد خروجه من مصر وقبل دخوله إلى الشام أربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طاقته من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما ذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضايق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبنها طرف هذا البحر ثم تحط هذه القطعة في انعطافها من هناك إلى الاقليم الرابع عند طرابلس وغزة وهناك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام ففي شرقه عسقلان وبالحرف يسير عنها إلى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم غزة ثم ينعطف البحر إلى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل أيلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية الشمال منحرفاً إلى الشرق إلى أن يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكأنه حاجز بين أرض مصر والشام في طرفه عند أيلة العقبة التي يمر عليها الحجاج من مصر إلى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل السراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور من شمال العقبة ذاهباً على سمت الشرق ثم ينعطف قليلاً وفي شرقه هناك بلد الحجر وديار ثمود وتيماء ودومة الجندل وهي أسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خير في جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل السراة وبحر القلزم محراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينة القدس عند جبل اللكام ثم الأردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد النور إلى أذرع وفي سمتها شرقاً دومة الجندل آخر هذا الجزء وهي آخر الحجاز * وعند منعطف جبل اللكام إلى الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينها وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم

ابراهيم الايلي قائد ابنين
مرسى تلمسان في لبة من
البحر فلما ملكها يوسف
ابن يعقوب اعتقل من
وجد بها من أشيعاب بني
عبدالواد واعتقل ابراهيم
الايلي وشاع الخبر في
تلمسان بأن يوسف بن
يعقوب يسترهن أبناءهم
ويطلقهم قشوف ابنه
محمد إلى اللحاق بهم من
أجل ذلك وأغراه أهله
بالزم عليه قسور الاسوار
وخرج إلى أيسه فلم يجد
خبر الاسترهان صحيحاً
واستخدمه يوسف بن يعقوب
قائداً إلى الجندل لاندلسين
بتاور يرت فكره المقام
على ذلك ونزع عن طوره
ولبس المسوح وسار قاصداً
إلى الحج وانتهى إلى رباط
العباد محتفياً في محبة الفقراء
فوجد هناك رئيساً من
أهل كرابلا من بني
الحسين جاء إلى المغرب يوم
اقامة دعوته فيه وكان
منفلاً فلما رأي عساكر
يوسف بن يعقوب وشدة
غلبه أيس من مرأه ونزع

مدينة حصن في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن يعلبك وحصن بلد تدمر
ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من أعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليامة
ما بين جبل العرج والصمان الى البحر بن وهجر على بحر فارس وفي أسافل هذا الجزء تحت المجالات بلد
الحيرة والقادسية ومغايض الفرات * وفيما بعدها شرقاً مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس
عند عبادان والابلة (١) من أسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة بعد أن ينقسم
بجداول كثيرة وتختلط به جداول أخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس وهذه
القطعة من البحر متسعة في أعلاه متضيقة في آخره في شرقه وضيقه عند منتهاه مضيقة للحد الشمالي منه وعلى
عدوها الغربية منه أسافل البحر بن وهجر والاحساء وفي غربها أخطب والصمان وبقية أرض اليمامة
وعلى عدوها الشرقية سواحل فارس من أعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قدامتد من
هذا البحر شرقاً ورواء الى الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد
سيراف ونيجر على ساحل هذا البحر * وفي شرقه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل صابو ر
ودارابجر دونسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف
البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز وتستر وصدي وصابور والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان
وهي حد ما بين فارس وخوزستان وفي شرق بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحي أصبهان وبها
مساكنهم ومجالاتهم وراءها في أرض فارس وتسمى الرسوم وفي الجزء السابع في الأعلى منه من المغرب
بقية جبال القفص ويليها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودان والشيرجان وجيرفت
ويزدشير والهرج وتحت أرض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس الى حدود أصبهان ومدينة أصبهان في
طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في المشرق عن بلاد كرمان وبلاد فارس أرض سجستان وكوهستان
في الجنوب وأرض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان
في وسط هذا الجزء المقاو والعظمى القليلة المسالك لصعو بها من مدن سجستان بست والطاق وأما
كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن
من غربه وجنوبه مجالات الخليج من أم الترك متصلة بأرض سجستان من غربها وبارض كابل الهند من
جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلادها وقاعها غزنة فخرية الهند وفي آخر الغور
من الشمال بلاد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هراة ووسط خراسان وبها أسفران وقاشان
وبوشنج ومروال وذو الطالقان والجوزجان وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون * وعلى هذا النهر
من بلاد خراسان من غربيه مدينة بلخ وفي شرقه مدينة ترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى مملكة الترك وهذا
النهر نهر جيحون يخرج من بلاد وجر في حدود دبخشان بمال الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء
وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغر بالي وسط الجزء ويسمي هنالك نهر خراب ثم ينعطف
الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمنه الى أن يصب في بحيرة خوار زم في الاقليم الخامس كما ذكره
ويمده عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة أشهر عظيمة من بلاد الحسل والوخش من
شرقيه وأنهار أخرى من جبال البتم من شرقيه أيضاً وجو في الجبل حتى يتسع ويعظم بمالا كفاءه ومن
هذه الانهار الخمسة الممددة نهر وخاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء

عن ذلك واعتزم علي
الرجوع الى بلده فصار
شيخنا محمد بن ابراهيم في
جملته قال رحمه الله وبعد
حين انكشف لي حاله
وما جاء له واندرجت في
جملته وأحبابه وتابعيه
قال وكان يلتفت في كل بلد
من أحبابه وأشياعه وخدمه
من يأتيه بالازداد والنفقات
من بلده الى أن ركبنا البحر
من تونس الى الاسكندرية
قال واشتدت على الغلظة في
البحر واستحييت من
كثرة الاغتسال لمكان
هذا الرئيس فأشار على
بعض بطانته بشرب
الكافور فاغترفت منه
غرفة فشربتها فاختلطت
وقدم الديار المصرية على
تلك الحال وبها يومئذ
تقي الدين بن دقيق العيد
وابن الرفعة وصفي الدين
الهندي والتبريزي
 وغيرهم من فرسان المعقول
والمعقول فلم يكن قصاراه
الا تمييز أشخاصهم اذا
ذكرهم لنا لما كان به
من الاختلاط ثم حج مع
ذلك الرئيس وسار في

(١) قوله الابلية بضم الهمزة والباء وتشديد اللام اه

فيرمقربا بالبحر الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قرب يمان شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء و يذهب مشرقا بالبحر الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قرب يمان شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنو بية من هذا الجزء و يحول بين الترك و بين بلاد الحبل و ليس فيه الامسك واحد في وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سداو بنى فيه بابا كسديا جوج و ما جوج فاذا خرج نهر و خشاب من بلاد التبت و اعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد الى أن يمر في بلاد الوخش و يصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمرها بطا الى الترمذ في الشمال الى بلاد الجوزجان و في الشرق عن بلاد القو ريفما بينهما و بين نهر جيحون بلاد الناسان من خراسان و في العدو الشرقية هنالك من النهر بلاد الحبل و أكثرها جبال و بلاد الوخش و يحدها من جهة الشمال جبال اليم نخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون و تذهب مشرقا الى أن يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت و يمر تحته نهر و خشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى و يمر نهر جيحون بين هذه الجبال و أنهار أخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال و نهر بالخ يخرج من جبال اليم من مبدئه عند الجوزجان و يصب فيه من غربيه و على هذا النهر من غربيه بلاد آمد من خراسان و في شرقي النهر من هنالك أرض الصغد و أسر و شنة من بلاد الترك و في شرقها أرض فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا و كل بلاد الترك تحو زها جبال اليم الى شمالها و في الجزء التاسع من غربيه أرض التبت الى وسط الجزء و في جنوبها بلاد الهند و في شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء و في أسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزر لاجية من بلاد الترك الى آخر الجزء شرقا و شمالا و يتصل بهما من غربيها أرض فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا و من شرقها أرض التفرغ من الترك الى آخر الجزء شرقا و شمالا و في الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين و أسافله و في الشمال بقية بلاد التفرغ ثم شرقا عنهم بلاد خر خير من الترك أيضا الى آخر الجزء شرقا و في الشمال من أرض خر خير بلاد كتمان من الترك و قبالتها في البحر المحيط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها و لا مسالك و الصعود الى أعلاه من خارج صعب في الغاية و في الجزيرة حياة قتالة و حصي من الياقوت كثيرة فيحتال أهل تلك الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله اليه و أهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع و العاشر فيما وراء خراسان و الجبال كلها مجالات للترك أم لا تحصى و هم طواغن رحالة أهل ابل و شاة و بقر و خيل للنتاج و الركب و الاكل و طوائفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم و فيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون و يغزو الكفار منهم الدائنين بالجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يابهم و يخرجون الى بلاد خراسان و الهند و العراق

❦ الاقليم الرابع ❦ يتصل بالثالث من جهة الشمال * و الجزء الاول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط مستطيلة من أوله جنوبا الى آخره شمالا و عليها في الجنوب مدينة طنجة و من هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج متضيق بمقدار اثني عشر ميلا ما بين طرف و الجزء جزيرة الخضراء شمالا و قصر الحجاز و سبتة جنوبا و يذهب مشرقا الى أن ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم و ينفسح في ذهابه بتدرج الى أن يغمر الاربع أجزاء و أكثر الخامس و يغمر عن جانبيه طرفا من الاقليم الثالث و الخامس كما سئد كره و يسمى هذا البحر البحر الشامي أيضا و فيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب بابسة ثم مايرقة ثم منزقة ثم سردانية ثم صقلية و هي أعظمها ثم بلونس ثم أقر يطش ثم قبرص كما نذكرها كلها في أجزاء التي وقعت فيها و يخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه

جلته الى كره بلا فبت به من أصحابه من أوصله الى مأمنه بسلاد زواوة من أطراف المغرب و قال لي شيخنا رحمه الله كان معي دناير كثيرة تزودتها من المغرب و استبطتها في جبة كنت ألبسها فلما نزل بي منازل انزعها مني حتى اذا بعث أصحابه يشيعوني الى المغرب دفعها اليهم حتى اذا أوصلوني الى المأمن أعطوني إياها و أشهدوا علي في كتاب حملوه معهم اليه كما أمرهم ثم قارن وصول شيخنا الى المغرب مهلك يوسف بن يعقوب و خلاص أهل تلمسان من الحصار فعاد الى تلمسان رقد أفاق من اختلاطه و انبعث همة الى تعلم العلم و كان مائلا الى العقليات فقرأ المنطق على أبي موسى ابن الامام و جملة من الاصلين و سكان أبو حو صاحب تلمسان قد استفحل ملكه و كان ضابطا للامور و بلغه عن شيخنا تقدمه في علم الحساب فدفعه الى ضبط أمواله و مشاركة أحواله و تفادي شيخنا من

ذلك فأكرهه عليه فأعمل
الحيلة في الخلاص منه ولحق
بفاس أيام السلطان أبي
الربيع وبعث فيه أبو
حمو فاحتفى بفاس للتعاليم
من اليهودي خليفة المغلي
فاستوفى عليه فنونها وحذق
وخرج متوارياً من فاس
فلحق بمراكش أيام عشر
وسبع مائة ونزل على الامام
أبي العباس ابن البناء شيخ
المعقول والمقول والمبرز في
التصوف علما وحالاً فزماه
وأخذ عنه وتضلع في علم
المعقول والتعاليم والحكمة
ثم استدعاه شيخ الهساكرة على
ابن محمد بن ترويت لقرأ عليه
وكان في طاعة السلطان
فدخل اليه شيخنا وأقام
عنده مدة قرأ عليه فيها
وحصل واجتمع طلبه
السلم هنالك على الشيخ
فكثرت افادته واستفادته
وعلى ابن محمد في ذلك على
محبه وتعظيمه وامثال
اشارته فغلب على هواه
وعظمت رياسته في تلك
القبائل ولما استنزل
السلطان أبو سعيد على بن
ترويت من جيلة نزل
الشيخ معه وسكن بفاس
واتال عليه طلبه العلم من
كل ناحية فانتشر علمه

وفي الجزء الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الي ناحية الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزء
من جوفيه ويمر مغرباً الى أن ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه أيضاً في آخر الجزء الرابع
شرقاً من الاقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضيقاً في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم
ثم يفضي الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطنش ذاهباً الى الشرق في الجزء الخامس
كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما ذكر ذلك في أماكنه وعندما يخرج هذا البحر الى البحر
المحيط في خليج طنججة وينفذ الى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء
فيها مدينة طنججة على مجمع البحرين وبعد هامة مدينة سبتة على البحر والرومي ثم قطاون ثم بادريس ثم ينفجر
هذا البحر بقية هذا الجزء شرقاً ويخرج الى الثالث وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج
منه وهي كلها بلاد الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر والرومي وأولها طريف عند مجمع
البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر والرومي الجزيرة الخضراء ثم مالة ثم المنكب ثم المرية وتحت
هذه من لدن البحر المحيط غرباً على مقربة منه شريش ثم لبلبة وقبالتها في جزيرة قادس وفي الشرق
عن شريش ولبلبة اشيلية ثم استجة وقرطبة ومديلة ثم غرناطة وجيان وأبدية ثم وادي اشو بسطة وتحت هذه
شتمرية وشلب على البحر المحيط غرباً وفي الشرق عنهما بطليوس وماردة وبيرة ثم غافق وبز جالة
ثم قلعة رياح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غرباً على نهر باجة وفي الشرق عنها شترين وموزية
على النهر المذكور ثم قطرة السيف ويسمى أشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هنالك
ويذهب مشرقاً مع آخر الجزء من شماليه فينتهي الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبيرة
الشرق من فورنه ثم طلبيلة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما بينه وبين
أشبونة بلد قلعة رية هذه غربي الاندلس * وأما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر والرومي منها بعد المرية
قرطاجنة ثم لفته ثم دانية ثم بلنسية الى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالاً ليو رقة وشقورة
تتاخان بسطة وقلعة رياح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقاً ثم شاطبة تحت بلنسية شمالاً ثم شقر ثم طرطوشة
ثم طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالاً أرض منجالة وريدة متاخمان لشقورة وطلبيلة من الغرب ثم
افراغة شرقاً تحت طرطوشة وشمالاً عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر
الجزء شرقاً وشمالاً والجزء الثاني من هذا الاقليم غمر الماء جميعه الاقطعة من غربيه في الشمال فيها بقية
جبل البرنات ومعناه جبل التيا والاسالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبدأ من الطرف
المتنهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوباً وشرقاً ويمر في الجنوب بالبحر الى الشرق فيخرج في
هذا الاقليم الرابع منحرفاً عن الجزء الاول منه الى هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تفضي شايها الى البر
المتصل وتسمى أرض عشكونية وفيه مدينة خريرة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة
مدينة برسلونة ثم أربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكون
اصغر هافق غربيه جزيرة سردانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة الأقطار يقال ان دورها سبع مائة
ميل وبها مدن كثيرة من مشاهير هاسرقوسة وبلرم وطرابنغوماز ومسيني وهذه الجزيرة تقابل
أرض أفرقية وفيما بينهما جزيرة أعدوش ومالطة والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمو رأياً بالبحر
الانثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض قلورية والوسطى من أرض ابكرده والشرقية من بلاد
البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمو رأياً بالبحر كما مر وجزائر كثيرة وأكثرها غير مسكون كما
في الثالث والمعمور منها جزيرة بلونس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة أقر يطيش مستطيلة من وسط

والجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى آخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث من الشمالي منها الى الغرب منعطفاً مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها اسافل الشام ويمر في وسطها جبل اللكام الى أن ينتهي الى آخر الشام في الشمال فينعطف من هناك ذاهباً الى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هناك يخرج الى الاقليم الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة بعضها ببعض الى أن ينتهي الى طرف خارج من البحار وهي متأخر الى آخر الجزء من الشمالي وبين هذه الجبال شيا تسمى الدروب وهي التي تقضي الى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فأما الجهة الجنوبية التي قدمنا أن فيها اسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين البحار وهي وآخرة الجزء من الجنوب الى الشمال فملى ساحل البحر منه بلد انطراطوس في أول الجزء من الجنوب متاخفة لغزة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال انطراطوس جبلة ثم اللاذقية ثم اسكندرونه ثم سلوقية وبعدها شمالاً بلاد الروم وأما جبل اللكام المعترض بين البحر وآخرة الجزء بحفاية فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوباً من غربيه حصن الحوافي وهو لا حشيشة الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالقدواوية ويسمى الحصن مصيات وهو قبالة انطراطوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سامية في الشمال عن حصن وفي الشمال عن مصيات بين الجبل والبحر بلد أنطاكية ويقابلها في شرق الجبل المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال أنطاكية المصيصة ثم أذنة ثم طرسوس وآخرة الشام ويحاذيها من غرب الجبل قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين في شرق الجبل حلب ويقابل عين زربة منبج وآخرة الشام وأما الدروب فمن يمينها ما بينها وبين البحار وهي بلاد الروم التي هي لهذا العهد لا تركمان وسلطانها ابن عثمان وفي ساحل البحر منها بلد أنطاكية والعلايا وأما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية والمعرة الى آخر الجزء الشمالي ويخرج من الجزء الخامس في بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سبيحان في شرقيه فيمر بهما جيحان جنوباً حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ثم ينعطف هابطاً الى الشمال ومغرباً حتى يصب في البحار وهي جنوباً بسلوقية ويمر نهر سبيحان مواز بالنهر جيحان فيحاذي المعرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب الى أرض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان ثم ينعطف الى الشمال مغرباً فيختلط بنهر جيحان عند المصيصة ومن غربها وأما بلاد الجزيرة التي تحيط بها منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلاد الرافضة والرقعة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سميساط وأمد تحت جبل السلسلة وآخرة الجزء من شماله وهو أيضاً آخر الجزء من شرقيه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يخرج جاناً من الاقليم الخامس ويمر في بلاد الارمن جنوباً الى أن يتجاوز جبل السلسلة فيمر نهر الفرات من غربى سميساط وسروج وينحرف الى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقعة ويخرج الى الجزء السادس وتردجلة في شرق أمد وتنعطف قرياً الى الشرق فيخرج قرياً الى الجزء السادس وفي الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق متصلة بها تنتهي في الشرق الى قرب آخر الجزء ويعترض من آخر العراق هناك جبل أصهبان هابطاً من جنوب الجزء منحرفاً الى الغرب فإذا انتهى الى وسط الجزء من آخره في الشمال يذهب مغرباً الى أن يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمت جبل السلسلة في الجزء الخامس فيقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي

واشتهر ذكره فلما فتح
السلطان أبو الحسن تلمسان
ولقي أبا موسى ابن الامام
ذكره له باطيب الذكر
وصفه بالتقدم في العلوم
وكان السلطان معنياً
بجمع العلماء بمجلسه كما
ذكرناه فاستدعاه من
مكانه بفاس ونظمه في
طبقة العلماء بمجلسه
وعكف على التدريس
والتعليم ولزم محبة السلطان
وحضر معه واقعة طريف
واقعة القير وان بافريقية
وكانت قد حصلت بينه وبين
والدي رحمه الله خلة
كانت وسيلتي اليه في القراءة
عليه فزمت مجلسه وأخذت
عنه العلوم العقلية بالتعاليم
ثم قرأت المنطق والاصولين
وعلوم الحكمة وعرض
أئناً ذلك ركوب السلطان
أساطيله من تونس الى
المغرب وكان الشيخ في
نزلنا وكفالتنا فشرت عليه
بالمقام وشبطاه عن السفر
فقبل وأقام وطالبنا به
السلطان أبو الحسن
فأحسننا به العذر فتجافي
عنه وكان من حديث
غرقه في البحر ما قدمناه
وأقام الشيخ بتونس ونحن

وأهل بلدنا جميعاً نتساجل
 في غشيان مجلسه والاخذ
 عنه فلما هلك السلطان
 أبو الحسن بجبل هنتانة
 وفرغ ابنه أبو عثمان من
 شواغله وملك تلمسان من
 بنى عبد الواد كتب فيه
 يطلبه من صاحب تونس
 وسلطانها يومئذ أبو اسحق
 ابراهيم بن يحيى في
 كفالة شيخ الموحدين بن
 تافراكين فأسلمه الي
 سفيره وركب معه البحر
 في أسطول أبي عنان الذي
 جاء فيه السفير ومربجاية
 ودخلها وأقام بها شهرا
 حتي قرأ عليه طلبة العلم
 بها مختصر ابن الحاجب
 في أصول الفقه برغبتهم في
 ذلك منه ومن صاحب
 الاسطول ثم ارتحل ونزل
 بمرسى هنين وقدم على
 أبي عنان بتلمسان وأحله
 محل التكرمة ونظمه في
 طبقة أشياخه من العلماء
 وكان يقرأ عليه ويأخذ
 عنه الي أن هلك بفاس سنة
 سبع وخمسين وسبع مائة
 وأخبرني رحمه الله أن مولده
 بتلمسان سنة احدى

الفريسة من جنو بها يخرج الفرات من الخامس وفي شمالها يخرج دجلة منه أما الفرات فأول ما يخرج
 الي السادس يمر بقرقيسيا ويخرج من هناك جدول الي الشمال ينساب في أرض الجزيرة و يغوص في نواحيها
 و يمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينعطف الي الجنو بفيمر بقر ب الخابور الي غرب الرحبة ويخرج منه جدول
 من هناك يمر جنو باو يبقى صفين في غربيه ثم ينعطف شرقا و ينقسم بشعو بفيمر بمضها بالكوفة
 و بعضها بقصر ابن هيرة و بالجامعين ويخرج جميعا في جنوب الجزء الي الاقليم الثالث فيغوص هناك في شرق
 الحيرة والقادسية ويخرج الفرات من الرحبة مشرقا على سمتة الي هيت من شمالها يمر الي الزاب والانبار من
 جنو بهما ثم يصب في دجلة عند بغداد وأما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الي هذا الجزء يمر مشرقا
 على سمتة ومحاذا لجليل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمتة فيمر بجزيرة ابن عمر على شمالها ثم بالموصل
 كذلك وتكريت وينتهي الي الحديثة فينعطف جنو باو تبقى الحديثة في شرقه والزاب الكبير والصغير كذلك
 و يمر على سمتة جنو با وفي غرب القادسية الي أن ينتهي الي بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنو با على
 غرب جرجر ايا الي أن يخرج من الجزء الي الاقليم الثالث فتتشر هناك شعوبه وجداوله ثم يجتمع ويصب
 هناك في بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعها ببغداد هي بلاد الجزيرة و يختلط
 بنهر دجلة بعد مفارقه ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي الي بلاد النهر وان قبالة
 بغداد شرقا ثم ينعطف جنو با ويختلط بدجلة قبل خر وجه الي الاقليم الثالث و يبقى ما بين هذا النهر و بين
 جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان وصيمرة وأما القطعة الغربية من
 الجزء فيعترضها جبل يبدأ من جبل الاعاجم مشرقا الي آخر الجزء و يسمى جبل شهر زور و يقسمها
 بقطعتين و في الجنو ب من هذه القطعة الصغرى بلد خوجان في الغرب والشمال عن اصهبان وتسمى هذه
 القطعة بلاد الهلوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهر زور غير با عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا
 عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد أرمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل
 العراق يسمى بار يا هو مسكني للأكرد والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه وفي آخر
 هذه القطعة من جهة الشرق بلاد أذربيجان ومنها تبريز والسيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا
 الجزء قطعة من بحر نيطنس وهو بحر الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من غربه و جنوبه معظم
 بلاد الهلوس وفيها همدان وقروين وبقية في الاقليم الثالث وفيها هناك أصهبان ويحيط بهما من الجنو ب جبل
 يخرج من غربها و يمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الي الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق
 في شرقيه الذي مر ذكره هناك وأنه يحيط ببلاد الهلوس في القطعة الشرقية ويهبط هذا الجبل المحيط باصهبان
 من الاقليم الثالث الي جهة الشمال ويخرج الي هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد الهلوس من شرقها وتحت
 هناك قاشان ثم قام وينعطف في قرب النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب
 مشرقا ومنحرفا الي الشمال حتي يخرج الي الاقليم الخامس ويشتمل على منطفة واستدارته على بلاد الري
 في شرقيه يبدأ من منطفة جبل آخر يمر غربا الي آخر الجزء ومن جنو به من هناك قروين ومن جانبه
 الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهبا الي الشرق والشمال الي وسط الجزء ثم الي الاقليم الخامس بلاد
 طبرستان فيما بين هذه الجبال و بين قطعة من بحر طبرستان و يدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو
 النصف من غربه الي شرقه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الي الغرب جبل متصل يمر على سمتة
 مشرقا وبانحراف قليل الي الجنو ب حتي يدخل في الجزء الثامن من غربه و يبقى بين جبل الري وهذا الجبل
 من عند مبدهما بلاد حر جان فيما بين الجبلين ومنها سيطام و وراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية

وثمانين وستائة (وأما
عبد المهيمن) كاتب
السلطان أبي الحسن فأصله
من سبتو ويتهم بها قديم
ويعرفون ببني عبد المهيمن
وكان أبوه محمد قاضي أيام
بني العزفي ونشأ ابنه عبد
المهيمن في كفالته وأخذ
عن مشيختها واحتص
بالاستاذ أبي اسحق الغافقي
ولما ملك عليهم الرئيس
أبو سعيد صاحب الاندلس
سبته ونقل بني العزفي مع
جملة أعيانها إلى غرناطة
ونقل معهم محمد بن عبد
المهيمن استكمل قراءة
العلم هناك وقرأ على
مشيختها ابن الزبير
ونظرانه وتقدم في معرفة
كتاب سيبويه وبرز في
علو الاسناد وكثرة المشيخة
وكتب له أهل المغرب
والاندلس واستكتبته
رئيس الاندلس يومئذ
الوزير أبو عبد الله بن
الحكيم الرندي المستبد على
السلطان المخلوع ابن الأحمر
فكتب عنه ونظمه في طبقة
الفضلاء الذين كانوا بمجلسه
مثل المحدث أبي عبد الله بن
(١) في المشترك اقليم
الايلاق متصل باقليم الشاس
لافضل بينهما وهو بكسر
الهمزة وسكون اليا
بعدها اه

المفازة التي بين فارس وخراسان وهي في شرقي قاشان وفي آخرها عند هذا الجبل بلاد استراباذ وحفاني هذا
الجبل من شرقيه إلى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان في جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم
مر والشاهجان آخر الجزء وفي شماله وشرقي جرجان بلد مهرجان وخازرون وطوس آخر الجزء شرقاً وكل
هذه تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نساو يحيط بها عند زاوية الجزء بين الشمال والشرق مفاوز زمعطة
وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربيه نهر جيحون ذاهباً من الجنوب إلى الشمال في عدوثة الغربية
رم وآمل وبلاد خراسان والظاهرية والعرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل
استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية
بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل التيم كذا كراهه هناك وفي
شرقي نهر جيحون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخارى ثم بلاد الصفد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد
اسر وشنة ومنها خجندة آخر الجزء شرقاً وفي الشمال عن سمرقند وأسر وشنة أرض يلاق ثم في
الشمال عن يلاق أرض الشاش (١) إلى آخر الجزء شرقاً يأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك
القطعة بقية أرض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضاً في الجزء الثامن
إلى أن ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله إلى الاقليم الخامس ويختلط معه في
أرض يلاق نهر يأتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من
الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جيراغون يبدأ من الاقليم الخامس وينعطف شرقاً
ومنحرفاً إلى الجنوب حتى يخرج إلى الجزء التاسع محيطاً بأرض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط
بالشاش وفرغانة هناك إلى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط
الجزء بلاد فاراب وينسب إلى أرض بخارى وخوارزم مفاوز زمعطة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال
والشرق أرض خجندة وفيها بلد السنجاب وطراز * وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد
أرض فرغانة والشاش أرض الخزرلية في الجنوب وأرض الخليجية في الشمال وفي شرق الجزء كله أرض
الكيمانية ويصل في الجزء العاشر كله إلى جبل قوقياً آخر الجزء شرقاً وعلى قطعة من البحر المحيط هناك
وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترك انتهى

الاقليم الخامس * الجزء الاول منه أكثره مغمور بالماء الا قليلاً من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط
بهذه الجهة الغربية يدخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فأما المكتشف من
جنوبه فبقعة على شكل مثلث متصلة من هناك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كلهما
ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سعيور على البحر عند أول الجزء من الجنوب والغرب
وسلمنكة شرقاً عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سلمنكة أيلة آخر الجنوب وأرض قستال به شرقاً
عنها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها أرض ليون وبرغشت ثم وراءها في الشمال أرض جليقية إلى زاوية
القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلد شيتاقو ومعناه يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس
مدينة شطلية عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً عن قستال وفي شمالها وشرقاً عنها ونبلونة على سمتها
شرقاً وشمالاً وفي غرب نبلونة قسطلالة ثم ناجزة فيما بينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل
عظيم محاذ للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب و يتصل به بطرف البحر عند نبلونة في جهة الشرق
الذي ذكرنا من قبل أن يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجر اعلى بلاد الاندلس
من جهة الشرق وشبابه أبواب لمساتة في إلى بلاد غشكونية من أم الفرنج فهما من الاقليم الرابع برشلونة

سيد الفهرى وأبي العباس
أحمد العزفي والعالم الصوفي
المتجرد أبي عبد الله محمد بن
خميس التلمساني وكانا
لا يجاران في البلاغة
والشعر إلى غير هؤلاء ممن
كان مختصا به وقد ذكرهم
ابن الخطيب في تاريخ
غرناطة فلما كتب الوزير
ابن الحكيم وعادت سبته
إلى طاعة بني مرين عاد عبد
المهيمن إليها واستقر بها ثم
ولي الأمر أبو سعيد وغلب
عليه ابنه أبو علي واستبد
بجمل الدولة تشوف إلى
استدعاء الفضلاء وتجمل
بمكانهم فاستقدم عبد
المهيمن من سبته واستكتبه
سنة ثلثي عشرة ثم خالف
على أبيه سنة أربع عشرة
وامتاع بالبلد الجديد
وخرج منها إلى سجلماسة
لصلح عقده مع أبيه فمسك
السلطان أبو سعيد بعبد
المهيمن واتخذ كتابا إلى أن
دفعه إلى رياسة الكتاب
ورسم علامته في الرسائل
والأوامر فقدم لذلك سنة
ثمان عشرة ولم يزل عليها
سائر أيام السلطان أبي سعيد

وأر بونة على ساحل البحر الرومي وخر يدة وقرقشونة وراءهما في الشمال ومنها في الأقليم الخامس طلوثة
شمالاً عن خر يدة وأما المكتشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل زاوية
الحادة وراء البرنات شرقاً وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات ببلد نيونة
وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء أرض بنطون من الفرنج إلى آخر الجزء وفي الجزء
الثاني في الناحية الغربية منه أرض غشكونية وفي شمالها أرض بنطو و برغشت وقد ذكرناهما وفي
شرق بلاد غشكونية في شمالها قطعة أرض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة إلى الشرق
قليلاً وصارت بلاد غشكونية في غربها داخل في جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالاً بلاد جنوة
وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمتها أرض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة
الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من البر في البحر في غربيه ييش
وفي شرقيه مدينة رومة العظمى كرسى ملك الافرنجة ومسكن البابا بتر كهم الأعظم وفيها من المباني الضخمة
والهاكل المهولة والكنائس العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق
إلى المغرب مغر وش قاعه ببلاط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحوار بين وهما مدفونان بها
وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد أفر نصيصا إلى آخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوبه رومة
بلدان في الجانب الشرقي منه متصلة ببلد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل
في هذا الجزء من الجزء الثالث مغر باو محاذي الشمال من هذا الجزء وانتهى إلى نحو الثلث منه وعليه كثير من
بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلالية في الأقليم
السادس وفي الجزء الثالث من هذا الأقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط
بها من شرقيه يوصل من برها في الأقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خارجا من البحر على
سمت الشمال إلى هذا الجزء وفي شرقي بلاد قلورية بلاد انكبرده في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي
و يدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الأقليم الرابع في البحر الرومي ويحيط به من شرقيه خليج
البنادقة من البحر الرومي ذاهباً إلى سمت الشمال ثم ينمطف إلى الغرب محاذيلاً آخر الجزء الشمالي ويخرج على
سمته من الأقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الأقليم السادس إلى أن ينتهي
قبالة خليج في شماله في بلاد انكلالية من أمم الالمانيين كاندكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل
ماداما ذاهبين إلى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبا إلى المغرب فيهنما بلادا حرة وإياهم بلاد الالمانيين عند طرف
الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الأقليم قطعة من البحر الرومي خرجت إليه من الأقليم الرابع مخرسة
كلها بقطع من البحر ويخرج منها إلى الشمال وبين كل ضرسين منها طرف من البحر في الجون بينهما وفي
آخر الجزء شرقاً قطع من البحر ويخرج منها إلى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي
ويذهب على سمت الشمال إلى أن يدخل في الأقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقاً إلى بحر نيطش
في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الأقليم السادس كاندكر و بلاد القسطنطينية في
شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القيصرية وبها من آثار
البناء والضخامة ما كثرت عنه الأحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء
وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج إلى آخر الجزء قطعة
من أرض باطوس وأظنها لهذا العهد محالات للتركان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بهارصة وكانت من قبلهم
لاروم وغلبهم عليها الأمم إلى أن صارت للتركان وفي الجزء الخامس من هذا الأقليم من غربيه وجنوبه

أرض باطوس وفي الشمال عنها إلى آخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهر قباقي الذي يمد الفرات
يخرج من جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل وصوله من هذا الجزء إلى بحره في الاقليم
الرابع وهنالك في غربيه آخر الجزء في مبداه نهر سيحان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبين على سمتيه وقدمر
ذكرهما وفي شرقيه هنالك مبداه نهر الدجلة الذاهب على سمتيه وفي وازاته حتى يخالطه عند بغداد وفي
الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ من نهر دجلة ببلد ميفارقين ونهر قباقي
الذي ذكرناه يقسم هذا الجزء قطعتين احدهما غربية جنوبية وفيها أرض باطوس كما قلناه وأسافلها إلى
آخر الجزء شمالا وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قباقي أرض عمورية كما قلناه والقطعة الثانية شرقية
شمالية على الثلث في الجنوب منها مبداه الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد اليلقان متصلة بأرض عمورية من
وراء جبل قباقي وهي عريضة وفي آخرها عند مبداه الفرات بلاد خرسنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية
قطعة من بحر نيطنش الذي يمدد خليج القسطنطينية وفي الجزء السادس من هذا الاقليم في جنوبه وغربه بلاد
أرمينية متصلة إلى أن يتجاوز وسط الجزء إلى جانب الشرق وفيها بلاد أردن في الجنوب والغرب وفي شمالها
تفليس ودبيل وفي شرق أردن مدينة خلاط ثم بردعة وفي جنوبها بحاراف إلى الشرق مدينة أرمينية ومن
هنالك يخرج بلاد أرمينية إلى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلاد المراغة في شرقي جبل الاكراد المسمى بارمي
وقدمر ذكره في الجزء السادس منه ويتاخم بلاد أرمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة
الشرق فيها بلاد أذر بيجان وآخرها في هذا الجزء شرقاً بلاد أربيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في
الناحية الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر
وهم التتر كان يبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب إلى
الجزء الخامس فتمد فيه منعطفة ومحيطه ببلد ميفارقين ويخرج إلى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل
السلسلة في أسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام كما مرو بين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء شاي
كالابواب تغضي من الجانبين في جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق إلى بحر طبرستان وعليه من هذه
البلاد مدينة باب الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية جنوبية بها بلاد أرمينية وبينها في الشرق وبين
بلاد أذر بيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة إلى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء
في غربها مملكة السري في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة أيضاً من بحر نيطنش الذي
يمدده خليج القسطنطينية وقدمر ذكره ويحيط بهذه القطعة من نيطنش بلاد السري وعليها منها بلاد أطر ابريده
وتتصل بلاد السري بين جبل الابواب والجهة الشمالية من الجزء إلى أن ينتهي شرقاً إلى جبل حاجز بينها
وبين أرض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحاجز قطعة من أرض الخزر تنتهي إلى
الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وآخر الجزء شمالاً * والجزء السابع من هذا
الاقليم غربيه كله مغمور ببحر طبرستان وخارج من جنوبه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك أن
عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم إلى قزوين وفي غرب تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس
من الاقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه أيضاً وينكشف من هذا
الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر أثل في هذا البحر ويبقى من هذا الجزء في ناحية
الشرق قطعة منكشفة من البحر بمجالات لاغز من أمم الترك يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء
الثامن ويذهب في الغرب إلى مادون وسطه فينعطف إلى الشمال إلى أن يلاقى بحر طبرستان فيحتف به ذاهباً
معه إلى بقيته في الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغرباً

وأبنه أبي الحسن وسارمع
أبي الحسن إلى أفرقية
وتخلف عن واقعة
القيروان لما كان به من
علة التفرس فلما كانت
الهيعة بتونس وصل خبر
الواقعة وتمحيز أولياء
السلطان إلى القصبه مع
حرمة تسرب عبد المهيمن
في المدينة منتبذا عنهم
وتوارى في بيتا خشية أن
يصاب معهم بمكر وه فلما
انجحت تلك الغاية ورجع
السلطان من القيروان إلى
سوسة وركب منها البحر
إلى تونس أعرض عن عبد
المهيمن لما سخط غيبته
عن قومه بالقصبه وجعل
العلامة لأبي الفضل ابن
الرئيس عبد الله بن أبي
مدين وقد كانت من قبل
مقصورة على هذا البيت
وأقام عبد المهيمن عطلاً من
العمل شهراً ثم اعتبر
السلطان ورضى عنه ورد
إليه العلامة كما كان ثم توفي
لأيام قلائل بتونس
بالتعاون الجارف سنة تسع
وأربعين وولد له سنة

خمس وسبعين من المائة
 قبلها وقد استوعب ابن
 الخطيب التعريف به في
 تاريخ غرناطة فليطالع
 هناك من أحب الوقوف
 عليه (وأما ابن رضوان)
 الذي ذكره الرجوى في
 في قصيدته فهو أبو القاسم
 عبدالله بن يوسف بن
 رضوان البخاري أصله من
 الأندلس نشأ بالقلعة وأخذ
 عن مشيخها وحذق في
 العربية والأدب وتفنن
 في العلوم ونظم ونثر وكان
 مجيداً في الترسيل ومحسناً
 في كتابة الوثائق وأرسل بعد
 واقعة طريف ونزل سبتة
 ولقي بها السلطان أبا الحسن
 ومدحه وأجازته واختص
 بالقاضي إبراهيم بن يحيى
 وهو يومئذ قاضي
 المراك وخطيب
 السلطان وكان يستنبيه في
 القضاء والخطابة ثم نظم في
 جملة الكتاب بباب
 السلطان واختص بمجده
 عبد المهيمن رئيس
 الكتاب والأخذ عنه إلى
 أن رحل السلطان إلى

إلى الجزء السادس من الأقليم السادس ثم يرجع جنوباً إلى الجزء السادس من الأقليم الخامس وهذا الطرف منه
 هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض السريرو وأرض الخزر واتصلت أرض الخزر في الجزء السادس
 والسابع حفافي هذا الجبل المسمى جبل سياد كاسياني* والجزء الثامن من هذا الأقليم الخامس كد مجالات للغز
 من أمم الترك وفي الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثمانمائة ميل ويصب
 فيها أنهار كثيرة من أرض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة عرعون دورها ثمانمائة ميل وماؤها
 حلوة وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار ومعناه جبل الثلج لأنه لا يذوب فيه وهو متصل بآخر الجزء وفي
 الجنوب عن بحيرة عرعون جبل من الحجر الصلد لا يثبت شيئاً يسمى عرعون وبه سميت البحيرة وينجذب منه
 ومن جبل مرغار شمالي البحيرة أنهار لا تنحصر عدتها قصب فيها من الجانيين* وفي الجزء التاسع من هذا
 الأقليم بلاد أركس من أمم الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية ويحده من جهة الشرق آخر
 الجزء جبل قوقيا المحيط بياجوج وماجوج يعترض هناك من الجنوب إلى الشمال حتى ينطف أول دخوله من
 الجزء العاشر وقد كان دخل إليه من آخر الجزء العاشر من الأقليم الرابع قبله احتف هناك بالبحر المحيط إلى
 آخر الجزء في الشمال ثم انعطفت مغرباً إلى الجزء العاشر من الأقليم الرابع إلى مادون نصفه وأحاط من أوله إلى هنا
 ببلاد الكيماكية ثم خرج إلى الجزء العاشر من الأقليم الخامس فذهب فيه مغرباً إلى آخره وبقيت في جنوبه من
 هذا الجزء قطعة مستطيلة إلى الغرب قبل آخر بلاد الكيماكية ثم خرج إلى الجزء التاسع في شرقه وفي الأعلى
 منه وانعطفت قريبا إلى الشمال وذهب على ستمته إلى الجزء التاسع من الأقليم السادس وفيه السد هناك كاند كره
 وبقيت منه القطعة التي أحاط بها جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة إلى الجنوب وهي
 من بلاد يا جوج وماجوج وفي الجزء العاشر من هذا الأقليم أرض يا جوج متصلة فيه كله الاقطعة من البحر
 المحيط غمرت طرفاً في شرقه من جنوبه إلى شماله والاقطعة التي يفصلها إلى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا
 حين مرفيه وماسوى ذلك فإرض يا جوج وماجوج والله سبحانه وتعالى أعلم

(الأقليم السادس) فالجزء الأول منه غمر البحر أكثر من نصفه واستدار شرقاً من الناحية الشمالية ثم ذهب مع
 الناحية الشرقية إلى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فأنكشفت قطعة من هذه الأرض في هذا الجزء
 داخلية بين طرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالجون فيه وينفسح طولاً وعرضاً وهي كلها
 أرض برطانيا وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بلاد قاس متصلة ببلاد
 بنطو التي مر ذكرها في الجزء الأول والثاني من الأقليم الخامس* والجزء الثاني من هذا الأقليم دخل البحر
 المحيط من غرباً وشمالاً فمن غرباً في قطعة مستطيلة أكبر من نصفه الشمالي من شرقاً أرض برطانيا في الجزء
 الأول واتصل بها القطعة الأخرى في الشمال من غرباً إلى شرقاً وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء
 وفيه هناك قطعة من جزيرة انكلطرا وهي جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في
 الأقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة جزيرة تها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد مندية وبلاد
 أفلاش متصلين بها ثم بلاد فرنسية جنوباً وغرباً من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقاً عنها وكلها لام الأفريقية
 وبلاد اللاميين في النصف الشرقي من الجزء فنجو به بلاد انكلية ثم بلاد برغونية شمالاً ثم أرض لويكة
 وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية الشمالية الشرقية أرض أفريرة وكلها لام اللاميين* وفي الجزء
 الثالث من هذا الأقليم في الناحية الغربية بلاد مرانية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية
 بلاد انكوية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من الجزء الرابع ويمر مغرباً
 بالحراف إلى الشمال إلى أن يقف في بلاد شطونية آخر النصف الغربي* وفي الجزء الرابع من ناحية الجنوب

أرض جنوبية وتحتها في الشمال بلاد الروسية و يفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزء غير بالي أن يقف في
الضنف الشرقي وفي شرق أرض جنوبية بلاد حرمانيه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية أرض القسطنطينية ومدينتها
عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفعه في بحر نيطنش فيقع قطعة من بحر نيطنش في
أعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمدها الخليج وينتهي في الزاوية بدمسيناه * وفي الجزء الخامس
من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطنش يتصل من الخليج في آخر الجزء الرابع ويخرج على
سمته مشرقا فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل من مبدئه في عرض ستمائة
ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها إلى شرقها بمستطيل في غرب
هرقلية على ساحل بحر نيطنش متصلة بأرض الياقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية وقاعدتها سوتلى
على بحر نيطنش وفي شمال بحر نيطنش في هذا الجزء غير بأرض ترخان وشرق بلاد الروسية وكلها على ساحل
هذا البحر و بلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء من شمالها في الجزء الخامس من
الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم * وفي الجزء السادس في غربها بقية بحر نيطنش
و ينحرف قليلا إلى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد دقانية وفي جنوبه ومنفسحا إلى
الشمال بما انحرف هو كذلك بقية بلاد اللانية التي كانت آخر جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية
من هذا الجزء متصل أرض الخزر وفي شرقها أرض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية أرض بلغار وفي
الزاوية الشرقية الجنوبية أرض بلجر يجوزها هناك قطعة من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء
السابع بعده و يذهب بعد مفارقه مفر با فيجوز في هذه القطعة و يدخل إلى الجزء السادس من الاقليم
الخامس فيتصل هنالك بجبل الابواب وعليه من هنالك ناحية بلاد الخزر * وفي الجزء السابع من هذا
الاقليم في الناحية الجنوبية بيه ماجازة جبل سياه بعد مفارقه بحر طبرستان وهو قطعة من أرض الخزر إلى آخر
الجزء غير با وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها و وراء جبل
سياه في الناحية الغربية الشمالية أرض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء أرض شحرب و يخناك وهم أهم
الترك * وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية بيه منه كلها أرض الجوخ من الترك في الناحية الشمالية غير با و
الأرض المنتمة و شرق الأرض التي يقال إن أجوج و مأجوج خر بوا قبل بناء السد وفي هذه الأرض المنتمة
هبدنهر الاثل من أعظم أنهار العالم و يمر في بلاد الترك و مصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس وفي الجزء
السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الأرض المنتمة من ثلاثة ينابيع تجتمع في نهر واحد و يمر
على سمت الغرب إلى آخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا إلى الجزء السابع من الاقليم السابع فيمر في
طرفه بين الجنوب والغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع و يذهب مفر با غير بعيد ثم ينعطف ثانية
إلى الجنوب و يرجع إلى الجزء السادس من الاقليم السادس ويخرج منه جدول يذهب مفر باو يصب في بحر
نيطنش في ذلك الجزء و يمر هو في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم
السادس ثم ينعطف ثالثة إلى الجنوب و ينفذ في جبل سياه و يمر في بلاد الخزر و يخرج إلى الاقليم الخامس في
الجزء السابع منه فيصعب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية
وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ من الترك وهم قفقاق و بلاد التركس منهم
أيضا وفي الشرق منه بلاد أجوج يفصل بينهما جبل قوقا المحيط و قد مر ذكره بيه من البحر المحيط في شرق
الاقليم الرابع و يذهب معه إلى آخر الاقليم في الشمال و يفارقه مفر باو بالخراف إلى الشمال حتى يدخل في
الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع إلى سمته الأول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من

أفريقية وكانت واقعة
القيروان و انحصر
بالقصبه بتونس مع من
انحصر بهما من أشيا مع
أهله و حرمه و كان
السلطان قد خلف ابن
رضوان في بعض خدمته
فجلا عند الحصار فيما
عرض لهم من المكاتب
وتولي كبر ذلك فقام فيه
أحسن قيام إلى أن وصل
السلطان من القيروان
فرعي له حق خدمته
تأنيسا و قر با و كثرة
استعمال إلى أن رحل من
تونس في الاسطول إلى
المغرب سنة خمسين كما مر
واستخلف بتونس ابنه أبا
الفضل وخلف أبا القاسم
ابن رضوان كاتبه فأقاما
كذلك أياما ثم غلبهم على
تونس سلطان الموحدين
الفضل ابن السلطان أبي
يحيى ونجا أبو الفضل إلى
أبيه ولم يطق ابن رضوان
الرحلة معه فأقام بتونس
حولا ثم ركب البحر إلى
الاندلس وأقام بالمرية مع
جملة من هنالك من أشيا

السلطان أبي الحسن كان فيهم عامر بن محمد بن علي شيخ هنتاة كافلا لحرم السلطان أبي الحسن وابنه أركبهم السفين معه من تونس عندما راحل فخلص إلى الأندلس ونزلوا بالمرية وأقاموا بها تحت جارية سلطان الأندلس فاحق بهم ابن رضوان وأقام معهم ودعاه أبو الحجاج سلطان الأندلس إلى أن يستكتبه فامتنع ثم هلك السلطان أبو الحسن وارتحل مخفاه الذين كانوا بالمرية وفدوا على السلطان أبي غسان و وفد معهم ابن رضوان فرعي له وسأله في خدمة أبيه واستكتبه واختصه بشهود مجلسه مع طلبة العلم بالحضرة وكان محمد بن أبي عمر و يومئذ رئيس الدولة ونحى الخلوّة وصاحب الملامه وحسان الحياة والعساكر قد غلب على هوي السلطان واختص به فاستخدم له ابن رضوان حتى علق منه بذمة ولاية ومحبة وانتظام في السمر وغشيان المجالس

الاقليم السابع ﴿ والبحر المحيط قد غمر عاتمه من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بحبل
 قوقيا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الاما انكشف من جزيرة انكلطرة
 التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انطف بالبحر الى الشمال وبقيةها مع قطعة من البحر مستديرة عليه
 في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والمجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا
 و وراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة سلانده مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من
 هذا الاقليم مغمور أكثره بالبحر الا قطعة مستديرة في جنوبيه وتتسع في شرقها فيها هناك متصل أرض فلونية
 التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وأنها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب
 الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل بالبر من باب في جنوبيها فيضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة بوقاعة
 مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من
 المغرب الى المشرق و جنوبه منكشف وفي غرب أرض قيمارك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم أرض
 سلانده الى آخر الجزء شرقا وهي دائماً الثلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الرسية في الاقليم السادس وفي
 الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الرسية وينتهي
 في الشمال الى قطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كذا كرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه
 متصل أرض القمانية التي على قطعة بحر نبطش من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمى
 من هذا الجزء وهي عذبة تجلب اليها أنهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية
 من هذا الجزء أرض التارية من الترك كان الى آخره في الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل
 بلاد القمانية وفي وسط الناحية بحيرة عثو ر عذبة تجلب اليها الأنهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة
 دائماً الشدة البرد الا قليلا في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانية بلاد الرسية التي كان مبدؤها في الاقليم
 السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية
 أرض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط
 هذه القطعة من أرض بلغار ومنطف نهر أثل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي آخر هذا الجزء السادس
 من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية أرض يحنك
 من أمم الترك وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية
 من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية أرضي سحر ب ثم بقية الأرض
 الممتدة الى آخر الجزء شرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلا من غربه الى شرقه
 وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الأرض اننتنه وفي شرقها الأرض المحفورة

وهي من العجائب خرق عظيم في الارض بعيد المهوي فسيح الاقطار تمتع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه
بالدخان في النهار والنيران في الليل تضيء وتخفى و ر بمسار وفي فيها نهر يشقه من الجنوب الى الشمال وفي الناحية
الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتأخرة لاسد وفي آخر الشمال منه جبل قويا متصل من الشرق الى الغرب
وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفساخ وهم قفجق يجو زهاجيل قويا حين
ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع
من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هناك سد بأجوج ومأجوج وقد ذكرناه وفي الناحية
الشرقية من هذا الجزء ارض بأجوج و راءجيل قويا على البحر قليلة العرض مستطيلة أطاحت به من شرقه
وشماله والجزء العاشر غمر البحر جميعه هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليمها السبعة وفي خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين

المقدمة الثالثة

(في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم)

(قدينا) أن المعمور من هذا المتكشف من الارض انما هو وسطه لا فراط الحر في الجنوب منه والبرد في
الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما
الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع أعدل العمران والذي حفا فيه من الثالث والخامس أقرب الى الاعتدال
والذي يليهما من الثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع
والمباني والملابس والاقوات والقواكل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة
مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا حتى الثبوت قائماتو جدي في الأكثر
فيها ولم تنف على خبر بعثة في الاقاليم الجنو بية ولا الشمالية وذلك أن الانبياء والرسل انما يختص بهم أكمل
النوع في خلقهم وأخلاقهم قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وذلك لئتم القبول لما يأتيهم به الانبياء
من عند الله وأهل هذه الاقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم
وأقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنعمة بالصناعة ويتناغون في استجداد الآلات
والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس
والرصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالتقدين العزيزين ويعدون عن الانحراف في عامة أحوالهم
وهؤلاء أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسنندو الصين وكذلك الاندلس ومن قرب
منها من الفرنجة والجلالقة والرهم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء أو قريباً منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا
كان العراق والشام أعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات وأما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول
والثاني والسادس والسابع فأهلها بعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبناؤهم بالطين والقصب وأقواتهم من
الذرة والعشب وملابسهم من أوراق الشجر يخففونها عليهم أو الجلود أو كثرتهم عرايا من اللباس وفواكه
بلادهم وأدهانهم يكتفون بمائها الى الانحراف ومعاملاتهم بغير الحجرين الشرقيين من نحاس أو حديد أو
جلود يقدر ونها للمعاملات وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات المعجم حتى ينقل عن الكثير من
السودان أهل الاقاليم الاول أنهم يسكنون الكهوف والغياض و يأكلون العشب وأنهم متوحشون غير
مستأنسين يأكل بعضهم بعضا وكذا السقالب والسبب في ذلك أنهم بعد من الاعتدال يقرب عرض أمزجهم
وأخلاقهم من عرض الحيوانات المعجم ويعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذلك أحوالهم في الديانة أيضا فلا
يعرفون نبوة ولا يدينون بشر يعبأ الامن قرب منهم من جواب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة

الخاصة وهو مع ذلك يذنيه
من السلطان وينفق سوقه
غناصه ويستكفي به في
مواقف خدمته اذا غاب
عنها هو اهم فلا يسين
السلطان ونفقت عنده
فضائله فلم سار أبو عمر و
في العساكر الى بحاية سنة
أربع وخمسين انفرادا بن
رضوان بعلامة الكتاب
عن السلطان ثم رجع ابن
أبي عمر و بالسلطان
فأقصاه الى بحاية وولاه
عليها وعلى سائر أعمالها
وعلى الموحدين بقسنطينة
وأفرد ابن رضوان بالكتابة
وجعل اليه العلامة كما
كانت لابن أبي عمرو
فاستقل بهاموفر الاقطاع
والاسهام والجاه ثم سخطه
آخر سبع وخمسين وجعل
العلامة لمحمد بن أبي القاسم
ابن أبي مدين والانشاء
والتوقيع لابي اسحق
ابراهيم بن الحاج الغرناطي
فلما كانت دولة السلطان
أبي سالم جعل العلامة لعلى
ابن محمد بن مسعود صاحب
ديوان العساكر والانشاء
والتوقيع والسر لمؤلف

الكتاب عبد الرحمن ابن
خلدون ثم هلك أبو سالم
سنة اثنتين وستين واستبد
الوزير عمر بن عبد الله
على من كفله من أبنائه
فجعل العلامة لابن
رضوان سائر أيامه وقبلة
عبد العزيز ابن السلطان
أبي الحسن واستبد بمكة
فم يزل ابن رضوان على
العلامة وهلك عبد العزيز
وولي ابنه السعيد في كفاة
الوزير أبي بكر بن غازي
ابن الكاس وابن رضوان
على حاله ثم غلب السلطان
أحمد على الملك وانتزع
من السعيد وأبي بكر بن
غازي وقام بتدبير دولته محمد
ابن عثمان بن الكاس
مستبدًا عليه والعلامة
لابن رضوان كما كانت
إلى أن هلك بأزم - وورث في
حركة السلطان أحمد إلى
مراكش لحصار عبد
الرحمن بن أبي يفلوس ابن
السلطان أبي علي * وكان في
جملة السلطان أبي الحسن
جماعة كثيرة من فضلاء
المغرب وأعيانه هلك كثير
منهم في الطاعون الجارف

المجاورين للبحر الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل أهل مالي وكوكو والتكرو
المجاورين لأرض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا به في المائة السابعة ومثل من دان
بالنصرانية من أمم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من أهل تلك الاقاليم المنحرفة جنوبا
وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم جميع أحوالهم بعيدة من أحوال الاناسي قرية من أحوال
البهاثم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول وجود البهاثم وحضر موت والاحقاف وبلاد الحجاز
واليمامة وما اليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فان جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من
الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبة بهاثم في رطوبة بة هو انهما فقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه
الحر وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر وقد توهم بعض النساين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات ان
السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من
الرق في عقبه و يتقون في ذلك حكاية من خرافات القصص ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه
ذكر السواد وانما دعا عليه بان يكون ولده عبيد الولد اخوة لا غير وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن
طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك أن هذا اللون شمل أهل الاقليم
الاول والثاني من مزاج هو انهم لاجل الحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة
قرية احدهما من الاخرى فتطول المساماة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويأخذ القيط الشديد عليهم
وتسود جلودهم لافراط الحر ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلها من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل
سكانها ايضا البياض من مزاج هو انهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال باقهم في دائرة مرأى العين أو ما
قرب منها ولا ترتفع الى المساماة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويستد البرد عامة الفصول فيبيض ألوان أهلها
وتنتهي الى الزعرور وتتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة
الشعور وتوسط بينهما الاقليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج
المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية نهايته في التوسط كما قدمناه فكان لاهلها من الاعتدال في
خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج هو يتهم وتبعه عن جانيه الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلا
الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهم لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منجرفة
وأهلها كذلك في خلقهم وخلقهم فالاول والثاني للحر والسواد السابع والسادس للبرد والبياض ويسمى
سكان الجنوب من الاقليمين الاول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان أسماء مترادفة على الامم المتغيرة بالسواد
وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بمن تجار مكة واليمن والزنج عن تجار بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من أجل
اتساعهم الى ادنى أسود لاحام ولا غير وقد نجد من السودان أهل الجنوب من يسكن الرابع المعقل أو السابع
المنحرف الى البياض فيبيض ألوان أعقابهم على التدريج مع الأيام والعكس فيمن يسكن من أهل الشمال أو الرابع
بالجنوب فتسود ألوان أعقابهم وفي ذلك دليل على أن اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في أرجو زنه في الطب
بالزنج حر غير الاجساد * حتى كسا جلودها سوادا

والصقبا كسبت البياضا * حتى غدت جلودها بضاضا

وأما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار ألوانهم لان البياض كانوا نالا هل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم يكن فيه غرابة
تحمل على اعتباره في التسمية لما افقته واعتادوه وجدنا سكانه من الترك والصالبة والطغرغر والخز والالان
والكثير من الافرنجة وأجوج وما جوج أسماء متفرقة وأحيالا متعددة مسمين بأسماء متنوعة وأما أهل
الاقاليم الثلاثة المتوسطة أهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتدال لديهم من

المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم الثبوت والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والغراسة والصنائع الفاتحة وساثر الاحوال المعتدلة وأهل هذه الاقاليم التي وقفتا على أخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرائيل واليونان وأهل الهند والصين * ولما رأى الناسبون اختلاف هذه الامم بسماتها وشعارها حسبوا ذلك لاجل الانساب فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في ألوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا أهل الشمال كلهم أو أكثرهم من ولد يافث وأكثر الامم المعتدلة وأهل الوسط المنتحلين للعلوم والصنائع والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق في انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لأن تسمية أهل الجنوب بالسودان والحبشان من أجل انتسابهم الى حام الاسود وما أداهم الى هذا الغلط الاعتقادهم أن التمييز بين الامم انما يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجبل أو الامة يكون بالنسب في بعضهم كالعرب وبنى اسرائيل والفرس ويكون بالجهة والسمه كاللبنج والحبشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب كالعرب ويكون بغير ذلك من أحوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من محلة أولون أو سمه وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التي أوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وأن هذه كلها تبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله أعلم بفيه وأحكم وهو المولى المنعم الرؤف الرحيم

(المقدمة الرابعة في أثر الهوا في أخلاق البشر)

(قد رأينا) من خلق السودان على العموم الحففة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتقشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكافئه وتقرر أن الحرارة منفسية للهواء والبخار مخلخله لانه زائدة في كميته ولهذا يجد في المنتشي من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فينفضي الروح وتحيى طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارتها للهواء في أرواحهم فتسخت لذلك حدث لهم فرح ور بما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفي أصل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم واقليمهم فتكون أرواحهم بالقياس الى أرواح أهل الاقليم الرابع أشد حرا فتكون أكثر تفشيا فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا ويحيى الطيش على أثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والحففة موجودة أكثر من بلاد التلول والخيال الباردة وقد نجد يسيرا من ذلك في أهل البلاد الجزيرية من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف والتلول واعة بذلك أيضا بأهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أوقر بيا منها كيف غلب الفرح عليهم والحففة والغفلة عن العواقب حتى أنهم لا يدخرون أوقات سنتهم ولا شهرهم وعامة ما كلهم من أسواقهم * ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين اطراق الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب حتى أن الرجل منهم لا يدخر قوت سنتين من جبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره ويتبع ذلك في الاقاليم والبلدان تجدد في الاخلاق أثر من كيفيات الهوا والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تحليله فلم يأت بشيء أكثر من

بتونس وغرق جماعة منهم في أسطوله لم أغرق وتخطت التكة منهم آخرين الى أن استوفوا ما قدر من آجالهم (فمن حضر معه بافريقية) الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوي شيخ القراء بالمغرب أخذ العلم والعريضة عن مشيخة فاس وروي عن الرحالة أبي عبد الله بن رشيد وكان اماما في القراآت وصاحب ملكة فيها لا يجارى وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود وكان يصلى بالسلطان التراويح ويقرأ عليه بعض الاحيان حربه (ومن حضر معه بافريقية) الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكناسة مبرز في العقول والمتقول وعارفا بالحديث وبرجاله واماما في معرفة كتاب الموطأ وأقرائه أخذ العلوم عن مشيخة فاس ومكناسة ولقي شيخنا أبا عبد الله الايلي ولازمه وأخذ عنه العلوم العقلية فاستفد ببقية طلبه عليه فبرز آخره واختاره السلطان

أنه نقل عن جالينوس و يعقوب بن اسحق الكندي أن ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا يحصل له ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
(المقدمة الخامسة)

في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم

(اعلم) أن هذه الأقاليم المعتدلة ليس كلها يوجبها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجب لاهله خصب العيش من الجيوب والادوم والخطوة والفواكه كماء المناب واعتدال الطبيعة ووفور العمران وفيها الأرض الحرة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شظف من العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحرَاء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فإن هؤلاء يفقدون الجيوب والادوم جملة وأما أغذيتهم وأقواتهم الألبان واللحوم ومثل العرب أيضاً الجائلين في القفار فانهم وإن كانوا يأخذون الجيوب والادوم من التلول إلا أن ذلك في الاحياء وتحت رقبة من حاميتيها وعلى الاقلال لقلة وجدهم فلا يتوصلون منه إلا إلى سد الجحلة أو دونها فضلاً عن الرغد والخصب وتجددهم يقتصر في غالب أحوالهم على الألبان وتوسعهم من الخطوة أحسن معاض وتجدد ذلك هؤلاء الفاقدين للجيوب والادوم من أهل القفار أحسن حالاً في جسيمهم وأخلاقهم من أهل التلول المتغمسين في العيش فالوأنهم أصفي وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم بعد من الانحراف وأذهانهم أنقى في المعارف والادراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله أعلم أن كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد أقطارها في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة ويتبع ذلك انكشاف الألوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كقطنائه وتغطي الرطوبات على الاذهان والافكار بما يصعد إلى الدماغ من أنجرتها الرديئة فتجنى البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهاو والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع أمثالها من حيوان التلول والارياق والمرامى الخصبة كيف تجد بينها يونا بعيدا في صفاء أديمها وحسن روثها وأشكالها وتناسب أعضائها وحدة مداركها فالغزال أخو المعز والزرافة أخو البعير والحمار وأخو البقر والحمار والبقر والبون بينها ما رأيت وما ذاك إلا لاجل أن الخصب في التلول فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلاط الفاسدة ما ظهر عايناً أثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها وأشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الآدميين أيضاً فانا نجد أهل الأقاليم المحصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادوم والفواكه يتصف أهلها غالباً بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المتغمسين في الادوم والخطوة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير والذرة مثل المصامدة منهم وأهل غمارة والسوس فتجد هؤلاء أحسن حالاً في عقولهم وجسيمهم وكذا أهل بلاد المغرب على الجملة المتغمسون في الادوم والبر مع أهل الاندلس المفقود بأرضهم السمن جملة وغالب عيشهم الذرة فتجد لأهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعاليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا أهل الضواحي من المغرب بالجملة مع أهل الحضرة والامصار فإن أهل الامصار وإن كانوا أكثر من مثليهم من الادوم ومخصيين في العيش إلا أن استعمالهم إياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف بما يخلطون معها فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة ما آكلهم لحوم الضأن والدجاج ولا يبطون السمن من بين الادوم لفاهته فتقل الرطوبات لذلك في أغذيتهم ويخفف ما تؤديه إلى أجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجد جسيم أهل الامصار أطف من جسيم البادية الخشنيين في العيش وكذلك تجد المعودين بالجوع من أهل البادية لافضلات في جسيمهم غليظة

لمجلسه واستدعاه ولم يزل معه إلى أن هلك غريقاً في ذلك الاسطول (ومنها) القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد التور من أعمال ندرومة ونسبه في صنهاجة كان مبرزاً في الفقه على مذهب الامام مالك ابن أنس تفقه فيه على الاخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الامام وكان من جملة أصحابهما ولما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلة ابني الامام واختصهما بالشورى في بلدهما وكان يستكثر من أهل العلم في دولته ويجري لهم الارزاق ويعمر بهم مجلسه فطلب يومئذ من ابن الامام أن يختار له من أصحابه من ينظمه في فقهاء المجالس فأشار عليه بابن عبد التور هذا فأذناه وقرب مجلسه وولاه قضاء عسكره ولم يزل في جملة إلى أن هلك بالطاعون بتونس سنة تسع وأربعين وكان قد خلف أخاه علياً رفيقه في تدريس ابن الامام إلا أنه أقصر باعانه في الفقه فلما

خلع السلطان أبو عنان
طاعة أبيه السلطان أبي
الحسن ونهض الى فارس
استنفره في جملة وولاه
قضاء مكناسة فلم يزل بها
حتى تغلب عمر بن عبد الله
على الدولة كما فرغ من
قضاء فريضه فسرجه
نفرج حاجاسنة أربع
وستين فلما قدم على مكة
وكان به بقية مرض هلك
في طواف القدوم وأوصى
أمير الحاج على ابنه محمد وأن
يبلغ وصيته به للامير المتغلب
على الديار المصرية يومئذ
بيغا الخاصكي فأحسن
خلافه فيه وولاه من
وظائف الفقهاء ماسديه
خلته وصان عن سؤال
الناس وجهه وكان له عفا الله
عنه كاف بعلم الكيمياء
طالب المن غلط في ذلك
وأما له فلم يزل يعاني من
ذلك ما يورطه مع الناس في
دينه وعرضه الى أن دعت
الضرورة للترحل عن مصر
ولحق ببغداد وناله مثل
ذلك فلحق بماردين واستقر
عند صاحبه فأحسن
جواره الى أن بلغنا بعد

ولا العطفة * واعلم أن أثر هذا الخصب في البدن وأحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فوجد المتقشفين
من أهل البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ أحسن دينا وأقبال على العبادة من أهل
الترف والخصب بل نجد أهل الدين قليين في المدن والامصار لما يعمها من القساوة والغفلة المتصلة بالكثارة من
الاحسان والادوم ولباب البر ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بل المتقشفين في غذائهم من أهل البوادي وكذلك نجد
حال أهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك نجد هؤلاء المتحصنين في
العيش المنغمسين في طبيائهم من أهل البادية وأهل الجوارض والامصار إذا زلت بهم السنون وأخذتهم الحجاجات
يسرع اليهم الهلاك أكثر من غيرهم مثل بربرة المغرب وأهل مدينة فارس ومصر فيما بلغنا لا مثل العرب أهل
القفار والصحراء ولا مثل أهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم القمح ولا مثل أهل أفريقيا لهذا العهد الذين غالب
عيشهم الشعير والزيت وأهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان أخذتهم السنون
والحجاجات فلا تنال منهم ما تنال من أولئك ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا ينذر والسبب في ذلك والله أعلم أن
المنغمسين في الخصب المتعودين للادوم والسمن خصوصاً تنكسب من ذلك أمعاؤهم رطوبة فوق رطوبة بها
الاصلية المزاكية حتى تجاوز حد ما إذا خولف بها العادة بقله الاقوات وفقدان الادوم واستعمال الخشن غير
المألوف من الغذاء أسرع الى الممي ائيبس والانكماش وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه
دفعه لانه من المقاتل فالهاككون في المجاعات انما قتلهم الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق * وأما
المتعودون للقيمة وترك الادوم والسمن فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حد هام غير زيادة وهي قابلة لجميع
الاغذية الطبيعية فلا يقع في معاهم تبدل الاغذية ييس والانحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض
لغيرهم بالخصب وكثرة الادوم في الما كل وأصل هذا كله أن تعلم أن الاغذية واشتلافها وتركها انما هو بالمادة فمن
عود نفسه غداء ولاه متاوله كان له مألوفاً وصار الخروج عنه والتبدل بهاء مالم يخرج عن غرض الغذاء بالجملة
كالسموم واليتوع (١) وما فرط في الانحراف فأما ما وجد فيه التغذي والملاءمة فيصير غداء مألوفاً بالعادة
فاذا أخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضاً عن الحنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى
به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن أهل
الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخباراً غريبة يكاد يشكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا
ألفت شيئاً صار من جبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل
ذلك عادة طبيعة لها وما يتوهمه الاطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا حملت النفس عليه دفعة
وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ ينحسم المعى ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك وأما اذا كان ذلك القدر
تدريجاً ورياضة باقلال الغذاء شيئاً فشيئاً كما يفعله المتصوفة فهو بمنزلة الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في
الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خفيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدأ في
الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوماً وصلاً وأكثر * وحضر أحياناً بمجلس
السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الاكل جمة منذ
سنتين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصحشأنهما واتصل على ذلك حالهما الى أن ماتتا ورأينا كثيراً من أئمانا
أيضاً من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتقم نديها في بعض النهار أو عند الافطار ويكون ذلك غذاءه واستدام على
(١) قال في القاموس اليتوع كصبور أو توركل نبات له ابن دار مسهل محرق مقطوع والمشهور منه سبعة الشبرم
واللاعية والعريظينا والمهاودة والمازريون والفالجشت والعشر وكل اليتوعات اذا استعملت في غير وجهها
أهلكته اه

ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستكر ذلك * واعلم أن الجوع أصلح للبدن من اكثار الاغذية بكل وجه من قدر عليه أو على الأقل منها وأن له أثر في الاجسام والعقول في صفتها وصلاحتها كما قلناه واعتبر ذلك آثار الاغذية التي تحصل عنها في الجسم فقد رأيت المتغذين بالحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجسمان تنشأ أحيالهم كذلك وهذا ما شاهد في أهل البادية مع أهل الحاضرة وكذا المتغذون بالبان الابل ولحومها يضامع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الاثقال الموجود ذلك للابل وتنشأ معاؤهم أيضا على نسبة أمعاء الابل في الصحة والغلظ فلا يطررها الوهن ولا الضعف ولا يناله من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون التيوغات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالخطل قبل طبعه والدراس والفرسيون ولا ينال أمعاءهم منها ضرر وهي لو تناولها أهل الحضرة الرقيقة أمعاءهم بمناشآت عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك أسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره أهل الفلاحة وشاهده أهل التجربة أن الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بحر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها أعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحض فيجىء دجاجها في غاية العظم وأمثال ذلك كثير فاذا رأينا هذه الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك أن للجوع أيضا آثار في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة الخلقة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

❖ المقدمة السادسة في أصناف المدرسين للغيب من البشر بالفطرة أو بالرياضة

و يتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا ❖

(اعلم) أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يليقهم من المعارف ويظهر على ألسنتهم من الخوارق وأخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم لا واني لا أعلم الا ما علمني الله واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصيته وضروره الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر أن توجدهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كأنها غنى أو أعماق في رأى العين، وليست منهما في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم تنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام فيفهمه أو يتمثل له صورة شخص بخطابه بما جاء به من عند الله ثم تجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما أتى اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعني ما يقول ويدركه أثناء ذلك من الشدة والغلظ ما لا يعبر عنه في الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى اناس لن يسمعك قولنا ثقيل ولا لاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رأي أو تابع من الجن وانما نلبس عليهم بما شاهدوه من ظاهرات تلك الاحوال ومن يضل الله فإله من هاد * ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخيرو الزكاء ومجانبة المذمومات والرجس أجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التزهد المذمومات والمنافرة لها وكأنها منافقة لحيلته وفي الصحيح أنه حمل الحجاره وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها في ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استبرأ بآزاره ودعي الى مجتمع وليمة فيها عرس ولعب فأصابه غشى النوم الى أن طلعت الشمس ولم يحضر شيئا من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى أنه بحيلته يتنزه

التسمين أنه هلك هنالك حثف أنفه والبقاء لله (ومهم شيخنا) أبو عبد الله محمد بن النجار من أهل تلمسان أخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن شيخنا الابن ببرز عليه ثم ارحل الى المغرب فلقى بسبته امام التعاليم بأب عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطي في الهيئة وأخذ بمراكن عن الامام أبي العباس ابن البناء وكان اماما في علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها ورجع الى تلمسان بعلم كثير واستخلصه الدولة فلما هلك أبو تاشفين وملك السلطان أبو الحسن نظامه في حملته وأجرى له رزقه فحضر معه بافريقية وهلك في الطاعون (ومهم) أبو العباس أحمد بن شعيب من أهل فاس برع في الادب واللسان والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها ونظمه السلطان أبو سفيان جملة الكتاب وأجرى عليه رزق الاطباء لتقدمه فيه فكان كاتبه

عن المطعومات المستكرهة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقبل له في ذلك فقال اني اناحي من
لاتاجون (وانظر) لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها بحال الوحي أول ما جاءه وأرادت
اختباره فقالت اجاني بينك وبين ثوبك فاما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب
النساء وكذلك سأله عن أحب الثياب اليه أن يأتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك يعني أن البياض
والخضرة من ألوان الخير والملائكة والسواد من ألوان الشر والشياطين وأمثال ذلك * ومن علاماتهم أيضا
دعائهم إلى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدل خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك
وكذلك أبو بكر ولم يحتاج في أمره إلى دليل خارج عن حاله وخلقه وفي الصحيح أن هرقل حين جاءه كتاب النبي
صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام أحضر من وجد ببلده من قریش وفيهم أبوسفیان ليسألهم عن حاله فكان
فيما سأل أن قال يا أمركم فقال أبوسفیان بالصلاة والزكاة والعفاف إلى آخر ما سأل فأجابه فقال ان يكن
ما تقول حقا فهو نبي وسيملك ماتحت قدمي هاتين والعفاف الذي (١) أشار إليه هرقل هو العصمة فانظر كيف
أخذ من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته ولم يحتاج إلى معجزة فدل على أن ذلك من علامات
النبوة (ومن علاماتهم) أيضا أن يكونوا ذوي حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبييا إلا في منعة من قومه
وفي رواية أخرى في ثروة من قومه استدركه إلحاحكم على الصحيحين وفي مسألة هرقل لابن سفيان كما هو في
الصحيح قال كيف هو فيكم فقال أبوسفیان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسول تبعث في أحساب قومها ومعناه
أن تكون له عصية وشوكة تمنعه عن أذى الكفار حتى يبلغ رسالة ربه ويتم مراد الله من إكمال دينه وملته (ومن
علاماتهم) أيضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة
وليست من جنس مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية وقوعها ودلائلها على تصديق الأنبياء
خلاف فالتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار قائلون بأنها واقعة بقدرته الله لا بفعل النبي وإن كانت أفعال العباد
عند المعجزة صادرة عنهم إلا أن المعجزة لا تكون من جنس أفعالهم وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين إلا التحدي
بها بإذن الله وهو أن يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقة في مدعاه فإذا وقعت تنزل منزلة
القول الصريح من الله بأنه صادق وتكون دلائلها حينئذ على الصدق قطعية فاما معجزة الدالة بمجموع الخارق
والتحدي ولذلك كان التحدي جزءا منها (وعبرة المتكلمين) صفة نفسها وهو واحد لا معنى الذاتي عندهم
والتحدي هو الفارق بينها وبين الكرامة والسحر إذ لا حاجة فيهما إلى التصديق فلا وجود للتحدي إلا بوجود
اتفاقا وإن وقع التحدي في الكرامة عند من يميزها وكانت له دلالة فأنما هي على الولاية وهي غير النبوة ومن هنا
منع الاستاذ أبو اسحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فرار من الالتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقدر أن يك
المغايرة بينهما وأنه يتحدي بغير ما يتحدي به النبي فلا لبس على أن النقل عن الاستاذ في ذلك ليس صريحا وربما حمل
على انكار أن تقع خوارق الأنبياء لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارق وأما المعجزة فالمانع من وقوع
الكرامة عندهم أن الخوارق ليست من أفعال العباد وأفعالهم معتادة فلا فرق وأما وقوعها على يد الكاذب تليسا
فهو محال أما عند الأشعرية فلا نية صفة نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة
والهداية ضلالة والتصديق كذب واستحال الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال
لا يكون ممكنا وأما عند المعجزة فلا نية وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة فيسبح فلا يقع من الله وأما الحكماء فالخارق
عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الإيجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها عن
بعض متوقف على الأسباب والشروط الحادثة مستندة أخيرا إلى الواجب الفاعل بالذات لا بالاختيار وإن النفس

(١) قوله الذي أشار إليه هرقل الظاهر أبوسفیان اهـ

وطيبه وكذا مع السلطان
أبي الحسن بعده فحضر
بأفريقية وهلك بها في ذلك
الطاعون وكان له شعر سابق
به الفحول من المتقدمين
والتأخرين وكانت له امامة
في نقد الشعر وبصر به وما
حضر في الآن من شعره
الاقوله
دار الهوى نجد وساكنها
بدر أمان النفس من نجد
هل باكر الوسمي ساحتها
واستن في قيعانها الجرد
أوبت معتل النسيم بها
مستشفيا بالبان والرنند
يتلو أحاديث الذين هم
قصدي وإن جاروا عن القصد
أيام سمر ظلالها وطني
منها وزرق مياهها وردي
ومطارح النظرات في رشا
أحوى المدامع أهيف القد
يرنو إليك بعين جارية
قتل الحب بها على عمد
حتى أجدهم على عجلى
ريب الخطوب وعثار الجدد
فقدوا فما أريك بعدهم
عيشي شقى الأعلى فقد
وغدوا فينا قد تقصمته
بطن الثرى وقرارة اللحده
ومشردا من دون رؤيته

قذف النومي وتوقف البعد
أجرى على العيش بعدهم
أني جرعت حبيهم وحدي
لا تلحني يا صاح في شجن
أخفيت منه فوق ما أبدى
بالقرب لي سكن يؤوبني
من ذكره سهد على سهد
فرخان قد تركا بمضيعة
رزئت عن الرفداء والرغد
(ومهم) صاحبنا الخطيب
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
مرزوق من أهل تلمسان
كان سلفه زلاء الشيخ أبي
مدين بالعباد ومتسوار ثين
خدمة تربة من لدن جدهم
خادمه في حياته وكان جده
الخامس أو السادس واسمه
أبو بكر بن مرزوق معروفًا
بالولاية فيهم ولما هلك دفنه
يغمر اسن بن زيان السلطان
بتلمسان من بني عبد
الوادى في التربة بقصره
ليدفن بازائه متى قدر
بوفاته ونشأ محمد هذا
بتلمسان ومولده فيما
أخبرني سنة عشر وسبع مائة
وارتحل مع أبيه إلى المشرق
سنة ثمان عشرة ومصر
بجاية فسمع بها على الشيخ
أبي علي ناصر الدين ودخل

النبوة عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم
مجبول على التصريف في الاكوان مهما توجه إليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والخارق عندهم
يقع للنبي كان للجدى أو لم يكن وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من
خواص النفس النبوية لا يانه ينزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالته عندهم قطعية كما هي عند
المتكلمين ولا يكون الجدوى جزأ من المعجزة ولم يصح فارقالها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن
السحر أن النبي مجبول على أفعال الخير معصوف عن أفعال الشر فلا يلزم الشر بخوارقه والساحر على الضد فاعماله
كلها شر وفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة أن خوارق النبي مخصوصة كالصعود إلى السماء والنفوذ في
الاجسام الكثيفة واحياء الموتي وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل
والحديث عن بعض المستقبل وأمثاله مما هو قاصر عن تصرف الانبياء ويأتي النبي بجميع خوارقه ولا يتدر هو
على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقهم ولقنوه عن أخبارهم واذاتقرر ذلك فاعلم
أن أعظم المعجزات وأشرها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخوارق
في الغالب تقع مغايرة لالوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى وهو
الخارق المعجز فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لاتحاد
الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه
البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحي إلى فأنار جوانا كون أكثرهم تابعا يوم القيامة يشير إلى أن المعجزة
متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها فكثير
المصدق والمؤمن وهو التابع والامة

ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم

الروايات بشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

(اعلم) * أوردنا الله وياك أن أنشأ هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام وربط
الاسباب بالنسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض لا تنقض عجائبه في ذلك
ولا تنهى غايته وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني وأول عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج ضاعدا من
الارض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه
صاعدا أو هابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعدا منها اللطف بمقابلته إلى أن ينتهي إلى عالم الافلاك وهو اللطف
من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يتسدى بعضهم إلى
معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها ثم انظر إلى عالم التكوين
كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بدعية من التدرج آخر أفاق المعادن متصل بأول أفاق النبات
مثل الحشائش وما لا بذله وآخر أفاق النبات مثل النخل والسكر متصل بأول أفاق الحيوان مثل الحزنون
والصدف ولم يوجد لهما الا قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفاق منها مستعد بالاستعداد
القريب أن يصير أول أفاق الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدرج التكوين إلى الانسان
صاحب الفكر والروية ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته إلى الروية والفكر
بالفعل وكان ذلك أول أفاق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انما نجد في العوالم على اختلافها آثارا متنوعة في
عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفي عالم التكوين آثار من حركة النمو والادراك تشهد كلها بأن لها
مؤثرات مباينة لاجسامها فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجوب اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس

المدركة والحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها أيضا ويكون ذاته ادراكا صرفا وتعلقا محضا وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعدادا للانسلاخ من البشرية إلى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقاما في الاوقات في لحظة من اللحظات وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحية بالفعل كإنذاره بعدو يكون لها اتصال بالافق الذي بعدها شأن الموجودات المرتبة كما قدمنا فلها في الاتصال جهتا العلوي والسفلي هي متصلة بالبدن من أسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعدها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة الاعلى منها بالافق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والقيمية فان عالم الحوادث موجود في تعقلاتهم من غير زمان وهذا على ما قدمنا من الترتيب المحكم في الوجود باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة في البدن فكانه وجميع أجزائه مجتمعة ومفترقة آلات للنفس ولقواها أما الفاعلية فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا وأما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتقة إلى القوة العليا منها ومن المفكرة التي يعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بآلاته من السمع والبصر وسائرهما يرتقي إلى الباطن وأوله الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيره في حالة واحدة وبذلك فارتقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يودي الحس المشترك إلى الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجر دأ عن المواد الخارجة فقط وآلة هاتين القوتين في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمة للاولي ومؤخرة للثانية ثم ترتقي الخيال إلى الواهمة والحافظة فالواهمة لا ادراك المعاني المتعلقة بالشخصيات كمداد وزيد وصداقة عمرو ورحمة الاب وافتراض الذنب والحافظة لا يداع المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالخزنة تحفظها الوقت الحاجة إليها وآلة هاتين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ أوله للاولي ومؤخرة للاخرى ثم ترتقي جميعها إلى قوة الفكر وآلة البطن الاوسط من الدماغ وهي القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه نحو التعقل فتحرك النفس بهادئها الماركة فيها من النزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج إلى الفعل في تعقلها متشبهة بالملا الأعلى الروحاني وتصير في أول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تتسلخ بالكلية من البشرية وروحانياتها إلى الملكية من الافق الأعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الحيلة والفطرة الاولى في ذلك * والنفس البشرية على ثلاثة أصناف نصف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الادراك الروحاني فينقطع بالحركة إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذهو من جهة مبدئه ينتهي إلى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعدها وهذا هو في الأغلب نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم ونصف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها لانطاق لها من مبدئها ولان منهاها وهذه مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم الدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة في البرزخ ونصف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانياتها وروحانياتها إلى الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملا الأعلى في أفقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها وزههم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملبسين لها

الشرق وجاوز أبوه الحرمين الشريفين ورجع هو إلى القاهرة وأقام بها وقرأ على برهان الدين السفاقي المالكي وأخيه وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ثم رجع سنة ثلاث وثلاثين إلى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه من حصار تلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يحطب على المنبر ويشيد بذكره والتناء عليه فحلا بينه واحتصه وقربه وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الامام وأخذ نفسه ببقاء الفضلاء والاكابر والاخذ عنهم والسلطان كل يوم يزيد ترقيه وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تمحيص المسلمين فكان يستعمله في السفارة عنه إلى صاحب الاندلس ثم سفر عنه بعد ان ملك افر بقة

الى ابن اد فونش ملك قشتالة
في تقرير الصلح واستنقاذ
ابنه أبي عمر تاشفين كان
أسري يوم طريف فغاب في
تلك السفارة عن واقعة
القيروان ورجع تاشفين
مع طائفة من زعماء
النصرانية جاؤا في السفارة
عن ملكهم ولقهم خبر واقعة
القيروان بقسطنطينة من
بلاد افرقية وباعامل
السلطان وحاميته فثار
أهل قسطنطينة بهم جميعا
ونهبوهم وخطبوا للفضل
ابن السلطان أبي يحيى
وراجعوا دونه الموحدين
واستدعوه لجاء اليهم وملك
البلد وانطلق ابن مرزوق
عائدا الى المغرب مع جماعة
من الاعيان والعمال
والسفراء عن الملوك ووفد
علي السلطان أبي غنان مع
أمة حظية أبي الحسن والدته
كانت راحلة اليه فآركها
الخبر بقسطنطينة وحضرت
الهيعة فوثب ابنها أبو غنان
على ملك أبيه واستبلاه
على فاس فرجمت اليه وابن
مرزوق في خدمتهم طلب
اللاحق بلمسك فسر حوه

بالشريعة بمركب في غرضهم من القصد والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة ووركر في طبائهم رغبة في العباد
تكشف تلك الوجهة وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا ابتلك
الفطرة التي فطر واعليها بالاكساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملا الاعلى
ما يتلقونه وعاجوا به على المبدارك البشرية منزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة يسمع دويا كأنه رمز من
الكلام يأخذ منه المعنى الذي أتى اليه فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه
رجلا فيكلمه ويبى ما يقوله والتقى من الملك والرجوع الى المبدارك البشرية وفهمه ما أتى عليه كله كأنه في لحظة
واحدة بل أقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كها تقع جميعا فيظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لان
الوحي في اللغة الاسراع (واعلم) أن الاولى وهي حالة الدوي هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت أكمل من الاولى وهذا معنى
والثانية وهي حالة تمثل الملك رجلا يخاطب هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت أكمل من الاولى وهذا معنى
الحديث الذي فسره فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لمساءله الحرث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال
أحيانا يأتيني مثل صائلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني
فأعني ما يقول وإنما كانت الاولى أشد لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيفسر بعض
العسر ولذلك لمساج فيهما على المبدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ماسواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر
التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المبدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك
البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي أن الكلام
جاء مجي التتميل لحال الوحي فمثل الحالة الاولى بالدوي الذي هو في المتعارف غير كلام وأخبر أن الفهم والوحي
يتبعه غيب اقضائه فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوحي بالماضي المطابق للانقضاء والاقطاع
ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوحي فناسب العبارة بالمضارع الممتنضي للتجدد
*واعلم أن في حالة الوحي كلها صعوبة على الجملة وشدة قد أشار اليها القرآن قال تعالى اناس لاتي عليك قول لا ثقلا
وقالت عائشة كان مما يعاني من التزليل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليتصدع وقال ذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغيط ما هو معروف وسبب ذلك أن الوحي
كما قررناه مفارقة للبشرية الى المبدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها
وانسلاخها عنها من ألقها الى ذلك الافق الآخروها وهذا هو معنى الغيب الذي عبر به في مبدا الوحي في قوله ففطنني
حتى بلغ مني الجهد ثم أرساني فقال أقرأ فقلت ما أنا بقارئ وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يفيض الاعتقاد
بالتدريج فيه شيئا فشيئا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآياته حين كان
بمكة أقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وأنها نزلت كلها أو أكثرها
عليه وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفضل في وقت وينزل الباقي في حين
آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات
الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والفاق وأمثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المدني والمكي من السور
والآيات والله المرشد لا صواب هذا محصل أمر النبوة (وأما الكهانة) فهي أيضا من خواص النفس الانسانية
وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مر أن للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها
وأنه يحصل من ذلك امدح للبشر في صنف الانبياء بمافطر واعليه من ذلك وتقرر أنه يحصل لهم من غير اكساب
ولا استعانة بشيء من المندارك ولان التصورات ولان الافعال البدنية كلاما أو حركة ولا بأمر من الامور انما
هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد

موجود في الطبيعة البشرية فيعطي التقسيم العقلي أن هنا صنف آخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الأول نقصان
الضد عن ضده الكامل لأن عدم الاستعانة في ذلك الإدراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فإذا أعطى تقسيم الوجود
أن هنا صنف آخر من البشر مفطورا على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يمتثل للزورع لذلك
وهي ناقصة عنه بالحيلة فيكون لها بالحيلة عند ما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة
كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما منعه من طير أو حيوان فيستديم ذلك الاحساس
أو التخيل مستعين به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالشيع له وهذه القوة التي فيهم مبدأ ذلك الإدراك
هي الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان إدراكها في الجزئيات أكثر من
الكليات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لأنها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذ تاما في نوم أو يقظة وتكون عندها
حاضرة عتيدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالمرآة تنظر فيها دائما ولا يقوي الكاهن على الكمال في إدراك
المعقولات لأن وحيه من وحي الشيطان وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة
ليشتغل به عن الحواس ويقوي بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهم جس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها
من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لأنه يتم نقصه بأمرا اجنبى عن ذاته
المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ولا يكون موثوقا به وربما يفرغ الى الظنون
والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه وتمويهها على السائين وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم
الكهان لأنهم أرفع سائر أصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في منته هذا من سجع الكهان فجعل السجع محتصا بهم
بمقتضى الاضافة وقد قال ابن سياد حين سأله كاشف عن حاله بالاختبار كيف يأتيك هذا الامر قال يأتيني صادق
وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني أن النبوة خاصتها الصدق فلا يعترها الكذب بحال لأنها اتصال من ذات النبي
بالملا الأعلى من غير مشيع ولا استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات
الاجنبية كانت داخلية في إدراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة
فامتنع أن تكون نبوة وإنما قلنا أرفع مراتب الكهانة حالة السجع لأن معنى السجع أخف من سائر المغييات من
المرئيات والمسموعات وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشيء (وقد
زعم) بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بموقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي
البعثة وأن ذلك كان منهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان انما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت
الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا كما
قررنا أيضا فالآية انما دللت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا
مما سوى ذلك وأيضا فاما أن ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط وللمهاجرات بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا
هو الظاهر لأن هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرور عند وجود الشمس لأن النبوة
هي انوار الأعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب وقد زعم بعض الحكماء أنها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع
وهكذا مع كل نبوة وقعت لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة
التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى
الكهان على ما قررناه فقبل أن يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن اما واحدا أو
متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الأوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء
بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع الفلكي يقتضى بعض أثره وهو غير مسلم فاعلم الوضع انما يقتضي ذلك الاثر
بهيته الخاصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئا لأنه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قالوا ثم ان هؤلاء الكهان اذا

على الطريق الصحراء
وأطل أبو نابت رقومه على
الحبر ففكر وه على أبي سعيد
وعانيوه فأنكر فغثوا صغير
ابن عامر في اعتراض ابن
مرزوق فجاء به وجلسوه
أيامهم أجاز وه البحر الى
الاندلس فنزل على السلطان
أبي الحجاج بفرناطة وله
اليه وسيلة من اجتماعه به
بمجلس السلطان أبي الحسن
بسببته أرواقة طريف
فرعى له أبو الحجاج ذمة
تلك المعرفة وأذناه واستعمله
في الخطابة بمجاعة بالمرء
فلم يزل خطيبه الى أن
استدعاه السلطان أبو عنان
سنة أربع وخسين بعد
مهلك أبيه واستيلائه على
تلمسان وأعمالها فقدم
عليه ورعي وسائله ونظمه
في أكبر أهل مجلسه وكان
يقرأ الكتب بين يديه في مجلسه
العلى ويدرس في نوبته مع
من يدرس في مجلسه منهم
ثم بعثه الى تونس عام ملكها
سنة ثمان وخسين ليخطب
له ابنة السلطان أبي يحيى
فردت تلك الخطبة وأخيف
بتونس ووشى الى السلطان
أبي عنان أنه كان مظلما على
مكانها فسخطه لذلك

عاصر واز من النبوة فأنهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كالكمل
انسان من أمر النوم ومعقولة تلك النسبة موجودة للكاهن بأشدهم التناهم ولا يصدهم عن ذلك ويوقهم في
التكذيب الا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقومون في العناد كما وقع لامية بن أبي الصلت فانه كان يطعم أن يتنبأ وكذا وقع
لابن صياد ومسيامة وغيرهم فاذا غلب الايمان واتقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن ايمان كما وقع لطليحة
الاسدي وسواد برقارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان (وأما الرؤيا)
فحقيقتهما مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فلها عند ما تكون روحانية تكون صور
الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تجرد عن المواد الجسمانية
والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما ذكر فتقتبس بها علم ما تشوف اليه من الامور المستقبلية وتعود
به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخطه فيحتاج من أجل هذه
المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخصوصه من المثال والخيال
والسبب في وقوع هذه الملمحة للنفس أنها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها متقللا
معضاويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ آثار روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية الآن نوعها في
الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الافق الاعلى الذين لم يستكملوا ذاتهم شيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا
الاستعداد حاصل لها مادامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا
* وأما الذي للانباء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا
الاستعداد فيهم متكررا في حالات الوحي وهو عند ما يرجع على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك شبيها
بحال النوم شبيها بينا وان كان حال النوم أودن منه بكثير فلاجل هذا الشبه عبر الشارع عن الرؤيا بأنها جزء من ستة
وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي رواية سبعين وليس العددي جميعها مقصودا بالذات وانما
المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو للتكثير عند العرب وما ذهب اليه
بعضهم في رواية ستة وأربعين من أن الوحي كان في بدنه بالرواية ستة أشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة
والمدينة ثلاث وعشرون سنة فصف السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك
لنبي صلى الله عليه وسلم ومن أين لنا أن هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع أن ذلك انما يعطى نسبة من الرؤيا
من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتهما من حقيقة النبوة واذ اتين لك هذا مما ذكرنا وألا علمت أن معنى هذا
الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم صلوات الله
عليهم اذ هو الاستعداد البعيد وان كان عاما في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن أعظم
تلك الموانع الخواص الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الخواص بالنوم الذي هو جلي لهم فتعرض
النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تشوف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان منه لمحة يكون فيها الظفر بالمطلوب
وان ذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يسبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا
الصالحة براها الرجل الصالح أو ترى له (وأما) سبب ارتفاع حجاب الخواص بالنوم فعلى ما أصفه لك وذلك أن
النفس الناطقة انما ادراكها وأفعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف مركب بالتجويف الايسر
من القلب على ما في كتب التشریح للجاليوس وغيره وينبث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطى الحس والحركة
وسائر الافعال البدنية ويرفع لطيفه الى الدماغ فيعدل من برده وتتم أفعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة
انما تدرك وتعمل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمة التكوين في أن اللطيف لا يؤثر في
الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محلا لآثار الذات المباشرة له في جسمانيته وهي

والنفس الناطقة وصارت آتازها حاصلة في البدن بواسطته وقد كنا قد منا أن ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو بالحواس الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وأن هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها من ذواتها الروحانية التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسن والفشل بما يدركها من التعب والكلال وتقش الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانخاس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشي البدن من البرد بالليل فطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انخس الروح عن الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتزكيب والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها منترعة من المدركات المتعاهدة قريبا من ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على أنحاء الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لفتة الى ذاتها الروحية مع منازعتها القوى الباطنية فتدرك ادراكها الروحاني لانها مفطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حيث نتم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيمتثلها بالحقيقة أو المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي الحاجة للتعبير وتصرفها بالتزكيب والتحليل في صور الحافظة قبل أن تدرك من تلك المحاكاة ما تدركه هي أضغاث أحلام (وفي الصحيح) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالخلى من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك وأضغاث الأحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسببها ويشيعها من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها أحد منهم بل كل واحد من الانسائي رأى في نومه ما صدر له في يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع أن النفس مدركة للقيب في النوم ولا بد وإذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يتع في غيره من الأحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق بینه وفضله

(فصل ٢) ووقع ما يقع للبشر من ذلك غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس متشفة لذلك الشيء فتقع لها بتلك الامعة في النوم لانها تقصد الى ذلك فتراد وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات ذكر أسماء تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يتشوف اليه ويسمونها الحالومية وذكر منها مسامحة في كتاب الغاية حالومية سماها حالومية الطباع التام وهو أن يقال عند النوم بعد فراغ السر وحنة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهي تماغس بعد أن يسود وغداس نوقنا غداس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم (وحكي) أن رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليل في مأكله وذكره فتمثل له شخص يقول له أنا طابعك التام فسأله وأخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي أنا بهذه الاسماء مرأتي عجبية واطلعت بها على أمور كنت أتشوف اليها من أحوالي وليس ذلك بدليل على أن القصد للرؤيا يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوي الاستعداد كان أقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص أن يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلا على إيقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من أمثاله والله الحكيم الخبير

(فصل ٣) ثم انما نجد في النوع الانساني أشعنا صانعيه بالكنائس قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها انما يجد مداركهم في ذلك

مستبدا على ابن السلطان
أبي الحجاج فاحقق هو بأشيلة
من دار الحرب وزل على
بطرة ملكهم يومئذ فيها له
السفن وأجازة الى العدو
فزل بجبل الصفيحة من
بلاد غمارة وقام بدعوه
بنو مسير وبنو منير أهل ذلك
الجبل منهم ثم أمده
واستولى على ملكه في خبر
طويل ذكرناه في أخبار
دولته وكان ابن مرزوق
يدخله وهو بالاندلس
ويستخدمه ويقاوضه في
أمره وربما كان يكتبه
وهو بجبل الصفيحة
ويدخل زعماء قومه في
الاخذ بدعوه فلما ملك
السلطان أبو سالم رعي له تلك
الوسائل أجمع ورفع على
الناس وأثنى عليه محبته
وجعل زمام الأمور بيده
فوطئ الناس عقبه وغشى
أشراف الدولة بابه وصرفت
الوجوه اليه فمرضت لذلك
قلوب أهل الدولة ونقموه
على السلطان وترصوبه
حق وثب عبد الله بن عمر
بالبلد الجديد واغترق الناس
على السلطان وقتله عمر بن
عبد الله آخر اثنين وستين
بوحسب ابن مرزوق وأغرى

بمقتضى فطرتهم التي فطر واعليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاجسام الشفافة كالمراباوط ساس الماء
والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع وأهل الطرق بالحصى والجبوب
من الخطئة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الانسان لا يسع أحدا جدها ولا إنكارها وكذلك المجانين ياتي
على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك الثائم والميت لأول موته أو نومه يتكلم بالغيب وكذلك أهل
الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة * ونحن الآن نتكلم على هذه
الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم نأتي عاينها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في أن النفس
الانسانية كيف تستعد الادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك أنها ذات روحانية موجودة بالقوة
من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه قبل وإنما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل
أحد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الادراك والتعلق فهي توجد
أولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها وجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما
يعودها ويرود مدركتها المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الادراكات من المعاني الكلية فتعقل الصور مرة بعد
أخرى حتى يحصل لها الادراك والتعلق بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كاهيولي والصور متعاقبة عليها بالادراك
واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في أول نشأته لا يقدر على الادراك الذي له من ذاتها لا بنوم ولا بكشف
ولا بغيرها وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعلق لم يتم بعد بل لم يتم لها التزاع الكليات ثم اذا
تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك بالآلات الجسم تؤديه اليها المندارك البدنية
وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس أبدا جاذبة
لها الى الظاهر بما فطرت عليه أولا من الادراك الجسماني وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب
البدن لحظة اما بالخاصية التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم أو بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة
والطرق أو بالرياضة مثل أهل الكشف من الصوفية فلتنتف حيثئذ الى الذوات التي فوقها من الملائكة الاعلى لمابين
أفئها وأفئهم من الاتصال في الوجود كما قررناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل
وفيهما صور الموجودات وحققها كما مرفيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علوما وربما دفعت تلك
الصور المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما أدركت اما مجردا أو في قوالبه فيخبر به هذا
هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي * ولزجج الي ما وعدنا به من بيان أصنافه (فأما) الناظرون في
الاجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالحصى والنوى
فكلهم من قبيل الكهان الا أنهم أضعف رتبة فيه في أصل خلقهم لان الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير
معاناة وهؤلاء يمانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها وأشرافها البصر فيعكف على المرفى البسيط
حتى يبدو له مدركة الذي يخبر به عنه وربما يظن أن مشاهدة هؤلاء الماير ونه هو في سطح المرأة وليس كذلك بل
لايزالون ينظرون في سطح المرأة الى أن يغيب عن البصر ويدو فيما بينهم وبين سطح المرأة حجاب كأنه غمام يمتثل
فيه صور هي مداركهم فيشيرون اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفى أو اثبات فيخبرون بذلك على نحو
ما أدركوه واما المرأة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وإنما ينشأ لهم بها هذا النوع الآخر من
الادراك وهو نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك
ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها والناظرين في الماء والطساس وأمثال ذلك وقد شاهدنا من
هؤلاء من يشغل الحس بالبخور فقط ثم بالزائم للاستعداد ثم يخبر كما أدرك ويزعمون أنهم يرون الصور متشخصة
في الهوا تحكي لهم أحوال مايتوجهون الى ادراكه بالثال والاشارة وغنية هؤلاء عن الحس أخف من الاولين

به سلطانه الذي نصبه محمد
ابن أبي عبد الرحمن بن أبي
الحسن فامتحنه واستصفاه
ثم أطلقه بعد أن رام كثير
من أهل الدولة قتله فثبته
منهم ولحق بتونس سنة
أربع وستين ونزل على
السلطان أبي اسحق
وصاحب دولته المستبد
عليه أبي محمد بن تافراكين
فأكرموه وأزله وولوه الخطابة
بجامع الموحدين بتونس
وأقام بها إلى أن هلك السلطان
أبو اسحق سنة سبعين وولى
ابنه خالد وزحف السلطان
أبو العباس حافدا السلطان
أبي يحيى من مقره بقسنطينة
إلى تونس فملكها وقتل خالد
سنة ثنتين وسبعين وكان ابن
مرزوق يستريح منه لما
كان يميل وهو بفاس مع ابن
عمه محمد صاحب بجاية
ويؤثره عند السلطان أبي
سالم عليه فزله السلطان أبو
العباس عن الخطبة بتونس
فوجه لها وأجمع الرحلة
إلى المشرق وسرحه السلطان
فركب السفن ونزل
بالاسكندرية ثم رحل إلى
القاهرة ولقي أهل العلم
وأمرأء الدولة ونفقت بضائعه
عندهم وأوصلوه إلى السلطان

والعالم أبو الغرائب وأما الزجر فهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سح أو حيوان والفكر فيه
بعدمه فيه وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما جرفه من مرئي أو مسموع وتكون قوته الخيلة كما
قدمناه قوية فيعنيها في البحث مستعينا بما رأه أو سمعه فيؤديه ذلك إلى ادراك ما كماله القوة المتخيلة في النوم وعند
ركود الخواص تنوسط بين المحسوس المرئي في يقظته وتجميعه مع ماعقلته فيكون عنها الرؤيا وأما الخجائن فنفسهم
الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد مزاجهم غالبا وضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستقرة في الخواص
ولا منعسة فيها بما شغلها في نفسها من ألم النقص ومرضه وربما زاحمها على التعلق به روحانية أخرى شيطانية
تشبث به وتضعف هذه عن مما نعتها فيكون عنه التخييل فإذا أصابه ذلك التخييل المفسد مزاجه من فساد ذاتها
أو زاحمة من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جملة فادرك الحجة من علم نفسه وانطبع فيها بعض الصور
وصرفها الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق
بالباطل لأنه لا يحصل لهم الاتصال وإن فقدوا الحس إلا بعد الاستعانة بالتصورات الأجنبية كما قررناه من ذلك
يجب الكذب في هذه المدارك * وأما العرافون فهم المتعلقون بهذا الإدراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون
الفكر على الأمر الذي يتوجهون إليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهجون من مبادئ ذلك الاتصال
والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا تحصيل هذه الأمور) وقد تكلم عليها
المسعودي في مروج الذهب قصادف تحقيقا ولا إصابة ويظهر من كلامه أن رجلا كان بعيدا عن الرسوخ
في المعارف فينقل ما سمع من أهله ومن غير أهله وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشرية فقد
كان العرب يفترون على الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك
غيرهم وفي كتب أهل الأدب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق بن أنمار بن زرار وسطيح بن ماذن بن
غسان وكان يدرج كأيديج الثوب ولا عظم فيه إلا الجمجمة * ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن مضر
وما أخبره به من ملك الحبشة اليمس وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة الحمدي في قريش ورؤيا الموبدان التي
أولها سطيح لما بعث إليه بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة
وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في أشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوئي * فأنك إن داويتني لطيب

جعلت لعراف اليمامة حكمة * وعراف نجدان هما شيفاني

فقال شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع بدان

وقال الآخر

وعراف اليمامة هور باح بن عجلة وعراف نجد الابن الاسدي (ومن هذه المدارك الغيبية) ما يصدر لبعض الناس
عنده مفارقة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشوف إليه بما يعطيه غيب ذلك الأمر كما يبدو لا يقع
ذلك إلا في مبادئ النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب الاختيار في الكلام فيتكلم كما أنه مجبول على النطق وغايته أن
يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة رؤوسهم وأوساط أبدانهم كلام يمثل ذلك ولقد باغنا عن
بعض الجبابرة الظالمين أنهم قتلوا من سجونهم أشخاصا ليمروا من كلامهم عند القتل عواقب أمورهم في أنفسهم
فأعلموهم بما يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك أن آدميا إذا جعل في دن مملوء بهن السمسم ومكت
فيه أربعين يوما يغذي بالثين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه إلا العروق وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدهن
فحين يحفف عليه الهوا يعجب عن كل شيء يسئل عنه من عواقب الأمور الخاصة والعامة وهذا أقل من منكر أفعال
السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الإنساني ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون
بالجاهدة مونا صناعيا بامانة جميع القوى البدنية ثم يحوّل آثارها التي تلون بها النفس ثم تغديتها بالذكرا تداد قوة في

وهو يومئذ لا شرف فكان
يحضر يومئذ مجلسه وولاءه
الوظائف العلمية فكان ينتجع
منها معاشه وكان الذي وصل
حبله بالسultan أستاذ داره
محمد (٢) لقيه أول
قدمه فيحلا بينه واستظرف
جلسته فسمي له وأنجح
سعايته ولم يزل مقابلا القاهرة
موقر الرتبة معروف
الفضيلة مرشحا لقضاء
المالكية ملازم للتدريس
في وظائفه إلى أن هلك سنة
احدى وثمانين هكذا
ذكر من حضره من جلة
السultan أبي الحسن من
أشياختنا وأصحابنا وليس
موضوع الكتاب الاطالة
فلتقتصر على هذا القدر
وترجع الى ما كنا فيه من
أخبار المؤلف

(ولاية العلامة تونس
ثم الرحلة بعدها الى المغرب
والكتابة على السultan أبي
عنان)
ولم أزل منذ نشأت وناهرة
مكبا على تحصيل العلم حريصا
على اقتناء الفضائل متقلبا
بين دروس العلم وحلقاته
الى أن كان انطاعون الجارف
وذهب الاعيان والصدور
وجميع المشيخة وهلك

(٢) يياض بالاصل

نشأوا ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع أنه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه
وأطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطاع النفس على
المغيبات ومن هؤلاء أهل الرياضة السجريّة يتراضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في
العوالم وأكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هناك الحوكة ولهم كتب في
كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعربية عن هذه المقاصد
المذمومة وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكيفية ليحصل لهم أدواق أهل العرفان والتوحيد ويزيدون
في رياضتهم الى الجمع والجوع التفضية بالذكر فها هم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكر كانت
أقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف في هؤلاء
المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من أول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي
لقصد التصرف والاطلاع على الغيب وأخبر بها صفة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من آثار العرفان للعرفان فقد
قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيئا سواه واذا حصل أثناء ذلك ما يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم
وكثير منهم يفر منه اذا عرض له ولا يخلج به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع
لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشف ما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك بشكر في
حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستناد أبو اسحق الاسفرايين وأبو محمد بن أبي زيد المالكي في آخرين فرار من
التباس المعجزة بغيرها والمعمل عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالحدى فهو كاف وقد ثبت في الصحيح أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابه من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في
مثل قول عمر رضي الله عنه ياسارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بال عراق أيام
الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانهمز ام وكان يقربه جيل يتحيز اليه فرفع لعمر ذلك وهو يخطب على
المنبر بالمدينة فناداه ياسارية الجبل وسمعه سارية وهو يمكانه ورأى شخصه هناك والقصة معروفة ووقع مثله أيضا
لابي بكر في وصيته عائشة بنته رضي الله عنهما في شأن ما نحلها من أوسق التمر من حديثه ثم نبهها على جذاذه لتجوز
عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هم أخواك وأختك فقالت انما هي أسماء من الأخرى فقال ان ذابط بن خارجة
أراها جارية فكانت جارية وتقع في الموطأ في باب ما لا يجوز من النحل ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من
الصالحين وأهل الاقتداء الآن أهل التصوف يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبق لهم يد حلة بحضرة النبي حتى
أنهم يقولون ان المريد اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حاله مادام فيها حتى يقار بها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق
(فصل) ومن هؤلاء المرديد من المتصوفة قوم بهاليل متوهون أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك
قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير
مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لأنهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه
بالعجائب ويرى ما يشكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا
بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت
النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت
سكال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان
يشتهدها نظره ويعرف أحوال معاشه واستقامته منزله وكأنه اذا ميز أحوال معاشه واستقامته منزله لم يبق له عذر في
قبول التكليف لا صلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقده نفسه ولا ذاهل عن حقيقة فيكون موجود
الحقيقة معدوم العقل التكلفي الذي هو معرف المعاش والاستحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفا الله عباده للمعرفة

على شيء من التكليف وإذا صح ذلك فاعلم أنه ربما يلبس حال هؤلاء المجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة
ويلتحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها أن هؤلاء البهاليل تجدهم وجهة ما لا يحلون عنها أصلا من ذكر
وعادة لكن على غير الشر وطا شرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا يجدهم وجهة أصلا ومنها أنهم
يخلقون على البله من أول نشأته والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فإذا عرض
لهم ذلك وفسد نفوسهم الناطقة ذهبوا بالحية ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لأنهم لا يتقنون
على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام إليه والله المرشد للصواب

﴿فصل﴾ وقد يزعم بعض الناس أن هناك مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم المتجمعون القائلون بالدلالات
التجوية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتأطرو ويتأدى
من ذلك المزاج إلى الهوا وهو لا يلتصقون ليسوا من الغيب في شيء إنما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على
التأثير التجوية وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد حدس يقف به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم
كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله أن شاء الله وهو لو ثبت ففاتته حدس وتخمين وليس مما ذكرناه
في شيء من هؤلاء قوم من العامة استنبطوا استخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة
إلى المسادة التي يضعون فيها عملهم ومحصول هذه الصناعة أنهم صيروا من النقطة أشكال ذات أربع مراتب تختلف
 باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهما فكانت ستة عشر شكلا لأنها كانت أزواجا كلها أو أفرادا
كلها فشكلان وإن كان الفرد في مرتبة واحدة فقط فأربعة أشكال وإن كان الفرد في مرتبتين فستة أشكال وإن
كان في ثلاث مراتب فأربعة أشكال جاءت ستة عشر شكلا ميزوها كلها بأسمائها وأنواعها إلى سعود ونحوس شأن
الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعية بزعمهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للفلك والاولاد اربعة وجعلوا
لكل شكل منها بيتا وخطوطا ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حادوا
به فن النجامة ونوع قضائه الآن أحكام النجامة مستندة إلى أوضاع طبيعية كازعم بطليموس وهذه أعمام مستندة
أوضاع تحكيمية وأهواء اتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها يزعمون أن أصل ذلك من النبوات القديمة في العالم
وربما نسبوها إلى دانيال أو إلى أدريس صلوات الله عليهم ما شأن الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيها ويحتجون
بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما
يزعمه بعض من لا تحصيل لديه لأن معنى الحديث كان نبي يخط فآتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في أن يكون
ذلك عادة لبعض الأنبياء فن وافق خطه فذاك الذي فهو ذلك أي فهو صحيح من بين الخط بمساعدة من الوحي لذلك
التي الذي كانت عادة أن يأتيه الوحي عند الخط وأما إذا أخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا وهذا
معنى الحديث والله أعلم فإذا أرادوا استخراج منبئ بزعمهم عمدوا إلى قرطاس أو رمل أو دقيق فوضعوا النقطة
سطورا على عدد المراتب الأربعة ثم كرروا ذلك أربع مراتب فتجئ ستة عشر سطرًا ثم يطر حون النقطة أزواجا
ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان أو فردا في مرتبة على الترتيب فتجئ أربعة أشكال يضعونها في سطر متتالية
ثم يولدون منها أربعة أشكال أخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلهما من الشكل الذي بازائه وما يجتمع
منهما من زوج أو فرد فتكون ثمانية أشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار
ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضا من زوج أو فرد فتكون أربعة أخرى تحتها ثم يولدون من الأربعة
شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الأول شكلا
يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعادة والنحوسة بالذات والنظر والحلول
والامتزاج والدلالة على أصناف الموجدات وسائر ذلك تحكما غير بياو كثرت هذه الصناعة في العمران ووضع

أبو أي رحمة الله ولزم
مجلس شيخنا أبي عبد الله
الايلى وعكفت على القراءة
عليه ثلاث سنين إلى
أن (٢) بعض الشيء
واستدعاه السلطان أبو عنان
فارتحل إليه واستدعاه أبو
محمد بن تافرا كين المستبد
على الدولة يومئذ بنوس
إلى كتابة العلامة عن
السلطان أبي اسحق مذهب
إليه من قسطنطينة صاحبها أبو
زيد حفيد السلطان أبي يحيى
في عساكره ومعه العرب
أولاد مهمل الذين
استجدوا لذلك فخرج
ابن تافرا كين وسلطان أبو
اسحق مع العرب أولاد أبي
الليل وبث العطاء في عسكره
وعمر له المراتب والوظائف
وتعلم عليه صاحب
العلامة أبو عبد الله محمد بن
علي بن عمر بالاستزادة من
العطاء فعمله وأداني منه
فكتبت العلامة عن
السلطان وهي الحمد لله
والشكر لله بالقلم الغليظ
ما بين البسملة وما بعدهما من
مخاطبة أو مرسوم وخرجة
معه أول سنة ثلاث وخمسين
وقد كنت منطويا على الرحلة
من إفريقية لما أصابني من
(٢) بياض بالاصل

فيها التأليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كرايات تحكم وهوي والتحقيق الذي ينبغي أن يكون نصب فكرك أن الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى معرفتها الا لخواص من البشر المقطوعين على الرجوع عن عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسمى المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهرين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في أصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من ههنا كان الناظر فيه من أهل هذه الخاصة وقصده هذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام أو غيرها اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروح وحائيات لحظة ما فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرابا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وأنها تفيد ذلك فهذر من القول والعمل والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها أهل هذا الادراك الغيبي أنهم عند توجههم الى تعرف الكائنات يعتزم خروج عن حالتهم الطبيعية كالشأوب والتعطط ومبادئ الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنفيق كذبه

﴿فصل﴾ ومنهم طوائف يصنعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كازعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالطات يجملونها كالمصيد لاهل العقول المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النيم وهو مذکور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من المسلوك وهو أن تحسب الحروف التي في اسم أحدهما بحسب الجمل المصنوع عليه في حروف أبجد من الواحد الى الالف آحادا وعشرات ومئين وألوف فإذا حسبت الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقيته هذان ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كان العددين مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين أو فردين معا فصاحب الاقل منهما هو الغالب وان كان أحدهما زوجا والآخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معاز وجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معا فردين فالطالب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في هذا العمل اشتهرا بين الناس وهما

أرى الزوج والافراد يسمو أقلاها * وأكثرها عند التخالف غالب

ويغلب المطلوب اذا الزوج يستوى * وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا المعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي الدالة على الواحد وى الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و ق الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و ش الدالة على الالف لانها واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر حروف أبجد ثم ربوا هذه الاحرف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايش ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف أبجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين في الآحاد و ك الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و والة على اثنين في المئين وهي مائتان وصبروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة جاس وكذلك الى آخر حروف أبجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الآحاد وهي ايش بكر جاس دمت هنت وصخ زعد حفظ طضع مرتبة على توالى الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي هي في مرتبته فالواحد لكلمة ايش والاثنان لكلمة بكر

الاستيحاء لذهاب أشياء
وعضلاتي عن طلب العلم
فلما رجع بنومرين الى
مراكزهم بالمغرب وانحسر
تيارهم عن افريقية وأكثر
من كان معهم من الفضلاء
صحابة وأشياخ فاعتزمت على
اللاحق بهم وصدني عن
ذلك أخي وكيري محمد رحمه
الله فلما دعيت الى هذه
الوظيفة سارعت الى الاجابة
لتحصيل غرضي من اللاحق
بالمغرب وكان كذلك فانا
لما خرجنا من تونس زلنا
بلاد هواردة وزحفت
العساكر بعضها الى بعض
بفحص مرماجة وانهمز
صفنا ونجوت أنا الى أبة
فأقمت بها عند الشيخ عبد
الرحمن الوساني من كبراء
المرايطين ثم تحولت الى
سبته ونزلت بها على محمد بن
عبدون صاحبها فأقمت عنده
ليالى حتى هيا إلى الطريق
مسع رفيق من المغرب
وسافرت الى قنصة وأقمت
بها أياما حتى قدم علينا بها
الفقيه محمد بن الرئيس منصور
ابن مزني وأخوه يوسف
يومئذ صاحب الزاب وكان
هو بتونس فلما احاصرها
الامير أبو زيد خرج اليه

والثلاثة لكلمة جالس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا أرادوا طرح الاسم بـ مة نظروا كل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات وأخذوا عددها مكانه ثم جمعوا الاعداد التي يأخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها والأخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الآخر وينظرون بين الحارين بمساقمناه والسرى هذا القانون بين وذلك أن الباقي من كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت أعداد العقود كأنها أحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة والثلاثة آلاف كلها ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على أعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على أصناف العقود في كل كلمة من الأحاد والعشرات والمئين والالوف (١) وصار عدد الكلمة الموضوع عليها ثابتا عن كل حرف فيها سواء دل على الأحاد والعشرات أو المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى آخرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرى أن الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها يفعلون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالآخرى سواء هي هذه أرب يسقك جزلط مدوص هف تحذن عش خغ تضظ تسع كلمات على توالي العدد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرباعي والثاني وليست جارية على أصل مطرد كما تراهم لكن كان شيوخنا يقولونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السيمياء وأسرار الحروف والنجامة وهو أبو العباس بن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النجم أصبح من العمل بكلمات ايقش والله أعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النجم غير معز والى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك تصفحها ان كنت من أهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج القيوب فيما يزعمون الزايرة المسماة بزايرة العالم المزوة الى أبي العباس سيدي أحمد السبتي من أعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المسألة السادسة بمرآة كاش واهمداً أبي يعقوب المتصور ان ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يولعون بافاد الغيب منها بعملها المعروف بالمغفور فيحرضون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية لافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة بأقسام فلكها اما البروج واما العناصر أو غيرها وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فيها برشوم (٢) الزمام التي هي أشكال الاعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايرة وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهرها الدوائر جدول متكرر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض ومائة وأحد وثلاثين في الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا نعلم نسبة تلك الاعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العائرة من الحالية وحفاظي الزايرة أبيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايرة لأنها من قبيل الانغاز في عدم الوضوح والجلال وفي بعض جوانب الزايرة بيت من الشعر منسوب لبعض أكابر أهل الحدنان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشيلية كان في الدولة الممتونية ونص البيت

(١) قوله والالوف فيه نظراً لان الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامه اه

(٢) قوله برشوم أي موضوعة برشوم بضم الراء جمع رشم بالشين المعجمة اه

فكان معه فلما بلغهم الخبر بأن السلطان أباعنا ملك المغرب نهض الي تلمسان فلكها وقتل سلطانها عثمان ابن عبد الرحمن وأخاه أبا ثابت وأنها انتهى الى المرية وملك بجاية من يد صاحبها الامير أبي عبد الله من حفدة السلطان أبي يحيى وراسله عندما أطل على بلده فسار اليه ونزل له عنها وصار في حلقته وولي أبو عنان على بجاية عمر بن علي شيخ بني وطاس من بني الوزير شيوخهم فلما بلغهم هذا الخبر أجفل الامير عبد الرحمن من مكانه عن حصار تونس ومر بقفصة فدخل الناصر محمد بن مرني ذاهباً الى الزاب فرافقه الى يسكرة ودخلت الى أخيه هناك ونزل هو بعض قرى الزاب تحت جراية أخيه الى أن انصرم الشتاء وكان أبو عنان لما ملك بجاية ولي عليها عمر بن علي ابن الوزير من شيوخ بني وطاس فجاء فراح مولى الامير أبي عبد الله لنقل حرمه وولده فدخل بعض السفهاء من صنهاجة

سؤال عظيم الحاق حزت فصن اذن * غرائبك ضبطه الجدملا

في قتل عمر بن علي فقتله في مجلسه ووثب هو على البلد وأرسل الى الأمير أبي زيد يستدعيه من قسنطينة فتمشت رجال البلد بينهم خشية من سطوة السلطان ثم ثاروا بفارح فقتلوه وأعادوا دعوة السلطان كما كانت وبعثوا عن عامل السلطان بتدليس يحيات بن عمر بن عبد المؤمن من شيوخ بني ونكاس من مريين فامكود قيادهم وبعثوا الى السلطان بطاعتهم فأخرج لوقته حاجبه محمد بن أبي عمرو واكتنف له الجند وصرف معه وجوه دولته وأعيان بطانته وارتحت من بسكرة وافداعلى السلطان أبي عنان بتلمسان فلقيت ابن أبي عمرو وبالطحاء وتلقاني من الكرامة بمالم أحاسبه وردني معه الى بجاية فشهدت الفتح وتسايلت وفود افرقية اليه فامارجع الى السلطان وفدت معهم فتالني من كرامته واحسانه مالم أحاسبها ذكنت شابالم يطر شاربي ثم انصرفت مع

وهو البيت المتداول عنه هم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرة وغيره فاذا أرادوا استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من روج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوراء المكتتب فيها بالبرج الطالع من أوله مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله الى آخره والاعداد المرسومة بينهما ويصرونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون آحادها الى العشرات وعشراتها الى المئين وبالعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوراء المكتتب بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من أوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالک بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضر بون عدد درج الطالع في أس البرج وأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الاس عند أهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يضر بونه في عدد آخر يسمونه الاس الاكبر والدور الاصل ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة يستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطر حون تلك الحروف باعداد معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعد الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتوافق على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالک بن وهيب المتقدم حسبما ذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة * وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقون على استخراج الغيب ما بها تلك الاعمال ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر لك أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وانما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيما او موافقا للسؤال ووقع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المجتمعة من السؤال والادوار والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح أخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على التوالي غير مستذكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على تناسب بين هذه الاشياء فيقع له معرفة الجداول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول على المجهول من المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من أهل الرياضة فانها تفسد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مر تعليل ذلك غير مرة ومن أجل هذا المعنى ينسبون هذه الزايرة في الغالب لأهل الرياضة فهي منسوبة للسبتي ولقد وقفت على أخرى منسوبة لسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاملة العجيبة والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه يدل عليه اننا وجدنا أعمالا أخرى لهم في مثل ذلك أسقطوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراهم عند الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونفوذها الى المطلوب فيشكرونها ويحسبونها من التخيلات والايهامات وأن صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اتساء حروف السؤال والادوار ويفعل تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يجيء بالبيت ويوهم أن العمل جاء على طريقة منسبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه التفسير عن فهم التناسب بين الموجودات والمعدومات والتفاوت

• الوفود ورجع ابن أبي
عمر والى بحجة فأقت عنده
حتى انصرم الشتاء وأخر
أربع وخمسين وعاد
السلطان أبو عنان الى فاس
وجمع أهل العلم للتحقيق
بمجلسه وجرى ذكرى
عنده وهو ينتقى طلبة العلم
للمذاكر في المجلس فأخبره
الذين لقيتهم بتونس عنى
ووصفونى له فكتب الى
الحاجب يستقدمنى فقدمت
عليه سنة خمس وخمسين
ونظمتى فى أهل مجلسه
العلمى وأزمنى شهود
الصلوات معه ثم استعماى فى
كتابته والتوقيع بين يديه
على كرهى اذ كنت لم
أعهد مثله لىلى وعكفت
على النظر والقراءة ولقاء
المشيخة من أهل المغرب
ومن أهل الاندلس
الوافدين فى عرض السفارة
وحصلت من الافادة منهم
على البغية وكان فى مجلسه
يومئذ الاستاذ أبو عبد الله
محمد بن الصغار من أهل
مراكش امام القسرات
لوقته أخذ عن مشيخة المغرب
وكبرهم شيخ المحدثين

بين المدارك والعقول ولكن من شأن كل مدرك انكار ما ليس فى طوقه ادراكه ويكفى بنا فى رد ذلك مشاهدة
العمل بهذه الصناعة والحس القطعي فانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا مريبة فيه عنده من يباشر ذلك ممن
له ذكاء وحس واذا كان كثير من المعاينة فى العدد الذى هو أوضح الواضحات يسر على الفهم ادراكه لبعده
النسبة فيه وخفائها فما ظنك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرايتها فاذكر مسئلة من المعاينة توضح لك بها شيئا مما
ذكرنا مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازا كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التى أخذت
واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم كلها طيور ايسر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجوابه ان تقول هى
تسعة لانك تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة منها وان عددا اثمان الواحد ثمانية فاذا جمعت
الثلث من الدراهم الى الثمن الآخر فكان كله ثمن طائر فهى ثمانية طيور عددا اثمان الواحد وتزيد على الثمانية
طائرا آخر وهو المشتري بالفلوس المأخوذة أولا وعلى سعره اشترت بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف
خرج لك الجواب المضمر بسر التناسب الذي بين اعداد المسئلة والوهم أول ما يلقي اليك هذه وأمثالها انما
يجهل من قيل الغيب الذي لا يمكن معرفته ومظهر أن التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها وهذا
انما هو فى الواقع الحاصلة فى الوجود أو العلم وأما الكائنات المستقبلية اذ لم تعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لها خبر
صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة فى الزايرة كلها انما هي فى استخراج
الجواب من الفاظ السؤال لانها كآليات استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر
وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما يطالع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تسر عليه استخراج ذلك
الجواب بتلك القوانين والجواب يدل فى مقام آخر من حيث موضوع الفاظها وتراكيبه على وقوع أحد طرفى
السؤال من نفي أو اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما فى الخارج ولا سبيل الى
معرفة ذلك من هذه الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

﴿ الفصل الثاني ﴾

فى العمران البدوى والامم الوحشية والقبائل وما يعرض فى ذلك من الاحوال وفيه اصول وتمهيدات

﴿ فصل فى ان احوال البدو والحضر طبيعية ﴾

اعلم ان اختلاف الاحياء فى احوالهم انما هو باختلاف تلحظهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو لتعاون على
تحصيله والابتداء بما هو ضرورى منه ونشيط قبل الحاجة والى الكفاية فمنهم من يستعمل الفلاح من الغراسة والزراعة
ومنهم من يتحلل القيام على الحيوان من الغنم والبق والمز والتحل والدود لتلحاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء
القائمون على الفلاح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع للملا يتسع له الحواضر من المزارع
والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو وأمراضهم بالهضم وكان حينئذ اجتماعهم
وتعاونهم فى حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفء انما هو بالمقدار الذى يحفظ الحياة ويحصل
بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتحللين للمعاش وحصل لهم
ما فوق الحاجة من الثنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا فى الزائد على الضرورة واستكثر من
الاقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر ثم تزايد احوال الرفه والدعة
فتجسس عوائد الترف بالانفة مبالغتها فى التأنق فى علاج القوت واستعداد المطابخ واتقاء الملابس الفاخرة فى
أنواعها من الحرير والديباغ وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها فى تجيدها والانهاء فى
الصنائع فى الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون فى صرحها
ويبالعون فى تجيدها ويختلفون فى استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ما عون وهؤلاء هم

الحضر ومعناه الحاضرون أهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتحل في معاشه الصنائع ومنهم من يتحل
التجارة وتكون مكاسبهم أنى وأرفه من أهل البدولان أحوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم
فقدتين أن أجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منهما كما قلنا

﴿فصل في أن جيل العرب في الخلقة طيبى﴾

٢

قد قدمنا في الفصل قبله أن أهل البدو هم المتحلون للمعاش الطيبى من الفلاح والقيام على الانعام وأنهم مقتصرون
على الضرورى من الاقوات والملابس والمسكن وسائر الاحوال والعوائد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجي
أو كلى يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة إنما هو قصد الاستغلال
والكن لا موارءه وقد يأوون الى الغيران والكمهوف وأما أقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج أو بغير علاج البتة الا
ماسته التارفين كان معاشهم منهم في الزراعة والقيام بالفلاح كان المقام به أولى من الظعن وهو لا يسكن المدائر والقري
والحياض وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه فى السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الغلب لا يتاد المسارح
والمياه لحياضهم فالقلب في الارض أصح بهم ويسمون شاوية ومعناه القائمون على الشاء والبقر ولا يبعدون في
القفر لفقدان المسارح الطيبة وهو لا يمثل البربر والترك واخوانهم من التركان والعقالبه وأما من كان معاشهم
في الابل فهم أكثر ظعنوا بعد في القفر بمجال الان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغنى بها الابل في قوام حياتها
عن مراعى الشجر بالقفر وورود مياهه الملحقة والقلب فصل الشتاء في نواحيه فرار من أذى البرد الى دفء هواه
وطلب المسخض انتاج في رماله اذا لابل أصعب الحيوان فصلا ومخاضا وأحواله في ذلك الى الدفاء فاضطروا الى
ابعاد النجعة وربما ذابتهم الحامية عن التلول أيضا وغلوا في القفار نفرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك أشد الناس
توحشا وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المنقذور عليه والمفترس من الحيوان المعجم وهؤلاء هم
العرب وفي معانهم طعون البربر وزانة بالمغرب والاكراذ والتركبان والترك بالمشرق الا أن العرب أبعد نجمة وأشد
بداوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معهما فقدتين لك أن جيل
العرب طيبى لا بد منه في العمران والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل

٣

ال عمران والامصار مدد لها﴾

قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضرورى في أحوالهم العاجزون عما فوقه وأن الحضر المعتنون بحاجات
الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضرورى أقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه لان
الضرورى أصل والكمالى فرع ناشئ عنه فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لان أول مطالب الانسان
الضرورى ولا ينتهي الى الكمال والترف الا اذا كان الضرورى حاصلًا فخشونة البدوة قبل رقة الحضارة ولهذا
نجد المدن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذى يحصل له به أحوال
الترف وعوائده عاج الى الدعوة أو ممكن نفسه الى قياد المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم والحضرى لا يتشوف
الى أحوال البادية الا للضرورة تدعوه اليها ولتقصير عن أحوال أهل مدينته ومما يشهد لثان البدو أصل للحضر
ومقدم عليه أن اذ افتشنا أهل مصر من الامصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البد والذين بناحية ذلك المصر
وفي قراء وأنهم أبسروا فسدوا المصر وعدلوا الى الدعوة والترف الذى في الحضر وذلك يدل على أن أحوال
الحضارة ناشئة عن أحوال البدوة وأنها أصل لها فقفهم ثم إن كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال
من جنسه فرب حى أعظم من حى وقبيلة أعظم من قبيلة ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمرانًا من مدينة فقد
تين أن وجود البد ومقدم على وجود المدن والامصار وأصل لها بل أن وجود المدن والامصار من عوائد

الرحالة أبو عبدالله محمد بن
رشيد الفهرى سيد أهل
المغرب وكان يعارض
السلطان القرآن برواياته
السبع الى أن توفي (ومنهم)
قاضي الجماعة بفاس أبو عبد
الله محمد المغربي صاحبنا من
أهل تلمسان أخذ العلم بها
عن أبى عبد الله محمد السلوى
ورد عليهما من المغرب خلوا
من المعارف ثم دعتهم
الى التحلى بالعلم فكف في
يتبه على مدارسة القرآن
حفظه وقرأه بالسبع ثم
عكف على كتاب التسميل
في العربية حفظه ثم على
مختصر ابن الحاجب في الفقه
والاصول فحفظه ما ثم لزم
الفقيه عمران المشدالى من
تلميذ أبى على ناصر الدين
وتفقه عليه وبرز في العلوم
الى حيث لم تلحق غايته وبى
السلطان أبو تاشفين مدرسة
بتلمسان فقدمه للتدريس
بها يضاى به أولاد الامام
وتفقه عليه بتلمسان جماعة
كان من أوفرهم سهما في
العلوم أبو عبد الله المغربي
هذا ولما جاء شيخنا أبو
عبد الله الايلى الى تلمسان

الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية والله أعلم

٤ فصل في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر

وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متبهة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وبقدرا من سبق اليها من أحد الخلقين تبعه عن الآخر ويصعب عليها كتسابه فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصل لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر إذا سبقت إليه أوضاعه وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فتن الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شوائبهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذهب الحشمة في أحوالهم فتجد الكثير منهم يقدعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصدهم عنه وأزع الحشمة لما أخذتهم به عوائد السوء في الظاهر بالفواحش قولوا وعملوا وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري لافي الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات وداعيتها فعوادهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضر أقل بكثير فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد توضح فيما بعد أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير فقد بين أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الحجاج سلمة بن الأكوع وقد بلغه أنه خرج إلى سكيك البادية فقال له أرتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو فأعياها أن الهجرة افترضت أول الإسلام على أهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على أمره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الأعراب أهل البادية لأن أهل مكة يسمهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الأعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكيك البادية حيث لا يجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لا تحبني هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ومعناه أن يوقعهم بالملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدأها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي إلى وجهه من الوجوه وقيل إن ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة لقلة المسلمين وأما بعد الفتح وحين كثرت المسلمون واعتزوا وتكفل الله لثيابه بالعصمة من الناس فإن الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقطت أنشأوها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقطت وجوبها عن أسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على أنها بعد الوفاة ساقطة لأن الصحابة افترقوا من يومئذ في الآفاق وانتشروا ولم يبق الأفضل السكيك بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج سلمة حين سكن البادية أرتددت على عقبيك تعربت نعمي عليه في ترك السكيك بالمدينة بالاشارة إلى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله ولا تردهم على أعقابهم وقوله تعربت أشارة إلى أنه صار من الأعراب الذين لا يهاجرون وأجاب سلمة بانكار ما ألزمه من الأمرين وأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمه وعناق أبي بردة أو يكمل الحجاج أنما نهي عليه ترك السكيك بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة وأجاب سلمة بأن اغتنامه لأن النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فآثره به واختصه الألفي علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلا على مسبمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لأن مشروعية الهجرة إنما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحرسته لا لمهمة البدو فليس في النهي على ترك هذا

عند استيلاء السلطان أبي الحسن عليها وكان أبو عبد الله السلولي قد قتل يوم فتح تلمسان قتله بعض أشياع السلطان لذنب أسلفه في خدمة أخيه أبي علي بسجاسة قبل اتحاله العلم كان السلطان توعده عليه فقتل بباب المدرسة فلزم أبو عبد الله المغربي بمسجد مجلس شيخنا الأيبي ومجالس بني الامام واستبحر في العلم ولما انتقض السلطان أبو عنان سنة تسع وأربعين وخلع أباه ندبه إلى كتب البيعة فكتبها وقرأها على الناس في يوم مشهود وأرجل مع السلطان إلى فاس فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمر أبا عبد الله بن عبد الرزاق وولاه مكانه فلم يزل قاضيها إلى أن أسخطه لبعض الزغات الملوكة فمزله وأداله منه بالفقيه أبي عبد الله الفشتالي آخر سنة ست وخمسين ثم بعثه في سفارة إلى الأندلس فامتنع من الرجوع وقام السلطان لها في ركابه ونقم على صاحب الأندلس تمسكه وبعث إليه فيه

الواجب بالعرف دليل على مذمة التعرب والله سبحانه أعلم وبه التوفيق

﴿فصل في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضرة﴾

والسبب في ذلك أن أهل الحضرة ألقوا أجوبهم على مهال الراحة والدعة وانغمسوا في التعمير والترف ووكلا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستنماوا إلى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم فلا تهيجهم هبة ولا ينفرهم صيد فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الاجيال وتزولوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبي مثواهم حتى صار ذلك خلقا يتزل منزلة الطبيعة وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباههم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتفتنون عن كل جانب في الطرق وتجاؤون عن الهجوع الاغرا في المجالس وعلى الحال وفوق الأقباب ويتوجسون للتبائت والهيئات ويتفردون في الفقر واليذاء مدلين بأسهم واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاها داع أو استنفرهم صارخ أو أهل الحضرة هم ما خالطوهم في البادية أو صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئا من أمر أنفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواسخ والجهات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرعناه وأصله أن الانسان ابن عوائد وما لوفه لابن طبيعة ومنزاجه فالذي ألفه في الاحوال حتى صار خلقا وما لك وعادة تنزل منزلة الطبيعة والحيلة واعتبر ذلك في الآدميين تجرده كثير اصحى حيا والله يخلق ما يشاء

﴿فصل في أن معاندا أهل الحضرة للحكام فسدته لأس فيهم ذاهبة بالمنة منهم﴾

وذلك أنه ليس كل أحد ملاك أمر نفسه اذ الرؤساء والامراء المالكون لآمر الناس قليل بالنسبة إلى غيرهم فمن الغالب أن يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت المكثرة رقيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا منع وصدا كان من تحت يدها مدلين بما في أنفسهم من شجاعة أو جبن واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم الادلال حيلة لا يعرفون سواها وما اذا كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة والاخافة فكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنعة عنهم ما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كمنينهم وقدهم عمر سعد ارضى الله عنهم ما عن مثلها لما أخذ زهرة بن جوية ساب الجاثوس وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفا من الذهب وكان اتبع الجاثوس يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فانتزع منه سبعة وقال له هلا انتظرت في اتباعه اذنى وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بمسالى به وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وأمضى له عمر سلبه وأما اذا كانت الاحكام بالعقاب فذهبه للبأس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم يدفع عن نفسه يكسبه المسئلة التي تكسر من سورة بأسه بلا شك وأما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية وأخذت من عهد الصبا أثرت في ذلك بعض الشيء لم ياه على الخفاقة والانتقاد فلا يكون مدلا بأسه ولهذا تجد المتوحشين من العرب أهل البدو أشد بأسا ممن تأخذهم الاحكام ونجد أيضا الذين يعانون الاحكام وملكتهما من لدن مرابهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المنتحين للقراءة والاختذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم والتأديب في مجالس الوقار والهيبة فيهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والبأس ولا تستكر ذلك بما وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا أشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمين عنه دينهم كان وازعهم فيه من أنفسهم لما تاتي عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن تعليم صناعهم ولا تأديب تعليمي انما هي أحكام الدين وآدابه المتلقاة نقلا يأخذون أنفسهم بها بمسارسخ فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة

يستقدمه فلا ذابن الا حو
بالشفاعة فيه واقضى له
كتاب أمان بخط السلطان
أبي عنان وأوفده في جماعة
من شيوخ العلم بفرناطة
القاطنين بهم منهم شيخنا أبو
القاسم الشريف السبتي
شيخ الدنيا بجلالة وعلمه
وقارا ورئاسة وامام
اللسان فصاحة وبيانا وقدما
في نظمه ونثره وترسلاته
وشيخنا الآخر أبو البركات
محمد بن محمد بن الحاج البلقيني
من أهل المرسية شيخ
المحدثين والفقهاء والادباء
والصوفية والخطباء
بالاندلس وسيد أهل العلم
باطلاق المتفنن في أساليب
المعارف وآداب الصحابة
للملوك في دولهم فوفدوا
به على السلطان شفيعين على
عظيم تشوفه للقائهما فقبلت
الشفاعة وانجحت الوسيلة
حضرت بمجلس السلطان
يوم وفادتهما سبعة
وخمسين وكان يوما مشهودا
واستقر القاضي المغربي في
مكانه بباب السلطان عطلا
من الولاية والجرية وجرت
عليه بعد ذلك محنة من

هم مستحكمة كما كانت ولم يخذلها أظفار التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لأدبه الله
ساعلى أن يكون الوازع لكل أحد من نفسه وبقينا بأن الشارع أعلم بمصالح العباد ولما تناقص الدين في الناس
لذا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق
يادى الى الاحكام فنقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين أن الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لأن
زع فيها اجنبى وأما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية
تؤثر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضعة الشوكة منهم بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن
لذة المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن ابي زيد في كتابه في احكام المعلمين
تعامين انه لا ينبغي للمؤدب أن يضرب أحدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة أسواط نفسه عن شرح القاضي
حتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شأن اللفظ وأنه كان ثلاث مررات وهو ضعيف ولا يصح شأن
خط أن يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا لقبائل أهل العصبية

٧

اعلم أن الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال فألهما فخرها
وتقواها والشر أقرب الحلال اليه اذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذب الاقداء بالدين وعلى ذلك الجمل الغفير الامن
وفقه الله ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع أخيه امتدت يده الي
أخذه لأن يصدده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجدد * ذاعفة فلعلها لا يظلم

فأما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بمساقبضوا على أيدي من تحتهم من الكفاة أن
يمتد بعضهم على بعض أو يبعد وعليه فهم مكبحون (١) بحكمة القهر والسلطان عن التظام الا اذا كان من
الحاكم نفسه وأما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة أو الغرة ليلسا أو العجز عن
المقاومة نهارا أو يدفعه زياد الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد أو المقاومة وأما احياء البدو فيزع بعضهم عن
بعض مشايخهم وكبرأؤهم بما وقر في نفوس الكفاة لهم من الوقار والتجلة وأما حللهم فأنما يذود عنها من خارج
حامية الحلى من التجاردهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية وأهل
نسب واحد لانهم بذلك تشدشوكتهم ويخشى جانبهم اذ نكرة كل احد على نسبة وعصبية أهم وما جعل الله في
قلوب عباده من الشفقة (٢) والنعرة على ذوى أرحامهم وقربائهم موجودة في طبائع البشرية وبها يكون
التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن أخوة يوسف عليه السلام حين قالوا
لا يبهلن أكله الذئب ونحن عصبة انا ذا الخاسرون والمعنى أنه لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبية له وأما
المفردون في أنسابهم فقل أن تصيب أحدا منهم نكرة على صاحبه فاذا أظلم الجو بالشر يوم الحرب تسال كل واحد
منهم يبغي النجاة لنفسه خيفة واستيحاشا من التحاذل فلا يدرون من أجل ذلك على سكنى القفر لما أنهم حينئذ
طعمة لمن يلبسهم من الامم سواهم واذاتين ذلك في السكنى التي تحتاج للمدافعة والحماية فيمتلئ يدين لك في كل أمر
يحمل الناس عليه من نبوة أو اقامة ملك أو دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبائع
البشر من الاستمضاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه آنفا فخذها ماما تقتدي به فيما نورده عليك بعد والله
الموفق للصواب

(١) قوله بحكمة بفتح الحاء والكاف

(٢) النكرة والتعار بالضم فيهما والنمير الصراخ والصباح في حرب أو شر كفي القاموس

السلطان وقعت بينه وبين
أقاربه امتنع من الحضور
معهم عند القاضي الفشتالى
فتقدم السلطان الى بعض
أكابر الوزعة يبايه أن يسحب
الى مجلس القضاى حتى
ينفذ به حكمه فكان الناس
يعدونها محنة ثم ولاد السلطان
بعد ذلك قضاء العساكر
في دولته عند ما ارتحل الى
قسنطينة فلما افتتحها وعاد
الى دار ملكه بفاس آخر
ثمان وخمسين اعتل
القاضى المغربى في طريقه
وهلك عند قدميه بفاس
ومهم صاحبنا الامام
العالم القدوة فارس المعقول
والمتقول وصاحب النزوع
والاصون أبو عبد الله محمد
ابن أحمد الشريف الحسنى
ويعرف بالعلوى نسبة الى قرية
من أعمال تامسان تسمى
العلوين فكان أهل بلده
لا يدافعون في نسبهم وربما
تغمس فيه بعض الفجرة ممن
لا يروعه دينه ولا معرفته
بالانساب ببعض من اللغو
لا يلتفت اليه نشأ هذا الرجل
بتلمسان وأخذ العلم عن
مشيختها واحتص بأولاد

فصل في أن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه

وذلك أن صلة الرحم طبعية في البشر الأفي الأقل ومن صلتها النعمة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والممالك نزع طبعية في البشر مذ كانوا فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها وإذا بعد النسب بعض الشيء قريبا تنوسي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على التصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه فرار من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه من هذا الباب الولاء والخلف اذ نزع كل أحد على أهل ولأئمه وحافه للالفة التي تلتحق النفس من اهتمام جاراتها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجود النسب وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تنصلون به أرحامكم بمعنى أن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه إذا النسب أمر وهمي لا حقيقة له ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام فإذا كان ظاهرا واضحا حل النفوس على طبيعتها من النعمة كإقلامه وإذا كان إنما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل به جانا ومن أعمال اللهو المنهي عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح وصار من قيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفت النعمة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ والله سبحانه وتعالى أعلم

٩ فصل في أن الصريح من النسب إنما يوجب جدل متوحشين في الفقر من العرب ومن في معانهم

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء الموطن حماهم عايبا للضرورة التي عيبت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الأبل وتاجها ورعايتها والأبل تدعوهم إلى التوحش في الفقر لرعايتها من شجره وتاجها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم الفأ و عادة ورث فيه أجيالهم حتى تكثرت خفايا وجيلة فلا ينزع إليهم أحد من الأمل أن يساهمهم في حالهم ولا يأنس بهم أحد من الأجيال بل لو وجد واحد منهم السبيل إلى الفرار من حاله وأمكنه ذلك لم تركه فيؤم عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوفة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكثانة وثقيف وبنو أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعدان الأدم والحبوب كيف كانت أنسابهم صريحة محفوفة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب * وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معدان الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لحم وجدام وغسان وطبي وقضاة وإباد فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم في كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف وإنما جاءهم ذلك من قبل المعجم ومخالطتهم وهم لا يمتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وإنما هذا العرب فقط * قال عمر رضي الله عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدكم عن أصله قال من قرية كذا هذا إلى الملقى هؤلاء العرب أهل الأرياف من الأزد حام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصبة فكثرت الاختلاط وتداخلت الأنساب وقد كان وقع في صدر الإسلام الاتهام إلى المواطن فيقال جند قنسر بن جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك إلى الأندلس ولم يكن لأطراح العرب أمر النسب وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عن أشرافهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع المعجم وغيرهم وفسدت الأنساب بالجملة وفسدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل وذرث نذرث العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الأرض ومن عليها

الامام وتفقه عليهما في الفقه والأصول والكلام ثم لزم شيخنا بأبعد الله الأيلى وتصلع من معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه ثم ارتحل إلى تونس في بعض مذاهب سنة أربعين ولقي شيخنا القاضي أباعد الله بن عبد السلام وحضر مجلسه وأفادته واستعظم رتبته في العلم وكان ابن عبد السلام يصني اليه ويؤثر بحله ويعرف حقه حتى لقد زعموا أنه كان يخلو به في بيته فقرا عليه فصل التصوف من كتاب الإشارات لابن سينا لما كان هو أحكم ذلك الكتاب على شيخنا الأيلى وقرأ عليه كثيرا من كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلاخيص كتب أرسطو (٢) ومن الحساب والهندسة والفرائض علاوة على ما كان يحمله من الفقه والعربية وسائر علوم الشريعة وكانت له في كتب الخلافات يد طولى وقدم عالية فعرفه ابن عبد السلام ذلك كله وأوجب حقه وانقلب إلى تلمسان (٢) بساض بالاصل

﴿فصل في اختلاط الانساب كيف يقع﴾

١٠

واعلم) أنه من الذين أن بعضا من أهل الانساب يسقط الى أهل نسب آخر بقراءة اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعدمهم في غيراته من التمرة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد لانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم انه قد يتناسي النسب الاول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم بأخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم * وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك ومنه شأن بجيلة في عر فجة بن هرثة لما ولده عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا لزيق أي دخيل ولصيق وطلبوا أن يولى عليهم جريرا فسأله عمر عن ذلك فقال عر فجة صدقوا يا أمير المؤمنين أنا رجل من الازد أصبت دما في قومي ولحقتم بهم وانظر منه كيف اختلط عر فجة بجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتوسى بالجلمة وعدمهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهد ود الله الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

﴿فصل في أن الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصية﴾

(١١)

(اعلم) أن كل حي أو بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففهم أيضا عصبية أخرى لانساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو أخوة بنى أب واحد لا مثل بنى العم الاقربين أو الابعدين فهو لاء أقدم بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام والتمررة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام الا أنها في النسب الخاص أشد تقرب المحمة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت الرياسة انما تكون بالغالب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين أن الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص أهل الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الاخرى النازلة عن عصبائهم في الغلب لما تمت لهم الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم الى فرع ولا تنتقل الا الى الاقوى من فروعه لقلنا من سر الغلب لان الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج المتكون والمزاج في المتكون لا يصاح اذا تكافأت العناصر فلا بد من غلبة أحدها والى يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه تعين استمرار الرياسة في النصاب المخصوص بها كإقرارنا

﴿فصل في أن الرياسة على أهل العصية لا تكون في غير نسبهم﴾

١٢

وذلك أن الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرياسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل عصبية منهم اذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجلمة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو ملصق لزيق وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة واذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط وتوسى عهده الاول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام أو لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبية فالولاية التي كانت لهذا المصطفى قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنه ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ فكيف تنوقلت عنه وهو على حال الالتصاق والرياسة لا بد وأن

(١١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفاسية وموجود في النسخة التونسية واثباته أولى لي مطابق كلامه أول

الفصل ١٢ اه

تكون موروثة عن مستحقها ما قلناه من التغلب بالعصية وقد يشوف كثير من الرؤساء علم القبائل والعصائب الى
 أنساب يلجئون بها ما لم يخصو صبة فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق فيزعمون
 الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه أنفسهم من القدر في رياستهم والظن
 في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما يدعيه زناة جملة أنهم من العرب ومنه ادعاء أولاد رباب
 المعروفين بالحجازيين من بني عامر أحد شعوب زغبة أنهم من بني سليم ثم من الشريد منهم لحق جد هم بني عامر
 بنجار يصنع الحرجان (١) واحتبط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي * ومن ذلك ادعاء
 بني عبد القوي بن العباس بن توحين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلط باسم
 العباس بن عطية أبي عبد القوي ولم يعلم دخول أحد من العباسيين الى المغرب لأنه كان منذ أول دولتهم على دعوة
 العلويين أعدائهم من الادارة والعبيدين فكيف يسقط العباس الى أحد من شيعة العلويين وكذلك ما يدعيه
 أبناء زيان ملوك تلمسان من بني عبد الواحد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم أنهم من ولد
 القاسم فيقولون بلسانهم الزناقي أنت القاسم أي بنو القاسم ثم يدعون أن القاسم هذا هو القاسم بن ادريس أو القاسم
 ابن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فإية القاسم هذا أنه فر من مكان سلطانه مستجير بهم فكيف تم له الرياسة
 عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فإنه كثير الوجود في الادارة فتوهموا أن قاسمهم من ذلك
 النسب وهم غير محتاجين لذلك فان مناهلهم للملك والعزة انما كان بعصيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء
 من الانساب وانما يحمل على هذا المتقرر بون الى الملوك بمنازعتهم ومذاهبهم ويشهر حتى يبعد عن الرد * ولقد
 بلغني عن يغم أسن بن زيان مؤيد سلطانه أنه لما قيل له ذلك أنكرو وقال بلغته الزانية ما معناه ما الدنيا والملك
 قلناه يسوقنا لهذا النسب وأمانفعه في الآخرة فردودا الى الله وأعرض عن التقرب اليه بذلك * ومن هذا
 الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بني زيد من زغبة منهم من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبنو سلامة شيوخ بني
 يدلان من توحين أنهم من سليم والزواودة شيوخ رياح أنهم من أعقاب البرامكة وكذا بنو مهني أمراء طي بالشرق
 يدعون فيما بلغنا أنهم من أعقابهم وأمثال ذلك كثير ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل
 تعين أن يكونوا من صريح ذلك النسب وأقوى عصبياته فاعتبره واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب
 الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة في حرمة قومه وانما رأس عليهم
 بعد اشتهاره بالعلم والدين ودخول قبائل المصادة في دعوته وكان مع ذلك من أهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم
 الغيب والشهادة

١٣ (فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبة ويكون لغيرهم بالحجاز والشبه)

وذلك أن الشرف والحساب انما هو بالخلال ومعنى البيت أن يعد الرجل في آباءه أشرا فامد كورين يكون له
 بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجلة في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في
 نشأتهم وتاسلمهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فمضي
 الحسب راجع الى الانساب وقد بينا أن ثمره الانساب وفائدتها انما هي العصبة للتعرة والتناصر فثبت تكون العصبة
 مرهوبة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعديدا لاشراف من الآباء زائد
 في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصيلا في أهل العصبة لوجود ثمره النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف
 بتفاوت العصبة لانه سرها ولا يكون للمنفرد من أهل الامصاريات بالايجاز وان توهموه في خرف من الدعوى
 واذا اعتبرت الحسب في أهل الامصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة أهله مع

(١) قوله الحرجان بكسر الحاء جمع حرج بفتح حين نعيش الموقى ١

مزين واستدعي الشريف
 من فاس فسر حه القاسم
 بالامريو مثذون ر عمر بن
 عبد الله فانطلق الى تلمسان
 وأطلقه أبو حو برأحيته
 وأصهر له في ابنته فزوجها
 اياه وبني له مدرسة جعل في
 بعض جوانبها مدفن أبيه
 وعمه وأقام الشريف يدرس
 العلم الى أن هلك سنة إحدى
 وسبعين وأخبرني رحمه الله
 أن مولده سنة عشر (ومنهم
 صاحبنا) الكاتب القاضي
 أبو القاسم محمد بن يحيى
 البرجي من برجة الاندلس
 كان كاتب السلطان أبي عنان
 وصاحب الانشاء والسرفي
 دولته وكان محتصاه وأثبرا
 لديه وأصله من برجة
 الاندلس نشأ بها واجتهد في
 العلم والتحصيل وقرأ وسمع
 وتقفه على مشيخة الاندلس
 واستبحر في الادب وبرز
 في النظم والنثر وكان لا يجاري
 في كرم الطباع وحسن
 المعاشرة ولين الجانب وبذل
 البشر والمعروف وارتحل
 الى بجاية في عشر الاربعين
 وسبع مائة وبها الامير أبو
 زكريا ابن السلطان أبي

يحيى منفردا بملكها على حين
أقصر من رسم الكتابة
والبلاغة فبادرت أهل
الدولة إلى اصطفاؤه وإثارة
بخطه الانشاء والكتاب عن
السلطان إلى أن هلك الأمير
أبوزكر يا ونصب ابنه محمد
مكانه فكتب عنه على رسمه
ثم هلك السلطان أبويحيى
وزحف السلطان أبو الحسن
إلى إفريقية واستولى على
بجاية ونقل الأمير محمدا
بأهله وحاشيته إلى تلمسان
كما تقدم في أخاره فنزل أبو
القاسم البرجي تلمسان
وأقام بها واتصل خبره بأبي
عنان بن السلطان أبي
الحسن وهو يومئذ أميرها
ولقيه فوق من قلبه بمكان
إلى أن كانت واقعة القيروان
وخلع أبو عنان واستبد
بالأمر فاستكتبه وحمله إلى
المغرب ولم يسم به إلى العلامة
لأنه آثر به محمد بن أبي عمر
بما كان أبوه يعلمه القرآن
وربي محمد بداره فولاه
العلامة والبرجي مرادف
له في رياسته إلى أن اقرضوا
جميعا وهلك السلطان أبو
عنان واستولى أخوه أبو

الركون إلى العافية ما استطاع وهذا ما يرسلر العصية التي هي ثمرة النسب وتعيد الآباء لكنه يطلق عليه حسب
ويت المجاز لمصداقة ما فيه من تعديدا لآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكة وليس حسبا بالحقيقة
وعلى الإطلاق وإن ثبت أنه حقيقة فيهما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد
يكون للبيت شرف أول بالعصية والخلال ثم ينسلخون منه لذهابها بالخطارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في
نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشرف النبوتات أهل العصائب وليسوا منها في شيء لذهاب
العصية جملة وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأول عهدهم موسوسون بذلك وأكثر
مارسخ الوسواس في ذلك لبي أسرائيل فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالثبت أو لا لما تعدد في سلفهم من
الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعهم ثم بالعصية ثانيا وما آتاهم الله بها
من الملك الذي وعدهم به ثم أنسلخوا من ذلك أجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الأرض
وانقردوا بالاستعباد للكفر الآف من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحباهم فتجدهم يقولون هذا هاروني هذا
من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبطيهو ذامع ذهاب العصية ورسوخ الذل فيهم منذ أقحاب متطاوله
وكثير من أهل الأمصار وغيرهم المنتقلين في أنسابهم عن العصية يذهب إلى هذا الهذيان وقد غلط أبو الوليد بن
رشد في هذا المأذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب العلم الأول والحسب هو أن يكون من قوم قديم
نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة إن لم تكن له عصاية يربها
جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه فكانه أطلق الحسب على تعديدا لآباء فقط مع أن الخطابة إنما هي استمالة
من تؤثر استمالته وهم أهل الحل والعقد وأمان لا قدرة له البتة فلا يلتفت إليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا
يستمال هو وأهل الأمصار من الحضرة بهذه المثابة إلا أن ابن رشد يري في جيل وبلد لم يمارسوا العصية ولا أنسوا
أحوالها فبقى في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعديدا لآباء على الإطلاق ولم يرجع فيه حقيقة
العصية وسرها في الخليفة والله بكل شيء عليم

١٤ ﴿فصل في أن البيت والشرف للموالى وأهل الاصطناع إنما هو بهو إليهم لا بانسابهم﴾

وذلك أنا قدمنا أن الشرف بالاصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصية فإذا اصطنع أهل العصية قوما من غير نسبهم
أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا به كإفناءه ضرب معهم أولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم في تلك العصية
ولبسوا جلدها كأنها عصبته وحصل لهم من النظام في العصية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى
القوم منهم وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصية اذهبي مبينة
لذلك النسب وعصية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الآخر وفقدانه أهل عصيتها
فيصير من هؤلاء ويخرج فيهم فاذا تمددت له الآباء في هذه العصية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائهم
واصطناعهم لا يتجاوز إلى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل حال وهذا شأن الموالى في الدول والخدمة كلهم
فإنهم إنما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعديدا لآباء في ولائها لا ترى إلى موالى الأتراك في دولة
بنى العباس والى بنى برمك من قبلهم وبنى نوبخت كيف أدركوا البيت والشرف وبنوا الحمد والاصالة بالرسوخ
في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه
لا بالانتساب في الفرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها إنما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة
في اصطناعها ويضمحل نسبة الأقدم من غير نسبها ويبقى ملقى لا عبرة به في أصالته ومجده وإنما المقتر نسبة ولادته
واصطناعه اذ فيه سر العصية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتق من شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم ينفعه
نسب ولادته وإنما بنى مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسب الأول في لحمة

عصيته ودولته فاذا ذهب وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصيتها واتفق بالثانية لوجودها وهذا حال بني ريمك اذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدة نيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وماسوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجاحمة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان أكرمكم عند الله اتقاكم والله ورسوله أعلم ١٥ (فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء)

(اعلم) أن العالم العنصرى بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من أحواله فالمكونات من المعدن واليابات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنة فاسدة بالمعانية وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع وأمثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من أهل الخليفة شرف متصل في آباءه من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرفيه وأول كل شرف خارجية (١) كاقيل وهي الخروج الى الرياسة والشرف عن الضعة والابتدال وعدم الحسب ومعاذ أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في أربعة آباء وذلك أن باني المجد عالم بما عاناه في بناءه ومحافظ على الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لايه قد سمع منه ذلك وأخذ عنه الا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعين له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة وأضاع الخلال لحافضة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن ذلك البنيات لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد ادانتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم أنه النسب فقط فيزأ بنفسه عن أهل عصيته ويرى الفضل له عليهم وثوقا بما رى فيه من استتباعهم وجه الاما أو جب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بجماع قلوبهم فيحقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواه من أهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للادعاء لعصيتهم كما قلناه بعد التوثوق بما يرضونه من خلاه فتتم فروع هذا وتذوي فروع الاول وينهم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء وأهل العvisية أجمع ثم في بيوت أهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واشترط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فتديد تراليت من دون الاربعة وتلاشي وينهم وقد يتصل أمرها الى الخامس والسادس الا أنه في المخطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاحيال الاربعة بان ومباشر له ومقلد وهادم وهو أقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اشارة الى أنه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه أنا الله ربك طائق غيور مطالب بذنوب الآباء للبنين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على أن الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب ومن كتاب الاغانى في أخبار عزيف الغواني أن كسري قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال بأى شئ قال من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكامل الاربعة فاليث من قبيلته وطب ذلك فلم يجد الا في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذي الحدين بيت شيبان وآل الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنقري من بني تميم فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم وأقعد لهم الحكم والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرايته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونزوا فبال كسرى كلهم سيد يصلح

سالم على ملك المغرب وغلبه ابن مرزوق على هواكا قدمناه فقتل البرجي من الكتابة واستعمله في قضاء العساكر فلم يزل على القضاء الى أن هلك سنة (١) وثمانين وأخبرني رحمه الله أن مولده سنة عشر (ومنهم شيخنا المعمر الرحالة) أبو عبد الله محمد ابن عبد الرزاق شيخ وقته جلالة وتريه وعلما وخبرة بأهل بلده وعظمة فيهم نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها وارتحل الى تونس فاقى القاضي أبا اسحق بن عبد الرقيق والقاضي أبا عبد الله التفرأوى وأهل طبقةهما وأخذ عنهم وتفقه عليهم ورجع الى المغرب ولازم سنن الاكابر والمشايخ الى أن ولاد السلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس فأقام على ذلك الى ان جاء السلطان أبو ضمان من تلمسان بعد واقعة القيروان وخلصه فغزله بالفقيه أبي عبد الله المغربي وأقام عطلا في بيته ولما جمع السلطان مشيخة العلم (١) يياض بالاصل

(١) قوله خارجية أى حالة خارجية كذاها مش اه

لموضعه وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني الزيدان من بني الحرث بن كعب
بيت النبي وهذا كله يدل على أن الأربعة آباء نهاية في الحسب والله أعلم

١٦

﴿فصل في أن الامم الوحشية أقدر على التغلب من سواها﴾

﴿اعلم﴾ انه لما كانت البداءة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لا جرم كان هذا الحيل الوحشي أشد
شجاعة من الحيل الآخر فهم أقدر على التغلب وانزاع ما في أيدي سواهم من الامم بل الحيل الواحد تختلف
أحواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الأرياف وتفككوا النعيم والفواغوا اند الحشب في المعاش والنعيم
نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدائهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الطباء والبقر
الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الآدميين وأخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانهاض والشدّة
حتى في مشيتها وحسن أديمها وكذلك الآدمي المتوحش اذا أنس وألف وسيبه أن تكون السجاياء والطبايع انما
هي عن المألوفات والعوائد اذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاحياء أعرق في
البداءة وأكثر توحشا كان أقرب الى التغلب على سواه اذا تقارب في العدد وتكافأ في القوة والعصية وانظر في
ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين أرياف العراق ونيمة
لمسابق مضر في بدائهم وتقديمهم الآخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف أرفقت البداءة حدهم في
التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانزعوه منهم وهذا حال بني طي وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من
بمدهم لما تأخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يتلبسوا بشئ من دنياهم كيف أمسكت حال
البداءة عليهم قوة عصيتهم ولم تخلفها مذهب الترف حتى صاروا أغلب على الامم منهم وكذا كل حي من العرب
يلي نعيما وعيشا خصباً دون الحي الآخر فان الحي المتبدى يكون أغلب له وأقدر عليه اذا تكافأ في القوة والعدد
سنة الله في خلقه

١٧

﴿فصل في أن الغاية التي تجر اليها العصبية هي الملك﴾

وذلك لاننا قدمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه وقد مرنا أن الآدميين
بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع كما يزع بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون متغلبا عليهم
بتلك العصبية والامم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرياسة لان الرياسة انما هي
سوددو صاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية اذا
بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فاذا بلغ رتبة السوددو والاتباع ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب
لنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم ان القبيل
الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبها
وتلتحم جميع العصيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبري والواقع الافتراق المفضي الى الاختلاف والتنازع
ولو لدفع الله الناس بعضهم بعضا لفسدت الارض ثم اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طابت بطبعتها
التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فان كافتأها وأمانتها كانوا أقتلاوا نظارا ولكل واحدة منهمما التغلب
على حوزتها وقومها شأن القبائل والامم المفترقة في العالم وان غلبتها واستتبعتها التحمت بها ايضا وزادت قوتها في
التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الاولى وأبعد وهكذا اذا ثمتا حتى تكافى بقوتها
قوة الدولة فان أدركت الدولة في هزمها ولم يكن لها مانع من أولياء الدولة أهل العصيات استوات عليها وانزعزت
الامر من يدها وصار الملك أجمع لها وانتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هزم الدولة وانما يقارن حاجتها الى
الاستظهار بأهل العصيات انتظمها الدولة في أوليائها تستظهر بها على ما عين من مقاصدها وذلك ملك آخر دون

للتحليق بمجلسه والافادة
منهم واستدعي شيخنا أبا
عبدالله بن عبدالرزاق فكان
يأخذ عنه الحديث ويقرأ
عليه القرآن برواياته في
مجلس خاص المؤمن هلك
رحمه الله بين يدي مهلك
السلطان أبي عنان الي
آخرين وآخرين من أهل
المغرب والاندلس كلهم
لقيت وذا كرت وأفدت
منه وأجازني بالاجازة
العامة
﴿حديث النكبة من السلطان
أبي عنان﴾

كان اتصالا بالسلطان أبي
عنان آخر سنة ست وخسين
وقرني واداني واستمعاني
في كتابته واختصني بمجلسه
للمناظرة والتوقيع عنه
فكثرت المناقشون وارتفعت
السعايات حتى قويت عنده
بعد أن كان لا يغير عن
صفائه ثم اعتل السلطان
آخر سبع وخسين وكان
قد حصلت بيني وبين الأمير
محمد صاحب بحاية من
الموحدين مداخلة أحكمها
ما كان لساني في دولتهم
وغفلت عن التحفظ من

الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس ولصنهاجة وزناته مع كتامة ولبنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر أن الملك هو غاية العصية وأنها إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك أما بالاستبداد أو بالمظاهرة على حسب ما يسهل الوقت المقارن لذلك وإن عاقها عن بلوغ الغاية عوائق كإنيته وقفت في مقامها إلى أن يقضي الله بأمره.

١٨ ﴿فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القليل في النعيم﴾

وسبب ذلك أن القليل إذا غلبت بعصيته بعض الغلب استولب على النعمة بمقداره وشارك أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصته بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فإن كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القليل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من حياتها ولم تسم آمهلم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبابه انما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى الدعوة والراحة والاخذ بمذهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنيق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعوا اليه من توابيع ذلك فتذهب خشونة البداءة وتضعف العصية والبسالة ويتعمون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتتقص عصيتهم وبسالتهم في الاحيال بداهتهم بتعاقبها إلى أن تقرض العصية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون أشرفهم على الفناء فضلا عن الملك فإن عوارض الترف والفرق في النعيم كاسر من سورة العصية التي بها التغلب وإذا انقرضت العصية قصر القليل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهمة الامم سواهم فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء.

١٩ ﴿فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقيل والانتقاد إلى سواهم﴾

وسبب ذلك أن المذلة والانتقاد كاسران لسورة العصية وشدتها فإن انتقادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فارتفعوا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولي أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام إلى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها كيف نجزوا عن ذلك وقالوا إن فيها قوم جبارين وإننا لندخلها حتى يخرج جوارمنا أي يخرجهم الله تعالى منها بفتر من قدرته غير عصيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجوارمنا تركوا العصيان وقالوا الهذه أنت وربك فقاتلوا وما ذلك إلا آسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانتقاد وما رثوا من الذل للقبط أحقابا حتى ذهبت العصية منهم جملة مع أنهم لم يؤمنوا حق الإيمان بما أخبرهم به موسى من أن الشام لهم وأن العمالقة الذين كانوا باربعاء فر يستهم بحكمهم من الله قدر لهم فأقصر واعن ذلك وعجزوا وتمويل على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهو أنهم تاهوا في قفر من الأرض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأتوا فيها العمران ولا زلوا مصر أو لا خالطوا بشرا كما قصه القرآن لغاظة العمالقة بالشام والقبط بمصر عليهم لعجزهم عن مقاومتهم كإزعموه ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التي مقصودة وهي فناء الحيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وأفسدوا من عصيتهم حتى نشأ في ذلك التيه حيل آخر عز يز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما ياتي فيها فناء حيل ونشأة حيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا أوضح دليل على شأن العصية وأنها هي التي تكون بها المدافعة

مثل ذلك من غير السلطان، فها هو الأشغل بوجهه نجي إليه بعض الهدا أن صاحب بحاية معتمل في القرار ليسترجع بلده وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله ابن على فابعث السلطان لذلك وبادر بالقبض عليه وكان فيما نجي إليه أي داخلته في ذلك قبض علي وامتحنني وجسني ثم أطلق الأمير محمد ومازلت أنا في اعتقاله إلى أن هلك وخطبته بين يدي مهلكة بقصيدة على أي حال ليالي أعاتب وأي صروف لازمان غالب كفي حزنا لي على القرب نازح وأنني على دعوي شهودي غائب وأنني على حكم الحوادث نازل تسامني طور أو طور اتحارب (ومنها في التشوق) سلوهم الا اداكار معاهد لها في الليالي الغابرات غرائب وان نسيم الريح منهم يسوقني اليهم وتصيني البروق اللوابع وهي طوييلة نحو مائتي بيت ذهبت عن حفظي فكان لها منه موقع وهش لها وكان يتلمسان فوجد بالافراج عني عند حلوله

والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقد هاهنا عن جميع ذلك كله ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فإن القبيل الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن في المغارم والضرائب ضيما ومذلة لا تحتملها النفوس الابية الا اذا استهوتته عن القتل والتلف وان عصيتهم حينئذ ضيفه عن المدافعة والحماية ومن كانت عصيته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة عاتقة كما قدمناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة المحراث في بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على أن المفرم موجب للمذلة هذا الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القيسل بالمغارم في ربة من الذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم أن زانة بالمغرب كانوا شاة يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر فيما قاله شهرير از ملك الباب ابد الرحمن بن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهرير از امانه على أن يكون له فقال أنا اليوم منكم يدي في أيديكم وصعري معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذلو بالجزية فتوهنو بالعدوكم فاعتبر بهذا فيما قلناه فانه كاف

فصل في أن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

٢٠

لما كان الملك طبعيا للانسان لمافية من طبيعة الاجتماع كقلائده وكان الانسان أقرب الى خلال الخير من خلال الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لأن الشر انما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وأما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخاله أقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لأنها خاصة للانسان لا للحيوان فاذا نخلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذا الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا أن الحمد له أصل ينبت عليه ويتحقق به حقيقته وهو العصبية والشير و فرع يتم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفرعها و متمماتها وهي الخلال لأن وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء وظهوره عريانا بين الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير اتصال الخلال الحميدة نقصا في أهل البيوت والاحساب فما ظنك بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وأيضا فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكام الله في خلقه وعباده انما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع وأحكام البشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة أو نست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله في خلقه فقد تمها للخلافة في العباد وكفالة الخلق و وجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان أو ثبوت من الاول وأصح مبنى فقد تبين أن خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا في أهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في أحوالهم والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغنين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عاينها وعلى أسبائها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك علمنا أن هذه خلق السياسة وقد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على العموم وأنه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسب

بقاس ولحسن ليال من حلوله
طرقه الوجع وهلك
لحسن عشرة ليلة في رابع
وعشرين من ذي الحجة
خاتم تسع وخمسين وبادر
القائم بالدولة الوزير الحسن
ابن عمر الى اطلاق جماعة
من المعتقلين كنت فيهم
فخلع علي وحلاني وأعادني
الى ما كنت عليه وطلبت
منه الانصراف الى بلادى
فأبى علي وعاماني بوجوده
كرامته ومذهب احسانه
الى أن اضطرب أمره
وانقض عليه بنو مرين
وكان ما قدمناه في أخبارهم
(الكتابة عن السلطان أبي
سالم في السر والانشاء)
ولما جاز السلطان أبو سالم
من الاندلس لطلب ملكه
ونزل بجبل الصفيحة من
بلاد غمارة وكان الخطيب
ابن مرزوق بفاس فشت
دعوته سرا واستعان بي على
أمره بما كان بيني وبين
أشياخ بني مرين من الحجة
والاشتغال فحملت الكثير
منهم على ذلك وأجابوني اليه
وأنا يومئذ اكتب عن القائم
بأمر بني مرين منصور بن

سليمان بن منصور بن عبد
الواحد بن يعقوب بن عبد
الحق وقد نصبوه لملك
وحاصروا الوزير حسن
ابن عمر وسلطانة السعيد
ابن أبي عثان بالبلد الجديد
فقصدني ابن مرزوق في
ذلك وأوصل الي كتاب
السلطان أبي سالم بالخص
على ذلك واجمال الوعد
فيه وألقي على حملته فهضت
به وتقدمت الي شيوخ بني
مرين وأمراء الدولة
بالتحريض على ذلك حتى
أجابوا وبث ابن مرزوق
الي الحسن بن عمر يدعوه
الي طاعة السلطان أبي سالم
وقد نجح من الحصار فبادر
الي الاجابة واتفق رأي بني
مرين على الانقضاء عن
منصور بن سليمان
والدخول الي البلد الجديد
فلما تم عقدهم على ذلك
نزلت الي السلطان أبي
سالم في طائفة من وجوه
أهل الدولة كان منهم محمد
ابن عثمان بن العكاس
المستبد بعد ذلك بملك
المغرب على سلطانه وكان
ذلك النزوع مبدأ حظه

لعصيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك أنسب المراتب والخيرات لعصيتهم فعملنا بذلك
أن الله تأذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب
الذمومات واتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في اتقاص الى أن يخرج
الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نفعيا عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في أيديهم من
الخير واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر ذلك وتبعه
في الامم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) أن من خلال الكمال ألقى
يتنافس فيها القبائل أو لوالعصية وتكون شاهدة لهم بالملك أكرام العلماء والصالحين والاشراف وأهل الاحساب
واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك أن أكرام القبائل وأهل العصيات والعشائر من يباهضهم
في الشرف ويجاذبهم جبل العشير والعصية ويشاركهم في اتساع الجاه أمر طيب يحمل عليه في الاكثر الرغبة في
الجاه أو الخافة من قوم المنكر أو التماس مثلها منه وأما مثال هؤلاء من ليس لهم عصية تتقي ولا جاه يرتجي فيندفع
الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم أنه لا نجد واتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية
لان أكرام أقتاله وأمثاله ضروري في السياسة العامة بين قبيلة وقبيلة ونظيراته وأكرام الطارين من أهل الفضائل
والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجاه اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار
للتربح حتى تعم المنفعة بما في أيديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من
العدل فيعلم بوجود ذلك من أهل عصيته اتماؤهم للسياسة العامة وهي الملك وأن الله قد تأذن بوجودها فيهم
لوجود علاماتها ولهذا كان أول ما يذهب من القليل أهل الملك اذا تأذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم أكرام
هذا الصنف من الخلق فاذا رأته قد ذهب من أمة من الامم فاعلم أن الفضائل قد أخذت في الذهاب عنهم وارتقب
زوال الملك منهم واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له والله تعالى أعلم

﴿فصل في أنه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها أوسع﴾

٢١

وذلك لانهم أقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف اقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم
يتنزلون من الاهلين منزلة المقتدر من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب وزانة ومن في معناهم من الاكراد
والتركان وأهل الشام من صنهاجة وإيضا فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا يلدجنون اليه
فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلهذا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون
عند حدود أفقهم بل يطفرون الي الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضي
الله عنه لما بويع وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الاعلى التجمعة ولا يقوي عليه أهله
الابذل أين القراء المهاجرون عن موعده الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فقال
ليظهر على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك أيضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وحير كيف
كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرة الى العراق والهند أخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال
المثنيين من المغرب لما نزعوا الي الملك طفروا من الاقاليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السودان الي الاقاليم الرابع
والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم أوسع نطاقا
وأبعد من مراكرها نهاية والله بقدر اليل والنهار هو الواحد القهار لا شريك له

﴿فصل في أن الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بد من عوده﴾

٢٢

الي شعب آخر منها ما دامت لهم العصية

والسبب في ذلك أن الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم سواهم فيتمتعين منهم

المباشرون للامراء الحاملون لسرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق
المراحة والغيرة التي تجتمع أنوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تعين أولئك القائمون بالدولة انغمسوا في النعيم
وغرقوا في بحر الترف والحصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الحيل وأنفقوهم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقي
الذين بعدوا عن الامر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم
عن الترف وأسبابه فاذا استولت على الاولين الايام وأباد غصراءهم الهرم فطبع ختم الدولة وأكل الدهر عليهم
وشرب بما أرفه النعيم من حدهم واشتقت غريزة الترف من ما هم وبلغوا غايتهم من طيبة التمدن الانساني
والتعلب السياسي (شعر)

كدود القز ينسج ثم يفنى * بمركز نسجه في الانعكاس

كانت حينئذ عصية الآخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوفة وشارتهم في الغلب معلومة فقسمو
آمالهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصيتهم وترفع المنازع علماء عرف من غلبهم
فيستولون على الامر ويصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي أيضا منذ اعنه من عشائر أمهم فلا يزال الملك ملجأ
في الامة الى ان تسكر سورة العصية منها أو يفنى سائر عشائر هاسنة الله في الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين
واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقرض ملك عاد قائم به من بعدهم اخوانهم من نمود ومن بعدهم اخوانهم
العمالة ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبايعه من حير أيضا ومن بعدهم الاذواء كذلك ثم
جاءت الدولة المضرو وكذا الفرس لما انقرض امر الكينية ملك من بعدهم الساسانية حتى تأذن الله بانقرضهم أجمع
بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض أمرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالغرب لما انقرض أمر
مغراوة وكثامة الملوك الاول منهم رجع الى ضنحاجة ثم الملتهمين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناطة
وهكذا سنة الله في عبادده وخلقهم وأصل هذا كله انما يكون بالعصية وهي متفاوتة في الاحيال والملوك يخلفه الترف
ويذهب كما سندر كره بعد فاذا انقرضت دولة فائما يتناول الامر منهم من له عصية مشاركة لعصيتهم التي عرف
لها التسليم والاقباد وأنس منها الغلب لجميع العصيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت
العصية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه أو بعد حتى اذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة أو ذهاب
سمران أو ما يشاء الله من قدره فحينئذ يخرج عن ذلك الحيل الى الحيل الذي يأذن الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع
لمضر حين غلبوا على الامم والدول وأخذوا الامر من أيدي أهل العالم بعد أن كانوا مكبو حين عنه أحقابا

فصل في أن المغلوب .. لع أبدأ بالاقضاء بالغالب في شعاره وزيه ونحاته

٢٣

وسائر أحواله وعوائده

وخطه سعادته بسماحي له
عند السلطان فلما قدمت
على السلطان بالصحيفة
بما عندي من أخبار الدولة
وما أجمعوا عليه من خلع
منصور بن سليمان
وبالموعد الذي ضربوه لذلك
واستجقته فارتحل ولقينا
البشر باجفال منصور بن
سليمان وفراره الى نواحي
باديس ودخول بني مرين الى
البلد الجديد واطهار الحسن
ابن عمر دعوة السلطان أبي
سالم ثم لقيتنا بالقصر الكبير
قبائل السلطان وعساكره
على راياتهم ووزير منصور
ابن سليمان مسعود بن
رحون ماسى فلقاه السلطان
الكرامة كما يحب
واستوزره عوضا ثابا
للحسن بن يوسف بن علي
ابن محمد الوراثي السابق
الى وزارته لقيه بسبته وقد
غربه منصور بن سليمان
الى الاندلس فاستوزره
واستكفاه ولما اجتمعت
العساكر عنده بالقصر
صمد الى فاس ولقيه الحسن
ابن عمر بظاها فاعطاه
طاعته ودخل الى دار ملكه
وأنا في ركابه خمس عشرة
ليلة من نزوعي اليه متصف

والسبب في ذلك أن النفس أبدأ تعتقد الكمال فيمن غلبها واتقادت اليه ما نظره بالكمال بما وقر عندها من
تعظيمه أو ما تغالط به من أن اتقيد هاليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها
حصول اعتقادا فاتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء أو ما تراء والله أعلم من أن غلب
الغالب هاليس بعصية ولا قوة بأس وانما هو بما اتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضا بذلك عن الغلب
وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدأ بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذهما واشكالها بل
وفي سائر أحواله وانظر ذلك في الانباء مع آباءهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال
فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم
حتى انهم اذا كانت أمة تتجاوز أخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا التشبه والاقضاء حظ كبير كما هو في
الاندلس لهذا المهد مع أمم الجلالة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملبسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم

وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والامر لله وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابه اذا الملك غالب لن تحت يده والرعية مقتدون به لا اعتقاد الكمال فيه اعتقاد الانباء بأبائهم والمتعلمين بمعلميهم والله عليهم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق

(فصل في أن الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء) ٢٤

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل والاعتماد انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوية فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العvisية ذاهبة بالغالب الحاصل عليهم تناقص عمراتهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيمهم وعجز واعن المدافعة عن أنفسهم بما خضد الغالب من شوكتهم فأصبحوا مغلبين لكل متقلب طعمة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق به والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزمه تكاسل حتى عن شيع بطنه ووري كيدوه وهذا موجود في أخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافدا اذا كانت في ملكة الأدميين فلا يزال هذا القليل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قدماء العالم كثيرة ولما فئت حاميتهم في أيام العرب بقي منهم كثير وأكثروا الكثير يقال ان سعدا أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا ربيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن أن ذلك لظلم زل بهم أو عدوان شملهم فلكة الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ولهذا انما تدعن لارق في الغالب أمم السودان لتقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كقلنا أو من يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة أو افادة مال أو عز كما يقع لملالك الترك بالمشرق والمروج من الجلالة والافرنجية بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأتون من الرق لما يملونه من الجاه والرتبة باصطفاة الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(فصل في أن العرب لا يتقبلون الاعلى البسائط) ٢٥

وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعيث يتهبون ما قدر واعليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالفقر ولا يذهبون الى المزاحفة والحاربة الا اذا دفعوا بذلك عن أنفسهم فكل معقل أو مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل المعتنعة عليهم باوعار الحبال بمنجاة من عيهم وفسادهم لانهم لا يستمنون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر وأما البسائط متى اقتصدروا عايبا بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي تهب لهم وطعمة لا كلهم يرددون عليهم الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى أن يصبح أهلها مغلبين لهم ثم يتاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى أن ينقرض عمراتهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا ريب فيه

(فصل في أن العرب اذا تغلبوا على أو طان أسرع اليها الحراب) ٢٦

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجيلة وكان عندهم ملذوذ الما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية لل عمران ومناقضة له وغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالجحر مثلا

شعبان سنة ستين وسبعائة
فرعى الى السابقة واستعماي
في كتابة سره والتزسيل
عنه والانشاء لمخاطباته
وكان أكثرها يصدر عن
بالكلام المرسل بدون أن
يشاركني أحد ممن يتجمل
الكتابة في الاسجاع لضعف
اتحائها وخفاء المعاني منها
على أكثر الناس بخلاف
غير المرسل فان قدرت به
يومئذ وكان مستغربا عند
من هم من أهل هذه الصناعة
ثم أخذت نفسي بالشعر
وانشال على منه بحور
توسطت بين الاجادة
والقصور وكان مأثنته
اياه ايسلة المولد النبوي من
سنة ثلاث وستين

أسرفن في عجمي وفي

تعذبي

وأظن موقف عجمي

ونجبي

وأبين يوم البين موقف

ساعة

لمواد مشغوف الفؤاد

كثيب

لله عهد الظاعنين وقد غدا

قلبي رهين صباة ووجيب

غربت ركايبهم ودمي

سافح

انما حاجتهم اليه لئلا يفتقدوا فيقولوا من المني ويخربونها عليه ويعدونه لذلك والحشب ايضا انما حاجتهم اليه ليحمر وابه خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه ليوثهم فيخربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انها في أيدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حديتهون اليه بل كلما امتدت أعيانهم الى مال أو متاع أو ماعون أو تنهيه فاذ اتم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم يتلفون على أهل الاعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والثمن والاعمال كما سئذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الأموال في المكاسب وانقبضت الأيدي عن العمل وابتدع السالك وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفساد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما يأخذونه من أموال الناس نهبا أو مغيرا فاذ اتوصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المفساد وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والحياة والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمن في دفع المفساد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك أول الفصل وايضا فهم متافسون في الرياسة وقل أن يسلم أحد منهم الامر لغيره ولو كان أباد أو أخاد أو كبير عشرينه الا في الاقل وعلي كره من أجل الحياء في تعدد الحكماء منهم والامراء وتختلف الأيدي على الرعية في الحياة والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما سأله عن الحجاج وأراد التنازع عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه وأقرسا كنهه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمين قرارهم خراب الاقلام من الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمر سواها بالثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بها طه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من العالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدن والارض ومن عليها وهو خير الوارثين

﴿فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية﴾

٢٧

أو أثر عظيم من الدين علي الجملة﴾

والسبب في ذلك أنهم خلقوا لتوحش الذي فيهم أصعب الامم اتقياد بعضهم لبعض للغلبة والافقة وبعدها الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل اتقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشعلهم من الدين المذهب للغلبة والافقة الوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لاطهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبرامتهم من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعانة التي لقبول الخير بقاءه على الفطرة الاولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

﴿فصل في أن العرب أبعد الامم عن سياسة الملك﴾

٢٨

فشرت بعبد هم بماء

غروب

ياناقما بالتب غلة شوقهم

رحمك في عذلي وفي

تأنيبي

يستعذب النصب الملام

واتي

ماء المدام لدى غير

شروب

ما حاجني طرب ولا اعتاد

الجوى

لولا نذكر منزل وحيب

أصبو الى اطلال كانت

مطلعا

للبدر منهم أو كئاس

ريب

عشت به أيدي البلي

وترددت

في عطفها للدهر أي

خطوب

تبلى معاهدا وان

عهودها

ليجرها وصفي وحسن

نسيبي

واذا الديار تعسرت

لنسيم

هزت لذكرها أولى

التشيب

ايه على الصبر الجميل فانه

أثوي برين فؤادي المنهوب

لم أنسها والدمر يشق
صرفه
ويغض طرفي حاسد
ورقيب
والدار موقفة بمالست
من الأ
يام تجلوها بكل
قشيب
ياسائق الاطمان بعفسف
الفلا
بتواصل الا سناد
والتاوب
متهاقاعن رحل كل
مدلل
نشوان من آن ومس
لغوب
تجاذب النفحات فضل
ردائه
في ملتقاها من صبا
وجنوب
ان هام من ظما الصباية
صحب
نهلو ايجورد دمع
المسكوب
ان تعترض مسراهم سدف
الدجى
صدعوا الدجى بغرامه
المشوب
في كل شعب منية من
دونها

والسبب في ذلك أنهم أكثر بدواة من سائر الامم وأبعد مجالا في القفر وأغنى عن حاجات التسول وجوبها
لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب اقياد بعضهم لبعض لا يلا فهم ذلك ولتوحش
ورئيسهم محتاج اليهم غالباً للمصيبة التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل
عليه شأن عصبيته فيكون فيها هلا كهو هلا كهو وسياسة الملك والسلطان تقتضى أن يكون السائس وازعا بالقهر
والام تستقم سياسته وأيضا فان من طبيعتهم كإقدامه أخذ ما في أيدي الناس خاصة والتجاني عما سوى ذلك من
الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا أمة من الامم جعلوا غاية ملكهم الاتقاع بأخذ في أيديهم
وتركو اما سوى ذلك من الاحكام بينهم ووربحا جعلوا العقوبات على المفاسد في الاموال حرصا على تكثير الحيايات
وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعا وربحا يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على الفساد واسهانة ما يعطي من
ماله في جانب غرضه فتعمو المفاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى مستظيلة أيدي بعضها
على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سربا شأن الفوضى كإقدامه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة
الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية تحمى ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من
أنفسهم ويحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدواتهم في الملة لما شيد لهم الدين أمر
السياسة بالشريعة وأحكامها المرعية لمصالح العمران ظاهر او باطنا وتابيع فيها الخلفاء عظم حيث ذل ملكهم وقوى
سلاطنتهم كان رستم اذا رأى المسامين مجتمعون للصلاة يقول أكل عمر كبدى يعلم الكلاب الا داب ثم انهم بعد ذلك
انقطعت منهم عن الدولة أحيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع أهل
الدولة بعدهم عن الانقياد واعطاء التصفة فوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا أنهم من جنس الخلفاء
ومن حيلهم ولما ذهب أمر الخلافة وانمحي رسمها انقطع الامر حجة من أيديهم ومو غلب عليهم العجم دونهم
وأقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم وما
كان في القديم لاحد من الامم في الخليفة ما كان لا يحيا لهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة
شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بني أمية وبني العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى
أصلهم من البدواة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون
ماله وغايتة الا تخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤثر في ملكه من يشاء

٢٩ فصل في أن البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار

قد تقدم لنا أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها
موجودة لاهل البدو وانما اتو جد لديهم في مواطنهم أمور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد
لديهم بالكلية من نجار وخياط وحداد وأمثال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير
والدراهم مفقودة لديهم وانما بأيديهم أعواضها من مغل الزراعة وأعيان الحيوان أو فضلاته البانا أو بار أو أشعارا
واهابا بما يحتاج اليه أهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا أن حاجتهم الى الامصار في الضروري
وحاجة أهل الامصار اليهم في الحاجي والسكاني فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فاداموا في البادية
ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى أهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعواهم
الى ذلك وطالبوهم به وان كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في المصر ملك فلا بد
فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض أهله على الباقيين والا لا تنقص عمراته وذلك الرئيس يحتملهم عن طاعته والسعي
في مصالحه اما طوعا يبذل المال لهم ثم يسدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في عصره فيستقيم عمرانهم واما
كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين فيضطر الباقيين الى طاعته

بما يتوقعون لذلك من فساد عمراتهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات أخرى لان كل الجهات معمور بالبدو والذين غلبوا عليها ومنعوا هم غيرهم فلا يجد هؤلاء مآجدا الا طاعة المصير فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية

وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل في أن الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبة

وذلك انما قررنا في الفصل الاول أن المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبة لما فيها من التمرة والتناصر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ الفسائية فيقع فيه التنافس غالبا وقل أن يسلمه أحد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع الا بالعصبة كما ذكرناه آنفا وهذا الامر بعيد عن أفهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدولة منذ أولها وطال أمد مرابهم في الحضارة وتعايقهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله أول الدولة انما يدركون أحباب الدولة وقد استحسنت صفتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبة في تمهيد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من أوله وما تقي أولهم من المتاعب دونه وخصوصا أهل الاندلس في نسيان هذه العصبة وأثرها طول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبة بما تلاشي وطنهم وخلا من العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شئ عليم وهو حسبان ونعم الوكيل

فصل في أنه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى عن العصبة

والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الاقياها الا بقوة قوية من الغلب للفرابة وان الناس لم يألوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الاولوية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة الرياسة وورسخ في العقائد دين الاقياهاهم والتسليم وقاتل الناس معهم على أمرهم قائلهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجون حينئذ في أمرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب الله لا يبدل ولا يعلم خلافة ولا مراب موضع الكلام على العقائد الايمانية كأنه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطنعين الذين نشؤا في ظل العصبة وغيرها واما بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبنى العباس فان عصبة العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالي من العجم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدوا أعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصار الحسلاقي في حكمهم ثم انقرض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التار فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الحامسة أو مابقتها واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدي وبجاية والقلة وسائر تنور أفريقيا تور بما تزي تلك الثغور من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تأذن الله بانقرض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبة في المصامدة فمحو آثارهم وكذا دولة بني أمية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على أمرها واقتسموا أخطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا اممالات الدولة وانزى كل واحد منهم على ملكان في ولايته وشمع بأنفه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فقلقوا بألقاب الملك ولبسوا اشارته وأمنوا من ينقض ذلك عليهم أو يغيره لان الاندلس ليس بدار عصائب ولا قبائل كما سنده واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف

خير الاماني أولقاء شعوب
هلا عطف صدورهن الي

التي
فهي لسانية اعين
وقلوب

فتوم من أكناف يترب
مأنا

يكفيك ما تخشاه من
ثريب

حيث النبوة آياها مجلوة
تسلو من الآثار كل

غريب
سر نجيب ليس يحجبه

الثرى
ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته
صلى الله عليه وسلم والاطناب

في مدحه
اني دعوتك واثقا باجابتى

ياخير مدعو وخير محجب
قصرت في مدحى فان يسك

طيبا
فبما لذكرك من أريج

الطيب
ماذا عسى يبنى المطيل وقد

حوى
في مدحك القصر آن كل

مطيب
ياهل تبغني اليبالى

زورة

مما زهدني في أرض أندلس * أسماء معتصم فيها ومعتصم

ألقاب مملكة في غير موضعها * كاهل يحيى اتفا خاصورة الاسد

فاستظهر واعلي أمرهم بالموالي والمصطنعين والطراء على الاندلس من أهل العدو من قبائل البربر ووزانة وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصية العرب واستبدان أبي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزالوا في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المرات بطون أهل العصية القوية من لتونة فاستبدلوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدر واعلي مدافعهم لفقدان العصية لديهم فهذه العصية يكون تمهيد الدولة وحمايتهم من أولها وقد ظن الطرطوشي أن حامية الدول باطلاقهم الجند أهل العطاء المفروض مع الأهلّة ذكر ذلك في كتابه الذي سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العامة في أولها وانما هو مخصوص بالدول الأخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما أدرك الدولة عند هزمها وخلق جدتها وجوعها الي الاستظهار بالموالي والصنائع ثم الى المستخدمين من ورثتهم بالاجر على المدافعة فانه انما أدرك دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بني أمية وانقراض عصيتهم من العرب واستبداد كل أمير بقطره وكان في ايلة المستعين بن هودوا ابنه المظفر أهل سر قسطة ولم يكن بقي لهم من أمز العصية شيء لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثمائة من السنين وهلاكهم ولم ير الاسلطانا مستبدا بالملك عن عشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصية فهو لذلك لا ينازع فيه ويستعين على أمره بالاجراء من المرتزقة فأطلق الطرطوشي القول في ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ أول الدولة وأنه لا يتم الا لأهل العصية فتفطن أنت له وافهم سر الله فيه والله يؤتي ملكه من يشاء

٣ * فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصية *

وذلك أنه اذا كان لعصية غالب كثير على الامم والاحياء وفي نفوس القائمين بأمرهم من أهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتدع عن مقرر ملكه ومنبت عزه اشتعلوا عليه وقاموا بأمره وظاهره على شأنه وغنوا بتمهيد دولته يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يدأ عياصه وجزاءه لهم على مظاهرته باصطفاهم لرتب الملك وخططه من وزاراة وقيادة وولاية تغر ولا يطعمون في مشاركتهم في شيء من سلطانه تسليمًا لعصيته وانقيادًا لما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية استقرت في الاذعان لهم فلورامو هامعها أو دونه نزلت الارض زلزالها وهذا كموقع للدلالة بالمغرب الأقصى والعبيدين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسمو الى طلبها من أيدي بني العباس بعد أن استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني أمية ولا ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بأمرهم البرابرة مرة بعد أخرى فأوربة ومغيلة للدلالة وكثامة وصناعة وهوارة للعبيدين فشيّدوا دولتهم ومهدوا بعضا بهم أمرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افر ببقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يمتد الى أن ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق الابلية وهؤلاء البرابرة القائمون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون للعبيدين أمرهم مدعونون للملكهم وانما كانوا يتنافسون في الرتبة عندهم خاصة تسليمًا لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكم من الغلب لقريش ومضر على سائر الامم فلم يزل الملك في أعقابهم الى أن انقرضت دولة العرب بأسرها والله يحكم لامعقب حكمه

٤ * فصل في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين امان نبوة أو دعوة حق *

تدني الي الفوز بالمرغوب
أحوظني باخلاصي
بها
وأحط أوزاري وأصر
ذنوبي
في قية هجروا المني
وتعودوا
انضاء كل نجية ونجيب
يطوى صحائف ليأهم نوق
الفلا

ماشتت من خب ومن تقرب
ان رنم الحادي بذكر
زدوا
أنفاس مشتاق اليك طروب
أوغرد الركب الحلي
بطية
حنو الملقا حنين التيب
ورثوا اعتساف اليد عن
آبائهم
ارث الخلافة في بني يعقوب
الظاعنون الحيل وهي
عوايس
يقضي مشار التفع كل
سيب
والواهبون المقربات
صواقا
من كل خوار الضان
لموب
والمانعون الجار حتى
هرضه

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب انما يكون بالعصية واتفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى لو أنفقت ما في الارض جميعا ما لفت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقيل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما بين لك بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لارب سواه

فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصية التي كانت لها من عددتها

والسبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصية وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتحاذلهم لتقية الموت خاص فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعالجهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجوع فارس مائة وعشرين ألفا للقادسية وجوع هرقل على ما قاله الواقدي أربع مائة ألف فلم يقف للعرب أحد من الجانيين وهزم موهم وغلبوهم على ما بأيديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة لتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصية ويشف عليهم الا ان الاجتماع الذي ضاعف قوة عصيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينقض الامر ويصير التغلب على نسبة العصية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصابات المكافئة لها أو الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بمضايقة الدين لقوتها ولو كانوا أكثر عصية منها وأشد بداءة واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة كما كانت زناتة أبدى من المصامدة وأشدت وحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصيتهم بما فلبسوا على زناتة أولا واستبغواهم وان كانوا من حيث العصية والبداءة أشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية تنقضت عليهم زناتة من كل جانب وغلبوهم على الامر واتزعوهم منهم والله غالب على أمره

فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصية لا تتم

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر تحمل عاياه الكافة فلا بد له من العصية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم أولي الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع الثقلين في التصوف نار بالاندلس داعيا الى الحق وسمي أحماء بالمرابطين قيل دعوة المهدي فاستب له الامر قليلا لئلا يشغل لتونة بجادهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك عصابات ولا قبائل يدفعونه عن شأنه فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله بخصن أركش وأمكنهم من نغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب أحوال ثوار القائلين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على أهل الجور من الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله فيكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان والدهاء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان

في ممتدى الاعداء غير معيب

تخشي بواذرهم ويرجي حلمهم

والعزيمة مرتجي ومهيب ومنها في ذكر اجازته البحر

واستيلائه على ملكه سائل بني طامي العباب وقد سري

ترجيح ربح العزم ذات هبوب

تهديه شهب أسنة وعزائم يصعدن ليل الحادث

المرهوب حتى انجلب ظلل الظلام بسعيه

وسطا الهدى بفريقه المنلوب

أخي الاولي شادوا الخلافة بالقي

واستأثروا بتاجها المنصوب

جمعوا لحفظ الدين أي مناقب

كرموا بها في مشهد ومغيب

لله مجدك طارفا أو تالدا فلقده شهدنا منه كل عجيب

كم رهبة أو رغبة لك في العلا

تقتاد بالترغيب والترهيب
لازلت مسرورا بأشرف
دولة

يبدو الهدى من أفقها
المرغوب

ومن قصيدة خاطبته بها عند
وصول هدية ملك السودان
إليه وفيها الحيوان الغريب
المسمى بالزرافة
قدحت يد الاشواق من
زندی

وهفت بقاى زفرة الوجد
ونبتت سلواني على نقصة
بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب ووصل كنت آمله
فاعتضت منه بمؤلم الصد
لا عهد عند الصبر أطلبه
ان الغرام أضع من عهدي
يلجى العذول فاعفقه
وأقول ضل فأبتى رشدى
وأعارض النفحات أسئلها
بردا لجوى فزى دى الوقد
يهدى الغرام الى مسالكها
لتعلمي بضعيف ما تهدى
ياسائق الاطعمان معسفا
طبي الفلاة لطيفة الوجد
أرح الركاب فى الصباناً
يفنى عن المستنة الجرد
وسل الربوع برامة خبرا
عن ساكني نجد وعن نجد

الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكماً منكراً
فليغيره يده فإن لم يستطع فليسله فان لم يستطع فليقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم
بناها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا حال الانبياء عليهم الصلاة
والسلام في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه إنما أجاز الامور
على مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محقق قصر به الانفراد عن العصبية
فطاح في هوة الهلاك وأما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجد أن تعوقه العوائق وتقطع به
المهالك لانه أمر الله لا يتم الا برضاد واعاثة والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب
فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وأبطال المأمون بنجراسان
عن مقدم العراق ثم عهد لعلي بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف بنو العباس عن وجه النكير عليه وتدأعوا
للقيام وخلع طاعة المأمون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج ببغداد وانطلقت أيدي الزعرة
بها من الشطار والحريية على أهل العافية والضرون وقطعوا السبل وامتلأت أيديهم من نهاب الناس وباعوها
على اية في الاسواق واستعدى أهلها الحكام فلم يعد لهم قوافر أهل الدين والصالح على منع الفساد وكف
عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابه خلق
وقاتل أهل الزعرة فملهمهم وأطلق يده فيهم بالضرب والتشكيل ثم قلم من بعدهم رجل آخر من سواد أهل بغداد
يعرف بسهل بن سلامة الانصاري ويكنى بأحاتم وعلق مصحف في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بنى هاشم فمن
دونهم وزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع الحفارة لاولئك الشطار
وقال له خالد الدريوس أنا لأعيب على السلطان فقال له سهل لكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائن من
كان وذلك سنة احدى ومائتين وجهز له ابراهيم بن المهدي العساكر فقلبه وأسره وانحسل أمره سر يعاود هذب
ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون
اليه في اقامته من العصبية ولا يشعرون بغلبة أمرهم ومال أحوالهم والذي يحتاج اليه في أمر هؤلاء اما المداد وان
كانوا من أهل الجنون واما التشكيل بالقتل أو الضرب ان أحد ثوارهم جاءوا ماداعة السخرية منهم وعددهم من
جملة الصفاة وقد ينسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بأنه هو أو بأنه داع له وليس مع ذلك على علم من أمر
الفاطمي ولا ما هو وأكثر المنتحليين لمثل هذا تجددهم موسوسين أو مجانين أو مبسطين يطالبون بمثل هذه الدعوة
رياسة امتلات بها جوارحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشئ من أسباب العادية فيحسبون أن هذا من الأسباب
البالغة بهم الى ما يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء
عاقبة مكرهم وقد كان لاول هذه المائة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التوبذرى عمداً الى مسجد ماسة
بساحل البحر هناك وزعم أنه الفاطمي المنتظر تديسا على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحسد ان بانتظاره
هناك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فقامت عليه طوائف من عامة البربر تهاقت الفساراش ثم خشي
رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة قدس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسوى من قتله في فراشه وكذلك خرج في
غمارة أيضاً لاول هذه المائة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيقه الارذلون من سفهاء
تلك القبائل وغمارهم وزحف الى بادس من أمصارهم ودخلها غوة ثم قتل لاربعةين يوماً من ظهور
دعوته ومضي في الهالكين الاولين وأمثال ذلك كثير والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها وأما ان
كان التلبس فأحري أن لا يتم له أمر وأن يوء بانته وذلك جزاء الظالمين والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

لارب غيره ولا معبود سواه

٧

﴿فصل في أن كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها﴾

مالي يلام على الهوى
خلق
وهي التي تأتي سوي
الحمد

لايت الا الرشده قد
وضحت

بالمستعين معالم الرشده
نعم الخليفة في هدى وتقى
(١)

نجل السراة الغرشانهم
كسب العلا بمواهب
الوجد

ومنها في ذكر خلوصي اليه وما
ارتكبه فيه

لله منى اذ تأوبني
ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم بفضل بواتر اقضبا
وجوع اقبال أولى اليد
أوريت زندالعزم في طلي
وقضيت حق المحمد من

قصدي

ووردت عن ظما مناهله
فرويت من عز ومن
رفدي

هي جنة المأوى لمن كلفت
أماله بمطالب الجيد
لوم أغل يرد ككوترها
ماقت هذي جنة الخلد

١ بياض بالاصل

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها المهديين لها لبدن توزيعهم حصصا على الممالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتهم من العدو وامضاء أحكام الدولة فيها من جباية ووردع وغير ذلك فاذا توزعت العصابات كلهم على الثغور والممالك فلا بد من نفاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغر للدولة وتحما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على ما يدها بقي دون حامية وكان موضعها لا تنهار الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهية وما كانت العصابة موفورة ولم ينفد عددها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينفسح نطاقها الى غايته والعلة الطبيعية في ذلك هي قوة العصية من سائر القوي الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشاؤها ذلك في فعلها والدولة في مركزها أشد مما يكون في الطرف والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية عجزت وأقصرت عما وراءه شأن الأشعة والانوار اذا انبثت من المراكز والدوائر المنفسحة على سطح المساء من الثغر عليه ثم اذا أدركها الهرم والضعف فانما تأخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز محفوظا الى أن يتأذن الله بانقرض الامر جملة فحينئذ يكون انقرض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهمز جميع الاطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون على المدائن انقرض أمر فارس ولم ينجح زجر دمابقي بيده من أطراف ممالكها والعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون بالشام تحيزوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضرهم انزعاع الشام من أيديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى أن تأذن الله بانقرضه وانظر ايضا شأن العرب أول الاسلام لما كانت عصابهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لا يسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءهم من السند والحشة وأفريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والثغور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات أقصروا عن الفتوحات بعدوا انتهى أمر الاسلام ولم يتجاوز تلك الحدود ومنها تراجع الدولة حتى تأذن الله بانقرضها وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة وعند نفاد عددهم بالتوزيع ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨

﴿فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة﴾

والسبب في ذلك أن الملك انما يكون بالعصية وأهل العصية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصابها أكثر كانت أقوى وأكثر ممالك وأطوانا وكان ملكها أوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وعشرة آلاف من مضر وخطان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما في أيدي الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا ورفاستيح حمى فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم لمهدهم والترك بالشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيدين قبلهم لما كان قبيل كتامة القائمين بدولة العبيدين أكثر من صنهاجة ومن المصامدة كانت دولتهم أعظم فلكوا أفريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما كان عددهم أقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد

المصامدة منذ أول أمرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد ثلاثة بني مريين وبني عبد الوادلسا كان عدد بني مريين لأول ملكهم أكثر من بني عبد الواد كانت دولتهم أقوى منها وأوسع نطاقا وكان لهم عليهم القلب مرة بعد أخرى يقال ان عدد بني مريين لأول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بني عبد الواد كانوا ألفا الا ان الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة في أعداد المتغلبين لأول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها وأما طول أمدها أيضا فلي تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول انما هو بالعصية فاذا كانت العصية قوية كان المزاج تابعا لها وكان أمدا طويلا والعصية انما هي بكثرة العدد ووفرة كافتائه والسبب الصحيح في ذلك ان النقص انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت بمالكها كثيرة كانت أطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر أزمان النقص اكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون أمدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان أمدها أطول الدول لابن العباس أهل المركز ولا بنو أمية المستبدون بالاندلس ولم ينقص أمر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة العبيديين كان أمدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صفهجة دونهم من لدن تقليد مع الدولة أمر افريقية لبليكن بن زيري في سنة ثمان وخسين وثلاثمائة الى حين استيلاء الموحدون على القلعة وبحجة سنة سبع وخسين وخمس مائة ودولة الموحدون لهذا العهد تاهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في أعمارها على نسبة القائمين بها سنة الله التي قد خلت في عبادته

٩ (فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيهاد دولة)

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان كل رأى منها هو عصبية تمنع دونها فيكثر الاتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية من تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ أول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر أهل قبائل وعصبات فلم يغن فيهم القلب الاول الذي كان لابن أبي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيئا وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الانحان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاختدابدين الحوارج مرات عديدة قال ابن أبي زبدار تدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلّة الاسلام فيهم الا العهد ولاية موسى بن نصير فابعدته وهذا معني ما ينقل عن عمر أن افريقية مفرقة لقلوب أهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والالقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها من فارس والروم والكافة دهماء أهل مدن وأمصار فلما غلبهم المسلمون على الامر وانزعوا من أيديهم لم يبق فيها مناع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم بادية وأهل عصائب وعشائر وكلهم هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال أمر العرب في تمهيد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم ويونان والعمالقة واكريكش والبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتوغل في العصبية فضعب على بني اسرائيل تمهيد دولتهم ورسوخ أمرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد أخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن له ملك موطن سائر أيامهم الى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم عند الجلاء والله غالب على أمره وبمكس هذا أيضا الاوطان الحالية من العصبية يسهل تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وازعاقلة المخرج والاتقاض ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي خلوص القائل والعصبيات كان لم يكن الشام معدنا لهم كافتائه فلك مصر في غاية الدعة والرسوخ لقلّة الحوارج وأهل العصائب انما هو سلطان

من مبلغ قومي ودونهم
قذف النوى وتوتونة
البعد

اني أنقت على رجائهم
وملكت عز جميعهم
وحدي

ورقية الاعطاف حالية
موشية بوشاخ البرد
وحشية الانساب ما أنست
في موحش البداء بالفر
تسمو بجيد بالغ صعدا
شرف الصروح بفسير ما
جهد

طالت رؤس الشامخات به
وربما قصرت عن الوهد
قطعت اليك تناثا وصلت
آساده بالقهد والنوخذ
تحدى علي استغفائها ذللا
وتيت طوع القن والقند
لسعودك اللاتي ضمن لها
طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك في وفد الاحابش

يرجون غيرك مكرم
الوفد

وافوك انضاء تقليم
أيدي السري بالفسور
والنجد

يثنون بالحسن التي سبقت
من غير انكار ولا جحد

ورعية ودولها قائمة بملوك الترك وعصائبهم يغلبون على الامر واحدا بعد واحد وينقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للمباسي من أعقاب الخلفاء بغداد وكذا شأن الاندلس لهذا العهد فان عصية ابن الاحمر سلطانها لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا كانت كرات انما يكون أهل بيت من بيوت العرب أهل الدولة الاموية بقوا من ذلك القلة وذلك أن أهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من لتونة والموحدين سمو املكهم وثقلت وطأنهم عليهم فأشربت القلوب بغضاءهم وأمكن الموحدون والسادة في آخر الدولة كثيرا من الحصول للطاغية في سبيل الاستظهار به على شأنهم من تملك الحضرة مرا كش فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصية القديمة معادن من بيوت العرب تجافى بهم المنبت عن الحاضرة والامصار بعض الشيء ورسخوا في العصية مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مردنيش وأمثالهم فقام ابن هود بالامر ودعا بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سما ابن الاحمر للامر وخالف ابن هود في دعواه فدعا هؤلاء ابن أبي حفص صاحب افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناول بعصاة قليلة من قرابته كانوا يسمون الرؤساء ولم يحتج لاكثر منهم لقلة العصاب بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يحيز اليه البحر من اعياص زناتة فصاروا معه عصبة على المناصرة والرباط ثم سما صاحب المغرب من ملوك زناتة أمل في الاستيلاء على الاندلس فصار أولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى أن تأمل أمره ورسخ وألفته النفوس وعجز الناس عن مطالبته وورثه أعقاب هذا العهد فلا تظن أنه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصاة الأتباع قليلة وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقلة العصاب والقبائل فيه يغنى عن كثرة العصية في التغلب عليهم والله غنى عن العالمين

﴿فصل في أن من طيبة الملك الانفراد بالمجد﴾

١٠

وذلك أن الملك كما قدمناه انما هو بالعصية والعصية متألفة من عصابات كثيرة تكون واحدة منها أقوى من الاخرى كلها فتغلبها وتسولي عليها حتى تصيرها جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسره أن العصية العامة للقبيل هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه أن العناصر اذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج أصلا بل لا بد أن تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتؤلفها وتصيرها عصية واحدة شاملة لجميع العصاب وهي موجودة في ضمنها تلك العصية الكبرى انما تكون لقوم أهل بيت ورياسة فيهم ولا بد أن يكون واحد منهم رئيسا لهم غالباً عليهم فيعين رئيسا للعصبيات كلها لغلب منبته لجمعها واذا تبين له ذلك من الطيبة الحيوانية خلق الكبر والافتخار في نفسه حينئذ من المساهمة والمشاركة في استباعتهم والتحكم فيهم ويحجى خلق التآله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم بفساد الكل باختلاف الحكم لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فتجدع حينئذ أنوف العصبيات ويفلج شكائهم عن أن يسموا الى مشاركتهم في التحكم وتقرع عصبيتهم عن ذلك ويفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر لاناقة ولا جلا فينفرد بذلك المجد بملكته ويدفعهم عن مساهمته وقد تبين ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا للثاني والثالث على قدر مما ائمة العصبيات وقوتها الا انه أمر لا بد منه في الدول سنة الله التي قد دخلت في عباده والله تعالي أعلم

﴿فصل في أن من طيبة الملك الترف﴾

١١

وذلك أن الامة اذا تغلبت وملك ما بأيدي أهل الملك قبلها كثر رياسها ونعمتها فتكثر عوائدهم وتجاوزون ضرورات العيش وخشوتها الى نوافله ورقته وزينتته ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رفقة الاحوال في المطاعم والملابس والفحش

فيرون حظك من وفادتهم
فخر اعلى الأتراك والهند
يا مستينا جل في شرف
عن رتبة المنصور والمهدي
جازاك ربك عن خليقته
خير الجزاء فعمم من
يسدى

وبقيت للدنيا وساكنها
في عزة أبدا وفي سمد
وأشده في سائر أيامه غير
هاتين القصيدتين كثيرا
يحضرن في الآن شي منه
غلب ابن مرزوق على
هواه وأفر دبحا لصته وكبح
الشكائم عن قر به فاقبضت
وقصرت الخطو مع البقاء
على ما كنت فيه من كتابة
سره وانشاء مخاطباته
ومراسمهم ثم ولاني آخر
الدولة خطة المظالم فوفيتها
حقها ودفعت للكثير ما
أرجو نوابه ولم يزل ابن
مرزوق أخذاني سعايته بي
وبأمثالي من أهل الدولة
غيره ومنافسة الى أن اتقضى
الامر على السلطان بسببه
ونار الوزير عمر بن عبد
الله بدار الملك فصار اليه
الناس ونبذوا السلطان
وبيعته وكان في ذلك هلاكه
على ما ذكرناه في أخبارهم

والآنية يتفاخرون في ذلك ويفخرون فيه غيرهم من الامم في كل الطيب ولبس الانيق وركوب الفاره
ويناغي خائفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى أن يبلغوا من
ذلك الغاية التي للدولة أن تبلغها بحسب قوتها وعوائدها من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم
١٢ ﴿فصل في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون﴾

وذلك أن الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السمي اليها
(قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما ينساكن الدهر
فاذا حصل الملك أقصر واعن المتاعب التي كانوا يتكفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا
الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فينبون القصور ويجرون المياه ويفرسون الرياض
ويستمتعون بأحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في أحوال الملايس والمطاعم والآنية
والفرش ما استطاعوا يألفون ذلك ويورثونه من بعدهم من أحيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى أن يتأذن الله
بأمره وهو خير الحاكمين والله تعالى أعلم

١٣ ﴿فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول
الترف والدعة أقيمت الدولة على الهرم﴾

وبانه من وجود * الاول انها تقتضي الانفراد بالمجد كقائه ومهما كان المجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم
له واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذب على الحوزة أسوة في طموحها وقوة شكائهم ومرماهم الى العز
جميع وهم يستطيعون الموت في بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على فسادهم واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع
عصبيتهم وكبح من أعنتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن العزو وفشل ربحهم ورتبوا المذلة والاستعباد
ثم ربي الخيل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء أجرا من السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في
عقولهم سواه وقل أن يستأجر أحد نفسه على الموت فيصير ذلك وهنا في الدولة وخضد من الشوكة وتقبل به على
مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب البأس من أهلها * الوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما
قدمناه فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على أعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والمترف يستغرق
عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك في أحيالهم المتأخرة الى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده وتمس الحاجة وتطالبهم
ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها فيوقون بهم العقوبات وينزعون ما في أيدي الكثير
منهم يستأثرون به عليهم أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فيضمعونهم لذلك عن اقامة أحوالهم ويضعف
صاحب الدولة بضعفهم وايضا اذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج
صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في أعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح غلهم والحياة مقدارها معلوم ولا
تزيد ولا تنقص وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الحياة على
الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحماية حينئذ عما
كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحماية والثالث رابعا الى أن
يعود العسكر الى أقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة وتيجاسر عليها من مجاورها من الدول
أو من هوت تحت يديها من القبائل والعصائب وبأن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته وأيضا فالترف مفسد للخلق
بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفسفة وعوائدها كما يأتي في فصل الحضارة فتذهب منهم خلال الخير التي
كانت علامة على الملك ودليلا عليه ويصفون بما ينافضها من خلال الشر فيكون علامة على الدبار والاقراض بما

ولما قام الوزير يزعم بالامر
أقرني على ما كنت عليه
ووفر أقطاعي وزاد في
جرايتي وكنت أسمو
بطفيان الشباب الى أرفع
ما كنت فيه وأدلى في
ذلك بسابق مودة مع من
أيام السلطان أبي عثمان
وصحابة استحكم عقدها
بينى وبين الامير أبي عبد الله
صاحب بجاية فكان ثالث
آفاقنا ومصقل فكاهتنا
واشدت غيرة السلطان كما
مر وسطنا وتفاقل عن
عمر بن عبد الله لمكان أبيه
من ترف بجاية ثم حلنى الادلال
عليه أيام سلطانه وماررتكه
في حق من القصور بي عما
أسمو اليه الى أن هجرته
وقعدت عن دار السلطان
مفاضلة فتسكروا وأقطعنى
جانبا من الاعراض فطلبت
الرحلة الى بلدي بافريقية
وكان بنو عبد الواد قد
راجعوا ملكهم تلمسان
والغرب الاوسط فتعنى
من ذلك أن يقتبط أبو جو
صاحب تلمسان بمكانى فاقم
عنده وألح في المنع من ذلك
وأيت أنا الا الرحلة

جعل الله من ذلك في خايقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتضعض أحوالها وتزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضي عليها * الوجه الثالث أن طبيعة الملك تقتضي الدعة كإذ كراهه وإذا اتخذوا الدعة والراحة مألفاً وخلقاً صار لهم ذلك طبيعة وجبة شأن العوائد كلها وإيلافها فترى أجيالهم الحادثة في غصارة العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراس وركوب البيداء وهداية القفر فلا يفرق بينهم وبين السوق من الحضرة إلا في الثقافة والشارفة فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم وتتخضع شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلونون بعوائد الترف والحضارة والسكون والدعة وورقة الخاشية في جميع أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة وينسلخون عنها شيئاً فشيئاً وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالاً على حامية أخرى إن كانت لهم واعتبر ذلك في الدول التي أخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحاً في غير رية وورع ما يحدث في الدولة إذا طرقت هذا الهرم بالترف والراحة أن تخير صاحب الدولة أنصاراً وشيعة من غير جلدتهم ممن تعودوا الخشونة فيتحذهم جنداً يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقها حتى يأذن الله فيها بأمره وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فإن غالب جندها الموالى من الترك فتخير ملوكهم من أولئك الممالك المجلو بين اليهم فرساناً وجنوداً فيكونون أجراً على الحرب وأصبر على الشظف من أبناء الممالك الذين كانوا قبلهم ورؤوفاً في ماء النعم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بأفريقية فإن صاحبها كثيراً ما يتخذ جناده من زناتة والعرب ويستكثر منهم ويترك أهل الدولة المبعدين للترف فتستجد الدولة بذلك عمراً آخر سالماً من الهرم والله وارث الأرض ومن عليها

﴿فصل في أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص﴾

١٤

اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة وهي سنوا القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرائات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون أعمار بعض أهل القرائات مائة تامة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرائات عند الناظرين فيها وأعمار هذه الملة ما بين الستين إلى السبعين كافي الحسب ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الأوضاع الغربية من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقيل من قوم عاد وثمود وأما أعمار الدول أيضاً وإن كانت تختلف بحسب القرائات الآن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته قال تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ولهذا قلنا أن عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيد ما ذكرناه في حكمه آية الله الذي وقع في بني إسرائيل وأن المقصود بالاربعة في فناء الجيل الأحياء ونشأة جيل آخر لم يعدوا للذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعة في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد وإنما قلنا أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتهم وتوحشهم من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصية محفوفة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والحسب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتتكسر سورة العصية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعهم إلى المجد ومرامهم في المدافعة والحماية فلا

واستجرت في ذلك برديفه
وصهره الوزير مسعود بن
رحوبن ماسي ودخلت عليه
يوم الفطر سنة ثلاث وستين
فأنشدته

هنيأ لصوم لاعداء قبول
وبشري لاعدائك فيه منيل
وهنا تأمن عزاً وسعادة
تتابع أعوام بها وفصول
سقي الله دهرها أنت إنسان
عنه

ولامس ربعا في حاك
محول
فصرك ما بين الليالي
مواسم

له غرر وضاحة وحجول
وجانبك المأمول للوجود
مشرع

يجوم عليه عالم وجهول
عساك وإن ضن الزمان
منولي

فرسم الاماني من سواك
مجيل
أجرني فليس الدهر لي
بمسالم

إذا لم يكن لي في ذراك مقيل
وأوليتي الحسنى بما أنا
أمل

فتلك يؤلي راحيا وينيل

ووالله ما رمت الترحل عن
قلي

ولا سخطه للعيش فهو
جبريل

ولا رغبة عن هذه الدار
انها

لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عنا

جائب
شجاهن خطب والفراق

طويل
يهيج بين الوجد انى نازح

وان فؤادي حيث هن
حلول

عزيز عليهن الذى قد لقيته
وان اغترابى فى البلاد

يطول
توارت بابي البقاع كاننى

تخطفت أو غالت ركابي
غول

ذكرتك يا معنى الاحبة
والهوى

فطارت لقلبي أنه وعويل
وحيت عن شوق رباك

كانما
يمثل لى في بها وطول

أحبابنا والعهد بينى
وينكم

كريم وماعهد الكريم
يحول

يسمهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه مذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول
أو على ظن من وجودها فيهم وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والحشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة
العز والعصية بمأهم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تنكوه من التعم وغضارة العيش فيصرون
عيا لاعلى الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصية بالجملة وينسون الحماية
والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يموتون بها وهم في
الاكثر أجبن من النسوان على ظهورها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعتهم فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى
الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ويستكثر بالمواصي ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الفناء حتى يتأذن الله
بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتحلقها ولهذا كان انقراض
الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن المجد والحسب انما هو في أربعة آباء وقد أتيناك فيه ببرهان طيبى كاف ظاهر
مبنى على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمل فلن تعدد وجه الحق ان كنت من أهل الانصاف وهذه الاحيال
الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مروا لا تمدوا لدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده الا ان عرض
له اعارض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلًا مستوليا والطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطاب لم يوجد
مدافعا فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من
التزايد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس في المشهور أن عمر الدولة مائة سنة وهذا
معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصح لك عدد الآباء في عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا
كنت قد استربت في عددهم وكانت السنوات الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعند كل مائة من السنين ثلاثة من
الآباء فان نفذت على هذا القياس مع نفوذ عدد فهو صحيح وان نقصت عنه مجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحدة في
عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم بزيادة واحدة في عمود النسب
وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك فتأمله تجده في الغالب
صحيحا والله يقدر الليل والنهار

﴿فصل فى انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة﴾

١٥

اعلم أن هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذى يكون به الملك انما هو بالعصية وبما يتبعها من شدة البأس
وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا لامع البداوة فطور الدولة من أولها بداوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه
واتساع الاحوال والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوه ومذاهب من المطابخ
والملايس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنيق
فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكرر باختلاف ما تزرع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتعم باحوال الترف
وماتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة بضرورة تبعية الرفه للملك وأهل
الدول أبايقدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب
ياخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم ولم يكونوا
لذلك المهدي شي من الحضارة فقد حكى انه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقعا وعثر على الكافور في خزان
كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا وأمثال ذلك فلما استعبدوا أهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجات
منازلهم واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك والقومة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عسكه والتفنن فيه مع
ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في أحواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في
الاحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والآنية وسائر المساعون والحرفى

وكذلك أحواله في أيام المباهاة والولائم ويألى الاعراس فأتوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهما في أعراس المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها لحاشية المأمون حين وافاه في خطبتها إلى داره بقم الصالح وركب إليها في السفين وما أنفق في أملاكها وما منحها المأمون وأنفق في عرسها تنقف من ذلك على المصعب فنه أن الحسن بن سهل ثري يوم الأملاك في الصنيع الذي حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الأولى منهم بنادق المسك ملثونة على الرقاع بالضياع والقمار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما أدامه إليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد أن أنفق في مقامة المأمون بداره أضعاف ذلك ومنه أن المأمون أعطاه في مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت وأوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان (١) وبسط لها فرشاً كان الحصر منها منسوجاً بالذهب مكالاً بالدرو الياقوت وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبانواس كانه أبصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقها * حصاء در على أرض من الذهب

وأعبد دار الطبخ من الحطب ليلية الوليمة نقل مائة وأربعين نفلاً مدة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفي الحطب ليلتين وأوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت وأوعز إلى التواتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد إلى قصور الملك بمدينة المأمون لحضور الوليمة فكانت الحراقات (٢) المعدة لذلك ثلاثين ألفاً أجاز والناس فيها آخريات نهارهم وكثير من هذا وأمثاله وكذلك عرس المأمون بن ذي النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد أن كانوا كلهم في الطور الأول من البداوة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان أسبابه والقائمين على صنائعه في غضاضتهم وسذاجتهم يذكر أن الحجاج أولم في اختتان بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس وقال أخبرني بأعظم صنيع شهدته فقال له نعم أيها الأمير شهدت بعض مرازية كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة النضة أرباعاً على كل واحد وتحمله أربع وصائف ويجلس عليه أربعة من الناس فاذا طعموا أتبعوا أربعتهم المائدة بصحائفها ووصائفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس وعلم أنه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كان * ومن هذا الباب أعطية بني أمية وجوارتهم قائماً كان أكثرها الأبل أخذاً بعد اذهب العرب وبدوتهم ثم كانت الجوارث في دولة بني العباس والعبيدين من بعدهم ما علمت من أحمال المال وتحوت اثنياب واعداد الخيل بمراكبها وهكذا كان شأن كتامة مع الأغلبية بأفريقية وكذا بني طنج بصر وشأن لتونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشأن زناتة مع الموحدين وهم جرات تنقل الحضارة من الدول السالفة إلى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبني العباس وانتقلت حضارة بني أمية بالاندلس إلى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة بني العباس إلى الديلم ثم إلى الترك ثم إلى السلجوقية ثم إلى الترك المماليك بمصر والترب بالعراقين وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة إذا مور الحضارة من توابيع الترف والتترف من توابيع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من توابيع الملك ومقدار ما يستولي عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه وتأمله تجده صحيحاً في العمران والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل في أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها

١٦

والسبب في ذلك أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة واستكثروا

(١) قوله وثلثان الذي في كتب اللغة أن الم رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية الثلثان اه

(٢) الحراقات بالفتح جمع حراقة سفينة فيها صراحي نار يرمي بها العدو اه مختار

إذا تألم ترض الحمول مدامو
فلا قبر بتني للقاء حمول
إلام مقامي حيث لم ترد العلا
مرادى ولم تعط القياد
ذلول

ويذهب بي ما بين يأس

ومطمع

زمان ينيل المعسولات

بجذل

تعلاني منه أمان خوادع

ويؤنسني منه أمان

مطلوب

أمال ليالي لا ترد خطوبها

ففي كبدي من وقعهم

فلول

يروغني عن صر فها كل

حادث

تكادله صم البلاد تزول

أداري على رغم العداة

برية

يصانع واش جوفها

وعذول

وأغدوا باشجاني عيللا

كانما

تجود بنفسي زفرة وغيل

واني وإن أصبحت في دار

غربة

تحيل ليالي سلوتي وتديل

وصدتنى الأيام عن خير

منزل

عهدت به أن لا يضم نزيل

لاعلم أن الحير فاش مكث
 زان هان أنصار وبان
 خليل
 فاعانني الوزير مسعود عليه
 حتى أذن لي في الانطلاق
 على شريطة العدول عن
 تلمسان في أي مذهب
 أردت فاخترت الاندلس
 وصرفت ولدي وأمهم إلى
 أخوالهم أولاد القائد محمد
 ابن الحكيم بقسنطينة فاتح
 أربع وستين وجعلت أنا
 طريق على الاندلس وكان
 سلطانها أبو عبد الله الخنوع
 وحين وفد على السلطان
 أبي سالم بفاس وأقام عنده
 حصلت لي معه سابقة وصلة
 خدمة من جهة الوزير أبي
 عبد الله بن الخطيب لما كان
 يبنى وينه من الصحابة
 فكنت أقوم بخدمته
 واعتمد في قضاء حاجاته
 في الدولة ولما أجاز باستدعاء
 الطاغية لاسترجاع ملكه
 حين فسد ما بين الطاغية
 وبين الرئيس المتوثب عليه
 بالاندلس من قرابته خلفته
 فيما ترك من عياله وولده
 بفاس خير خلف في قضاء
 حاجاتهم وادرار أرزاقهم

أيضاً من الموالى والصنائع وربيت أحياءهم في جو ذلك التقيم والرفه فازدادوا بهم عددا إلى عددهم وقوة إلى
 قوتهم بسبب كثرة المناصب حينئذ بكثرة العدد فاذهب الحيل الأول والثاني وأخذت الدولة في الهرم لم تستقل
 أولئك الصنائع والموالى بأنفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها لأنهم ليس لهم من الأمر شيء إنما كانوا عيالاً على
 أهلها ومعونة لها فاذهب الأصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشي ولا تبقى الدولة على حالها من
 القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الإسلام كان عدد العرب كإقلائها لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين
 ألفاً وما يقاربهم من مضر وخطان وما بلغ الترف مبالغته في الدولة وتوفر ثمرهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من
 الموالى والصنائع بلغ ذلك العدد إلى أضعافه يقال إن المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة ألف ولا يعد
 مثل هذا العدد أن يكون صحيحاً إذا اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقاً وغرباً إلى الجند الحاملين سرير
 الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودي أحصى أبو العباس بن عبد المطلب خاصة أيام المأمون للاتفاق عليهم
 فكانوا ثلاثين ألفاً بين ذكران وإناث فانظر مبالغ هذا العدد لقل من مائتي سنة واعلم أن سببه الرفه والتعميم الذي
 حصل للدولة وورثه فيه أحياءهم والأعداء العرب لأول الفتح لم يبلغ هذا ولا قرباً منه والله الخلاق العليم

١٧

فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار
 (اعلم) أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقاً من أحوال ذلك
 الطور لا يكون مثله في الطور الآخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة
 وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار الطور الأول طور الظفر بالبيعة وغلب المدافع والممانع والاستيلاء
 على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أسوة قومه في اكتساب
 الجند وحماية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفردونهم بشيء لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها
 الغلب وهي لم تزل بعد بحالها الطور الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد عنهم بالملك وكبحهم عن
 التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنياً بصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع
 والاستكثار من ذلك لجدع أنوف أهل عصبية وعشيرته المقاسمين له في نسبة الضارين في الملك بمثل سهمه فهو
 يدافعهم عن الأمر ويصد هم عن موارد رده ويردهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه حتى يقر الأمر في نصابه ويفر دأهل
 بيته بما يبين من مجده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر وأشد لأن الأولين دافعوا
 الجانب فكان ظهر أؤهم على مدافعهم أهل العصبية بأجمعهم وهذا يدافع الأقارب لا يظهره على مدافعهم إلا
 الأقل من الأبعد فيركب صعباً من الأمر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع
 طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الحياة وضبط الدخل والخرج
 وإحصاء النفقات والقصد فيها وتشديد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصاير المتسعة وأهيا كل المرتفعة وإجازة
 الوفود من أشرف الأمم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهلها هذا مع التوسعة على صنائه وحاشيته في أحوالهم
 بالمال والجاء واعتراض جنوده وادرار أرزاقهم وانصافهم في أعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في
 ملاسهم وشكيتهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول الحاربة وهذا الطور آخر أطوار
 الاستبداد من أصحاب الدولة لأنهم في هذا الأطوار كلها مستقلون بأنهم يانون لغزهم موضحون الطرق لمن
 بعدهم الطور الرابع طور القنوع والمسالم ويكون صاحب الدولة في هذا قانناً بما يبنى أوله مسلماً لا نظاراً من
 الملوك وأقاته مقلداً للماضين من سلفه فيتبع آثارهم جذواً للعل بالعل ويقضي طرقهم بتأخس مناهج الاقتصاد
 ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساداً مره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الاسراف
 والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفاً لما جمع أوله في سيل الشهوات والملاذ والكرم على

أوزاقهم من المتولين لها
والاستخدام لهم ثم فسد
ما بين الطاغية وبينه قبل
ظفروه بملكه برجوعه عما
اشترط له من التجاني عن

حصون المسلمين التي
تملكها بالاجلاب فقارقه الى
بلاد المسلمين باستجة
وكتب الى عمر بن عبد الله
يطلب مصرا من أمصار
الاندلس الغربية التي كانت
رصكبا للملوك المغرب في
جهادهم وخاطبني أنا في
ذلك فكنت له نعم الوسيلة
عند عمر حتى تم قصده من
ذلك وتجا في له عن ردة
وأعماله فزها وتملكها
وكانت دار هجرته وركاب
فتحها وملك منها الاندلس
أواسط ثلاث وستين
واستوحشت أنا من عمر
أثر ذلك كما روار تحت اليه
معو لا على سوا بقى عنده
فقرب في المكافات كما
نذكر ان شاء الله تعالى

✽ الرحلة الى الاندلس ✽
ولما أجمعت الرحلة الى
الاندلس بعثت باهلي وولدي
الى أخوالهم بقسنطينة
وكتبت لهم الى صاحبها

بطا تهم وفي مجالسه واصطناع أخذان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمة الامور التي لا يستقلون بمحايها
ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها مستفسد الكبار الاولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغنوا عليه ويتخاذلوا
عن نصرته مضيعا من جنده بما أنفق من أعطياتهم في شهواته وحجب عنهم وجهه مباشرة وتفقدته فيكون مخرجا لما
كان سلفه يؤسسون وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها
المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برء الى أن تقرض كانيته في الاحوال التي نسردها والله
خير الوارئين

١٨

✽ فصل في أن آتار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها ✽

والسبب في ذلك أن الآتار إنما تحدث عن القوة التي بها كانت أولا وعلى قدرها يكون الأثر فمن ذلك مباني
الدولة وهياكلها العظيمة فأنما تكون على نسبة قوة الدولة في أصلها لأنها لا تتم إلا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي
على العمل والتعاون فيه فإذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة الممالك والرعيا كان الفعلة كثيرين جدا
وحشروا من آفاق الدولة وأقطارها قمع العمل على أعظم هياكله ألا ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القرآن
عنهما وانظر بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقدر فيه الفرس حتى أنه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فكاء دغنه
وشرع فيه ثم أدركه العجز وقصة استشارته ليحيى بن خالد في شأنه معرفة فانظر كيف تقتصد دولة على بناء
لا تستطيع أخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى
بلاط الوليد بمد مشق وجامع بني أمية بقرطبة والفنطرة التي على واديها وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة
في القناة الرابطة عليها وآثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآتار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف
الدول في القوة والضعف واعلم أن تلك الافعال للاقدمين إنما كانت بالهدم واجتماع الفعلة وكثرة الايدي
عابها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تنوهم ماتوهم العامة أن ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا
في أطرافها وأقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما تجد بين أهياكل والآتار ولقد ولع القصاص بذلك
وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة في ذلك أخبار اعرافة في الكذب من أغربها ما يحكون عن عوج (١)
ابن عناق رجل من العمالقة الذين قاتلهم بنو اسرائيل في الشام زعموا أنه كان لطوله يتناول السمك من البحر
ويشويه الى الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا أن للشمس
حرارة وأنها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر هو الضوء وأن الضوء فيما قرب من الارض أكثر
لانكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة هنا لاجل ذلك وإذا تجاوزت مطارج
الاشعة المنعكسة فلا حر هناك بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحاب وأن الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة
وانما هو جسم بسيط مضيء لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من العمالقة أو من الكنعانيين
الذين كانوا فرسية بني اسرائيل عند فتحهم الشام وأطوال بني اسرائيل وجسماتهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا
يشهد لذلك أبواب بيت المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على أشكالها ومقادير أبوابها وكيف
يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار وانما آثار غلظتهم في هذا أنهم استعملوا آتار الامم ولم
يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك وبالهدم من الآتار العظيمة فصر فوه الى قوة
الاجسام وشدها بعظم هياكلها وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة من عمالماستدله
الاتحكم وهو أن الطبيعة التي هي حيلة للاجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال وكانت

(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب الجسيم عوج بن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس عنق
بالتون اه

السلطان أبي العباس من
حفصة السلطان أبي يحيى
وباني أمر على الإندلس
وأجيز عليه من هنالك
وسرت إلى سبتة فرضة
المجاز وكبيرها يومئذ أبو
العباس أحمد بن الشريف
الحسنى ذو النسب الواضح
السالم من الرتبة عند كافة
أهل المغرب اتقل سلفه
إلى سبتة من صقلية
وأكرمهم بنو العز في
أولوا صاهروهم ثم عظم
صيتهم في البلد فتكروا
لهم وغر بهم يحيى العزفى
آخروهم إلى الجزيرة
فاعترضهم مراكب
النصارى فى الزقاق
فأسروهم وابتدب السلطان
أبوسعيد إلى فدينهم رعاية
لشرفهم فبعث إلى النصارى
في ذلك فأجابوه وفادى
هذا الرجل وأباه على ثلاثة
آلاف دينار ورجعوا إلى
سبتة وانقرض بنو العزفى
ودولتهم وهلك والد
الشريف وصدره إلى
رياسة الشورى لما كانت
واقفه القيروان وخلع أبو
عنان أباه واستولى على

الاعمار أطول والاجسام أقوى لجمال تلك الطبيعة فان طرو الموت انما هو بالخلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية
كانت الاعمار أزيد فكان العالم في أولية نشأة تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص لتقصان المادة إلى أن بلغ
إلى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص إلى وقت الانحلال وانقرض العالم وهذا رأى لا وجه له الا التحكم
كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وأبوابهم وطرقهم فيما أخذونه من
لبنيان والهاياكل والديار والمساكن كديار عمود المنحوتة فى الصلدمن الصخر بيوتاً صغاراً وأبواباً ضخمة وقد أشار
صلى الله عليه وسلم إلى أنها ديارهم ونهى عن استعمال مياهم وطرح ما عجن به وأهرق وقال لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع
الأرض شرقاً وغرباً والحق ما قررناه ومن آثار الدول أيضاً حالها فى الأعراس والولائم كذا ذكرناه فى وليمة بوران
وصنيع الحجاج وابن ذى النون وقد مر ذلك كله ومن آثارها أيضاً عطايا الدول وأنها تكون على نسبتها
ويظهر ذلك فيها ولو أنشرفت على الهرم فان الهرم الذى لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبتهم للناس
والهرم لا تزال مصاحبة لهم إلى انقرض الدولة واعتبر ذلك بجوارى بن ذى بزن لوفد قريش كيف أعطاهم من
أرطال الذهب والفضة والاعبدو الوصائف عشر اعشرا ومن كرش العنبر واحدة وأضعف ذلك بعشرة أمثاله
لعبد المطاب وانما ملكه يومئذ قدارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس وانما حمله على ذلك همة نفسه بما كان
لقومه التابعة من الملك فى الأرض والعلب على الامم فى العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون بافرقية أيضاً
إذا أجازوا الوفاً من أمراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال أحمالاً والكساء تحو تملوءة والحمالان جنائب
عديدة وفى تاريخ ابن الرقيق من ذلك أخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوارىهم ونفقاتهم وكانوا إذا
كسبوا معدماً فانما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذى يستفده يوم أو بعض يوم وأخبارهم فى ذلك
كثيرة مسطورة وهى كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش السيديين لما رحل إلى
فتح مصر استعد من القيروان بالف حمل من المال ولا تنتهى اليوم دولة إلى مثل هذا وكذلك وجد بخط أحمد بن
محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة
(غلات السواد) سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم ومن الحلل النجرانية ما شاحلة
ومن طين الختم مائتان واربعون رطلاً (كنكر) أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وستمائة ألف درهم
(كوردجلة) عشرون ألف ألف درهم وثمانية دراهم (حلوان) أربعة آلاف ألف درهم مرتين
وثمانمائة ألف درهم (الاهواز) خمسة وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل (فارس)
سبعة وعشرون ألف ألف درهم ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الاسود عشرون ألف رطل
(كرمان) أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومائتا ألف درهم ومن المتاع اليماني خمسمائة ثوب ومن التمر
عشرون ألف رطل (مكران) أربع مائة ألف درهم مرة (السند ومايله) أحد عشر ألف ألف درهم
مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن العود الهندى مائة وخمسون رطلاً (سجستان) أربعة آلاف ألف درهم
مرتين ومن الثياب المعينة ثلثمائة ثوب ومن الفانيذ عشرون رطلاً (خراسان) ثمانية وعشرون ألف ألف
درهم مرتين ومن نقر الفضة ألفانقره ومن البراذين أربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون
ألف ثوب ومن الاهليلج ثلاثون ألف رطل (جرجان) اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن الابريسم ألف
شقة (قوس) ألف ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف من نقر الفضة (طبرستان والروبان ونهواند) ستة
آلاف ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرش الطبرى ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ومن الثياب
خمس مائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الجامات ثلثمائة (الرى) اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن

المنعرب وكان بسيرة عبدالله
ابن علي الوزير واليامن
قبل السلطان أبي الحسن
فتمسك بدعوته ومال أهل
البلد إلى السلطان أبي عنان
وأمكنوه من بلدهم فولي
عليها من عظماء دولته سعيد
ابن موسي العجيسي كان
كافل تربته في صفه وأفرد
هذا الشريف برياسة
الشورى في سبته فلم يكن
يقطع أمرادونه ووفده على
السلطان بعض الأيام فلقاه
من المبرة بما لا يشاركه فيه
أحد من وفود الملوك
والعظماء ولم يزل على ذلك
سائر أيام السلطان وبعد
وفاته وكان معظم ما قور
الجلس هش اللقاء كريم
الوفادة متحلياً بالعلم والأدب
متحلاً للشعر غاية في الكرم
وحسن العهد وسذاجة
النفس ولما مرت به سنة
أربع وستين أنزلني بيته
أزاء المسجد الجامع ورأيت
منه ما لا يقدر مثله من الملوك
وأركبني الحراقة ليلية سفرى
يباشر وحر جتها إلى الماء
يسده أغراباً في الفضل
والمساهمة وحططت بجبل

السل عشرون ألف رطل (همدان) أحد عشر ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف ومن رب الرمانين
ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة) عشرة آلاف درهم مرتين
وسبعمائة ألف درهم (ماسيدان والدينار) (١) أربعة آلاف درهم مرتين (شهرزور) ستة
آلاف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم (الموصل ومالها) أربعة وعشرون ألف درهم مرتين
ومن العسل الأبيض عشرون ألف رطل (أذربيجان) أربعة آلاف درهم مرتين (الجزيرة وما
يها من أعمال الفرات) أربعة وثلاثون ألف درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر
ألف زق (٢) ومن البراة عشرة ومن الأكسية عشرون (أرمينية) ثلاثة عشر ألف درهم مرتين
ومن القسط المحفور عشرون ومن الزم خمسمائة وثلاثون رطلاً ومن المسالخ السورماهي عشرة آلاف رطل
ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهرة ثلاثون (قنسرين) أربع مائة ألف دينار
ومن الزيت ألف حمل (دمشق) أربع مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار (الأردن) سبعة وتسعون ألف
دينار (فلسطين) ثلثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل (مصر) ألف
ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار (برقة) ألف ألف درهم مرتين (أفريقية) ثلاثة
عشر ألف ألف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون (اليمين) ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار
سوى المتاع (الحجاز) ثلثمائة ألف دينار انتهى وأما الاندلس فالذي ذكره اللغات من مؤرخيها أن عبد
الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جلته بالقطاير
خمسائة ألف قطار * ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قطار
 وخمسمائة قطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تتكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في
عصرك شيء من أمثاله فضيع حوصلتك عند ملتقط المكنات فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار
عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فإن أحوال الوجود والعمران متفاوتة ومن أدرك منها
رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية
والعباسيين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لا شك فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها
وجدنا بينها وبينها وهو لما بينهما من التفاوت في أصل قوتها وعمران ممالكها فالأثار كلها جارية على نسبة الأصل
في القوة كما قدمناه ولا يسعنا أنكار ذلك عنها إذ كثير من هذه الأحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق
بالمستفيض والمتواتر وفيها المعان والمجاهد من آثار البناء وغيره فخذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها
أوضاعها ووضخاتها أو صفرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة وذلك أنه ورد بالمغرب
لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة (٣) كان رحل منذ
عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو
السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك المهمل وهو فيروز جوهر وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب
المالكية في عمله ثم اتقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من
العجائب بممالك الأرض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستقر به السامعون

(١) قوله والدينار الظاهر أنها الدينور وفي الترجمة التريمية ماسيدان وربان اه

(٢) قوله ومن البراة الخ في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه

(٣) كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانهائها سنة ٧٥٤ وهي بحجية ومختصرها نحو ٧

مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى سحر البلد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحفل من جنجيات على الظهر ترمي بها شكاثر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل ابوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس بتكذيبه * ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضه في هذا الشأن وأرته أنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس إياك أن تستذكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كإبن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها أنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن العجم الذي كان يتغذى به فقال له أبوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فيصفها له أبوه بشياتها ونعمتها فيقول يا بترها مثل الفأر فيشكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر وكذا في لحم الأبل والبقر أذ لم يعان في محبسه من الحيوانات إلا الفأر فيحبسها كلها بناءً جنس الفأر وهذا كثير أما يعترني الناس في الأخبار كما يعترتهم الوسواس في الزيادة عند قصد الغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الإنسان إلى أصوله وليكن مهيمناً على نفسه ومميزاً بين طبيعة الممكن والمتع بصريح عقله ومستقيم فطرته فادخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه أوسع شيء فلا يفرض حد بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فانا إذا نظرنا أصل الشيء وجنسه وصفه ومقدار عظمه وقوته أجرنا الحكم من نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علماً وانت أرحم الراحمين والله سبحانه وتعالى أعلم

١٩ * فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبته بالموالي والمصطنعين *

(اعلم) أن صاحب الدولة انما يتيم أمره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهر أو نه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم من يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته وجباية أموالهم أعوانه على القلب وشركاؤه في الأمر ومساھمونه في سائر مهماته هذا مادام الطور الأول للدولة كما قلناه فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجدو دافعهم عنه بالراح صاروا في حقيقة الأمر من بعض أعدائه واحتاج في مدافعتهم عن الأمر وصدهم عن المشاركة إلى أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب إليه من سائرهم وأخص به قرباً وأصل طناؤاً وأولى أيتار واجاهاً لما أنهم يستمتون دونه في مدافعة قومه عن الأمر الذي كان لهم والرتبة التي ألغوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة والاثار ويقسم لهم مثل ما لكثير من قومه ويقلد هم جليل الأعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحياة وما يختص به لنفسه وتكون خالصة له دون قومه من ألقاب المملكة لأنهم حينئذ أولياؤه الأقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتمام السولة وعلامة على المرض المزمن فيها الفساد العصبية التي كان بناء القلب عليها ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضغظون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبذلك على الدولة ولا يطمع في برهم من هذا الداء لأن ما ضي يتأكد في العقاب إلى أن يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية أعمالهم رجال العرب مثل عمرو بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى ابن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم من رجال العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضاً برجال العرب فالما صارت الدولة للانفراد بالمجدو كبح العرب عن التطاول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني طاهر ثم بني بويه وموالي الترك مثل بغاوصيف وأتامش وبأكنك وابن طولون وبنائهم وغير هؤلاء من موالى العجم فتكون الدولة

الفتح وهو مشد لصاحب
أنفرب ثم خرجت منه إلى
غمرناطة وكتبت للسلطان
أبن الأحمر ووزيره ابن
الخطيب بشاني وليلة بت
بقرب غمرناطة على يريد
منها ليقني كتاب ابن الخطيب
يهنئني بالقدوم ويؤنسني
ونصه

حللت حلول النيت في البلد
المحل
على الطائر الميمون والرحب
والسهل
يمينا بن تعنو الوجوه
لوجه

من الشيخ والطفل المعصب
والكهل
لقد نشأت عندى للقبك
غبطة
تسني اغتباطي بالشبهة
والاهل
وودى لا يحتاج فيه
لشاهد

وتقررى المعلوم ضرب من
الجهل

أقسمت بمن حجت قریش
ليته وقبر صرف أزمة
الاحياء ليمته ونور ضربت
الامثال بمشكاته وزيتته
لوحزت أيها المحب الحبيب

أثير من مهادها والعز لغير من اجتلبه سنة الله في عبادته والله تعالى أعلم

﴿فصل في أحوال الموالى والمصطنعين في الدول﴾

٢٠

الذي زيارته الامنية السنية
والعارفة الوارفة والاطيفة
المطيفة بين رجح الشباب
يقطر ماؤه ويرف نماؤه
ويغازل عيون الكواكب
فضلا عن الكواكب
اشارة وإيماء بحيث لا أوفى
حظ لم يساجلته أو يقدح
ذباله في ظلمته أو يقدر
حواريه في ملتمته من
الاحابش وأمه وزمانه
روح وراح ومغدى في
النيم ومراح وخصب
صراح ورني وجراح
واتخاب واقتراح وصدر
مابدا لا انشراح ومسرات
يرد فيها افراح وبيز
قدومك خلع الرسن تمتد
والحمد لله بالقطة والوسن
محكما في نسك الجنيذ أو قل
الحسن تمتعا بطرف
المعارف مالثاف الصيارف
ماحيابأنا رالبراهين شب
الزخارف لما اخذت
الشباب وان شافني زمنه
وأعاني ثمنه وأجرت
سحاب دمي دمنه فالحمه
لله الذي رفاخوه اغترابي
وملكنى أزمة آراي
وغبطنى بمالى وترابي

اعلم أن المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة يتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك أن المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة إنما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوى الارحام والقربى والتخاذل في الاجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالخلف تنزل منزلة ذلك لأن أمر النسب وإن كان طبيعيا فأنما هو وهمي والمعنى الذى كان به الالتحام إنما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمربى والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت الثمرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر مثله في الاصطناع فإنه يحدث بين المصطنع ومن اصطعنه نسبة خاصة من الوصلة تنزل هذه المنزلة وتؤكدها كدلالة على أن النسب مو جودة فإذا كانت هذه الولاية بين القليل وبين أوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقيها وشيوخ وعقائدها أصح ونسبها أصح لو جهين أحدهما أنهم قبل الملك أسوة في حالهم فلا تميز النسب عن الولاية لا عند الأقل منهم فيتزولون منهم منزلة ذوى قرابتهم وأهل أرحامهم وإذا اصطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى ولاهل القرابة عن أهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه أحوال الرياسة والملك من تميز الرب وتفاوتها فتميز حالهم ويتزولون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم أضعف والتناصر لذلك أبعد وذلك أنقص من الاصطناع قبل الملك * الوجه الثاني أن الاصطناع قبل الملك يبعد عهده عن أهل الدولة بطول الزمان ويخفى شأن تلك اللاحمة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبية وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوي في معرفته الاكثر قتيين اللاحمة وتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات مجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده أشد للاحما به وأقرب قرابة اليه ويتزول منه منزلة أبناءه واخوانه وذوى رحمته ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللاحمة مالاولين وهذا مشاهد بالعيان حتى إن الدولة في آخر عمرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم محكما بناء المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بأوليائهم ومشاركة الدولة على الانقراض فيكونون من حطين في مهاوى الضمعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن أوليائهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعترسهم في أنفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره به قبيله وأهل نسبه لتأكده اللاحمة منذ العصور المتطاولة بالمربى والاتصال بأبائه وسلف قومه والانتظام مع كبراء أهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم بسببها صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد ويقون على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في أواخرها وأكثر ما يطلق اسم الصنائع والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحدثون فغدم وأعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شئ وكيل

﴿فصل فيما يعرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه﴾

٢١

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القليل القائمين بالدولة وانفردوا به ودفعوا سائر القليل عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التغلب على المنتصب من وزرائهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير أو مضغف من أهل المنة يترشح للولاية بهمداً يه أو بترشيح ذويه وخوله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء أهليه وحاشيته ومواليه أو قبيله ويورى بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترفأحواله ويسيمه في مراعيها متى أمكنه وينسبه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو باعوده يعتقد أن حظ

السلطان من الملك إنما هو جلوس السرير وأعطاء الصفقة وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحل والربط والامر والنهي ومباشرة الاحوال الملوكة وتفقد هاهنا النظر في الحيش والمال والثغور إنما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى أن تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويحول الملك اليه ويؤثر به عشرته وأبناءه من بعده كما وقع لابي بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالشرق وللمنصور بن ابي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك الحججور الغلب لشأنه فيحاول على الخروج من رتبة الحجر والاستعداد ويرجع الملك الي نصابه ويضرب على ايدي المتغلبين عليه اما بقتل أو برفع عن الرتبة فقط الآن ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا أخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل أن يخرج عنه لان ذلك إنما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة أبناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة وألقوا أخلاق الديار والآثار وروا عليها فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انما همهم في القنوع والاهبة والتفنن في اللذات وأنواع الترف وهذا التغلب يكون للمعالي والمصنطين عند استبداد عرش الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهذا مرضان لا يبرء لدولة منهما الا في الاقل النادر والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

٢٢ فصل في أن المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في القلب الخاص بالملك

وذلك أن الملك والسلطان حصل لاوليه منذ أول الدولة بمصيبة قومه وعصيته التي استتبعتهم حتى استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها تحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا التغلب وان كان صاحب عصية من قبيل الملك أو الموالي والصنائع فعصيته مندرجة في عصية أهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل والعقد والابرار والنقض يوهم فيها أهل الدولة أنه متصرف عن سلطانه منفذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته وألقابه جهده ويبعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك لحجاب الذي ضربه السلطان وأولوؤه على أنفسهم عن التقليل منذ أول الدولة ومغالطته بالنباية ولو تعرض انشي من ذلك لنفسه (١) عليه أهل العصية وقيل الملك وحاولوا الاستثارة به دون لانه لم تستحكم له في ذلك صبغة محماهم على التسليم له ولاقياد فيهلك لاول وهلة وقد وقع مثل هذا العبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن أبي عامر حين سمالي مشاركة هشام وأهل بيته في لقب الخلافة ولم يقع بمقتع به أبوه وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتتابعة فطلب من هشام خليفته أن يعمله بالخلافة فتفلس ذلك عليه بنو مروان وسائر قریش وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الحيار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان ذلك خراب دولة العالميين وهلاك المؤيد خليفتهم واستبدل منه سواه من أعيان الدولة الي آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

٢٣ فصل في حقيقة الملك وأصنافه

الملك منصب طبيعي للانسان لا ناقد يتيان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة الي المعاملة واقضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الي حاجته يأخذها من صاحبه في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمنعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى المقاتلة وهي تؤدي الى الهرج وسفك الدماء وازهاق النفوس المفضي ذلك الي انقطاع النوع وهو مما خصه البارئ سبحانه بالمحافظة فاستحال

(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه الشيء كقصر لم ير أهلا له كفاي القاموس

ومألف أثرابي وقد أغصني
بلذ شراي ووقع على
سطوره المعبرة اضراي
ومجنت هذه مغبطة بمناخ
المطية وملتقي للسعود غير
البطية وتهني الآمال
الويرة الوطية فاشتت
من نفوس عاطشة الي ريك
متجملة بريك عاقلة خطي
سمه بريك ومولى مكارمه
مشيدة لامثالك ومضان
منالك وسيصدق الخبر
ما هنالك ويسع فضلك
مجدك في التخلف عن
الامهار لابل الاقاء من وراء
الجار والسلام ثم
أصبحت منى القنداقا على
البلد وذلك ثامن ربيع
الاول عام أربعة وستين
وقد اهتز السلطان لقدومي
وهيا لي المنزل من قصوره
بفرشه وما عونه وأركب
خاصته للقائي تحفيا وبرأ
ومجازاة بالحسن ثم دخلت
عليه فقابلني بما يناسب
ذلك وخلع وانصرف
وخرج الوزير ابن الخطيب
فتشيعني الى مكان نزلي ثم
نظمني في عليه أهل مجلسه

بقاؤهم فوضي دون حاكمهم بزعم بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من العصية لما قدمناه من أن المطالبات كلها والمدافعات لا تتم إلا بالعصية وهذا الملك كما تراهم منصب شريف توجه نحو المطالبات ويحتاج إلى المدافعات ولا يتم شيء من ذلك إلا بالعصيات كما مر والعصيات متفاوتة وكل عصية فلهما تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصية وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحجي الأموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به عصيته عن بعضها مثل حماية الثغور أو جباية الأموال أو بث البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة الأغلبة بالقيروان وملك المعجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصيته أيضا عن الاستعلاء على جميع العصيات والضرب على سائر الأيدي وكان فوقه حكم غيره فهو أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهو لا مثل أمراء التواحي ورؤساء الجهات الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق أعني توجد ملوك على قومهم في التواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيدين وزانة مع الأمويين تارة والعبيدين تارة أخرى ومثل ملوك المعجم في دولة بني العباس ومثل أمراء البربر وملوكهم مع الفرنجة قبل الإسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والله القاهر فوق عباده

﴿فصل في أن أرهاق الخدم مضر بالملك ومفسد له في الأكثر﴾

٢٤

اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحه أو عظم جثمانه أو اتساع علمه أو جودة خطه أو ثقب ذهنه وانما صلاحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الأمور الاضافية وهي نسبة بين متنيين حقيقة السلطان انه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم فالسلطان من لرعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم هي التي تسمي الملكة وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتواهبها من الجوده فكان حصل المقصود من السلطان على أتم الوجه فانها ان كانت حيلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم واهل اكلامهم ويعود حسن الملكة الى الرفق فان الملك اذا كان قاهرا باطش بالعقوبات متعاب عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا به بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسد بصائرهم وأخلاقهم ووربما أخذوا في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد الثبات ووربما أجمعوا على قتله لذلك ففسد الدولة ويخرج السياج وان دام أمرهم عليهم وقهره ففسدت العصية لما قلناه أولا وفسد السياج من أصله بالعجز عن الحماية واذا كان في قيامهم متجاوزا عن سيئاتهم استقاموا اليه ولاذوا به وأشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب وأمانوا به حسن الملكة ففي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فللمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي أصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقطا شديدا لكاء من الناس وأكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل وأقل ما يكون في اليقظ انه يكلف الرعية اوق طاقهم لنفوذ نظره فيما وراء أمدار كههم واطلاعه على عواقب الأمور في مباديها بالاعتية فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى سير أضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الافراط في الذكاء وما أخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لماعز له عمر عن العراق وقال لم عزلتني يأمر المؤمنين العجز أم لحية فقال عمر لم أعز لك لواحدة منهم ما ولكني كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس فأخذ من هذا أن الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد بن أبي سفيان وعمر بن العاص لما يتبع ذلك من التدهف وسوء الملكة وحمل

واختصني بالنجاء في خلوته والمرابكة في ركوبه والمواكلة والمفاكهة في خلوات أنسه وأقمت عنده وسفرت عنه سنة خمس وستين الى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطرقة بن الهنشة بن ادفونش لاتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدو بهدية فاخرة من ثياب الحرير والحياض والمقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقبت الطاغية باشيلية وعانيت آثارا سلفي بها وعاملني من الكرامة بما لامي يد عليه وأظهر الاغباط بمكاني وعلم أولية سلفنا باشيلية وأتي على عنده طيبه ابراهيم بن زورور اليهودي المقدم في الطب والنجامة وكان لقيني بمجلس السلطان أبي غنان وقد استدعاه يستطبه وهو يومئذ بدار ابن الأحمر بالاندلس ثم زرع بعده ملك برضوان بن القائم بدواتهم الى الطاغية فأقام عنده ونظمه في أطبانه فلما قدمت أنا عليه أتي على عنده فطلب الطاغية حينئذ المقام عنده

الوجود على ما ليس في طبعه كإثباتي في آخر هذا الكتاب والله خير المالين وتقرر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لأنه افراط في الفكر كما أن البلادة افراط في الجود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمحمود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل وكفي الشجاعة مع الهوج واللين وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطان وأمثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

﴿فصل في معنى الخلافة والامامة﴾

٢٥

لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاء التغلب والقهر للذات همام من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم لملته إياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهوته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخائف والساف منهم فتعسر طاعته لذلك وتحجب العصية المفضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم وإذا اخلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولا يتم استيلاؤها سناً لله في الذين خلوا من قبل فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فأنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء والله يقول أنحسبتم أنما خلقناكم عبثاً فآلئكم المقصود بهم دنياهم المقصود بهم إلى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض فجاءت الشرائع بمحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاجرت به على منهاج الدين ليكون الكل محوطاً بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب وإهال القوة الغضبية في مرعاهما فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو النقص الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضاً لأنه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور لان الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك أو غيره قال صلى الله عليه وسلم أنما هي أعمالكم ترد عليكم وأحكام السياسة أنما تطالع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب مقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء فقد تين لك من ذلك معنى الخلافة وأن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخرية والدنيوية الراجعة اليها إذا أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

﴿فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه﴾

٢٦

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة واماماً فاما تسميته اماماً فتشبهها بامام الصلاة في اتباعه والاقداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلكونه يخاف النبي في أمته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختاف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباساً من الخلافة العامة التي للمؤمنين في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة وقوله جعلكم

وان يرد على تراث سلفي
باشيلية وكان يبرز عمامة
دولته فتفاديت من ذلك
بما قبله ولم يزل على اعتباطه
إلى أن انصرفت عنه
فزوجني وحملي واختصني
ببغلة فارهة بمركب ثقل
ولجام ذهبيين أهديتهما
إلى السلطان فأقطعني قرية
البيرة من أراضي السقي
بمنج غرناطة وكتب لي بها
منشوراً كان نصبه

ثم حضرت ليلة المولد النبوي
لخامسة وكان يحتفل في
الصنيع فيها والدعوة وانشاد
الشعر اقتداء بملوك المغرب
فأشدته ليلته
حتى المعاهد كانت قبل
تحييني
بواكف الدمع يرميها
وتضميني
ان الاولى نرحب داري
ودارهم
تحملوا القلب في آثارهم
دوني

وقفت أنشد صبراً ضاع

بعدهم

فيهم وأسأل رسماً لا

يناحيني

أمثل الربع من شوقي

فألمه

وكيف والفكر يدينه

ويقصيني

وينهب الوجد مني كل

لؤلؤة

ما زال قلبي عليها غير

مأمون

سقت جفوني مغاني الربع

بعدهم

بالدمع وقف علي اطلاله

الجوني

قد كان للقلب عن داعي

الهوى شغل

لو أن قلبي الي السلوان

يدعوني

أحبا بنا لو لهد الوصل

مذكر

وهل نسيته منكم

تحيني

مالي وللطيف لا يشاد

زاره

وللنسيم عيسلا لا يداوني

يا أهل نجد وما نجد

وساكنها

حسناسوي جنة الفردوس

والعين

خلاف الأرض ومنع الجمهور منه لأن معنى الآية ليس عليه وقد نهي أبو بكر عنه لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن الاستخلاف إنما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا ثم أن نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الي بيعته أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في أمورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعاً دالاً على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الي أن مدرك وجوب العقل وأن الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل ضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فمال يمكن الحاكم الوازع أفضي ذلك الى المخرج المؤذن بهلاك البشر واقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في البشر وقد نهنا على فسادها وأن إحدى مقدماته أن الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكفاية تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لأن الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر أهل الشوكة ولو لم يكن شرع كافياً أمم المحوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أو لم تبلغه الدعوة أو تقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحرير الظلم عليه بحكم العقل فادعاهم أن ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء أهل الشوكة أو بامتناع الناس عن التنازع والتفالم فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على أن مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأساً بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عندهم لاء انما هو امضاء أحكام الشرع فاذا توافقت الامة على العدل وتفيذاً أحكام الله تعالى لم يحتج الي امام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالاجماع والذي حملهم على هذا المذهب انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدينامار أو الشريعة ممثلة بدم ذلك والنبي على أهله ومرغبة في رفضه واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم المفساد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك أن في هذه مفساد محظورة وهي من توابه كما أتى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه وأوجب بازائها الثواب وهي كلها من توابه الملك فاذا انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال أخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكليّة لدعاية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهم ما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده ثم يقول لهم أن هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يفيكم شيئاً لأنكم موافقون على وجوب اقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصية والشوكة والعصية مقتضية بطبعها الامكان فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما فررت عنه واذا تقرر أن هذا النصب واجب باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الي اختيار أهل العقد والحل فيعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعاً طاعته لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواص والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منفذاً لأحكام الله تعالى اذا كان عالماً بها ولم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهداً لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال وأما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في اتقاء العدالة فيه فسحق الخوارج من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفي اتفائها بالبدع الاعتقادية خلاف وأما الكفاية فهو أن يكون جريئاً على اقامة الحدود

أغزوكم اتى ما من
ذكركم
ثبتت نفسي كأن الراح
يحيني
أصبوا الى البرق من انحاء
أرضكم
شوقا ولولا كمو ما كان
يصيبي
يانازحا والمضى تدينه من
خلدى
حتى لأحسبه قريبا
يناحيني
أسلى هواك فؤادى عن
سواك وما
سواك يوماحال عنك
يسليني
ترى الليالى أنستك اذكارى
يا
من لم تكن ذكره الايام
تسني
ومنها فى وصف الايوان
الذى بناه لجلوسه بين
قصوره
يامصنعا شدت منه للسعود
حمى
لا يطررق الدهر مبناه
بتوهين
صرح بجار لديه الطرف
ماتبسا
فيه ابرومك من شكل
وتلوين

واقترحام الحروب بصيرابها كفيلا يحمل الناس عليها عاراً بالعصية وأحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح
له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الأحكام وتدبير المصالح وأما سلامة الجواس والاعضاء
من النقص والعطلة كالجئون والعبي والصمم والحرس وما يؤثر فقدمه من الاعضاء فى العمل كفسق الدين
والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك فى تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما
يشين فى المنظر فقط كفسق احدي هذه الاعضاء فنشرط السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقدان الاعضاء المنع
من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه فى اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن
التصرف جملة بالاسرو شبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عصيان ولا
مشاققة فينتقل النظر فى حال هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحيد السياسة جازا قراره والانتصر
المسامون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل الخليفة وأما النسب القرشي فلا جماع الصحابة يوم
السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عباد وقالوا منّا أمير ومنكم أمير
بقوله صلى الله عليه وسلم الاثمة من قريش وبأن النبي صلى الله عليه وسلم أو صانا بأن نحسن الى محسنكم وتجاوز عن
مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فخرجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منّا أمير ومنكم أمير وعدلوا
عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا فى الصحيح لا يزال هذا الامر فى هذا الحى من قريش وأمثال
هذه الأدلة كثيرة الا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبما نفقتهم الدولة
فى سائر أقطار الارض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتقلبت عليهم الاعاجم وصاروا للحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على
كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر فى ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم
اسمعوا وأطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي ذو زينة وهذا لا تقوم به حجة فى ذلك فانه خرج مخرج التمثيل
والفرض للمبالغة فى ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حيا وليته أو لماد خاتنى فيه
الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت أن مذهب الصحابة ليس بحجة وايضا فولى القوم منهم عصبية الولاء
حاصلة لسالم فى قريش وهى الفائدة فى اشتراط النسب ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها كثرة
مفقودة فى ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من النسب المفيد للعصية كما ذكر ولم يبق الا
صراحة النسب فرآه غير محتاج اليه اذا الفائدة فى النسب انما هى العصبية وهى حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصا من
عمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد أمرهم لئلا تلحقه فيه لاثمة ولا عليه فيه عهدت ومن القائلين بنفى
اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال واستبداد
ملوك العجم على الخلفاء فأسقط شرط القرشية وان كان موافقا لرأى الخوارج لما رأوا عليه حال الخلفاء
لهمه ودبى الجمهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد
عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على أمره لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية
واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو
خلاف الاجماع ولنتكلم الآن فى حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب فى هذه المذاهب فنقول ان الاحكام
الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشترع لاجلها ونحن اذا اجتئنا الحكمة فى اشتراط النسب
القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو فى المشهور وان كانت تلك
الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد ان من المصاحبة فى
اشتراط النسب وهى المقصودة من مشروعيتها واذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها الاعتبار العصبية التى تكون بها الحماية
والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها للصاحب المنصب فتسكن اليه الملة وأهلها وينتظم حل الالفه فيها

وذلك أن قريشا كانوا عصبة مضروا أصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبة والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم اقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يرددهم عن الخلاف ولا يحماهم على الكرة فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذور من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبة وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الي ما يراى منهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبة القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فاذعن لهم سائر العرب واتقادت الامم سواهم الى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات واستمر بعد هاهنا الدولتين الى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبة العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس أخبار العرب وسيرهم وتفتن لذلك في أحوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبة والغلب وعلمنا أن الشارع لا ينخص الاحكام بمحبل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبة فاشترطنا في القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أو لي عصبة قوية غالبية على من معها العصرها ليستتبوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والآفاق كما كان في القرشية اذا الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبة العرب كانت واقية بها فغلبوا سائر الامم وانما ينخص لهذا المهدكل قطر من تكون له فيه العصبة الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الامن له قدرة عليه ألا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب (١) في شأن النساء وأنهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلان تبعال الرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل أحد فيها قائم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامرأة أو حيل الامن غلب عليهم وقل أن يكون الامر الشرعي مخالفا للامر الوجودي والله تعالى أعلم

فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

٢٧

(أعلم) أن الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخائف والسلف على اتباع على وبنسبه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه أن الامامة ليست من المصالح العامة التي تقوض الي نظر الامة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الي الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبار والصغار وأن عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص يقولونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يبرفها جهابذة السنة ولا نقلة انشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة وتقسم هذه النصوص عندهم الي جلي وخفي فالجلي مثل قوله من أنت مولاه فعلى مولاه قالوا لم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله أنصركم علي ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد بالولي الامر الواجبة طاعتهم بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم والمراد بالحكم والقضاء ولهذا كان حكما في قضية الامامة

(١) قوله الامام ابن الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر اه

بـ ٣ الايوان كسري از
قصر كذا
سامي لا عظم من تلك
الاواوين
ودع دمشق ومفناها فقصر
ذا
أشهي الى القلب من أبواب
جبروني
ومنها في التعريض بمنصرفي
من العدو
من مبلغ عنى الصحب الأول
نزلوا
ودى وضاع حماهم اد
أضاعوني
اني أويت من العاييا الى
حرم
كادت معانيه بالبشرى
تحيفي
وانسى طاعن لم ألق
بعدكم
دهرا أنا كى ولا خلا
يشا كيني
لا كالتى أخفرت عهدى
ليالى اذ
أقلب الطرف بين الخوف
والهون
سقى ورعى الايامي التي
ظفرت
يداي منها يحظ غير
مغبون

يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا على
ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت فانه بعث بها أولا
أبا بكر ثم أوحى اليه ليبايعه رجل منك أو من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي
وأيضا فلم يعرف أنه قدم أحد على علي وأما أبو بكر وعمر فقد قدم عليهما في غزاتين أسامة بن زيد مرة وعمر بن
العاص أخرى وهذه كلها أدلة شاهدة بتعين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد
عن تأويلهم ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه وكذلك تنتقل منه الي من بعده
وهؤلاء هم الامامية ويتبرؤن من الشيخين حيث لم يقدموا عليا وبايعوه بمقتضى هذه النصوص وبغضوص في
امامتهم ما لا يلتفت الى نقل القدح فيها من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الأدلة إنما
اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقسمون حيث لم يضعوا الوصف موضعه وهؤلاء هم الزيدية ولا
يتبرؤن من الشيخين ولا يغمصون في امامتهم مع قولهم بان عليا افضل منهما لكنهم يجوزون امامة المفضل مع
وجود افضل ثم اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم
واحدا بعد واحد على ما ذكر بعد وهؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقالهم باشرط معرفة الامام وتعيينه في
الايان وهي أصل عندهم ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ ويشترط أن يكون الامام
منهم علم ازا هذا جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد بن
علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر أخاه عمدا الباقر على اشتراط الخروج في الامام فيلزمه الباقر ان لا يكون
أبوهما زين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك نفي عليه مذاهب المعتزلة وأخذها ياها عن
واصل بن عطاء ولسنا نأظر الامامية زيدا في امامة الشيخين ورأوه يقول بامامتهم ولا يتبرأ منهم فوضوه ولم يجعلوه
من الاثمة وبذلك سمو ارافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك الى أخيهما محمد بن
الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولا وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها
اختصارا ومنهم طوائف يسمون الفلاة تجاوزوا أحد العقل والايان في القول بالوهمية هؤلاء الاثمة اما على أنهم
بشر اتصفوا بصفات الالهية أو أن الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصاري في عيسى
صلوات الله عليه ولقد حرق على رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه الى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار بن
أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح ببلعته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه
مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذمات انتقلت روحه الي امام آخر ليكون فيه ذلك
الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الفلاة من يقف عند واحد من الاثمة لا يتجاوز الى غيره بحسب من يمين
لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يمت الا أنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة
الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في محمد
ابن الحنفية وأنه في جبل رضوى من أرض الحجاز وقال شاعرهم

ألا ان الاثمة من قریش * ولا الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنیه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فبسط سبط ايمان وبر * وسبط غيبتة كربلاء
وسبط لا بدوق الموت حتى * يقود الحيش بقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا * يرضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثني عشرية منهم زعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن

أراد منها مليا لا يماطاني
وعدا وأرجو كرميالا
يعني
وهاك منها قواف طيبا
حكم
مثل الازاهر في طي
الراحين
تلوح ان جليت درا وان
تليت
تفنى عليك بأنقاس
البساتين
عانت فيها بجهدي كل
شاردة
لولا سمودك ما كانت
تواتني
بمانع المنكر عنها ما
تقسمه
من كل حزب بطي الصدر
مكون
لكن بسعدك ذات لي
شواردها
فرضت منها بتجبير
وتزيين
بقيت دهرك في أمن وفي
دعة
ودام ما بك في نصر
ومكين
وأشده سنة خمس وستين
في عذار ولده والصنيع
الذي احتفل لهم فيه ودعا اليه

العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة وتقب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مراكبا فينتفون باسمه ويدعون له بالخروج حتى تشبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقعة يقول أن الامام الذي مات يرجع إلى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة أهل الكهف والذي مر على قرية وقيل بني إسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي أمروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد الحيري ومن شعره في ذلك

إذا ما المرء شاب له قذال * وعلله المواصل بالخصاب
فقد ذهب بشاشته وأودي * فقم يا صاح نبك على الشباب
إلى يوم تئب الناس فيه * إلى دنياهم وقبل الحساب
فليس بعائد ما فات منه * إلى أحد إلى يوم الأياب
أدين بأن ذلك دين حق * وما أنا في النشور بذي أرياب
كذلك الله أخبر عن أناس * حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فإنهم لا يقولون بها ويظنون احتجاجاتهم عليها وأما الكيسانية فساقوا الإمامة من بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا منهم من ساقها بعده إلى أخيه علي ثم إلى ابنه الحسن بن علي وآخرين يزعمون أن أباهم لما مات بأرض السراة نصر فامن الشام وأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالامام وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو إلى أخيه عبد الله أبي جعفر الملقب بالنصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحدا بعدوا واحدا إلى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربما يعضدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس لأنه كان حيًا وقت الوفاة وهو أولي بالوراثة بعصية العمومية وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذنبهم فيها وأنها باختيار أهل الحل والعقد لا بالنص فقالوا إمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة فداعيا إلى الإمامة فقتل وصاب بالكناسة وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من بعده فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءه عساكر المنصور فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه إليهم المنصور عساكره فهزم وقتل إبراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم إلى أن الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي ابن عمر وعمر هو أخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسبق إلى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية أن الامام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا الإمامة في عقبه وإليه انتسب دعي الزنج كما ذكره في أخبارهم وقال آخرون من الزيدية أن الامام بعد محمد بن عبد الله أخوه ادريس الذي فر إلى المغرب ومات هنالك وقام بأمره ابنه ادريس واحتط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوك بالمغرب إلى أن انقرضوا كما ذكره في أخبارهم وبقى أمر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي

الحلفاء من نواحي الاندلس
ولم يحضر في منها إلا ما
أذكره

ضحاك الشوق لولا عبرة
ونجيب
وذكرى تجدد الوجد حين
تتوب

وقلب أبي إلا الوفاء
بعده

وان نرحت دار وبان
حبيب

ولله منى بعد حادثة
التوى

فؤاد لتذكير العهد
طروب

يؤرقه طيف الحيال اذا
سرى

وتذكي حشاة نقصة
وهوب

خليلى لا تستمديا قدده
الاسي

فاني لما بدعو الاسي
لحبيب

أنا على الاطلال تقصر
حقوقها

من الدمع فياض الشؤر
سكوب

ولا تمذلاني في البكا
فانها

حشاشة نفس في الدمور
تذوب

ابن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم وأسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمرو وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبنه بطبرستان دولة وتوصل الديلم من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما ذكر في أخبارهم * وأما الامامية فاساقوا الامامة من علي الرضا الى ابنه الحسن بالصيغة ثم الى أخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها الى ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه موسى الكاظم وهم الاثناعشرية لقوفهم عند الثاني عشر من الائمة وقولهم بغيبته الى آخر الزمان كما مر فأما الاسماعيلية فقالوا بامامة اسماعيل الامام بالنص من أبيه جعفر وفائدة النص عليه عندتهم وان كان قد مات قبل أبيه انما هو بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا ثم اتفقت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو أول الائمة المستورين لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعاته ظاهرين اقامة للحجة على الخلق واذا كانت له شوكة تظهر وأظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في كتامة وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنو دمن بعده مصر كما هو معروف في أخبارهم ويسمي هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون أيضا بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن أي المستور ويسمون أيضا للملحدة لما في ضمن مقالاتهم من الالحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني وأما الاثناعشرية فربما خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق لوفاء أخيه الاكبر اسمعيل الامام في حياته أبيهم جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد اليه المأمون ومات قبله فلم يتم له أمر ثم ابنه محمد الثاني ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه محمد الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي قدمناه قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات للاشيعية اختلاف كثير الا أن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعها فعليه بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما فيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

﴿فصل في انقلاب الخلافة الى الملك﴾

٢٨

اعلم أن الملك غاية طبيعية للعصبة ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلنا من قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبة اذا المطالبة لا تتم الا بها كما قدمنا فالعصبة ضرورة لامة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبة وندب الى اطراحها وتركها فقال ان الله اذهب عنكم عيبها الجاهلية (١) ونحوها بالآباء أنتم بنو آدم وادم من تراب وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضا قد ذم الملك وأهله ونبي على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلاق والاسراف في غير القصد والتسكع عن صراط الله وانما حض علي الالفة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهي عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب الى تركها أهاله بالكلية أو اقتلعه من أصله وتعطل القوى التي ينشأ عاها بالكلية انما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير

(١) عيبة بضم العين وكسرها وكسر هاو كسر الموحدة مشددة وتشديد الياء الكبير والفخر والنخوة اه

ومنها في تقدم ولده للاعذار
من غير نكول
فيم من الحفل لا
مقاس
ولانكن عند اللقاء
هوب
وراح كإراج الحسام من
الوغي
تروق حلاه والفرند
خضيب
شواهر هدهن منك
شمائل
وخلق بصفو المجد منك
مشوب
ومنها في التناء علي ولديه
هاالتيران الطالعان على
الهدى
بآيات فتش شأنهن
عجيب
شهابان في الهيجا نعمان في
التوى

تسح المعالي منهما
وتصوب
يدان بسط المكرمات
نماها
الى المجد فياض اليدين
وهوب
وأشدته ليلة المولد الكريم
من هذه السنة

المقاصد كلها حقاً وتحدا الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله
ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من
الإنسان فإنه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب
لالشيطان وللأغراض الذميمة فإذا كان الغضب لذلك كان مذموماً وإذا كان الغضب في الله ولله كان مدحواً وهو من
شأنه صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات أيضاً ليس المراد بطلانها بالكلية فإن من بطلت شهوته كان نقصاً في حقه
وانما المراد تصريفها فيما لا يسيح له باشتغالها على المصالح ليكون الإنسان عبداً متصرفاً طوعاً أو إكراهاً والهيبة وكذا
العصية حيث ذمها الشارع وقال لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم فانما مراده حيث تكون العصية على الباطل
وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون لأحد فخر بها أو حق على أحد لأن ذلك مجان من أفعال العقلاء وغير نافع
في الآخرة التي هي دار القرار فاما إذا كانت العصية في الحق واقامة أمر الله فأمر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع
اذ لا يتم قوامها الا بالعصية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على
الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل وتصريف الأذمة بين طوع الاغراض والشهوات
كما قلناه فلو كان الملك مخلصاً في غلبه للناس أنه لله وللمسلم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموماً وقد قال
سليمان صلوات الله عليه رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي لماعلم من نفسه أنه معزول عن الباطل في النبوة
والملك ولما نفي معاوية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند قدومه إلى الشام في أهبة الملك وزيه من العديدين والعدة
استنكر ذلك وقال أكسروية يا معاوية فقال يأمر المؤمنين أنافي نغر تجاهد العدو وبنائي مباهاهم بزينة الحرب والجهاد
حاجة فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقاصد الحق والدين فلو كان القصد فرض الملك من أصله لم ينفعه هذا
الجواب في تلك الكسروية واتحاله بل كان يحرض على خروجه عنها بالجملة وانما أراد عمر بالكسروية ما كان
عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي وسلوك سبيله والغفلة عن الله وأجابه معاوية بأن القصد
بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله فسكت وهكذا كان شأن الصحابة في فرض الملك
وأحواله ونسيان عوائده حذرهم التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخاف
أبا بكر على الصلاة أذهي أهم أمور الدين وأرضاء الناس للخلافه وهي حمل الكافة على أحكام الشريعة ولم يحجر للملك
ذكر لما أنه مظنة للباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر وأعداء الدين فقام بذلك أبو بكر ما شاء الله متعباً بن صاحبه
وقاتل أهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد إلى عمر فاقبى أثره وقاتل الامم فغلبهم وأذن للعرب في
انزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانزعوه منهم ثم صارت إلى عثمان بن عفان ثم إلى علي رضى الله
عنهما والكل متبرئون من الملك متكبون عن طريقه وأكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبدواة
العرب فقد كانوا أبعداً عن أحوال الدنيا وترفعها لا من حيث دينهم الذي يدعوهم إلى الزهد في النعيم ولا من
حيث بدوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفة الذى القوي فلم تكن أمة من الامم أسغب عيشاً
من مضرب ما كانوا بالحجاز في أرض غير ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياق وجوبها بالعسدا
واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتناولون إلى خصبها ولقد كانوا كثيراً ما يكونون المقارب
والخنافس ويفخرون بأن كل العلهز وهو ورا الابل يمهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه وقريباً من هذا كانت
حال قريش في مطاعمهم ومسكنهم حتى اذا اجتمعت عصية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم زحفوا إلى أمي فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعدهم الصدق فابتزوا ملكهم
واستباحوا دنياهم فزحرت بحمار الرافه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض الفزوات ثلاثون ألفاً من
الذهب وأنحوها فاستولوا من ذلك على ما لا يأخذه الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه

أيا الطيف أن يعتاد الا
توها

فمن لي بأن السقى الخيال
المسلما

وقد كنت أستهديه لو كان
نافعي

واستمطر الاجفان لو تمطر
الظما

ولكن خيال كاذب
وطماعة

تعلل قلباً بالاماني
متيما

أي صاحب نجوى والحب
لوعة

يبيع بشكواها الضمير
المكتما

خذ الفؤادى العهد من نقد
الصبا

وطي النقابان من أجرء
الحمي

الاصنع الشوق الذي هو
صانع

صحى مقيم أقسم الشوق أو
سما

واني يسدعوني السلو
تعللا

وتنهاني الاشجان أن
أقندما

لمن دمن أقرن الاهوات
تردد في اطلالهن الترنم

عرفت بها سيما الهوى
وتكرت
فمجت على آياتها متوسما
وذو الشوق يعتاد الربوع
دوارسا
ويعرف آثار الديار توها
تؤوبى والليل يبنى وينه
وميض بأطراف الثيا
تضرم
أجدلي العهد القديم
كانه
أشار بتذكار اليهود
فأفهما
عجبت لمرتاح الجوانح خافق
بكيته خلف الدجا
وتبسما
وأبنت أرويه كؤوس
مدامي
وبات يعاطيني الحديث عن
الحلى
وصاحته عن رسم داربذى
الغضى
لبست بها ثوب الشيبة معلما
لعهدى بها تدنى الأطباء
أوانسا
وتطلع فى آفاقها الغيسد
أنجما
أحسن إليها حيث ساربي
الهوى
وأعجدر حلى فى البلاد وأتاهما

بالجلد وكان على يقول يا سفراء ويا بضعاء غرى غرى وكان أبو موسى يخافى عن أكل الدجاج لأنه لم يهدها للعرب
لقلتها يؤمذو كانت المناخل مفقودة عندهم بالجلدة وإنما كانوا يأكسون الخنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا أنهم
ما كانت لأحد من أهل العالم * قال المسعودى في أيام عثمان أقتى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند
خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف درهم وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار
وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف
فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على
مرابط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته
أربعة وثمانين ألفا وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلف من الأموال
والضياع بمائة ألف دينار وبني الزبير داره بالبصرة وكذلك بني مصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بني طلحة
داره بالكوفة وشياد داره بالمدينة وبنوها بالجصى والآجر والساج وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع
سكنها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبني المقداد داره بالمدينة وجعلها بمحصة الظاهر والباطن
وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم اه كلام المسعودى فكانت
مكاسب القوم كما تراهم ولم يكن ذلك منعياع عليهم في دينهم أذهي أموال حلال لأنها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم فيها
بأسراف إنما كانوا على قصد في أحوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح فيهم وإن كان الاستكثار من الدنيا مذموما
فإنما يرجع إلى ما شربنا له من الاسراف والخروج به عن القصد وإذا كان حالهم قصدا وفقا لهم في سبيل
الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عنواهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البدوة
والغضاضة إلى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العvisية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك
الملك عندهم حكم ذلك الزفر والاسكثار من الأموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد
الديانة ومذاهب الحق ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهى مقتضى العvisية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم
يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي أو لا يثار باطل أو لاستشعار حقد كما قد تبتوهم متوهم وينزع إليه ملحد وإنما
اختلف اجتهداهم في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وإن كان المصيب عليا فلم يكن
معاوية قائما فيها بقصد الباطل إنما قصد الحق وأخطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك
الانفراد بالجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العvisية
بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوا بوعا عليه
واستماؤادونه ولو حاربهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر الواقع في افتراق الكلمة التي كان
جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول إذا رأى
القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الأمر شيء لوليت الخلافة ولو أراء أن يعهد إليه لفعل ولكنه كان يخشى من
بنى أمية أهل الحل والعقد لما ذكرناه فلا يقدر أن يحول الأمر عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كله إنما حمل عليه منازع
الملك التي هي مقتضى العvisية فالملك إذا حصل وفرض أن الواحد انفرد به وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم
يكن في ذلك تكبر عليه ولقد انفرد سليمان وأبو داود وداود صلوات الله عليهم بملك بني اسرائيل لما اقتضت طبيعة الملك
فيهم من الانفراد به وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما
كانت بنوامية لم يرضوا لتسليم الأمر إلى من سواهم فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه مع أن ظنهم كان به صالحا ولا
يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من التقى حاشا لله لمعاوية من
ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وإن كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبنى

ولما استقر القرار
واطمانت الدار وكان من
السلطان الا غبط
والاستبشار وكثر الحنين
الى الاهل والتذكرا أمر
لاستقدام أهلى من مطرح
اغترابهم من قسطنطينة بعث
اليهم من جاء بهم الى تلمسان
وأمر قائد الاسطول بالمرية
فسار في اجازتهم في أسطوله
واحتلوا بالمرية واستأذنت
السلطان في تلقيهم وقدمت
بهم على الحضرة بعد ان هيات
لهم المنزل والبستان ودمنة
الفلح وسائر ضروريات
المعاش وكتبت الى الوزير
ابن الخطيب عند مقاربت
الحضرة وقد كتبت اليه
أستأذنه في القدوم وما
اعتمده في أحواله سيدى
قدمت بالطير اليمانيين وعلى
البلد الامين واستصفت
الرفاء الى البنسين ومعت
بطول السنين وصلتى
البراءة المعربة عن كتب
اللقاء ودنو المزار وذهب
البعث وقرب الديار واستفهم
سيدى عما عدى في القدوم
على المحذوم واحب أن

انما كانوا متحررين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو
أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الانبعاث والافتداء وما علم السلف من أحوالهم فقد احتج
مالك في الموطن بعمل عبد الملك وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وعداتهم معروفة ثم تدرج الامر
في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه ونوسطهم عمر بن عبد العزيز فترع الى طريقة الخلفاء
الاربعة والصحابة جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طيعة الملك في أغراضهم الدينية ومقاصدهم ونسوا
ما كان عليه سلفهم من تحرى القصص فيها واعتماد الحق في مذهبها فكان ذلك محمدا للناس الى أن نعو عليهم
أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم وولي رجالها الامر فكانوا من العدالة بمكان وصرقوا الملك في وجوده الحق
ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم أفضى الامر الى بنيهم فاعطوا
الملك والترفع حقوا وانغمسوا في الدنيا واطلها ونبدوا الدين ورأهم ظهر يافتان الله بحجهم وانزع الامر من
أيدى العرب جملة وأمكن سواهم منه والله لا يظلم مقال ذرة ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم
في تحرى الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى المسموعى مثله في أحوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور وقد
حضر عمومته وذكروا بني أمية فقال أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي بمصانع وأما سليمان فكان همه بطنه
وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عريان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من
السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسنهم معالى الامور ورفضهم دنيا حتى أفضى الامر الى
أبنائهم المترفين فكانت همهم قصص الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجهم وأنما لمكرهم مع
أطراحهم صيانة للخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم
النعمة ثم استحضر عبد الله (١) بن مروان فقص عليه خبره مع ملك التوبة لما دخل أرضه فارا أيام السفاح
قال أقت مليا ثم أتاني ملكهم فقدم علي الأرض وقد بسط لي فرش ذات قيمة فقلت له ما منك من القعود على
ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي تشربون الخمر وهي محرمة
عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطؤون الزرع بدوا بكم والفساد محرم عليكم قات
فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجملهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب
مننا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا اذلك على الكره منا فاطرق بنكت بيده في الأرض ويقول
عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه الى وقال ليس كذا كرت بل أنتم قوم استحلتم ما حرم الله
عليكم وأنتيم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما لمكنتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم والله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم
وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم يلبدي فينا في معكم وانما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارحل عن
أرضي فتعجب المنصور وأطرق فقد تين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك وأن الامر كان في أوله خلافة
ووازع كل أحد فيما من نفسه وهو الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وإن أفضت الى هلاكهم وحدثهم
دون الكافة فهذا عثماني لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمرو بن جعفر وأمثالهم يريدون
المدافعة عنه فإني ومنع من سل السيف بين المسامحين مخافة الفرقة وحفظ الالفة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى الى
هلاكة وهذا على المغيرة لاول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلحة على أعمالهم حتى يجتمع الناس
عليه ويتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك فإني فرار من الفش الذي ينافيه
الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد أشرت عليك بالامس بما أشرت ثم عدت الى نظري فلم علمت
أنه ليس من الحق والتصحيحه وأن الحق فيما رأيته أنت فقال على لا والله بل أعلم أنك نصحتني بالامس

(١) قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض الفاسية وفي بعضها عبد الملك وأظنه تصحيفا قاله نصر

وغششتني اليوم ولكن منعتني مما أشرت به ذائد الحق وهكذا كانت أحوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

ترفع دنيانا بنزى ديننا * فلا ديننا يبق ولا مانرقع

فقد رأيت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه والجرى عنى منهاج الحق ولا يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديننا ثم انقلب عصية وسيفاً وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولا يبق الا اسمها وصار الامر ملكاً بحتاً وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في أغراضها من القهر والتقلب في الشهور والملاذ وهكذا كان الامر لولد عبد الملك ولما جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصية العرب والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضهما ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم وبقى الامر ملكاً بحتاً كما كان الشأن في ملوك العجم بالشرق يديتون بطاعة الخليفة تبركا والملك بجميع ألقابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناة بالمغرب مثل صنهاجة مع العبيدين ومروان وبنو يفرن أيضاً مع خلفاء بني أمية بالاندلس والعبيدين بالقيروان فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً ثم التبت معانيها واختلطت ثم انقرض الملك حيث انقرضت عصيته من عصية الخلافة والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار

فصل في معنى البيعة

٢٩

اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأموال المسلمين لا ينازع في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الامر على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيدهم في يده تأكيداً للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالأيدي هذا ما دلوا له في عرف اللغة ومعهود النسخ وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحينئذ ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه أيمان البيعة كأن الخلفاء يستحلون على العهد ويستوعبون الأيمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة وكان الاكراه فيها أكثر وأغلب ولهذا المصافي مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكراه انكرها والاولاد عليه ورأوها فادحة في أيمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه وأما البيعة المذهورة لهذا العهد فهي تحية المملوك للكمروية من تقبيل الارض أو اليد أو الرجل أو الذيل أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة بحجاز ما كان هذا الخضوع في التحية والزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل أحد من التزل والابتذال المتنافين للرياسة وصور المنصب المملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من المملوك فيأخذ نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه أكيد على الانسان معرفته لما يلزمه في حق سلطانه وامامه ولا تكون أفعاله عبثاً ومجاناً واعتبر ذلك من أفعاله مع المملوك والله القوي العزيز

فصل في ولاية العهد

٣٠

اعلم أنا قد مننا الكلام في الامامة ومشروعيتها لمصافيهما من المصاحفة وأن حقيقة النظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وإيهم والامين عليهم ينظر لهم في حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماتهم ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولى احوالهم ينظر لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الامة على قوله البيعة بفتح الموحدة ما بكسر هاء على وزن شيعه يسكون الياء فهمافهمي بمعد النصارى اه

يستقدمني سيدي الى الباب الكريم في الوقت الذي يجد المجلس الجمهوري لم يقض حجيجه ولم يصح بهيجه ويصل أهل بعده الى المحل الذي هيأته السعادة لاستقرارهم واختاره البين قبل اختيارهم والسلام ثم لم ينشب الاعداء وأهل السعابات أن حملوا الوزير ابن الخطيب من ملاستي للسلطان واشتماله على وحر كواله جواد الغيرة فتشكر وشملت منه رائحة الانقباض مع استبداده بالدولة وتحكمه في سائر أحوالها وجاءت كتب السلطان أبي عبد الله صاحب بحجة بأنه استولى على عايفي رمضان سنة خمس وستين واستدعاني اليه فاستأذنت السلطان ابن الاحمر في الارتحال اليه وعييت عليه شأن ابن الخطيب ابقاء للمودة فارتض لذلك ولم يسهه الا الاسعاف فودع وزود وكتب لي مرسوماً بالتشيع من املاء الوزير ابن الخطيب نصه هذا ظهير كريم تضمن تشيعاً

جواز دوائه فانه قد اذ وقع بعهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا المسلمين ففوض بعضهم إلى بعض حتى أفضى إلى عبد الرحمن بن عوف فاجتهدوا وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى فآثر عثمان بالبيعة على ذلك لما وافقته آياه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يمين دون اجتهاده فانه قد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من الصحابة حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره أحد منهم فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما عرف ولايتهم الامام في هذا الامر وان عهد إلى أبنه أو ابنه ما مومن على النظر لهم في حياته فاو لي أن لا يحتمل فيها تابعة بعد مماته خلافا لما قال بها ما في الولد والوالد أول من خصص التهمة بالولد دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله لاسيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من اشارة مصلحة أو توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك رأسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعا معاوية لا يثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصاحبة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حيث من بني أمية اذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملأ أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أنهم عند الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعد الله وصحته مانعة من سوى ذلك وحضوراً كبار الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على اتقاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه في العزة في قبول الحق فانهم كلهم أجل من ذلك وعدا لهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو محمول على تورعه من الدخول في شيء من الامور مباحا كان أو محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايتارا بنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشانهم غير شأن أولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم يحدث طيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل أحد وازع من نفسه فمهدوا الي من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسمو الي ذلك الي وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضفف واحتيج الي الوازع السلطاني والعصبي فلوعدها إلى غير من يرتضيه العصية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريرا وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف * سأل رجل عليا رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال لان أبا بكر وعمر كانوا الين على مني وأنا اليوم وال على مثلك يشير إلى وازع الدين أفلا ترى الي المؤمنين لما عهد الي علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا العمه ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والحوارج ما كاد أن يصطلم الامر حتى بادر المؤمنين من خراسان الي بغداد ورد أمرهم لمعاودة فلا بد من اعتبار ذلك في العهد بالمعصية باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخضع له لطف من الله بعباده وأما أن يكون القصد بالمعهد حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن تحسن فيه التيسر ما مكن خوفا من العبث بالمناسب الدينية والملك لله يؤتبه من يشاء * وعرض هنا أمور تدعو الضرورة الي بيان الحق فيها * فالاول منها ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته فاياك أن تظن بمعاوية رضي الله عنه أنه علم ذلك من يزيد فانه أعدل من

وترفعوا اكراما واعظاما
وكان لعمل الصنيع ختاما
وعلى الذي أحسن تماما
وأشاد به للمعتد الذي راق
قساما وتوفر اقساما
وأعلق بالقبول أن نوى
بعد القوي رجوعا أو تر
على الظن المزمع مقاما
أمر به وأضى العمل
بمقتضاه وحبه الامير أبو
عبد الله محمد بن مولانا مير
المسلمين أبي الحجاج ابن
مولانا مير المسلمين أبي
الوليد بن نصر أباد الله أمره
وأعز نصره وأعلي ذكره
للولي المجلس الحظي
المكين المقرب الاود الابن
الفقيه الجليل الصدر
الاوحد الرئيس العالم
الفاضل الكامل الموقع
الامين الاظهر الارضي
الاخلاص الاصفي أبي زيد
عبد الرحمن ابن الشيخ
الجليل الحبيب الاصيل
المرفع المعظم الصدر
الاوحد الاسمي الافضل
الموقر المبرور أبي يحيى ابن
الشيخ الجليل الكبير الرفيع
المسجد القائد الحظي
المعظم الموقر المبرور

ذلك وأفضل بل كان يعدله أيام حياته في سماع الفناء ونهاه عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لأن شوكة يزيد يومئذ هي عصاية بني أمية وجهور أهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطلق مقاومتهم فأقصر وعان يزيد بسبب ذلك وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل مجتهدون ولا ينكر على أحد من الفريقين فمقاصدهم في البر والتحري الحق معروفه وفقنا الله للاقتداء بهم * والامر الثاني هو شأن العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وماتدعيه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من أئمة القل والذين وقع في الصحيح من طب الدواؤو القرطاس لكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك فدليل واضح على أنه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال أن العهد فقد عهده من هو خير مني يعني بأبكر وإن أترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي للعباس رضي الله عنهما حين دعاهم للدخول إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه عن شأنهما في العهد فأبى علي من ذلك وقال أنه إن منعنا منها فلا نطعم فيها آخر الدهر وهذا دليل على أن علياً علم أنه لم يوص ولا عهد إلى أحد وشبهة الامامية في ذلك إنما هي كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون وليس كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة إلى نظار الخلق ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن الصلاة ولكان يستخلف فيها كما يستخلف أبابكر في الصلاة ولما كان يشتهر كما يشتهر أمر الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسهما على الصلاة في قولهم ارتضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لديننا دليل على أن الوصية لم تقع ويدل ذلك أيضاً على أن أمر الامامة والعهد بهما لم يكن مهما كما هو اليوم وشأن العصية المراجعة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لأن أمر الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لضرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجسد خطاب الله في كل حادثة تتلى عليهم فلم يحتج إلى مراعاة العصية لما شمل الناس من صبغة الانقياد والاذعان وما يستفزه من تابع المعجزات الخارقة والأحوال الآلهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجواهاً ودهشوا من تابعها فكان أمر الخلافة والملك والمهدو العصية وسائر هذه الأنواع مندرجاً في ذلك القيسل كما وقع فلما انحسر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بقاء القرون الذين شاهدوها فاستحات تلك الصبغة قليلاً قليلاً وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر أمر العصية ومجاري العوائد فيما ينشأ عنها من المصالح والمفاسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بهما مهمان من المهمات الأكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الأهمية زمان الخلافة بعض الشيء بمادعت الضرورة اليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوح فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصية التي هي سر الازع عن الفسقة والتخاذل ومنشأ الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها * والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم أن اختلافهم انما يقع في الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المعتمدة والمجتهدون إذا اختلفوا فان قلنا أن الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم يصادقه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين بالاجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة ولا يتعين المخطئ منها والتائيم مدفوع عن الكل اجماعاً وان قلنا أن الحكم حق وان كل مجتهد

المرحوم أبي عبد الله بن خلدون وصله الله أسباب السعادة وبلغه من فضله أقصى الارادة أعلن بما عنده أيده الله من الاعتقاد الجليل في جانبه المرفوع وإن كان غنيا عن الاعلان وأعرب عن معرفة مقدره في الحسبان العلماء الرؤساء الاعيان وأشاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة وشيمه الحسان من لدن وفد على باب وفادة العز الراسخ البنيان وأقام المقام الذي عين له رفعة المكان واجلال الشأن إلى أن عزم على قصد وطنه أبلغه الله في ظل الامن والامان وكفالة الرحمن بعد الاغباط المربي على الخير بالبيان والتسك بجواره بمجهد الامكان ثم قبول عذره بما جبلت النفس عليه من الحنين إلى المعاهد والاطمان بعد أن لم يدخر عنه كرامة رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعة هو لاه القيادة والسيادة وأجله جليسا مقتمدا بالاستشارة ثم أحبه تشييعا يشهد بالفضانة بفرقه ويجمع

مصيب فأحرى بنى الخطا والتأثم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادي في مسائل
دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في الاسلام انما هو واقعة على معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة
واقعة الحسين مع يزيد واقعة ابن الزبير مع عبد الملك فأما واقعة على فان الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في
الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا منهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام
كعدو سعيد وابن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري
وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وأمثالهم
من أكابر الصحابة والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته أيضا إلى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى حتى
يكون شورى بين المسلمين لمن يولونه وظنوا بعل هو اداة في السكوت عن نصر عثمان من قاتليه لافي الممالاة عابه
خاش لله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بملامته انما يوجهها عليه في سكوتة فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى
على أن بيعته قد انعدت ولزمت من تأخر عنها اجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن
الصحابة وأرجأ الامر في المطالبة بدم عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتممكن حينئذ من ذلك ورأى
الآخر أن بيعته لم تنعد لا فتراق الصحابة أهل الحل والعقد بالآفاق ولم يحضر الا قليل ولا تكون البيعة الا
باتفاق أهل الحل والعقد ولا تنزل بمقدم تولاها من غيرهم أو من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى
فيقالون أولا بدم عثمان ثم يجتمعون على امام وذهب إلى هذا معاوية وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير
وابنه عبد الله وطلحة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على رأيهم من
الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الا أن أهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على
ولزومها للمسلمين أجمعين وتصوب رأيه في اذهب اليه وتعين الخطا من جهة معاوية ومن كان على رأيه وخصوصا
طلحة والزبير لا يتفاضلها على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التأثم عن كل من الفريقين كالشأن في المجتهد
وصار ذلك اجماعا من أهل العصر الثاني على أحد قولي أهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضي
الله عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذي نفسي بيده لا يموتن أحدا من هؤلاء وقلبه نقي الادخل الجنة يشير إلى
الفريقين نقله الطبري وغيره فلا يقنع عندك ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك فهم من علمت
وأقوالهم وأفعالهم انما هي عن المستندات وعدالهم مفروغ منها عند أهل السنة الا قول للمعتزلة فيمن قاتل عليا
لم يلتفت اليه أحد من أهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف
في عثمان واختلاف الصحابة من بعده علمت أنها كانت فتنة بتلى الله بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم
وما حكمهم أرضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالكوفة والشام ومصر وكان أكثر العرب
الذين نزلوا الامصار حفاة لم يستكثروا من محبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا
تخلقه مع ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء والعصية والتفاخر والبعد عن سبينة الايمان واذابهم عند استفحال
الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب
السابقين الاولين إلى الايمان فاستكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم
ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن وتميم وقيس
من مضر فصاروا إلى الغرض من قريش والافقة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد
عليهم والظعن فيهم بالعجز عن السوية والعدول في القسم عن التسوية وفشت المقالة بذلك وانتهت إلى المدينة وهم
من علمت فأعظموا مؤلفيهم عثمان فبعث إلى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة
ابن زيد وأمثالهم فلم ينكروا على الامراء شيئا ولا رأوا عليهم طعنا أو اذوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الظعن من أهل

له بالوجهة من جميع
آفاقه ويحمله بيده رئيسة
ختصر وثيقة سامع أو
مبصر فلهما لوى إلى هذه
البلاد بعد قضاء وطره
وتلميه من نهمة سفره أو
نزع به حسن الهدوخين
الود فصدر العناية به مشروح
وباب الرضا والقبول مفتوح
وما عهد من الخطوة والبر
منوح فما كان القصد في
مشله من ايجاد الاولياء
التحول ولا الاعتقاد الكبر
التبدل ولا الزم من الاخير ان
ينسخ الاول على هذا
فليطو ضميره وليرد ماشاء
نميره ومن وقف عليه من
القواد والاشياخ والخدام
بروا بحرا على اختلاف
الخطط والرتب وتباين
الاحوال والنسب أن
يعرفوا حق هذا الاعتقاد
في كل ما يحتاج اليه من تشييع
ونزول واعانة وقبول
واعثناء موصول إلى أن
يكمل القرض ويؤدي من
امتثال هذا الامر الواجب
المفترض بحول الله وقوته
وكتب في التاسع عشر من
جمادى الاولى عام ست

وستين وسبع مائة وبعد
التاريخ العلامة بخط
السلطان ونصا صرح هذا
في الرحلة من الاندلس الى
بجاية وولاية الحجابة بها
على الاستبداد

انت بجاية نهر الافريقية في
ولة بني أبي حفص من
الموحدين ولما صار أمرهم
للساطان أبي يحيى منهم
واستقل بملك افريقية ولى
في نهر بجاية ابنه الأمير أبو
زكريا وفي نهر قسنطينة ابنه
الأمير أبو عبد الله وكان بنو
عبد الواد ملوك تلمسان
وانغرب الاوسط بنازعونه
في أعماله ويحجرون
الكتائب على بجاية ويحبون
على قسنطينة الى أن تمسك
السلطان أبو بكر بدمه من
السلطان أبي الحسن ملك
المغرب الاوسط والاقصى
من بني مرين وله الشفوف
على سائر ملوكهم وزحف
السلطان أبو الحسن الى
تلمسان فأخذ بمخفئها
ستين أو ازيد وملكها
هنوة وقتل سلطانها أبا
تاشفين وذلك سنة سبع

الامصار وما زالت الشناعات تنمو ورمي الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم
وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من أهل الامصار يسألون عزل العمال وشكوا الى عائشة وعلى والزبير
وطلحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تقطع بذلك ألسنتهم بل وفد سعيد بن العاصي وهو على الكوفة فلما
رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولا ثم اتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونقموا
عليه امتناعه عن العزل فأبى إلا أن يكون على جراحة ثم نقلوا التكري الى غير ذلك من أفعاله وهو متمسك بالاجتهاد
وهم أيضا كذلك ثم تجمع قوم من القوغاء جاؤا الى المدينة يظهرن طلب النصف من عثمان وهم يضمرون
خلاف ذلك من قبله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطلحة وغيرهم
يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رأيهم وعزل لهم عامل مصر فانصر فوا قليلا ثم رجعوا وقبل بسوا
بكتاب مدلس يزعمون أنهم لقوه في يد حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك فقالوا امكننا من
مروان فانه كاتبك فخلف مروان فقال عثمان ليس في الحكم أكثر من هذا فحاصروه بداره علي حين غفلة من
الناس وقلوه وانفتح باب الفتنة فدخل من هؤلاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين بامر الدين ولا يضيعون شيئا من
تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على أحوالهم وعالم بهم ونجح لانظر بهم الاخبار لما
شهدت به أحوالهم ومقالات الصادق فيهم وأما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكوفة من أهل عصره بعث
شعبة أهل البيت بالكوفة للاحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل
فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهم من نفسه باهليته وشوكتهم فاما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة وأما الشوكة
فقاطر برحمة الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت
في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نبي ذلك أول الاسلام لما شغل الناس من
الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد المسلمون لكثرة المسألة فأنزلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية
الجاهلية ومنازعها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين
والدين فيها يحكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للموائد
فغادت العصبية كما كانت ولبن كانت وأصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل (فقد)
تبين لك غلط الحسين الا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه
وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عزله ابن عباس وابن الزبير وابن عمرو وابن الحنفية أخوه وغيره في مسيره الى
الكوفة وعلموا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراد الله وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا
بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا أن الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ
عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا أنموه لانه مجتهد وهو أسوة
المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتاتم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصرته فانهم أكثر الصحابة
وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلا على فضله وحقه ويقول
سلوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكر عليهم
قعودهم عن نصرته ولا تعرض لذلك لعلمه أنه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك
الغلط أن تقول بتصويب قله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحد الشافعي والمالكي
الحنفى على شرب النبيذ واعلم أن الامر ليس كذلك وقاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم
وانما انفرد قتاله يزيد وأصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقا ولا يجوز هؤلاء الخروج عليه فانه عندهم
صححة واعلم أنه انما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الامام

العاذل وهو مفقود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لنفسه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضا واجتهاد وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المسلكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم معامات ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في امامته وعدائه في قتال أهل الآراء وأما الزبير فانه رأى في قيامه مارآه الحسين وظن كاذن وغلطه في أمر الشوكة أعظم لان بني أسد لا يقاتلون بني أمية في جاهلية ولا اسلام والقول بتعين الخطافي جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي لاسيما اليه لان الاجماع هنالك قضى لثأبه ولم يجده ههنا وأما يزيد فعين خطأ فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير أعمر الناس عدالة وناهيك بعدالته احتجاج مالك بفضله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز مع أن الكثير من الصحابة كانوا يرون أن يعة ابن الزبير لم تعقد لانه لم يحضر هاهل العقد والحل كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهما والقتل الذي نزل به بعد تقرير مقررناه يحيى على قواعد الفقه وقوانينه مع أنه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريره الحق هذا هو الذي ينبغي أن تحمل عليه أفعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح فمن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين أو ثلاثا ثم يفشو الكذب فجعل الخيرة وهي مختصة بالقرن الاول والذي يليه فاياك أن تعود نفسك وألسناك التعرض لاحد منهم ولا تشوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقها ما استطعت فهم أولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا أو قتلوا الا في سبيل جهاد أو اظهار حق واعتقد مع ذلك أن اختلافهم رحمة من بعدهم من الامة يقتضى كل واحد من يختاره منهم ويجعله اماما وهاديه ودليلا فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه وأكوانه واعلم أنه على كل شيء قدير واليه المرجع والمصير والله تعالى أعلم

فصل في الخطط الدينية الخلافية

٣٣

لما تبين أن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدين أيضا صاحب الشرع متصرف في الامرين أما في الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها وحل الناس عليها وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا أن هذا العمران ضروري للبشر وأن رعاية مصالحه كذلك لاسلا يفسدان أهميات وقد من أن الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح نعم انما تكون أكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه أعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة ووظائف تابعة تتعين خططها وتوزع على رجال الدولة ووظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك أمره ويحسن قيامه بسلطانه * وأما المنصب الخلافي وإن كان الملك يندرج تحتهم بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فنصرفه الديني يختص بخطط ومرتبات لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلذلك الآن الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الملوكية السلطانية فاعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخله فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدينية وتنفيذ احكام الشرع فيها على العموم فالامامة الصلاة فهي أرفع هذه الخطط كلها وأرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا فلا نرضاه لدينا فلو لأن الصلاة أرفع من السياسة ما صح القياس واذا ثبت

وثلاثين وخف ما كان على الموحدين من أمر في عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك أبو عبد الله بن السلطان أبي يحيى بقسنطينة سنة أربعين وخف سبعة من الاولاد كبيرهم أبو زيد عبد الرحمن ثم أبو العباس أحمد فولي اميرا أبو زيد مكان أبيه في كفالة نبيل مولاها ثم توفي الامير أبو زكريا بجاية سنة ست وأربعين وخلف ثلاثة من الاولاد كبيرهم أبو عبد الله محمد وبث السلطان أبو بكر ابنه الامير أباحفص عليه فقال أهل بجاية الى الامير أبي عبد الله بن زكريا وانحرفوا عن الامير عمر وأخر جوه وبادر السلطان فرقع هذا الخرق بولايه أبي عبد الله عليهم كما طبوا ثم توفي السلطان أبو بكر منتصف سبع وأربعين وزحف أبو الحسن الي افريقية فلكم! ونقل الامراء من بجاية وقسنطينة الى المغرب وأقطع لهم هنالك الى أن كانت حادثة القيروان وخلع السلطان

أبو عنان أباه وأرثحل من
تلمسان الى فاس فنقل معه
هؤلاء الامراء أهل بجاية
وقسنطينة وخلقهم بنفسه
وبالغ في تكرمهم ثم صرفهم
الى تغورهم الامير أباعبد
الله أولا واخوته من تلمسان
وأبازيد واخوته من فاس
ليستبدوا بشغورهم ويخذلوا
الناس عن السلطان أبي
الحسن فوصلوا الى بلادهم
وماكروها بعد أن كان
الفضل ابن السلطان أبي
بكر قد استولى عليها من
يدي مريين فانتزعوها منه
واستقر أبو عبد الله ببجاية
حتى اذا هلك السلطان أبو
الحسن بجبال المصامدة
وزحف أبو عنان الى
تلمسان سنة ثلاث وخمسين
فهزم ملوكها من بني عبد
الواد وأبادهم ونزل المربة
وأطل على بجاية وبادر الامير
أبو عبد الله للاقائه وشكاليه
ما ياتاه من زبون الجند
والعرب وقلة الحياة
وخرج له عن تفسير بجاية
فملكها وأنزل عما له بها
ونقل الامير أباعبد الله معه
الى المغرب فلم يزل عنده في

ذلك فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات المشهودة وأخرى دونها
مختصة بقوم أو محلة وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة فامر هاراجع الي الخليفة أو من يفوض اليه من
سلطان أو وزير أو قاض فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدن والخسوفين والاستسقاء وتعين
ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان ولشلايقات الرايا عليه في شئ من النظر في المصالح العامة وقد
يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا * واما المساجد
المختصة بقوم أو محلة فامر هاراجع الي الخيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان وأحكام هذه الولاية
وشروطها والمولي فيها معرفة في كتب الفقه ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية للموارد وغيره فلا
نطول بذكرها ولقد كان الخلفاء الاولون لا يقلدونهم الغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد
عند الاذان بالصلاة وترصدهم لذلك في وقتها يشهد ذلك بمباشرتهم لها وأنهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا
كان رجال الدولة الاموية من بعدهم استشارها واستعظما لمرتبها يحكي عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت
لك حجابة باني الاعن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتأخير والآذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان في
تأخيرهم فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم وديناهم
استتابوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدن والجمعة شادة وتبويها فعل ذلك
كثير من خلفاء بني العباس والعبيدين صدر دولتهم واما الفتيان فلا خليفة تفحص أهل العلم والتدريس وردالفتيا
الى من هو أهل لها واعاثة علي ذلك ومنع من ليس أهلا لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في اديانهم فتجب
عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له بأهل فيضل الناس وللمدرس الاتصاف لتعليم العلم وبشبه والجلوس
لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية علمه والنظر في أتمها كأمير فلا بد من استئذانه
في ذلك وان كانت من المساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على أنه ينبغي أن يكون لكل أحد من المفتين
والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه عن التصدي لما ليس له بأهل فيدل به المستهدي ويضل به المسترشد وفي الاثر
أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على جرائم جهنم فللسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجه المصلحة من اجازة أو رد
* واما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما
للتداعي وقطعا للتنازع الا أنه بالاحكام الشرعية الملتقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة
ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء الي من سواهم وأول
من دفعه الي غيره وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شرحا بالبصرة وولى أبا موسى
الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء وهي مستوفاة فيه يقول
(أما بعد) فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذه وآس بين الناس في
وجهك ومحاسنك وعدلك حتى لا يطمع شريف في جيفك ولا يأس ضعيف من عدلك اليئنة على من ادعي واليمين
على من أنكرو الصلح جائر بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته أمس
فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التنادي
في الباطل اللهم الفهم فيما تلجأ في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور
بنظائر ها واجعل لمن ادعي حقا غائبا أو يئنة أمدا يتهى اليه فان أحضر نيته أخذت له بحقه والاستحلت القضية عليه
فان ذلك أنفي أولئك وأجلى للعلماء انما هم عدول بعضهم على بعض لا مجلود في حد أو مجر بأعليه شهادة زور أو
ظني في نسب ولاء فان الله سبحانه عفا عن الايمان ودرأ بالنيات واياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فان
استقر الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمر وإنما كانوا يقلدون

القضاء لغيرهم وان كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالها من الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية فاستحقوا القضاء في الواجهات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تخفيفا على أنفسهم وكانوا مع ذلك انما يقدرونه أهل عصيتهم بالنسب أو الولاء ولا يقدرونه لمن بعدهم في ذلك وأما أحكام هذا المنصب وشروطه فمعرفة في كتب الفقه وخصوصا كتب الأحكام السلطانية الآن القاضي انما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدرج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفة وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيتام عند فقد الأولياء على رأي من رآه والنظر في مصالح الطرقات والأبنية وتصفح الشهود والامناء والتواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدل والجرح ليحصل له التوفيق بهم وصارت هذه كلها من تعلقا وظيفته وتوابع ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة متميزة من سطوة السلطنة ونصف القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رتبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكان يعضى ما يحجز القضاء أو غيرهم عن امضائه ويكون نظره في اللينات والقرير واعتماد الامارات والقرائن وتأخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي * وكان الخلفاء الاولون يباشرونها بأنفسهم الى أيام المهدي من بنى العباس وربما كانوا يجعلونها لقضائهم كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه أبي ادريس الخولاني وكافعله المأمون ليحيى بن أكرم والمعتصم لاحد ابن أبي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان يحيى بن أكرم يخرج أيام المأمون بالطائفة الى أرض الروم وكذا منذر بن سعيد قاضي عبدالرحمن الناصر من بنى أمية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير مفوض أو سلطان متغلب وكان أيضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعيسدين بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلا فيجعل لأهمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينه عن الجريمة ثم توسى شأن هاتين الوظيفتين في الدول التي توسى فيها أمر الخلافة فصار أمر المظالم راجعا الى السلطان كان له تفويض من الخليفة أو لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القلع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطة وبقى قسم التعازير واقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعا فجمع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته ولا يتبع واستقر الأمر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن أهل عصبية الدولة لان الأمر ما كان خلافة دينية وهذه الخطئة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها إلا من أهل عصيتهم من العرب ومواليهم بالخلف أو بالرق أو بالاصطناع ممن يوثق بكفايته أو غناؤه فيما يدفع اليه * ولما انقضت شأن الخلافة وطورها صار الأمر كله ملكا أو سلطانا صارت هذه الخطط الدينية بيعة عنه بعض الشيء لانها ليست من ألقاب الملك ولا من اسماءه ثم خرج الأمر جملة من العرب وصار الملك لسواهم من أمم الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافة بعدا عنهم بمخاها وعصيتها وذلك أن العرب كانوا يرون أن الشريعة دونهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحكامه وشرائعهم بينهم وبين الأمم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جانباً من التعظيم لادانوا بالملة فقط فصاروا يقدرونهم من غير عصابتهم ممن كان تأهل لها في دول الخلفاء

كفاية وكرامة ولما قدمت على السلطان أبي غنان سنة خمس وخمسين واستخلصني منه نبضت عروق السابق بين ساني وسلف الاميرابي عبدالله واستدعاني لصحبته فأسرعت وكان السلطان أبو غنان شديد الغيرة من مثل ذلك ثم كثرت المناقشون ورفضوا الى السلطان وقد طرقة مرض أرجف له الناس فرموا له أن الاميرأبا عبدالله اعترم على الفرار الى بجاية واني عاقبته على ذلك علي أن يولي في حجابته فانبعث له السلطان وسطا بنا واعتقلني نحو من ستين الى أن هلك وجاء السلطان أبو سالم واستولي على المغرب ووليت كتابة سره ثم نهض الى تلمسان وملكها من يد بني عبدالواد وأخرج منها أبا حرموس بن يوسف بن عبدالرحمن بن يغمراسن ثم اعترم على الرجوع الى فاس وولي على تلمسان أبا زيان محمد بن أبي سعيد غنان ابن السلطان أبي تاشفين وأمد بالاموال والعساكر من أهل وطنه ليدافع أبا

السالفه وكان أولئك المتأهلون لما أخذهم ترف الدول منذمئين من سنين قد نسوا عهد البداوة وخشوتها والتبسوا بالحضارة في عوائد ترفهم ودعيتهم وقلة الممانعة عن أنفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكة من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في أهل الامصار ونزل أهلها عن مراتب العز لفقد الأهلية بانسابهم وما هم عليه من الحضارة فلحقهم من الاحتقار ما لحق الحضرة النعمسين في الترف والدعة البعداء عن عصبية الملك الذين هم عيال على الحامية وصار اعتبارهم في الدولة من أجل قيامها بالملة وأخذها باحكام الشريعة لمآلتهم الحاملون للاحكام المقتدون بها ولم يكن يثارهم في الدولة حينئذ اكرام الذواتهم وانما هو لما يتلحح من التجمل بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شيء وان حضروه فحضور رسمي لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحل والعقد انما هي لاهل القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا أخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى الفتاوى منهم فنع والله الموفق وربما يظن بعض الناس أن الحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن ذلك ليس كظنه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقضى لهم شيئا من ذلك لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبية يقتدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك وأما من لا عصبية له ولا يملك من أمر نفسه شيئا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى وأي معنى يدعو الي اعتباره فيها اللهم الا شورا فيما يعلمه من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء خاصة وأما شورا في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة أحوالها وأحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك والامراء الشاهدة لهم بحميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه باي جهة انتسب وأما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن الفقهاء في الغلب لهذا العهد وما احتف به انما حملوا الشريعة أقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية أكابرهم ولا يتصفون الا بالافل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم وأهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة انصافا بها وتحققا بمذاهبا فمن حملها انصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين مثل أهل رسالة القشيري ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء على أثرهم واذا انفردوا احد من الامة باحد الامرين فالعابد الحق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب أقوال ينصها علينا في كيفية العمل وهؤلاء أكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم

(العدالة) وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه حقيقة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الانهاد واداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأملاكمهم وديونهم وسائر معاملاتهم وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها واتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران (١) على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القائمون به كأنهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح أحوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالهمة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه

(١) قوله المران في كتب اللغة مرن على الشيء مرونا ومرونة ومراة تعود واستمر عليه اه

حموعن تلمسان ويكون خالصه وكان الامير أبو عبدالله صاحب بجاية كما ذكرناه الامير أبو العباس صاحب قسنطينة بعد ان كان بنو مرين حاصروا أخاه أبا زيد بقسنطينة أعواما تباعثهم خرج لبعض مذاهبة الي بونة وترك أخاه أبا العباس بها فخلعه واستبد بالامر وخرج الى العساكر المحجرة عليهما من بنى مرين ففوزهم وأخن فيهم ونهض السلطان اليه من فاس سنة ثمان وخمسين فبرأ منه أهل البلد وأسلموه فبعثه الي سبتة في البحر واعتقله بها حتى اذا ملك السلطان أبو سالم سبتة عند اجازته من الاندلس سنة ستين أطلقه من الاعتقال وصحبه الى دار ملكه ووعده برده عليه فلما ولي أبو زيان على تلمسان أشار عليه خاصته ونصحاؤه بان يبعث هؤلاء الموحدين الي مغورهم فبعث أبا عبدالله الي بجاية وقد كان ملكها عمه أبو اسحق صاحب تلمسان ومكفول بن تافراكين من

واذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة في تعيين من تحفى عدالتهم على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباة الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيعملون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس عليها فيتعاهدون أصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركة بين هذه الوظيفة التي تين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي أخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله تعالى أعلم ﴿الحسبة والسكة﴾ أما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين عين لذلك من يراد أهلاله فيعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استمداء بل له النظر والحكم فيما يصل الي علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مطلقاً بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله أيضاً حمل الماطلين على الانصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكأنها أحكام يتره القاضي عنها العمومها وسهولة أغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لتنصيب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيدين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عام في أمور السياسة اندرجت في وظائف الملك وأفردت بالولاية ﴿وأما السكة﴾ فهي النظر في التقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص ان كان يتعامل بها عدداً أو ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك التقود بالاستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في التقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاختها دفاداً وقف أهل أفق أو قطر على غاية من التخليص وقفاً عند هوسها اماما وعماراً يعتبرون به تقودهم وينتقدونها بماثلته فان نقص عن ذلك كان زيفاً والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتدرج تحت الخلافة وقد كانت تدرج في عموم ولاية القاضي ثم أفردت لهذا العهد كواقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه وأخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية تتكلم عليها في أماكنها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت ببطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون أحكامه غالباً في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة أو الحق في بيت المال قد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالجملة قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور كيف يشاء

﴿فصل في القالب بامير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة﴾

وهو محدث منذ عهد الخلفاء

وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك الى أن هلك فلما بويع لعمر بمهد طاله كانوا يدعون له خليفة خليفة رسول

يدينى مريين وبعث أبا العباس الى قسطنطينة وبها زعيم من زعماء بني مريين وكتب اليه السلطان أبو سالم أن يشرح له عنها فلكها لوقته وسار الامير أبو عبد الله الى بجاية فطالب اجلاله عليها ومعاودة حصارها وألح أهلها في الامتناع منه مع السلطان أبي اسحق وقد كان الى المقام محمود في بعث هؤلاء الامراء الي بلادهم وتوليت كبر ذلك مع خاصة السلطان أبي سالم وكتاب أهل مجلسه حتى تم القصد من ذلك وكتب الى الامير أبو عبد الله بن خطه عهدا بولاية الحجابة متى حصل على سلطانه ومعنى الحجابة في دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه في ذلك أحده وكان لي أخ صغير اسمه يحيى أصغر مني فبعثه مع الامير أبي عبد الله حافظاً للرسم ورجعت مع السلطان الى فاس ثم كان ما قدمته من انصرافي الى الاندلس والمقام بها الى أن تسكر الوزر

الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استقلوا هذا اللقب بكثرة وطول اضافته وأنه يزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى الهجته ويذهب منه التميز بتعدد الإضافات وكثرة فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعي به مثله وكانوا يسمون قوادبعوث باسم الأمير وهو فصيل من الإمارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لأمارة على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه بأمر المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال أن أول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والغيرة بن شعبة وقيل يزيد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر يقول أين أمير المؤمنين وسمعهما أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه أنه والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقبه في الناس وتوارته الخلفاء من بعده سمة لا يشار إليهم فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم إن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام فناله بالامامة التي هي أخت الخلافة وتعر يضامذهبهم في أنه أحق بامامة الصلاة من أبي بكر لما هو مذهبهم وبدعهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون إليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ماداموا يدعون لهم في الخفاء حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس فانهم ما زالوا يدعون أنهم بالامام إلى إبراهيم الذي جهره وبالبدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما هلك دعي أخوه السفاح بأمير المؤمنين وكذا الرافضة باقر بيقية فانهم ما زالوا يدعون أنهم من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الأمر إلى عبيد الله المهدي وكانوا أيضاً يدعون به بالامام ولأنه أبي القاسم من بعده فلما استوثق لهم الأمر دعوا من بعدهما بأمير المؤمنين وكذا الإدارة بالمغرب كانوا يلقبون أدريس بالامام وابنه أدريس الأصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة وأهل المسلة والفتح وازداد ذلك في غفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض كما في أمير من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجاباً بالاسم ثم الإعلام عن أمتهان في السنة السوقة وصورنا هاهنا الابتذال فتلقوا بالسفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد إلى آخر الدولة واقفي أثرهم في ذلك العبيديون بأفريقية ومصر وتحافى بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم مع الغضاضة والسداجة لأن الرومية ومنازعهم لم تقارهم حينئذ ولم يحول عنهم شعار البداوة إلى شعار الحضارة وأما بالاندلس فتلقوا أكسلفهم مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبة وأنهم انما منعوا بامارة القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس حتى إذا جاء عبد الرحمن الداخل الآخر منهم وهو الناصر بن محمد بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجز واستبداد الموالي وعيهم في الخلفاء بالزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا إلى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وأفريقية وتسمي بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله وأحدث من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لا بانه وسلف قومه واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت عصبة العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتلقب الموالي من العجم على بني العباس والصنائع على العبيديين بالقاهرة ومنهاجة على أمراء أفريقية وزانة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على أمر بني أمية واقتسموه وافترق أمر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والشرق في الاختصاص باللقاب بعد أن تسموا جميعاً باسم السلطان فأما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم باللقاب تشريفية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعصدة الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه وكان العبيديون أيضاً يخصون بها أمراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلافة

ابن الخطيب وأظلم الجو بيني وبينه وبينما نحن في ذلك وصل الخبر باستيلاء الأمير أبي عبد الله على بجاية من يد عمه في رمضان سنة خمس وستين وكتب لي الأمير أبو عبد الله يستقدمني فاعتزمت على ذلك ونكر السلطان أبو عبد الله بن الأحمر ذلك مني لالظنه سوى ذلك اذ لم يطالع على ما كان بيني وبين الوزير ابن الخطيب فأ مضيت العزم ووقع منه الاسعاف والبر والالطاف وركبت البحر من مرسي المرية منتصف ست وستين ونزلت بجاية لحامسة من الافلاخ فاحتفل السلطان صاحب بجاية لتقدمي وأركب للقائي وتهاقت أهل البلد على من كل أوب يسبحون أعطافي ويقبلون يدي وكان يوماً مشهوداً ثم وصلت إلى السلطان فخاف ودنى وخلع وحمل وأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بما حكرة باني واستقلت بمحمل ملكه واستفرغت جهدي في

سببها هذه الألقاب وتحافوا عن ألقاب الخلافة أدبامعها وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما
قلناه قبل ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كبرهم في الدولة والسياسة
وتلاشت عصية الخلافة واضمحلت بالجملة إلى اتحال الألقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور زيادة على
الألقاب يختصون بها قبل هذا الاتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاصطناع بما أضافوها إلى الدين فقط
فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين * وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا ألقاب الخلافة
وتوزعوا والقوة استبدادهم عليها بما كان من قبلها وعصبيتها فلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها
كما قال ابن أبي شرف يني عليهم
مما يزهدني في أرض أندلس * أساء معتمد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها * كاهر يحكي اتقا خصورة الاسد
وأما مناجاة فاقصر واعلي الألقاب التي كان الخلفاء العبيدون يلقبون بها للتبويه مثل نصير الدولة ومعز الدولة
وانصل لهم ذلك لما أدالوا من دعوة العبيدين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدا
فنسوا هذه الألقاب واقتصر واعلي اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم يتحلوا شيئا من هذه الألقاب
الاسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة ولما يحى رسم الخلافة وتمطل دستها وقام بالمغرب من قبائل
البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فلك العدوتين وكان من أهل الخير والافتداء زعت به همة إلى الدخول في
طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخطب المستظهر العباسي وأودع عليه بيعته عبد الله بن العربي وابنه القاضي
أبا بكر من مشيخة أشبيلية يطلبان توليته إياه على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا إليه بعهد الخلافة له على المغرب
واستشعار زهم في لبوسه ورتبه وخطبه فيه بامير المؤمنين تشريفا له واختصاصا فأتخذها لقباً ويقال أنه كان دعي له
بامير المؤمنين من قبل أدبامع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من اتحال الدين واتباع السنة وجاء
المهدي على أثرهم داعيا إلى الحق أخذ بمذاهب الأشعرية ناعيا على أهل المغرب عدو لهم عنها إلى تقليد السلف
في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف من مذهب الأشعرية وسمي أتباعه
الموحدين تعريضا بذلك التكبير وكان يرى رأى أهل البيت في الإمام المصوم وأنه لا بد منه في كل زمان يحفظ
بوجوده نظام هذا العالم فسمي بالإمام قلناه أولا من مذاهب الشيعة في ألقاب خلفائهم وأردف بالمصوم إشارة
إلى مذهبه في عصمة الإمام ونزعه عن أتباعه عن أمير المؤمنين أخذ بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من
مشاركة الأغمار والولدان من أعقاب أهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم اتحل عبد المؤمن ولي عهد اللقب بامير
المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استتاراه عن سواهم لما دعا إليه
شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الأمر وأولياؤه من بعده كذلك دون كل أحد لا تغناء عصية قريش وتلاشيها
فكان ذلك دأبهم ولما اتقض الأمر بالمغرب واشترعه زانة ذهب أولهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباع لمتونة في
اتحال اللقب بامير المؤمنين أدبامع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها إلى عبد المؤمن وأولاد بني أبي حفص من
بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بامير المؤمنين واتحلوه لهذا العهد استبلاغا في منازع الملك وتسميها لمذاهبه
وسماها والله غالب على أمره

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية

٣٤

واسم الكوهن عند اليهود

(اعلم) أن الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على أحكامها وشرائعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاء
به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص

السلطان يطلب منه الصهر
فأسعفه بذلك ليصل يده به
على ابن عمه وزوجه ابنته ثم
نهض السلطان أبو العباس
سنة سبع وستين وجلس
أوطان بجاية وكاتب أهل
البلد وكانوا وجليين من
السلطان أبي عبد الله لما
كان يرهب الخلد لهم ويشد
وطأته عليهم فأجابوه إلى
الانحراف عنه وخرج
الشيخ أبو عبد الله يروم
مدافقته ونزل جبل ايزو
معتصما به فينته السلطان أبو
العباس في عساكره وجموع
الاعراب من أولاد محمد
من رباح بمكانه ذلك باغراء
ابن صخر وقبائل سدويكش
وكبسه في تخيمه وركض
هار بافاحقه وقتله وسار
إلى البلد بمواعدة أهلها
وجاء في الخبر بذلك وأنا
مقيم بقصبة السلطان بقصوره
وطلب مني جماعة من
أهل البلد القيام بالامر
والبيعة لبعض أبناء السلطان
فتفاديت من ذلك وخرجت
إلى السلطان أبي العباس
فأكرمني وحياني وأمكنته
من بلده وأجرى أحوالي

يحميهم على مصالحهم ويزعمهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسيحي بالملك والملة الإسلامية لما كان الجهاد فيها
مشروعا وعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا أو كرها اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من
القائمين بها اليهما معا وأما مسوى الملة الإسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا في المدافعة فقط
فصار القائمون بأمر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك لمن وقع منهم بالعرض ولا امر غير ديني وهو ما اقتضته لهم
العصية لما فيهم من الطاب للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكلفين بالتغلب على الامم كافي الملة الإسلامية وانما
هم يطلبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسي ويوشع صلوات الله عليهما نحو أربع مائة
سنة لا يمتنون بشيء من أمر الملك انما هم باقامة دينهم فقط وكان القائمون به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة
موسي صلوات الله عليه يقيم لهم أمر الصلاة والقرابات ويشترطون فيه أن يكون من ذرية هرون صلوات الله عليه
لان موسي لم يعقب ثم اختاروا اقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتسلطون احكامهم العامة
والكوهن أعظم منهم رتبة في الدين وأبعد عن شغب الاحكام واتصل ذلك فيهم إلى أن استحكمت طبيعة العصية
وتجسدت الشوكة لملك فغلبوا الكنعانيين على الارض التي أورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على
لسان موسي صلوات الله عليه فخاربتهم أمم الفلستين والكنعانيين والارمن وأردن وعمان وما رب ورياستهم في
ذلك راجعة إلى شيوخهم وأقاموا على ذلك نحو اربع مائة سنة ولم تكن لهم صولة الملك وضجر بنو اسرائيل من
مطالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من أنبيائهم أن يأذن الله لهم في تملك رجل عليهم فولى عليهم طالوت وغلب
الامم وقتل جانب ملك الفلستين ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهم ما استحل ملكه وامتد
إلى الحجاز ثم أطراف الصين ثم إلى أطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه بمقتضى
العصية في الدول كما قدمناه إلى دولتين كانت احدهما بالجزيرة والموصل الاسباط العشرة والاخرى بالقدس
والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم تحتصر ملك بابل على ما كان بأيديهم من الملك أولا الاسباط العشرة ثم ثانيا
بني يهوذا وبيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو ألف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمات دينهم ونقلهم
إلى أصهبان وبلاد العراق إلى أن ردهم بعض ملوك الكيانية من الفرس إلى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من
خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الاول لكنهم فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو
يونان على الفرس وصار اليهود في ممالكهم ثم فشل أمر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصية الطيعية ودفعوهم
عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم الكهنه الذين كانوا فيهم من بني خشمناي وقتلوا يونان حتى انقرض أمرهم
وغابهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا إلى بيت المقدس وفيها بنو هيردوس أصهار بني خشمناي وبقيت
دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة وأخشوا في القتل والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس وأجلوهم
عنها إلى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسجد ويسميه اليهود بالجلوة الكبرى فلم يبق لهم بعدها ملك لفقدان
العصية منهم ويقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسيحي بالكوهن * ثم
جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاء به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على يديه
الخوارق العجيبة من ابراء الكه والابرس واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس وآمنوا به وأكثرهم
الحواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلا إلى الأقا داعين إلى ملته وذلك أيام أوغسطس أول ملوك
القيصرية وفي مدة هيردوس ملك اليهود الذي أنزع الملك من بني خشمناي أصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب
هيردوس ممالكهم ملك القياصرة أوغسطس يفر به فأذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من أمره وافترق
الحواريون شيعا ودخل أكثرهم بلاد الروم داعين إلى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فقلز برومة دار ملك
القيصرية ثم كتبوا الانجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب

مق انجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطيني وكتب لوقا منهم انجيله باللطيني الى بعض اكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحياصر قابل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قايضة جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها بيدا قليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فنشره يريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يشوع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك أربعة وسفر بنيامين وكتب المقابيين لابن كرون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب أوشير وقصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقة من الحواريين نسخ الانجيل الاربع وكتب القتاليقون سبع رسائل وثامنها الايريكسيس في قصص الرسل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة وكتاب اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب أبو غالمسيس وفيه رؤى يوحنا بن زبدي واختلف شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها ثم تركها أخرى والتسلط عليهم بالقتل والبقي الى أن جاء قسطنطين وأخذ بها واستمر واعليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه بالبطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعده من أمم النصرانية ويسمونه الاسقف أي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويقفهم في الدين بالقدس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب وأكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية الى أن قتله نيروز خامس القياصرة فيمن قتل من البطارقة والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسى رومة أريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده خانيا وسمى بالبطرك وهو أول البطارقة فيها وجعل معه اثني عشر قساعا لي أنه اذا مات البطرك يكون واحدا من الاثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان أمر البطارقة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا بانيقية أيام قسطنطين لتحري الحق في الدين واتفق ثلثائة وثمانية عشر من أساقفتهم على رأى واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصيروا أصلا رجوعوا اليه وكان فيما كتبوه أن البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقصة كما قرر خانيا تلميذ مرقاس وأبطلوا ذلك الرأي وانما يقدم عن ملا واختيار من أئمة المؤمنين ورؤسائهم فبق الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبق الامر فيها على ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطارقة وكان الاساقفة يدعون البطرك بالاب أيضا تعظيما له فاشتبه الاسم في أعصار متظاوله يقال آخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فارادوا أن يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوا البابا ومعناه أبو الآباء وظهر هذا الاسم أول ظهوره بمصر على مازع جرجيس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسى رومة لانه كرسى بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في المصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاث طوائف هي فرقةهم ولا يلتفتون الى غيرهما وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية ولم تر أن نسخهم أوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجملة معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام أو الجزية أو القتل ثم اختلفت كل فرقة منهم بطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأي الملكية ورومة للانفرنجية

كلها على معهودها وكثرت
السعاية عنده في والتحذير
من مكاني وشعرت بذلك
فطلبت الاذن في الانصراف
بعهد كان منه في ذلك فأذن
لي بعد ما بي وخرجت الي
العرب ونزلت على يعقوب
ابن علي ثم بداله الشأن في
أمري وقبض علي أخي
واعقله ببنو وكبس بيوتا
فطن بها ذخيرة وأموالا
فأخفق ظنه ثم ارتحلت من
أحياء يعقوب بن علي
وقصدت بسكرة لصحابة
بني وبين شيخها أحمد بن
يوسف بن مزني وبين أبيه
فأكرم وبر وساهم في
الحادث بماله وجاهه والله

أعلم

✽ مشايعة أبي حمو صاحب
تلمسان ✽

كان السلطان أبو حو قد
التحم ما بينه وبين السلطان
أبي عبدالله صاحب بجاية
بالصهر في ابنته وكانت عنده
بتلمسان فلما بلغه مقتل
أبيها واستيلاء السلطان أبي
العباس ابن عمه صاحب
قسطنطينة على بجاية أظهر

الامتياز لذلك وكان
أهل بحاية قد توجسوا الخيفة
من سلطانهم بارهاف حده
وشدة بطشه وسطوته
فأخروا عنه باطنا وكاتبوا
ابن عمه بفسطاطة كاذكرناه
ودسوا للسلطان أبي حو
بتمهاير جون الخلاص من
صاحبهم بأحدهما فلما
استولى السلطان أبو العباس
وقتل ابن عمه رأوا أن
جرحهم قد اندمل وحاجتهم
قد قضيت فأعصوا عليه
وأظهر السلطان أبو حو
الامتياز للواقعة يسر منها
حسوا في ارتقاء ويجعله
ذريعة للاستيلاء على بحاية
لما كان يرى نفسه كفاها
بعدده وعديده وماسف
من قومه في حصارها فصار
من تأسان يحرق الشوك
والمدرك حتى خيم بالرشة
من ساحتها ومعه أحياء زغبة
يجمعوهم وظعائهم من
لدى تأسان إلى بلاد حصين
من بني عامر وبني يعقوب
وسويد والديلم والعطاف
وحصين وأخبر أبو العباس
بالبلد في شريعة من الجند
أنجله السلطان أبو حو عن

وملكهم قائم تلك الناحية ويطرك المعاهدين بمصر على رأي العقوبة وهو ساكنين ظهر انهم والحبشة
يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم أساقفة ينوبون عنه في إقامة دينهم هنالك واحتص اسم البابا بطرك رومة لهذا
العهد ولا تسمى العاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباءين موحدين من أسفل والنطق بها فحمة
والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجية أنه يحضهم على الانقياد للملك واحدير جموعن اليه في اختلافهم
واجتماعهم تخرجهم من افتراق الكلمة ويحرق به العصية التي لا فوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم
ويسمونه الانبرذور وخرقه الوسط بين الذال والظاء المعجمتين ومباشره يضع التاج على رأسه للترك فيسمى
المتوج ولعله معنى لفظ الانبرذور وهذا ملخص ما أوردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن
والله يفضل من يشاء ويهدي من يشاء

❦ فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابهما ❦

٣٥

اعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا تقيلا فلا بد له من الاستعانة ببناء جنسه وإذا كان يستعين بهم في
ضرورة معاشه وسائر مهنته فإظناك سياسة نوعه ومن استعان الله من خلقه وعباده وهو محتاج إلى حماية الكافة
من عدوهم بالمدافعة عنهم وإلى كف عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بامضاء الاحكام الوازنة فيهم وكف
العدوان عليهم في أموالهم باصلاح سبلتهم وإلى حملهم على مصالحهم وماتعهم به البلوي في معاشهم ومعاملاتهم
من تفقد المعاش والمكايل والموازين حذرا من التطفيف وإلى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها
من الغش وإلى سياستهم بما يريد منهم من الانقياد له والرضا بمقاصدهم وانفرادهم بالمجدد منهم فيتحمل من
ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء لما نأقيل الجبال من أمانها أهون على من
معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت بأولى القري من اهل النسب أو الترية أو الاصطناع القديم للدولة
كانت أكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلفهم إخلقه فتم المشاكلة في الاستعانة قال تعالى واجعل لي وزيرا من
أهلي هرون أخي أشد به أزرى وأشركه في أمر وهو أمان يستعين في ذلك بسيفه أو قلمه أو رأيه أو معارفه أو
بجباة عن الناس أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في
ذلك واضطلاعه فلذلك قد توجدي في رجل واحد وقد تفرق في أشخاص وقد يتفرع كل واحد منها إلى فروع
كثيرة كالقلم يتفرع إلى قلم الرسائل والمحاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات وإلى قلم الحسابات وهو صاحب
الحياة والعطاء وديوان الجيش وكالسيف يتفرع إلى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد ولاية
الثغور * ثم اعلم أن الوظائف السلطانية في هذه الملة الإسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتغال منصب الخلافة
على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة منها في سائر وجوهها
لعموم تعلق الحكم الشرعي بجميع أفعال العباد والفقير ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها
استنادا إلى الخلافة وهو معنى السلطان أو تمويضا منها وهو معنى الوزارة عندهم كما يأتي وفي نظره في الاحكام
والأموال وسائر السياسات مطلقا ومقيدا وفي موجبات الغزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان
وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة أو جباية أو ولاية لا بد للفقير من النظر في جميع ذلك
كما قدمناه من انسحاب حكم الخلافة الشرعية في الملة الإسلامية على رتبة الملك والسلطان إلا أن كلامنا في وظائف
الملك والسلطان ورتبته إنما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصهم من أحكام الشرع فليس من
غرض كتابنا أن نعلمت فلا نحتاج إلى تفصيل أحكامها الشرعية مع أنها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل
كتاب القاضي أبي الحسن المسوردي وغيره من أعلام الفقهاء فإن أردت استيفاء ما فعل بك بمطالعها هنالك
وإنما تكلمنا في الوظائف الخليفة وأفردها لتمييزها وبين الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق أحكامها

الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما استكمل في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق

الوزارة وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة مأخوذة من الماونة وهي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أوزارهم وأثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في أول الفصل أن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة لانها ما أن تكون في أمور حامية الكفاة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالقرب وأما أن تكون في أمور مخاطبة لمن بعده في المكان أو في الزمان وتفيذه الإوامر فمن هو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وأما أن تكون في أمور حياية المال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والحياية وهو السمي بالوزير لهذا العهد بالمشرق وأما أن يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فإليها يرجع الآن الأرفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ هو يقتضي مباشرة السلطان دائماً وشاركته في كل صنف من أحوال مملكته وأما ما كان خاصاً ببعض الناس أو بعض الجهات فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثمر أو ولاية حياية خاصة والنظر في أمر خاص كحسبة الطعام والنظر في السكة فان هذه كلها نظري أحوال خاصة فيكون صاحبها تبعاً لاهل النظر العام وتكون رتبته مرؤسة لا وثلك وما زال الأمر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الأمر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمفاوضة فلم يكن زواله اذ هو أمر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ويخص مع ذلك أبابكر بخصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والتجاشي بمون أبابكر وزرهم ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام وكذا عمر مع أبي بكر وعلي وعثمان مع عمر وأما حال الحياية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لان القوم كانوا عرايا لا يحسنون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفراد من موالى العجم عن محييده وكان قليلا فيهم ولم يمشرفهم فلم يكونوا يجيدونه لان الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال مخاطبات وتفيذه الأمور لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتمان القول وتأديته ولم يخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السياسة الملكية في شيء وأيضاً فلم تكن الكتابة صناعة فيستجد للخليفة أحسنها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم ببلغ العبارات ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب في كتابته متى عن له من يحسنه وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم فكان محظوراً بالشرعية فلم يفعلوه فلما انقلبت الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان والقباه كان أول شيء يدي به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كواقعهم بعرو على ومعاوية وعمر بن العاص وغيرهم مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فالتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب وقد جاء أن عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد وليتك حاجبة يا بني الا عن ثلاثة المؤذن للصلاة فانه داعي الله وصاحب البر يدافع ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في أمور القبائل والعصائب واستئلفهم وأطلق عليه اسم الوزير وبقي أمر الحسبان في الموالى والذمين واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على أسرار السلطان أن تشهر فيفسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث

اشتكال الحشد ودافع أهل البلد أحسن الدفاع وبعت السلطان أبو العباس عن أبي زيان بن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو من قسطنطينة كان معتقلاً بها وأمر مولاه وقائد عسكره بشيرا أن يخرج معه في العساكر وساروا حتى نزلوا بني عبد الحيار قبالة معسكر أبي حمو وكانت رجالات زغبة قد وجوا من السلطان وأبلغهم التذير أن ملك بجاية اعتقلهم بها فراسلوا أبان بن وركبو اليه واعتقدوا معه وخرج رجل البلد بعض الايام من أعلى الحصن ودفعوا شزيمة كانت بحجرة بازائهم فقاتلوا وأخباهم وأسفلوا من تلك القبة الي بسبيط الرشوة وعانهم العرب بأقصى مكائهم من المعسكر فاجفلوا وتابع الناس في الانحلال حتى افردوا السلطان في مخيمه فحمل رواحله وسار وغصت الطرق بزحامهم وتراكم بعضهم على بعض فهلك منهم عوام واخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من كل ناحية وقد

عشيم الليل فتركوا
أزوادهم ورحالهم وخلص
السلطان ومن خلس منهم
بعد غص الزايق وأصبحوا
عسلي منجاة وقد فت بهم
الطرق من كل ناحية إلى
تلمسان وكان السلطان أبو
حو قد بلغه خبر خروجي
من بجاية وما أحدثه السلطان
بمدي في أهلي ومخاني
فكتب إلى يستقدمني قبل
هذه الواقعة وكانت الأمور
قد اشتبهت ففادت
بالاعذار وأفت باجاء
يعقوب بن علي ثم ارتحلت إلى
بكرة فآقت بها عند أميرها
أحمد بن يوسف بن مرني
فلما وصل السلطان أبو حو
إلى تلمسان وقد جزع
للواقعة أخذ في استئلاف
قبائل رباح ليحلب بهم مع
عساكره على أوطان بجاية
وخطبني في ذلك لقرب
عهدي باستباعتهم وملك
زمامهم ورأى أن يعول على
في ذلك واستدعاني لحجابه
وعلامته وكتب بخطه
مدرجة في الكتاب نصها
الحمد لله على ما نعم والشكر لله
على ما وهب لي علم الفقيه

اللسان الذي هو الكلام إذا لسان لذلك المهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة كذلك أرفع رتبهم يومئذ هذا في سائر
دولة بني أمية فكان النظر للوزير عام في أحوال التدبير والمفاوضات وسائر أمور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من
النظر في ديوان الجند وفرض المطاء بالأهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك وعظمت
مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة في اتقا الحل والعقد وتبينت مرتبته في الدولة وعنت لها
الوجود وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لمحتاج اليه خطته من قسم الاعطيات في
الجند فاحتاج إلى النظر في جمعه وتفريقه وأضيف إليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسرار
السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها الذبايح
والشيعاء ودفع إليه فصار اسم الوزير جامعاً لخطي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر
ابن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا
الحجابه التي هي القيام على الباب فلم تكن له لاستكافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على
السلطان وتجاوز فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى وصار الوزير إذا استبد محتاجاً إلى استئابة الخليفة
أيامه لذلك تصح الأحكام الشرعية وتجيء على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ وهي
حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبداً عليه ثم استمر
الاستبداد وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لأولئك المتغلبين أن ينتحلوا ألقاب الخلافة
واستكفوا من مشاركة الوزراء في القاب لأنهم خولهم فتنسوا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة
يسمى أمير الأمراء وبالسلطان إلى ما يحليه به الخليفة من ألقابه كإيراف في ألقابهم وتركوا اسم الوزارة إلى من
يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة
ينتحلها بعض الناس فامتنعت وترفع الوزراء عنها لذلك ولاهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم
فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واخص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند
وما يرجع إليها ويدهم ذلك عالية على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل أمانة وأستبداد واستمر الأمر على
هذا ثم جاءت دولة الترك آخر أجمصر فأروا أن الوزارة قد ابتذلت بترفع أولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة
المحجور ونظر مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت مروسة ناقصة فاستكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة
عن اسم الوزارة وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا المهد وبني اسم الحاجب في
مدلوله واخص اسم الوزير عندهم بالنظر في الحياة * وأما دولة بني أمية بالاندلس فافقوا اسم الوزير في مدلوله
أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافاً وأفرادوا لكل صنف وزرا فجعلوا لحسبان المال ووزرا للترسيل ووزرا
وللنظر في حوائج المتظلمين ووزرا للنظر في أحوال أهل الثغور ووزرا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش
منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفراد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم
بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم
فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فكثرهم يومئذ يسمى
الحاجب كإيراف ثم جاءت دولة الشيعة بأفريقية والقيروان وكان للقائمين بها رسوم في البداوة فاغفلوا أمر هذه
الخطط أولاً وتقيح أسماؤها حتى أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسماؤها كما
يرام في أخبار دولتهم * ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولاً للبداءة ثم صارت إلى
انتحال الاسماء والألقاب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الأمويين وقصدوا في مذهب السلطان
واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحييمهم

وخطابهم والآداب التي تلزم في الكون بين يديه ورفعه أخطة الحجابة عنه ما شاؤوا ولم يزل الشأن ذلك إلى هذا العهد * وأما في دولة الترك بالمشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه والدوידار ويضيفون إليه استتباع كاتب السرو وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالخاضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والله مولي الأمور لمن يشاء

﴿الحجابة﴾ قد قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصا في الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويفلق بابه دونهم أو يقتحه لهم على قدره في موافيقه وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مروسة لها إذا الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر أيام بني العباس وإلى هذا العهد فهي بمصر مروسة لصاحب الخططة العليا المسمى بالنائب * وأما في الدولة الأموية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم رفعة غاية كما تراهم في أخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم الحجابة لشرعها فكان المنصور بن أبي عامر وأبناؤه كذلك ولما بدوا في مظاهر الملك وأطوارهم جاءهم بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكانوا يسدونه شرفا لهم وكان أعظمهم ملكا بعد اتحالي ألقاب الملك وأسائه لا بد له من ذكر الحاحب وذو الوزارتين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة السلطان عن العامة والخاصة وبذو الوزارتين على جمعه لخطى السيف والقلم ثم لم يكن في دول المغرب وأفريقية ذكر لهذا الاسم للبدواة التي كانت فيهم وربما يوجد في دولة العبيدين بمصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل * ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى اتحالي الألقاب وتمييز الخطط وتعيينها بالأسماء إلا آخر أيامهم عندهم من الرتب الألويزر فكانوا أولًا يخلصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية وعبد السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاحب معروفا في دولتهم يومئذ ﴿وأما بنو أبي حفص بإفريقية﴾ فكانت الرئاسة في دولتهم أولا والتقديم لوزير الرأي والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود المساكر والحروب واختص الحساب والديوان برتبة أخرى ويسمى متوليا بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط وكان من شرطه أن يكون من الموحدين واختص عندهم القلم أيضا بمن يجيد الترسل ويؤمن على الأسرار لأن الكتابة لم تكن من متجمل القوم ولا الترسل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين بداره إلى قهرمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة وثيقة في المطامح والاصطبلات وغيرها وحصر الذخيرة وتنفيد ما يحتاج إليه في ذلك على أهل الحياة فخصوه باسم الحاحب وربما أضافوا إليه كتابة العلامة على السجلات إذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الأمر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاحب واسطة بين الناس وبين أهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة فصارت الخططة أرفع الرتب وأوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس عن نفسه وأذهب آثار الحجر والاستبداد بأذهاب خطة الحجابة التي كانت سلمها إليه وبأشرف أموره كلها بنفسه من غير استعانة بأحد والأمر على ذلك لهذا العهد

﴿وأما دولة زناتة بالمغرب﴾ وأعظمه هاد دولة في مدين فلا أثر لاسم الحاحب عندهم وأما رئاسة الحرب والمساكر ففيه للوزير ورتبة القلم في الحساب والرسائل راجعة إلى من يحسن من أهلها وإن اختصت ببعض البيوت

المكرم أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون حفظه الله انك تصل إلى مقامنا الكريم بما خصصناكم به من الرتبة المنيع والمزلة المنيفة وهو قلم خلافتنا والانتظام في سلك أولياتنا وقد أعلمناكم بذلك وكتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخارله وبعده بخط الكاتب مانصه بتاريخ السابع عشر من شهر رجب الفرد من عام تسع وستين وسبع مائة عرفت أن الله خيرهم ونص الكتاب الذي هدم مدرجته وهو بخط الكاتب أكرمكم الله بأفقيه أبا زيد ووالى رعايتكم أنا قد ثبتت عندنا وصح لدينا ما انطوتم عليه من المحبة في مقامنا والاقطاع إلى جانبنا والتشيع قديما وحديثا مع ما نعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم ومعارف فقمتم فيها نظرائكم ورسوخ القدم في الفنون العلمية والآداب العرفية وكانت خططة الحجابة بياضا على أسمائه الله إلى درجات أمثالكم

المصطنعين في دولتهم وقد تجتمع عندهم وقد تفرق وأما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم فيسمى صاحبها عندهم بالمرزوار ومعناه المقدم على الجنادة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإزالة سطوته وحفظ المعتقلين في سجنونه والعريف عليهم في ذلك فالأبواب وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه فكأنها وزارة صغيرة

وأما دولة بني عبد الواد فكانت عندهم لشي من هذه الألقاب ولا تميز الخطط لبدوة دولتهم وقصورها وإنما يخصون باسم الحاجب في بعض الأحوال منفذ الخاس بالسلطان في داره كما كان في دولة بني أبي حفص وقد يجمعون له الحسبان والسجل كما كان فيها حملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ أول أمرهم (وأما أهل الأندلس لهذا العهد) فالتخصيص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان وسائر الأمور المالية يسمونه بالوكيل وأما الوزير فكان وزير الأمانة قد يجمع له الترسيل السلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كالغيرهم من الدول

وأما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة وفي العامة على الإطلاق وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الأحيان ويقطع القليل من الأرزاق ويثبتها وتنفيذ أوامره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان ولا يحجب الحكم فقط في طبقات العامة والحد عند الترافع إليهم وأخبار من أي الانقياد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية ثم في تصرفها في الانفاقات السلطانية أو الجرايات المقدره له مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتبين أصنافهم ومن عوائدهم أن يكون هذا الوزير من صف القباط القائمين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الأحيان لأهل الشوكة من رجالات الترك أو أبناءهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الأمور ومصرفها بحكمته لا اله الا هو رب الأولين والآخرين

ديوان الاعمال والحيايات

اعلم ان هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الحيايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخروج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخروج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال ان أصل هذه التسمية ان كسرى نظروا إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم فكانهم يحادثون فقال ديوانه أي مجانين بأفنة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقل ديوان ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور وقوعهم على الخبي منها والخفي وجمعهم لما شذو وتفرق ثم نقل إلى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا في تناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما يأتي بعد وقد تفرده هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر في سائر هذه الاعمال وقد يفر دكل صنف منها بناظر كما يفر في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسبان أعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول

وأرفع الخطط لتطرائكم قرباننا واختصاصا بمقامنا واطلاعا على خفايا أسرارنا آثرناكم بها إشارا وقد مناكم لها اصطفاء واختيارا فاعملوا على الوصول إلى بابنا العلى أسماؤه الله لك فيه من التتوية والقدر النبوة حجبنا العلى بابنا ومستودعا لأسرارنا وصاحبنا لكرم علامتنا إلى ما شاكل ذلك من الانعام العميم والخير الجسيم والاعتناء والتكريم لا يشارككم مشارك في ذلك ولا يزاكم أحد وان وجد من أمثالكم فأعلموه وعولوا عليه والله تعالى يتولاكم ويوصل سراءكم ويوالي احتفاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتأت إلى هذه الكتب السلطانية على يد سفير من وزرائه جاء إلى أشياخ الزواودة في هذا الغرض فقامت له في ذلك أحسن قيام وشابته أحسن مشايعة وحنانهم على إجابة داعي السلطان والبدار إلى خدمته وانحرف كبراءهم عن السلطان أبي العباس إلى

عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وقنون التمهيد وأول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية
 عمر رضى الله عنه يقال سبب مال أبي به أبوه رة رضى الله عنه من البحرين فاستكثره وتعبوا في قسمه فسموا
 الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام يدنون فقبل
 منه عمر وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رأى بيعت البعوث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بغية من يغيب منهم فإن
 من تخلف أخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأنبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم الديوان فغير له ولمل اجتماع
 ذلك أمر عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وحيير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر
 الإسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالأقرب هكذا كان
 ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين وأما ديوان
 الخراج والحيايات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية
 وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ما كانا واتقل
 القوم من غضاضة البدواة الى رونق الحضارة ومن سداجة الأمية الى حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم
 مهرة في الكتاب والحسبان فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن لعهدده أن ينقل ديوان الشام الى العريضة
 فأكمل سنة من يوم ابتدائه ووقف عليه سر حون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه
 الصناعة فقد قطعها الله عنكم وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعريضة
 كالفارسية ولحق ذلك عن زاذان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث
 استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه وأمره أن ينقل الديوان من الفارسية الى العريضة ففعل ورغم ذلك كتاب
 الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني العباس
 مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك وبني سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة وأما ما يتعلق
 بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما يخص بالحيش أو بيت المال في الدخل والخرج وتميز النواحي بالصالح
 والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة من يكون وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسابات فأمر راجع الى
 كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وانما تتكلم فيها من حيث طبيعة الملك
 الذى نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثالثة أركانه لان الملك لا بد له من الخند والمال
 والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان في امر السيف وأمر القلم وأمر المال فينفرد صاحبها
 لذلك بجزء من رياسة الملك وكذلك كان الامر في دولة بني أمة بالاندلس والطوائف بعدهم وأما في دولة
 الموحدين فكان صاحبها انما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الاموال وجمعها وضبطها وتعقب
 نظر الولاة العمال فيها ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان ربما يلبس في
 الجهات غير الموحدية ممن يحسنها ولما استبد بنو أبي حفص بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس فقدم عليهم
 أهل البيوتات وفهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بنى سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني
 أبي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم وبين
 الموحدين ثم استقل بها أهل الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغفل أمر الحاحب ونفذ أمره
 في كل شأن من شؤون الدولة تهطل هذا الرسم وصار صاحبه مرؤسا للحاجب وأصبح من جملة الحياة وذهبت تلك
 الرياسة التي كانت له في الدولة * وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج مجموع لواحد وصاحب
 هذه الرتبة هو الذى يصحح الحسابات كلها ويرجع الى ديوانه ونظره معقب بنظر الساطان أو الوزير وخطه معتبر
 في صحة الحسبان في الخراج والعطاء هذه أصول الرتب والحطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر

خدمته والاعتقال في مذاهبه
 واستقام غرضه من ذلك
 وكان أخي يحيى قد خلاص
 من اعتقاله وقدم على يسكر
 فبعته الى الساطان أبي حمو
 كالنائب عني في الوظيفة
 متفاديا عن تحميم أهوالها
 بما كنت نزعته عن غواية
 الرتب وطال على اغفال العلم
 فاعرضت عن الخوض في
 أحوال الملوك وبعثت المهمة
 على المطالعة والتدريس
 فوصل اليه الاخ فاستكفى
 به ذلك ودفعه اليه ووصلني
 مع هذه الكتب السلطانية
 كتاب رسالة من الوزير أبي
 عبد الله بن الخطيب من
 غرناطة يشوق الي وتأدى
 الى تلمسان على يد سفراء
 الساطان ابن الأحمر فبعث
 الي من هنالك وانصه
 بنفسى وما نفسي على
 رخصة
 فيزاني عنها المكاس
 بأثمان
 حبيب نأى عني وصم
 لأنثى
 وراش سهام البين عمدا
 فاضاني

وفدكان هم الشيب لاكان
كاتباً
فقد أدنى لما ترحل
همان
شرعت له من دمع عيسى
موردا
فكدر شربى بالفراق
وأظمانى
وأرعيته من حسن عهدي
حمة
فأجذب آمالي وأوحش
أزمانى
حلفت على ما عندى من
رضا
قياس بما عندى فأحنت
أيمانى
وإني علي ما نالني منه من
قلا
لا شتاق من لقاء نعمة
ظمان
سألت جنو في فيه قريح
عرسه
فقتت ببحر الشوق جن
سليمان
إذا مداد دأع من القوم
باسمه
وثبت وما استثبت شيمة
هيان
وتالله ما أصغيت فيه
لعاذل

ومبادرة السلطان * وأما هذه الرتبة في دولة الترك فتتوعة وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش
وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الحياة العامة للدولة وهو أعلى رتب الناظرين في
الأموال لأن الناظر في الأموال عندهم يتنوع إلى رتب كثيرة لا تفصح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الأموال
والحياتيات عن أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للناظر العام منها هذا الخصوص
باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولي من موالى السلطان وأهل عصيته وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظر
الوزير إلى نظر دويجهدهم في متابعتها ويسمي عندهم أستاذ الدولة وهو أحد الأمراء الكبار في الدولة من
الجند وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة إلى الأموال والحسبان مقصورة
النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لأموال السلطان الخاصة به من أقطاعه أو سهامه من أموال
الخارج وبلاذ الحياة مما ليس من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الأمير أستاذ الدار وإن كان الوزير من الجند
فلا يكون لأستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان من ممالكه المسعى خازن الدار
لاختصاص وظيفتهم بأموال السلطان الخاص هذا بيان هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعد ما قدمناه من أمرها
بالمغرب والله مصرف الأمور لأرب غير

ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها أساساً كفي الدول العربية في البداوة التي لم
ياخذها تذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما كد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي
والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكتاب
الأمير يكون من أهل نسله ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمرأء الصحابة بالشأم والعراق لعظم أمانتهم وخلوص
أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس ربيعة وكان الكتاب يصدر
السجلات مطلقه ويكتب في آخرها اسمه ويحتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته
يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمي طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه والصاقه ثم صارت
السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكتاب فيها علامته أولاً وآخرها على حسب الاختيار في محله وفي
ألفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغیر صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير
عليه فقصر علامة هذا الكتاب لمغااة الحكم بالعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته الموهودة
والحكم بالعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها إلى التفويض ثم
الاستبداد صار حكم العلامة التي للكتاب ملغى وصورتها نابتة أتباعاً لما سلف من أمرها فصار الحاجب يرسم للكتاب
امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويخبر له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص
السلطان بنفسه بوضع ذلك إذا كان مستبداً بأمره قائماً على نفسه فيرسم الأمر للكتاب ليضع علامته ومن خطط
الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة
إليه أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه فاما أن تصدر كذلك وأما أن يحذو الكاتب على
مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعهم وقد كان جعفر
ابن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمى بالقصة إلى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلاء في تحصيلها
لوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل أنها كانت تباع كل قصة منها دينار وهكذا كان شأن الدول
* واعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم
وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لمسير في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك

مع ما تدعوا اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة إلى أرباب السيوف لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لأجل سداجة العصية فيختص السلطان أهل عصيته بخطط دولته وسائر رتبته فيقلد المال والسيف والكتابة منهم فأما رتبة السيوف فتستغنى عن معاناة العلم وأما المال والكتابة فيضطر إلى ذلك للإبلاغ في هذه والحسان في الأخرى فيختارون لها من هذه الطبقة ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه لأنه لا تكون يد آخر من أهل العصية غالبه على يده ويكون نظره متصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فإن الكتابة عندهم وإن كانت لصاحب الانشاء إلا أنه تحت يد أمير من أهل عصية السلطان يعرف بالدو ويدارو تعويل السلطان ووثوق به واستنامته في غالب أحواله اليه وتعويله على الأخرى في أحوال الإبلاغ وتطبيق المقاصد كتمان الأسرار وغير ذلك من توابعها وأما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره واتقائه من أصناف الناس فهي كثيرة وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب وهي أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقمكم وأرشدكم فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروآت والعلم والرياسة بكم ينتظم للخلافة بحسبها وتسقيم أمورها ونصائحكم يصاح الله لخلق سلطانهم وتعمير بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يؤجد كاف إلا منكم فوقكم من الملوك موقع أسياعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يصفرون والسنن التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير الحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي ينشئ به في مهمات أمورهم أن يكون حليفا في موضع الحلم فليما في موضع الحكم مقدما في موضع الإقدام محجبا في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتمو ما للسرار ويا عند الشدائد علما بما يأتي من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق في أماكنها قد نظرت في كل فن من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكفي به يعرف بفراسة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يراد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدل لكل أمر عده وعتاده ويهيئ لكل وجهه وعتاده وتفتأسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وأبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف السننكم ثم أجدوا الخط فانه حلية كتبكم وأروا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تنسوا اليه همكم ولا تضعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وأرغبو بانفسكم عن المطامع سنيها ودنياها وسفساف الأمور ومحارقاتها فامد للرقاب مفسدة للكتاب وزهوا بصناعتكم عن الدناءة وأريؤا بانفسكم عن السعاية والتميمة وما فيه أهل الجهالات وإياكم والكبر والسخف والعظامة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وإن نال الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه واسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه أمره وإن أقعد أحدكم منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطفه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه فإن عرضت في الشغل محمدا فلا يصرفها إلا إلى صاحبه وإن عرضت مدامة فإيجملها هو من دونه ولا يحذر السقطة والزلة والمثل عند

تجانيته حتى ارعوي
وتحامي

ولا استعمرت نفسي برحمة
عابد

تظلل يوما مثله عبيد
رحمن

ولا شعرت من قبله
بتشوق

يخالل يوما مثله عبيد
رحمن

أما الشوق فحدث عن
البحر ولا حرج وأما الصبر

فصل به أية درج بمعدان
تجاوز اللووا المتعرج لكن

الشدّة تعشق الفرج والمؤمن
ينشق من روح الله الأراج

واني بالصبر على أير الزبر
لا بل الضرب الهبر ومطولة

اليوم والشهر تحت حكم
القهر ومن للعين أن تسلبو

سلو القصر عن أنسائها
المبصر أو تذهل ذهول

انزاهد عن سرها الرائي
والمشاهد وفي الجسد

مضغة يصلح إذا صلحت
فكيف حاله إن رحلت عنه

أو ترحت وإذا كان الفراق
هو الحام الأول فعلام المغول

أعيت مراوضة الفراق
على الرواق وكادت لوعة

تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه الي الغراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا خبته من يذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتدله من وفائه وشكره واحتماله وخبره ونصيحته وكم ان سره وتدير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك تعالى عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماله فاستشعروا ذلك وفتحكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدّة والحرب والمان والمواساة والاحسان والسرّاء والضراء فتعمت الشبهة هذه من وسمهم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة وأدلى الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فايراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللظالم منصفافان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعيله ثم ليكن بالعدل حاكما والاشراف مكرما وللفي موفرا وللبلاد عامرا وللرعية متألّفا وعن اذا هم متخلفوا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجهم واستقضاء حقوقهم رفيقا واذا أحب أحدكم رجلا فليختر خلائقه فاذا عرف حسناته وقبحها أمانه على ما يوافقه من الحسن واختال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت رموحلم يهجمها اذار كهوا وان كانت شربوا بقاها من بين يديها وان خاف منها شر ودأ توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا تقع برفق هو اها في طرقها فان استمرت عطفها يسير افساس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم ودأخلهم والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ويفهم عنه ويخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراة وتقويم أودمه من سائس البهيمة التي لا تخير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا لا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الرأكب عليها الأفارققوا رحكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله عن صحبتهم والنبوة والاستقلال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصير وامنه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وما يسهه ومركبه ومطعمه ومشر به وناله وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من ثمر صنعكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهم ما يقبأن الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلها ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب والامور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير وأنصحوا بحجة وأصدقها حجة وأحمدوا عاقبة واعلموا أن التدبير أفة متافه وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انقاد علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وليؤجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصاحبة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وايضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب بدنه وعقله وأدابه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذي يرز من جميل صنعه وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته الى أن يكلاه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الي غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول أحد منكم انه أبصر بالأمور أحمل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمي بالعجب وراء ظهره وراي أن أصحابه أعقل منه وأجل في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لزمته والتحدث بنعمته (وأنأقول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فذلك جعلته آخره وتعمته به تولا نا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبه بما يتولي به من سبق علمه باسعادهم وارشادهم فان ذلك اليه

الاشتياق ان تفضي الى
السياق

ترجموني بعد تشييعكم
أوسع أمر الصبر عيانا
أقرب سفي ندما تارة

وأستريح الدمع احيانا
وربما تغلبت بغشيان

المنها هذا الحالية وجددت
رسوم الاسي بياكورة
الرسوم البالية أسائل نوى

النوى عن أهليه وهيام
المرقد المهجور عن مصطليه

وناء الاثافي الماثلة من منازل
الموحدين وأحار بين تلك

الاطلال حيرة المناجدين
انقضت اذا ما أنام

انتهدين كلفت لعمرك الله
بسائل عن جفوني المؤرقة

ونائم عن شجوني المجتمعة
المتفرقة ناعم عن ملال

لامتبر ما بشر حال وكدر
الوصل بمدصفائه وضرر

النصل بعد عهد وفائه
أقل اشتياقا لها القلب

انما
وأيتك تصفي الود من ايس

جازيا
فها أنا بكي عايه بدم أساله

وأندب في ربيع الفراق
أساله وأشكو اليه حال قاب

ويده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهـ (الشرطة) ويسمى صاحبها هذا المهد بأفريقية الحاكم وفي دولة أهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الوالي وهي وظيفة مرسلة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان وكان أصل وضعها في الدولة العباسية من يقيم أحكام الجرائم في حال استبدانها ولا يتم الحدود بعد استيفائها فان التهم التي تعرض في الجرائم لا تنظر للشرع الا في استيفاء حدودها ولا سياسة النظر في استيناء موجباتها باقرار بكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد باستيفاء الحدود بعده اذا تزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء باطلاق وأفردوها من نظر القاضي وزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان حكمهم على الدماء وأهل الرب والضرب على أيدي الرعا والفجرة ثم عظمت نهايتها في دولة بني أمية بالاندلس ونوعت الي شرطة كبرى وشرطة صغيرة وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدماء وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظلمات وعلى أيدي أقاربهم ومن اليهم من أهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامية ونصب لصاحب الكبرى كرسي باب دار السلطان ورجال يتبوؤن المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا في تصرفه وكانت ولايتها لا كبر من رجالات الدولة حتى كانت ترشيد الجالوزارة والاحتجاجة وأما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التثوية وان يجعلوها عامة وكان لا يابها الار رجالات الموحدين وكبراءهم ولم يكن له التحكم على أهل المراتب السلطانية ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها من قام بها من المصطنعين وأما في دولة بني مرين لهذا العهد بالمشرق فولايتها في بيوت من مواليهم وأهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك أو أعقاب أهل الدولة قبلهم من الكرد يتخير ونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم أبواب السعارة وتخريب مواطن الفسوق وتقرير مجامعهم مع اقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل والنهار وهو العزيز الخبار والله تعالى أعلم

(قيادة الاساطيل) وهي من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب وأفريقية ومرسلة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم المندب فبحم اللام منقولاً من لغة الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح انهم وانما اختصت هذه المرتبة بملك افريقية والمغرب لانها جميعا على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كما هم من سبتة الى الاسكندرية الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجة والصقالبة والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى أهل عدوته والسالكين بسيف هذا البحر وسواحه من عدوته يعانون من أحوال المالاتعانية أمة من أمم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب أجازوا في الاساطيل وملكوا وتغلبوا على البربر بها واتزعوا من أيديهم أمرها وكان لهم بالمدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيبطة وجسولاء ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبيع الاساطيل لحربه مشحونة بالعتاكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حقا فيه معرفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أن صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ودود على عود فاوعز حيث شئت بمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه أحد من العرب الا من افتات على عمر في ركوبه ونال من

ضدعه وأودعه من الوجد
ما أودعه لما خدعه ثم
قلاده وودعه وأنشق رياه
أنفارتياح قد جدعه
خليلى فيما عشتما هل
رأيتما
قتيلا يكي من حب قاتله
قبلى
فلولا عسي الرجاء ولعله لا
بل شفاعة المحل الذي حله
نشرت ألوية العتب وبنت
كتائبها كميناً في شباب الكتب
تهز من الالفات رما حازم
الاسنة وتوتر من التونات
أمنال النسي المرنى وتقود
من مجموع الطرس والنقس
ببقاء تردى في الاغنة ولك
أوى الى الحرم الامين وتقياً
ظلال الجوار المؤمن من
معرة الغسوار عن الشمال
واليمين حرم الخلال المزنية
والظلال البزنية والههم
السنية والشيم التي لا ترضى
بالدون ولا بالدية حيث
الرفد المنعوج والظهير
الميامن يزجوها السنوح
والمتوى الذى اليه مهما
تقارع الكرام على الضيفان
حول جواى الحفان فهو
الجنوى

نسب كان عليه من شمس
الضحي
نور او من فاق الصباح
عمودا
ومن حل بتلك المثابة فقد
اطمان جنبه وتعمد بالعفو
ذنبه (ولله در القائل)
فوقه لقد اتت
لوصفه
بالخجل لولا أن حصا
داره
بلد متى أذكره هيج
لوعتي
واذا قدحت الزند طار
شراره
اللهم غفرا وأين قراره
التخيل من متوى الالف
البخيل ومكذبة الخيل
وأين نائية هجر من متبرئ
من الحدود فجر
من أنكر غيث مسودة
في الارض ينوء بمخلفها
فبنان بسفي مزن مزن
تهل بلطف مصر فها
مزن مذ حل بيسكرة
يوما نطقت بمسحفها
سكرت حتى بعبارتها
ومعناها وبأحرفها
وشكرت الدنيا متى
عرفت
مزن فيها بمعرفها

عقابه كما فعل بر حفة بن هرثمة لازدي سيد بحيلة أساغزاه عمان قبله غزوه في البحر فانكر عليه وعنفه أنه
ركب البحر للغزو ولم يزل الشأن ذلك حتى اذا كان لهدم معاوية أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على أعواده
والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم ليكنوا أول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لممارستهم
أحوالهم وصارت أمم الجمع خولا لهم وتحت أيديهم وتقرّب كل ذي صنعة اليهم بمبالغ صناعته واستخدموا من
التواتية في حاجتهم البحرية أنما وتكررت ممارستهم للبحر وثاقته استحدثوا بصرا بها فشرهوا الي الجهاد فيه
وأنشؤا السفن فيه والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة من وراء
البحر من أمم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وتغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام
وافريقية والمغرب والاندلس وأوعز الخليفة عبد الملك الي حسان بن النعمان عامل افريقية بالتحاذار الصناعة
بتونس لإنشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الاول ابن ابراهيم
ابن الاعراب علي بدأسدين الفرات شيخ القتياو فتح قوصرة أيضا في أيامه بعد أن كان معاوية بن خديج أغزي صقلية
أيام معاوية بن أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتحت على يد ابن الاعراب وقائده أسدين الفرات وكانت من بعد
ذلك أساطيل افريقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الي بلادهم في سبيل الفتنة فتجوس خلال
السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس أيام عبد الرحمن الناصر الي ماتي مراكب أو نحوها
واسطول افريقية كذلك مثله أو قرب بياضه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس ومرفؤ هالاحط
والافلاخ بحماية المارية وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره
الي قائد من التواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر أمر جريته بالربح أو بالمخاضيف وأمر أرسائه
في مرفئه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو ومحتمل أو غرض سلطاني مهم عسكرت بر فتمت المعلوم وشحنها السلطان
برجاله واتخاذ عساكره ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم
يسرحهم لوجههم وينتظر ايامهم بالفتح والغنيمة وكان المسلمون لهده الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر
من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم واساطيلهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل بأساطيلهم بشئ من جوانبه
وامتعلوا ظهر مالا فتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المملوكة من الفتح والغنائم وملكو سائر الجزائر المتقطعة عن
السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وباسية وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك
الروم والافرنج وكان أبو القاسم الشيباني وأبو ديفزون أساطيلهم من المهديّة جزيرة جنوة فتقلب بالظفر
والغنيمة واقتح مجاهد العالمى صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في أساطيله سنة خمس
واربع مائة وأربع مائة وأربع مائة وأربع مائة وأربع مائة وأربع مائة وأربع مائة وأربع مائة وأربع مائة
أساطيلهم فيهم جاشية وذاهبة والعساكر الاسلامية تميز البحر في الاساطيل من صفاية الي البر الكبير المقابل لها
من الدوة الشمالية فوقع بملوك الافرنج ونحن في ممالكهم كما وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائلين فيها
بدعوة العبيديين وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الي الجانب الشمالى الشرقى منه من سواحل الافرنجة
والصقلية وجزائر الرومانية لا يمدونها واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الاسد على فر يسنه وقد
ملأت الأكر من بسيط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم تسج النصرانية فيه
أواح حتى اذا أدرك الدولة العبيدية والاموية الفشل والوهن وطرقها الاعتلال مد النصارى أيديهم الي جزائر
البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة فلكوها ثم ألحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوها
طرابلس وعسقلان وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنا

عليه كنيسة لظهور دينهم وعبادتهم وغلبوا بني خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم
الخزينة ثم ملكوا المهديّة مفرّ ملك العبيدين من يد أعقاب بلكين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة
بهذا البحر وضف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم يعتوا بشيء من أمره لهذا العهد بعد
أن كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هناك
وبقيت بأفريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد وفور الأساطيل ثابت
القوة لم يخف عتو ولا كانت لهم به كرة فكان قائد الأسطول بلعهد لثونة بن ميمون رؤساء جزيرة قاذس ومن
أيديهم أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين جميعا * ولما
استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف
وأعظم ما عهد وكان قائداً أسطولهم أحمد الصقلي أصله من صديغار الموطنين بجزيرة جربة من سبر ويكنى أسره
النصارى من سواحله وربى عندهم واستخاضه صاحب صقلية واستكفأهم هلك وولى ابنه فأسخطه ببعض
الزغات وخنى على نفسه ولحق بتونس ونزل على السيد بها من بني عبد المؤمن وأجاز إلى مراكن قتلها الخليفة
يوسف بن عبد المؤمن بالبركة والكرامة وأجزل الصلة وقبده أمراً أساطيله فخلى في جهاد أم النصرانية وكانت له
آثار وأخبار ومقاومات مذكورة في دولة الموحدين وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة
إلى ما لم يتبعه من قبل ولا بعد قيعا عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام العهد باسترجاع
ثغور الشام من يداًم النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبناء تابة أساطيلهم الكفرية بالمدد
لذلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه فأمدوهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم
أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدداً أساطيلهم فيه وضعف
المسلمين منذ زمان طويل عن محاربتهم هناك كما شربنا إليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور
سلطان المغرب لعهد من الموحدين رسولاً عبد الكريم منهم هذا إلى ملك المغرب طالباً بالمدد الأساطيل لتجول في البحر بين
أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا إلى ملك المغرب طالباً بالمدد الأساطيل لتجول في البحر بين
أساطيل الكفرة وبين مرأهم من إمداد النصرانية بثغور الشام وأصبح كتابه إليه في ذلك من إنشاء الفاضل
البيساني يقول في افتتاحه فتح الله لسيادنا أبواب المناجح والدايم حسبنا نقله العماد الأصفهاني في كتاب الفتح القدسي
فقم عليهم المنصور بخافهم عن خطابه بأمر المؤمنين وأسرها في نفسه وحملهم على مناهج البر والكرامة وردهم
إلى مرسلهم ولم يجبه إلى حاجته من ذلك وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالأساطيل وما حصل للنصرانية
في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشأن
الأساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما هلك أبو يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت
أمم الجلالة على الأكثر من بلاد الأندلس وألجأ المسلمين إلى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب
الغربي من البحر الرومي قويت ريجهم في بسط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم وتراجعت
قوة المسلمين فيه إلى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زناتة بالمغرب فإن أساطيله كانت عند
مرأه الجهاد مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة
وتسليان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصارى فيه إلى دينهم
المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الامم في لجته وعلى أعواده وصار المسلمون فيه
كألا الجانب الاقليل من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه ولو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان أو قوة من
الدولة لتجيش لهم أعواناً وتوضع لهم في هذا الغرض مسلحاً وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة

بل نقول لا محل للولد لأق
بهذا البلد وأنت حل بهذا
البلد لقد حل بينك عرى
الجلد وخذل الشوق بعدك
يا بن خادون في الصميم من
الجلد في الله زمانا شفيت
في قربك زمانته واحتليت
في ذروة مجدك جماته
ويامن لمشوق لم يقض من
طول خللك لباتته وأهلا
بروض أضلت شباب
معارفك باتته فحماة بعدك
تدب في ساعدها الجندب
ونواسمه ترق فتعاشي
وعشائه تنهات وتلاشي
وأدواحه في ارتباك وحائه
في ما تم ذى اشتباك كان لم
تكن قرها لآلات قبايه ولم
يكن أنسك شارع بابيه إلى
صفوة الضرب ولبابيه ولم
يسبح انسان عينك في ماء
شبابه فله فاعليك من درة
اختلسها يد النوى ومطل
بردها الدهر ولوى ونمق
غراب ينها في ربوع الهوى
ونطق بالزجر فناطق عن
الهوى وبأى شيء يعتاض
منك أيها الرياض بعد أن
طمانهرك الفياض وفهقت
الحياض ولا كان الشانيء

والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا لمعاساة تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستهونون الربح على الكفر وأهله فمن المشتهرين أهل المغرب عن كتب الحدث ان أنه لا بدلاء مسلمين من الكرة على النصرانية وافتتاح ماوراء البحر من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل

٣٦ ﴿فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول﴾

(اعلم) أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف مادام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها كذا ذكرناه ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قد مناه فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها فيكون للسيف منزلة على القلم في الحالتين ويكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاهوا وأكثر نعمة وأسنى أقطانا وأما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها ببعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره ولم يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الحياة والقبض ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة إلى قصره وتكون السيوف مهملة في مضاجيع أعمادها إلا إذا تابت نائبة أو دعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها فتكون أرباب الأقلام في هذا الحاجة أوسع جاهها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلاطان مجلسا وأكثر إليه ترددا وفي خلواته نجيا لأنه حينئذ أنه التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في إعطائه وتنقيف أطرافه والمباهاة بأحواله ويكون الوزير حينئذ وأهل السيوف مستغنى عنهم بمعدين عن باطن السلطان حذرين على أنفسهم من بؤاده وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم للمنصور حين أمره بالقدوم أما بعد فانه مما حفظناه من وصايا الفرس أخوف ما يكون للوزراء إذا سكنت الدهماء سنة الله في عبادته والله سبحانه وتعالى أعلم

٣٧ ﴿فصل في شارات الملك والسلاطان الخاصة به﴾

(اعلم) أن للسلاطان شارات وأحوالا تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها ويتميز بها تخالفا عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلذلك ما هو مشتهر منها بمبايع المعرفة وفوق كل ذي علم عليم (الآلة) فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والريات وقرع الطبول والتفخ في الأبواق والقرون وقد ذكرنا أسطوفا في الكتاب المنسوب إليه في السياسة أن السر في ذلك إرهاب العدو وفي الحرب فإن الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالروعة ولعمري أنه أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه وهذا السبب الذي ذكره أسطوان كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبار وأما الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستمتع في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بالفعال لا بل بالحداء والحيل بالصفير والصرخ كما علمت ويزيد ذلك تأثيرا إذا كانت الأصوات متناسبة كما في الفناء وأنت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولا جسد ذلك تخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية (١) لأطبلا ولا يوقا فيحرق المغنون بالسلاطان في موكبهم بالآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستبانة ولقد رأينا في حروب العرب من تغني أمام

المشعور والحرب المهنوء من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل وشارك في الأمر الناقة والجليل واستأثر جحجه بيدر النادى لما كل فترع الشراع فراع وواصل الاسراع فكأنما هو تمساح (١)

ضايق الاحباب في البرهة واحتلف بهم من الشط نزهة العين وعين الزهرة ولحج بها والعيون تنظر والعبر عن الاتباع تخطر فلم يقدر الا على الاسف والتماح الاثر المنتسف والرجوع بماء العيبة من الخيبة وفور الخبرة من الحسرة انما نشكو الى الله البث والحزن ونتمطر منه المزن وبسيف الرجاء نصول اذا شرعت للباس أسنة ونصول ما أقدر الله أن يدني على شحط

من داره الحزين من داره ممول

فان كان كلام الفسراق رغبيا لما نوب مغنيا وحللت النوب الهني تشفيا

(١) يياض بالاصل

(١) قوله الموسيقية وفي نسخة الموسيقى قارية وهي صحيحة لأن الموسيقى بكسر القاف بين التحيتين اسم للنغم والالحن وتوقعها ويقال فيها موسيقير ويقال لضارب الآلة موسيقار انظر أول سفينة الشيخ محمد شهاب

الموكب بالشعر ويضطرب فتجيش همهم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناته من أمم المغرب بتقديم الشاعر عندهم أمام الصوفوف ويتغنى فيحرك بغناؤه الجبال الرواسي ويبعث على الاستامة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء ناصوكايت وأصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كاتنبعث عن نشوة الخمر بما يحدث عنها من الفرح والله أعلم

(وأما) تكثير الريات وتلوينها واطايتها فالقصد به التحويل لأكثر وربما يحدث في النفوس من التحويل زيادة في الاقدام وأحوال النفوس وتلوينها غريبة والله الخلاق العليم ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فمنهم مكثر ومنهم مقال بحسب اتساع الدولة وعظمتها فأما الريات فانها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تزل الامم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء وأما قرع الطبول والتفخ في الابواق فكان المسلمون لاول المسألة متجافين عنه تنزها عن غلظة الملك ورفضا لأحواله واحتقار الأبهة التي ليست من الحق في شيء حتى اذا انقابت الخلافة ملكوا وتججروا زهرة الدنيا ونعيمها ولا بهم الموالى من الفرس والروم أهل الدول السالفة وأروهم ما كان أولئك يتحلون به من مذاهب البذخ والترف فكان ما استحسنوه اتخذوا لآلة فأخذوها وأذنوا العمالهم في اتخاذها تنويعا بالملك وأهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر أو قائد الجيش يعقده الخليفة من العباسيين أو العبيديين لواءه ويخرج الى بعثه أو عسكره من دار الخليفة أو داره في موكب من أصحاب الريات والآلات فلا يميز بين موكب العامل والخليفة إلا بكثرة الألوية وقاتها أو بما اختص به الخليفة من الألوان رايته كالسواد في ريات بني العباس فان راياتهم كانت سودا خزانة على شهدائهم من بني هاشم ونعيا على بني أمية في قتالهم ولذلك سمو المسودة ولما افرق أمر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا الريات بيضا وسموا المبيضة لذلك سائر أيام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك العهد بالشرق كالداغى بطبرستان وداغى صعدة أو من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة ولما نزع المأمون عن ليس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الحضرة فجعل رايته خضراء وأما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة العبيديين لما خرج العزيز الى فتح الشام خمسمائة من الجنود وخمسمائة من الابواق وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يقتصروا بلون واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن فيها لعمالهم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناته قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع أثر السلطان في مسيره يسمى الساقة وهم فيه بين مكثر ومقلل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فمنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو في دولة الموحدين وبني الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناته وقد بلغت في أيام السلطان أبي الحسن فيما أذكر كناء مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وبأذنون لاولاد العمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطيل صغير أيام الحرب لا يجاوزون ذلك وأما دولة الترك لهذا العهد بالشرق فيتخذون أولاراية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشاش والحرير وهي شعار السلطان عندهم ثم تعدد الريات وسموها السناجق واحدا هسانجق وهي الراية باسائهم وأما الطبول فيالفون في الاستكثار منها وسموها الكوسات ويبيحون لكل أمير أو قائد عسكر أن يتخذ من ذلك ما يشاء الاحترافا خاصة بالسلطان وأما الخلافة لهذا العهد من أمم الافرنجة بالاندلس فأكثر شأنهم اتخاذ الألوية القليلة ذاهبة في الجوصعدا ومما قرع الاوتار من الطنابير ونفخ الفيطات يذهبون فيها مذاهب الغناء وطريقة في مواطن حروبهم هكذا يلبثها عنهم وعن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض

فلعل الملتقى يكون قريبا
وحديثه يروى صحيحا
غريبا ايه سيدي كيف حال
تلك الشبايل المزهرة الخايل
والشيم الهامية الديم هل
يمر بالهامن راعت بالبعد باله
واخذت بعاصف البين
ذباله أوترتي لمشوق شأنها
سكب لايفتر وشوق بيت
حبال المشوق ويتر وضى
تقتصر عن حلاله الفاقسة
صنعا وتستر والامرا عظم
والله يستر وما الذي يصيرك
صير من يفلح السعوم يضيرك
بعد أن أضمرت وأشعلت
وأوقدت وجعلت وفعلت
فعلت التي فعلت ان تترفق
بذماء أو ترد بنغمة ماء
رماق ظمءا وتتماهد
للمعاهد بحجة عليها شدا
انفاسك أو تنظر اليان من
البعد بمقلة حورا من يياض
قرطاسك وسواد انفاسك
فرماقت الانفس المحبة
بحيال يزور وتعلت بنوال
منذور ورضيت لمالم
تصد الغناء بزرزور
يامن ترحل والرياح
لأجله

تشتاق ان يعقب شذاريها

و اختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك آيات للعالمين

(السرير) وأما السرير والمنبر والتخت والكرسي وهو أعود منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعان أهل مجلسه أن يساوهم في الصعيد ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول المعجم وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب وكان لسيامان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسي وسرير من عاج مغشى بالذهب الا أنه لا تأخذ به الدول الا بعد الاستفحال والترف شأن الأبهة كلها كقلناه وأما في أول الدولة عند البداءة فلا يتشوفون اليه * وأول من اتخذ في الاسلام معاوية واستأذن الناس فيه وقال لهم اني قد بدت فأذنوا له فأتخذه واتبه الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة ولقد كان عمرو بن العاص مصر يجلس في قصره على الأرض مع العرب ويأتيه المقوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الأيدي لجلوسه شأن الملوك فيجلس عليه وهو أمامه ولا يفرزون عليه وفاء له بما اعتقد منهم من الذمة واطرأ حالاً بهمة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيدين وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والمنابر والتخوت اعفان الا كاسرة والقيصرة والله مقاب الليل والنهار (السكة) وهي الحتم على الدنانير والدراهم المتعامل بهما بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الديار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار التقدم ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطاح عليه فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علماء عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها النش يتجتم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك المعجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهدها أو تمثيل حصن أو حيوان أو مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند المعجم الى آخر أمرهم * ولما جاء الاسلام أغفل ذلك لسداجة الدين وبداءة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودرهمهم بين أيديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى ان تفاحش النش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك الحجاج على منقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المداخي سنة خمس وسبعين ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تحويرها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل أول من ضرب الدنانير والدراهم صعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بامر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الاسلام ستة دنانق والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك أن أوزان الدراهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتيج الى تقديره في الزكاة أخذ الوسط وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم وقيل كان منها البغلي شمالية دوانق والطبري أربعة دوانق والمغربي ثمانية دوانق والبيحي ستة دوانق فامر عمر أن ينظر الاغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دنانقا وكان الدرهم ستة دوانق وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا وإذا نقصت ثلاثة أسباعه كان مثقالا وكان درهما فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة القدين الجارين في معاملة المسلمين من النش

تجيبا النفوس اذا بغت
تجبة
واذا قرأت تري ومن
أحياها
ولئن أحيت بها فيما سلف
نفوسنا تفديك والله لي
الخير يهديك فنحن نقول
معشر موديك نولنا جماعها
بيضة الديك وعذرا فاني
لم أجترئ على خطابك
بالفقرة الفسقية وأدلت
لدى محرابك برفع العقيرة
عن نشاط بعث مرسومه
ولا اغتباط بالادب الا
بسياسة تسوسه أو في على
الفترة ناموسه وانما هو
نفاق نفقة المصدر وهناء
الحرب المجذور وان تعال
به محارق فتم قياس فارق
والذي هيأ هذا القدر وسببه
وسهل المكروه الى منه
وحبيه ما اقتضاه الصنويحي
أمد الله حياته وحرس من
الحوادث جهاته من
خطاب ارتشف لهذه
الفرجة العديمة بلاتها بعد
أن رضى غلاتها ورسخ
الى الصهر الحضرمي
سلاتها فلم يسم الا اسعافه
بما عافه فامليت محجيا

ما لا يعد في يوم الزمان نجيا
 وأسمته وجيا لما
 ساجلت بهذه الترهات
 سحرا عجيا حتى إذا ألف
 القلم العريان فسجه وجمع
 برذون الفزارة فلم أطق
 كبجه لم أفق من غمرة غلوه
 وموقف شلوه الا وقد
 تحيز لي فتك مغترا بل مغترا
 واستقبلها ضاحكا مفترا
 وهنس لها برا وان كان
 من الحجل مصفرا وليس
 بأول من هجر في التماس
 الوصل بمن هجر أو بعث
 القمل الي هجر وأي نسب
 بيني اليوم وبين زخرف
 الكلام واجالة حيا د
 الاقلام في محاوره الاعلام
 بعد أن حال الجريض دون
 القريض وشغل المريض
 عن التعريض وغاب
 الشوق الكسل ونشرت
 الشعرات البيض كأنها
 الاسل ترزع برقط
 الحيات سرب الحياة
 وتطرق بذوات الغرر
 والشباب عند الليات
 والشيب الموت العاجل
 والمعتبر الاجل واذا
 اشتغل الشيخ بغير معاده

فبين مقدارها على هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صور الان
 العرب كان الكلام والبلاغة أقرب مناجيهم وأظهرها مع أن الشرع ينهى عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين
 الناس في أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دوائر متوازية يكتب فيها
 من أحد الوجهين أسماء الله تهيلا وتحميدا وصلاة على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا
 أيام العباسيين والعبيديين والأمويين وأما من حاجة فلم يتخذوا سكة إلا آخر الأمر اتخذها منصور صاحب بجاية
 ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان بماسن لهم المهدى اتخذ سكة الدرهم مربع
 الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملا من أحد الجانبين تهيلا وتحميدا ومن الجانب
 الآخر كتابا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكنتهم على هذا الشكل لهذا
 العهد ولقد كان المهدى فيما ينقل يثقل قبل ظهوره بصاحب الدرهم والمربع نعت بذلك المتكلمون بالحدان
 من قبله المخبرون في ملاحمهم عن دولته وأما أهل المشرق لهذا العهد فسكنتهم غير مقدرة وإنما يتعاملون
 بالدينار والدرهم وزنا بالصنجات المقدرة بعدة منها ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة
 واسم السلطان كما يفعله أهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم (ولتختم الكلام) في السكة بذكر حقيقة الدرهم
 والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما وذلك أن الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق
 والأمصار وسائر الأعمال والشرع قد تعرض لذكرها وعلق كثير من الأحكام بهما في الزكاة والأنكحة
 والحدود وغيرهما فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهما أحكامهما دون غير الشرعي منهما
 فاعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي وزن العشرة
 منه سبعة مثاقيل من الذهب والأوقية منه أربعين درهما وهو على هذا سبعة أعشار الدينار ووزن المثقال من
 الذهب ثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبة وخمسة حبات وهذه المقادير
 كلها ثابتة بالإجماع فإن الدرهم الجاهلي كان بينهم على أنواع أجودها الطبري وهو ثمانية دوانق والبغلي وهو
 أربعة دوانق فجعلوا الشرعي بينهما وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية
 فمئة دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك أو إجماع الناس بعده عليه كذا كراه
 ذكر ذلك الخطاط في كتاب معالم السنن والماوردي في الأحكام السلطانية وأنكره المحققون من المتأخرين لما
 يلزم عليه أن يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية
 بهما في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها كذا كراه والحق أنهما كانا معلومين المقدار في ذلك العصر لجران
 الأحكام بهما يثقل بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج وإنما كان متعارفا بينهما
 بالحكم الشرعي على المقدر في مقدارهما وزنهما حتى استفحل الاسلام وعظمت الدولة ودعت الحال إلى
 تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير وقارن ذلك أيام عبد الملك فخص
 مقدارهما ونوعهما في الخارج كما هو في الذهب ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه أثر الشهادتين الإيمانيتين
 وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلت ونقش عليهما سكة وتلاشى وجودها فهذا هو الحق الذي لا يحيد عنه
 ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل
 الاقطار والآفاق ورجع الناس إلى تصور مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الأول وصار أهل
 كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكنتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية وأما
 وزن الدينار باتين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الإجماع إلا ابن حزم
 خالف ذلك وزعم أن وزنه أربعة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ورده المحققون وعدوه

وهما غاطا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم أن الأوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لأن المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا

﴿الخاتم﴾ وأما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر فقبل له أن المعجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله * قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال وتحم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قمرها بعد واغتم عثمان وتغير منه وصنع آخر على مثله وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوده وذلك أن الخاتم يطلق على الآلة التي تجعل في الأصبع ومنه تحتم اذ البسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر اذا بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يسده الاواني والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لأن آخر ما يجسدونه في شراهم ربح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لأن الختم يجعل لها في الدن سدادا الطين أو القار يحفظها ويطيح عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجبة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفها وذوقها من القار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صاح اطلاق الخاتم على هذه كلها صاح اطلاقه على أثرها الناشئ عنها وذلك أن الخاتم اذا نقشته به كلمات أو أشكال ثم غمست في مداف من الطين أو مداد وضع على صفح القرطاس بقى أكثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا كانت كلمات وار تسمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لأن الختم يقاب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمن أو يسار فيحتمل أن يكون الختم بهذا الخاتم بنفسه في المداد أو الطين ووضع على الصفح فتعش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ما ينبغي ليس بتمام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب أو أوله بكلمات منتظمة من تحميدا وتسديح أو باسم السلطان أو الامير أو صاحب الكتاب من كان أو شيء من نمونه يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه ويسمى ذلك في المعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له بأثر الخاتم الآصفي في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به لخصوم أي علامته وختمه الذي ينفذهما أحكامه ومنه خاتم السلطان أو الخليفة أي علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفر أو يستبدل به من الفضل أخيه فقال لا بهما يحيى بأبى أني أردت أن أحول الخاتم من يميني إلى شمالي فكيفي له بالخاتم عن الوزارة كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد لصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبري أن معاوية أرسل إلى الحسن عنده ما روده اياه في الصلح صحيفة بيضاء ختمت على أسفائها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفائها ما شئت فهو لك ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخط أو غيره ويحتمل أن تحتم به في جسم لين فتعش فيه حروفه ويجعل على موضع الختم من الكتاب اذا حزم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في الوجهين آثار الخاتم فيطلق عليه خاتم وأول من أطلق الختم على الكتاب أي العلامة معاوية لأنه أمر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة ألف ففتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فأنكرها معاوية وطلب بها عمر وحبس حتى قضاها عنه أخوه عبدالله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال آخره وحزم الكتب ولم تكن تحزم أي جعل

حكم في الظاهر بإعادة وأسر في ملكة عاد فأنقض أبقاك الله وأسمح لمن قصر عن المنهج وبالعين الكليّة فالج واغتم لباس ثوب الثوب واشف بعض الجوى بالجواب تولاك الله فيها استنفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت وكان لك أبة ساكت ووسمت من السعادة بأوضح السمات وأتاح لقاءك من قبل المعات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدى وساكن خلدي بل أخى وان أقيت عتبه وسيدى ورحمه الله وبركاته من محبة المشتاق إليه محمد بن عبد الله بن الخطيب في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام سبعين وسبع مائة وكان تقدم منه قبل هذه الرسالة كتاب آخر إلى بعث به إلى تلمسان فتأخر وصوله حتى بعث به أخى يحيى عند وفادته على السلطان ونص الكتاب بإسدي اجلالا واعتدادا وأخى ودوا واعتقادا ومحل ولدى شفقة حلت منى فؤادا

طال علي انقطاع أنبا ثك
واختفاء أخبارك فرجوت
أن أبلغ النية بهذا المكتوب
إليك وتخترق الموانع
دونك وإن كنت في
موالاتك كالعاطش الذي
لا يروى والآكل الذي
لا يشبع شأن من تجاوز
الحدود الطبيعية والعوائد
المألوفة فأنابعد انتهاء التحية
المطلوبة الروض بماء الدموع
وتقرر الشوق القديم للزيم
وشكوى البعاد الأسيم
والإتهال في أناحة القرب
قبل الفوت من الله مبسر
العسير ومقرب البعيد أسأل
عن أحوالك سؤال أبسد
الناس مجالاً في مجال الخلو
لديك واستقرارك بيسكرة
على الغبطة بك بالجالي
تلك الرياسة الزكية الكريمة
الاب الشهيرة الفضل
المعروفة القدر على البعد
حرسها الله ملجأ للفضلاء
ومخبر الرجال العلياء ومهبط
لطيب التناء بحوله وقوته
وقارت كل ساح السلامة
فاحمدوا الله علي الخلاص
وقاربوا في معاملة الآمال
وضوا بتلك الذات الفاضلة

له السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائم على أنفاذ كتب السلطان والختم عليها بالعلامة أو بالحزم
وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحزم للكتب يكون ما بدس
الورق كما في عرف كتاب المغرب وأما بلصق رأس الصحيفة على ما تطوى عليه من الكتاب كما في عرف أهل
المشرق وقد يجعل على مكان الدس أو الاصاق علامة يؤمن معهما من فتحه والاطلاع على ما فيه فأهل المغرب
يجمعون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقش فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان
في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضاً قد غس في مداف من الطين معد لذلك صبغه
أحمر فيرسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم وكان يجلب من سيرا فيظهر
أنه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة أو النقش للسداد والحزم للكتب خاص بديوان الرسائل
وكان ذلك لاويزر في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن إليه الترسل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا
في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيستجدون صوغه من الذهب ويرصونه
بالنصوص من الياقوت والفيروز وزج والزمرذ وبابسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة
العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمه

(الطراز) من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات تخص بهم في طراز أنوابهم
المعدة للباسهم من الحرير أو الدياتج أو الأبريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحامو سدس يخطط الذهب أو
ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصانع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة
نسجهم فتعبر الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلباسهم من السلطان فن دونه أو التنويه بمن يختصه
السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو لولايته لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام
يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك
بكتب أسماؤهم مع كلمات أخرى تجري مجرى القال أو السجلات وكان ذلك في الدولتين من أبهة الامور وأختم
الاحوال وكانت الدور المعدة لنسج أنوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى
صاحب الطراز ينظر في أمور الصياغ والآلة والحكاكة فيها وأجراء أرازمهم وتسهيل آلتهم ومشاركة أعمالهم وكانوا
يقدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليتهم وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالاندلس والطوائف من بعدهم
وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف
والترف فيه لضيق نطاقها في الاستيلاء وتمددت الدول تغطت هذه الوظيفة والولاية عليهما من أكثر الدول بالجملة
* ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني أمية أول المائة السادسة ولما أخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا
عليه من منازع الديانة والسداجة التي لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدى وكانوا يتورعون عن لباس الحرير
والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها عقابهم آخر الدولة طر فال يمكن بتلك النباهة وأما لهذا
العهد فأدركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها وشموخار سما جليل القنوم من دولة ابن الأحمر معاصريهم
بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فأتى منه بلمحة شاهدة بالآثر * وأما دولة الترك بمصر والشام
لهذا العهد فقيه من الطرز تحرير آخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الآن ذلك لا يصنع في دورهم
وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وإنما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب
الخالص ويسمونه المزر كس لفظة أعجمية ويرسم اسم السلطان أو الأمير عليه ويعد الصانع لهم فيما يعدونه للدولة
من طرف الصناعة للاتفة بها والله مقدر الليل والنهار والله خير الوارئين

والفساطيط والسياح

اعلم أن من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخيصة والفساطيط والفازات من ثياب الكتان والصوف والقطن
بجدل الكتان والقطن فيباهي بها في الاسفار وتويع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة
واليسار وانما يكون الامر في أول الدولة في يوتهم التي جرت عاداتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد
الخلفاء الاولين من بني أمية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تزل العرب لذلك
العهد بادين الا الاقل منهم فكانت أسفارهم لغزوهم وحرورهم بظعنهم وسائر حلالهم وأحيائهم من الابل والولد
كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلال بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل
واحد منها عن نظر صاحبه من الاخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقية تحشد الناس على
أثره ان يقيموا اذا ظعن ونقل انه استعمل في ذلك الحجاج حين أشار به روح بن زنباع وقصصها في احراق فساطيط
روح وخيامه لأول ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف
رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى اراذلهم على الظعن الا من يأمن بوادر السفهاء من أحيائهم بماله من العصبية
الحائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بفنائه فيها بعصبية وصرامته فلما تفتت الدولة العربية
في مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والامصار وانتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر
الخف الى ظهر الحافر اتخذوا السكنى في أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها يوت مختلفة الاشكال مقدرة
الأمثال من القوراء والمستطيلة والاربعه ويختلفون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدر الامير والقائد
للعساكر على فساطيطه وقازاته من بينهم سياجا من الكتان يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان أهله
أفراك بالكاف التي بين الكاف والقاف ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره * وأما في المشرق فيتخذونه
كل أمير وان كان دون السلطان ثم جنحت الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم خفف لذلك
ظهرهم وتقارب الساج بين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسطة
زهوا أيضا لا اختلاف ألوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها وكذا كانت دولة
الموحدين وزانة التي أطلتنا كان سفرهم أول أمرهم في بيوت سكنائهم قبل الملك من الخيام والقياطن حتى اذا
أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا الى سكنى الأخيصة والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق
ما أراودوه وهو من الترف بمكان الا أن العساكر به تصير عرضة لايات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم
فيه الصيحة ولخفتهم من الابل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ آخر والله
القوى العزيز

﴿المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة﴾

وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام * فأما البيت المقصورة
من المسجد للصلاة السلطان فيتخذ ساجا على المحراب فيحوزه وما يايه فاوول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان حين
طعنه الحارثي والقصة معروفة وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه الباهلي ثم اتخذها الخلفاء من
بعدها وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول
والاستفحال شأن أحوال الأبهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية
وتعدد الدول بالشرق وكذا بالاندلس عند اقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف وأما المغرب فكان
بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بفاس وبنو حواء
بالقلمة ثم ملوك الموحدين سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة البداءة التي كانت شعارهم ولما
استفحلت الدولة وأخذت يحفظها من الترف وجاء أبو يعقوب المصور نالت ملوكهم فالتخذ هذه الصورة وبقيت

عن المشاق واجلوا بها عن
التائف فمطلوب الحرص
على الدنيا خسيس والموانع
الحافة حجة والحاصل حسرة
وما قل سعي يحمي حالة
العاقبة والعاقلة
لا يستنكحه الاستغراق فيما
آخره الموت انما ينال منه
الضروري ومثلك
لا يعجزه مع الناس العافية
اضعاف ما يرجي به العمر من
المأكل والمشرب وحسبنا
الله وان تشوف لحال المحب
تلك السيادة للبرة والنبوة
البرة فالحال حال من جعل
الزمام بيد القدر والسير في
مهبغ الغفلة والسبب في تيار
الشواغل ومن وراء
الامور غيب محبوب وأجل
مكتوب يؤمل فيه عادة
الستر من الله الا أن الضجر
الذي تعلمونه حفظه الناس
لمعجزات الحيلة وأعوز
الناصر وسدت المذاهب
والشأن اليوم شأن الناس فيما
يقرب من الاعتدال وفيما
يرجع الى السلطان تولاه
الله على اضعاف ما بشر
سيدي من الاغياء في البر
ووصل سبب الالتحام

من بعده سنة الملوكة المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده * (وأما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن أولا عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاعين أصحابه وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص لما بني جامعهم بمصر وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا على رضي الله عنهما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عابها فقال اللهم انصر عليا على الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وبعد أخذ عمرو بن العاص المنبر بلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمر بن الخطاب أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك فمزمت عليك إلا ما كسرتة فلهما حدثت الأبهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استتابوا فيها فكان الخطيب يشيد بذكر الخليفة على المنبر تنويعاً باسمه ودعاه له بما جعل الله مصالحة العالم فيه ولأن تلك الساعة مظنة للإجابة ولما ثبتت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يفر بذلك فاما جاء الحاجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثير ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الأمر إلى اختصاص السلطان بالدعاء على المنبر دون من سواه وحظر أن يشاركه فيه أحد أو يسمو إليه وكثير ما يفعل الماهدون من أهل الدول هذا الرسم عندما تكون الدولة في أسلوب الفضاضة ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الإبهام والأجمل لمن ولي أمور المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبة إذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك أن الدعاء على الأجمل إنما يتناول العباسي تقليداً في ذلك لما سلف من الأمر ولا يخفون بما وراء ذلك من تعيينه والتصريح باسمه * يحكي أن يغمرا سن بن زيان ماهد دولة بني عبد الوالد لما غلبه الأمير أبو بكر يحيى بن أبي حفص على تامة سان ثم بدله في إعادة الأمر إليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر عمله فقال يغمرا سن تلك أعوادهم يذكرون عابها من شاؤا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بني مرين حضر در رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني أبي حفص وثالث ملوكهم وتخلف بعض أيامه عن شهود الجمعة فقبل له لم يحضر هذا الرسول كراهية لخلو الخطبة من ذكر سلطانه فأذن في الدعاء له وكان ذلك سبباً لاخذهم بدعوته وهكذا شأن الدول في بدايتها وتمكنها في الفضاضة والبداوة فإذا انتهت عيون سياستهم ونظروا في أعطاف ملكهم واستمتعوا شياطين الحضارة ومعاني البذخ والابهة اتحلوا جميع هذه السمات وتقنوا فيها وتجاروا إلى غايتها وأنفوا من المشاركة فيها وحز عوا من اقتفادها وخذلوا دولتهم من آثارها والعالم يستأن والله على كل شيء قريب

فصل في الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها

٣٨

اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليفة منذ برأها الله وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتمصبل لكل منها أهل عصيته فإذا تذامر والذلك وتواقفت الطائفتان احداهما طلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا حيل وسبب هذا الانتقام في الأكثر اما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعى في تمهيد فالاول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالفقر كالعرب والترك والتركان والاكراد أو أشباههم لانهم جعلوا أرواقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذونه بالحرب ولا بقية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وانما همهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم والثالث هو المسمي في الشريعة بالجهاد والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمسانعين لطاعتها فهذه أربعة أصناف من الحروب الصنفان الاولان منها حروب بني وقتة والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين الخليفة منذ أول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفا ونوع

والاشتغال مع الاقبال وما يسعه متعود الظهور والحمد لله وفيما يرجع الى الاحباب والاو لا دفعني ما علمت الآن الشوق بخامر القلوب وتصور اللقاء مما يزهد في الوطن وحاضر التعمسنى الله ذلك على أفضل حال ويسر قبل الارتحال من دار المحال وفيما يرجع الى الوطن فأحوال التناهم خصبا وهدنة وظهور اعلى العدو وحسبك بافتتاح حصن أش ويرغة القاطعة بين بلاد الاسلام وورة والغارين وبيعة وحصن المهلة في عام ثم دخول بلد اطريرة بنت اشيلية عنوة والاستيلاء على ما يناهز خمسة آلاف من السبي من قح دار الملك وبلدة قرطبة ومدينة حيان عنوة في اليوم الاغر المحجل وقتل المقاتلة وسبي الذرية وتعفية الآثار حتى لا يلج بها العسيران ثم افتتاح مدينة رندة التي تلف حيان في ملائمتها دار التجار والرافاهية والبنات الحافلة والنسم الزرة نسأل الله جل وعلا أن يصل عوائد نصره

ولا يقطع عنايب رحمة
وأن ينفع بما أعان عليه
من السي في ذلك والاعانة
عليه ولم يزد من الحوادث
الاما علمت من أخذ الله
لنسب السوء وخبث الارض
المسلوب من أثر الخير عمر
ابن عبد الله وتحكم شرايعة
في نفسه واتبان التكال على
حاشيته والاستئصال على
نيسه والاضطراب مستول
على الوطن بعده الا أن
القرب على علته لا يرجح
غيره والاندلس اليوم شيخ
غزاتها عبد الرحمن بن علي
ابن السلطان أبي علي بعد
وفاة الشيخ أبي الحسن على
ابن بدر الدين رحمه الله وقد
استقر بها بعد انصراف
سيدي الامير المذكور
والوزير مسعود بن رحو
وعمر بن عثمان بن سليمان
والسلطان ملك النصارى
بطرة قد عاد الى ملكه
باشيلية وأخوه مجلب عليه
فقتاله وقرطبة مخالفة عليه
قائمة بطائفة من كبار
النصارى الخائفين على
أنفسهم داعين لآخيه
والمسامون قد اغتصموا

بالكر والفر أما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أحياءهم وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب
والبربر من أهل المغرب وقاتل الزحف أو تنق وأشد من قتال الكرو والفر وذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه
الصفوف وتسوى كاتسوي القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو وقدما فلذلك تكون أثبت
عند المصارع وأصدق في القتال وأرهب للعدو لانه كالخائض الممتد والقصر المشيد لا يطمع في ازالته وفي التنزيل
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص أى يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث الكريم
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومن هنا يظهر لك حكمة إيجاب الثبات وتحريم التولي في الزحف فان
المقصود من الصف في القتال حفظ النظام كإقنائه فمن ولي العدو ظهره فقد أدخل بالمصاف وبأثم الهزيمة أن
وقعت وصار كأنه جرحا على المسلمين وأمكن منهم عدوهم معظم الذنب لعموم المفسدة وتعديها الى الدين بخرق
سياحه فعد من الكبار ويظهر من هذه الأدلة أن قتال الزحف أشد عند الشارع وأما قتال الكرو والفر فليس فيه
من الشدة والأمن من الهزيمة ما في قتال الزحف إلا أنهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا تابلا جؤن اليه في
الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما ذكره بعد ثم إن الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك
كانوا يقسمون الحيوش والعساكر أقساما يسمونها كراديس ويسوون في كل كراديس صفوفه وسبب ذلك أنه
لما كثرت جنودهم الكثيرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحي استدعوا ذلك أن يجمل بعضهم بعضا إذا احتلوا
في مجال الحرب واعتروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل التكرار وجهل
بعضهم بعض فذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا يضمون المتعارفين بعضهم بعض ويرتبونها قربا من الترتيب
الطبيعي في الجهات الأربع ورئيس العساكر كلها من سلطان أو قائد في القلب ويسمون هذا الترتيب التعبئة وهو
مذكور في أخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكرا منفردا بصفوفه متميزا
بقائده ورايته وشعاره ويسمونه المقدمة ثم عسكرا آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمتهم يسمون
اليمين ثم عسكرا آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونه الميسرة ثم عسكرا آخر من وراء العسكر يسمونه الساقة
ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الأربع ويسمون موقفه القلب فإذا تم لهم هذا الترتيب المحكم ما في
مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليوماني كل عسكرين منها أو كفيها أعطاء حال العساكر
في القلة والكثرة فيحذف الزحف من بعده هذه التعبئة وانظر ذلك في أخبار الفتوحات وأخبار الدولتين
بالمشرق وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تخاف عن رحيله بعد المدى في التعبئة فاحتج لمن يسوقها من
خلفه وعين لذلك الحاج بن يوسف كأشر نال به وكما هو معروف في أخباره وكان في الدولة الأموية بالاندلس
أيضا كثير منه وهو مجهول فيما لدينا لأننا لم أذكر كنادولا قليلة العساكر لا تنتهي في مجال الحرب الى التناكر بل
أكثر الحيوش من الطائفتين معا يجمعهم لدينا حلة أو مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه وينادية في حومة الحرب
باسمه ولقبه فاستغني عن تلك التعبئة

(فصل) ومن مذاهب أهل الكر والفر في الحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات
العجم فيخذونها ملجأ لاختيالي في كرههم وفرهم يطالبون به ثبات المقاتلة ليكون أدوم للحرب وأقرب الى القلب
وقد فعله أهل الزحف أيضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون الفيلة في الحروب
ويحملون عليها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم في
حومة الحرب كأنهم حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزدادون ثقتهم وانظر ما وقع من ذلك في القادسية وأن فارس
في اليوم الثالث اشتدوا بها على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوهم وبعجوها بالسيوف على
خراطيمها ففرت ونكصت على أعقابها الى مرابطها بالمدائن فخفاه عسكرا فارس لذلك وأنه سزموا في اليوم الرابع

* وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الأسرّة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحفظ به من خدمه وحاشيته وجنودهم هوزعيم بالاستماتة ودونه وترفع الرايات في أركان السرير ويحرق به سياج آخر من الرماة والرّحالة فيعظم هيكل السرير ويصير فثة للمقاتلة وملجأ للكر والفر وجعل ذلك الفرسان أيام القادسية وكان رسم جالسها على سرير نصبه لجلوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فتحول عنه إلى الفرات وقتل وأما أهل الكرك والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة فيصفون لذلك أبلهم والظهر الذي يحمل طعائهم فيكون فثة لهم ويسمونهم المجبودة وليس أمة من الامم الا وهي تفعل ذلك في حر وبها وتراه أوثق في الجولة وأمن من الغرة والهزيمة وهو أمر مشاهد وقد أغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للالاتقال والفساطيط يجعلونها ساقية من خلفهم ولا تغني غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للفرار في المواقف وكان الحرب أول الاسلام كله زحفاً وكان العرب انما يعرفون الكرك والفر لكن حملهم على ذلك أول الاسلام أمران أحدهما أن عدوهم كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون إلى مقاتلتهم بمثل قتالهم الثاني أنهم كانوا مستهينين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف إلى الاستماتة أقرب * وأول من أبطل الصف في الحروب وصار إلى التعية كراديس مروان بن الحكم في قتال الضحّاك الحارّجي والحيري بعده قال الطبري لما ذكر قتال الحيري فولى الخوارج عليهم شيان بن عبد العزيز البشكري ويلقب بأبالدقاء وقتلهم مروان بعد ذلك بالكركاديس وأبطل الصف من يومئذ انتهى فتتوسى قتال الزحف بإبطال الصف ثم توسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكنهم الحيام كانوا يستكثرون من الابل وسكني النساء والولدان معهم في الأحياء فلما حصّلوا على ترف الملك وأقواس الكي القصور والحواضر وتركوا شأن البادية والقرنوسو ذلك عهد الابل والظمان وصعب عليهم اتخاذها فخلفوا النساء في الاسفار وحملهم الملك والترف على اتخاذ الفساطيط والأخيشة فاقصروا على الظهر الحامل للالاتقال والأبنية (١) وكان ذلك صفتهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعوا إلى الاستماتة كما يدعوا إليها الأهل والمال فيخف الصبر من أجل ذلك وتصر فهم الهيئات وتخرم صفوفهم

(فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتأكد في قتال الكرك والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم واحتصوا بذلك لان قتال أهل وطنهم كله بالكرك والفر والسلطان ينأى كد في حقه ضرب المصاف ليكون رد المقاتلة أمامه فلا بد وأن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف والأتجفلوا على طريقة أهل الكرك والفر فانهزم السلطان والعساكر باجفاهم فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنداً من هذه الامة المتعودّة للثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتبون مصافهم المحدث بهم منها هذا على ما فيه من الاستماتة بأهل الكفر وانما استخفوا ذلك للضرورة التي أربنا كهان من تخوف الاجفال على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال الزحف فكانوا أقوم بذلك من غيرهم مع أن الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب والبربر وقتالهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً من محالّتهم على المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى ناسبه والله بكل شيء عليم

(فصل) وبلهنا أن أمم الترك لهذا العهد وقتالهم مناضلة بالسهام وأن تعية الحرب عندهم بالمصاف وأنهم يقسمون (١) قوله للالاتقال والأبنية مراده بالأبنية الحيام كما يدل له قوله في فصل الحندق الآتي قريبا اذا نزلوا وضربوا

أبنيتهم

هبوب هذه الرياح وخرق الله لهم عوائد في باب الظهور والخير لم تكن تخطر في الآمال وقد تلعب السلطان أيده الله بعقب هذه المكشفات بالغنى بالله وصدرت عنه مخاطبات بمجمل القسوح ومفصلها يعظم الحرص على إيصالها إلى تلك الفضائل لو أمكن وأما ما يرجع إلى ما ينتشوف إليه ذلك الكمال من شغل الوقت فصدرت تقايد وتفاصيل يقال فيها بعد ما عتمت تلك السيادة بالانصراف يا ابراهيم ولا ابراهيم اليوم منها ان كتابا رفع إلى السلطان في المحبة من تصنيف ابن أبي حجلة من المشاركة فعارضته وجعلت الموضوع أشرف وهو محبة الله فجاء كتابا داعي الاصحاب غرابته وقد وجهه إلى الشرق وصحبه كتاب غرناطة وغيره من تأييني وتعرف تحييسه بخناقاه سعيد السعداء من مصر وأثال الناس عليه وهو في لطافة الاعراض متكلف اغراض المشاركة من ملحه

سلمت النصر في الهوى من
بلد

يهديه هو أوها لدى
استنشاقه

من ينكر دعوتي فقل
عني له

تكفي امرأة العزيز من
عشاقه

والله يرزق الاعانة في
اتساعه وتوجيهه وصدر

عني جزء سميت الغيرة على
أهل الحيرة وجزء سميت

حمد الجمهور على السنن
المشهور والاكباب علي

اختصار كتاب الجوهرى
ورد حجمه الى مقدار

الخمس مع حفظ ترتيبه
السهل والله المعين علي مشغلة

تقطع بها هذه البرهة القريبة
البداية من التمة والاحول

ولا قوة الا بالله والمطلوب
المتابعة على تعريف يصل

من تلك السيادة والنبوة اذ
لا يتعذر وجود قافل من

حجج اول الحق بتلمسان
يعتصم السيد الشريف منها

فالتفنى شديدة التعطش
والقلوب قد بلغت من الشوق

والاستطلاع الخناجر والله
أسأل أن يصون في البعد

بثلاثة صفوف يضربون صفوا راء صف ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم ثم يتناضلون
جلوسا وكل صف ردة للذي أمامه أن يكسبهم العدو الي أن يتبها النصر لاحدى الطائفتين على الاخرى وهي تعينة
محكمة غربية

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقاربون لازحف حذر امن
معرفة البيات والهجوم على المعسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الحيش بالفرار ويجدد
النفوس في الظلمة ستر امن عار فاذا اتساووا في ذلك أرحف المعسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون الخنادق
على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا بأنبيهم ويديرون الحفائر نطاقا عليهم من جميع جهاتهم حرصا أن يخالفهم العدو
باليات فيتخاذلوا وكانت للدول في أمثال هذا قوة وعليه اقتدار باحتشاد الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل
من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة الملك فاما خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود

وعدم الفعلة نسي هذا الشأن حجة كانه لم يكن والله خير القادرين وانظر وصية على رضي الله عنه وتحريره لاصحابه
يوم صنين تجدد كثير امن علم الحرب ولم يكن أحدا بصريها منه قال في كلام له فسو واصفوكم كالبيان المرصوص
وقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه أنبي لسيوف عن الهام والتوواعلى أطراف الرماح
فانه أصون للأسنة وعضوا على البصار فانه أربط للجاش وأمكن للقلوب وأختفوا الاصوات فانه أطر دلفلش وأولي
بالوقار وأقيموا راياتكم فلا تملوها ولا تجعلوها الأبايدي شعجانكم واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر
ينزل النصر وقال الاشتريوم شذيرض الأزد عضوا على التواجد من الاضراس واستقبلوا القوم بهامكم وشددوا
شدة قوم موثورين يثأرون بأبائهم واخوانهم خاقا على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم لثلاثين يوما
ولا يباحثهم في الدنيا عار وقد أشار الى كثير من ذلك أبو بكر الصير في شاعر لثوثة وأهل الاندلس في كلمة يمدح بها
تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهداها يذكره بامور الحرب في وصاياه وتحذيرات تنبهك على
معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا أيها المسلا الذي يتقنع * من منكم الملك الهمام الاروع

ومن الذي غدر العدو به دجى * فانقض كل وهو لا يتزعزع

تمضى الفوارس والطعان يصدها * عنه ويدمرها الوفاء فترجع

والليل من وضع الترائك انه * صبح على هام الحيوش يلمع

أنى فرغتم يا بنى حسنهاجة * واليكم في الروع كان المفزع

انسان عين لم يصبه منكم * حزن وقلب أسلمته الاضلع

وتسددتمو عن تاشفين وانه * اعقابها لوشاء فيكم موضع

ما أتموا الأسود خفية * كل لكل كرهية مستطلع

يا تاشفين أقم لحيشك عذره * بالليل والقدر الذي لا يدفع

(ومنها في سياسة الحرب)

أهديك من أدب السياسة مابه * كانت ملوك الفرس قبلك تولع

لأننى أدرى بها لكنها * ذكرى تحض المؤمنين وتنفع

والبس من الخلق المضاعفة التي * وصي بها صنع الصنائع تبع

والهندوانى الرقيق فانه * أمضى على حد الدلاص واقطع

واركب من الخيل السوابق عدة * حصنا حصينا ليس فيه مدفع

خندق عليك اذا ضربت محلة * سياتن تتبع ظافرا أو تتبع
والواد لا تعبره وانزل عنده * بين العدو وبين جيشك يقطع
واجعل مناجرة الحيوش عشية * ووراءك الصدق الذي هو أمانع
واذا تضايقت الحيوش بمعرك * ضنك فأطراف الرماح توسع
واصدمه أول وهلة لا تكثرت * شيئا فأظهار التناول يضعض
واجعل من الطلاع أهل شهامة * للصدق فيهم شيمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفا * لأرى للكذاب فيما يصنع

قوله واصدمه أول وهلة لا تكثرت البيت مخالف لما عليه الناس في أمر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن مسعود
الثقي لمسا ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر
ولا تحبين مسرعاً حتى يتبين فانها الحرب ولا يصالحها الا رجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في
أخرى انه ان يمتنع أن أمر سابطا لا سرعته في الحرب وفي التسرع في الحرب الا عن بيان ضياع والله لا ذلك
لأمرته لكن الحرب لا يصالحها الا رجل المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد بان التناقل في الحرب أولي من
الحقوف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصيرفي الآن يريد أن الصدم بعد البيان فله وجه والله
تعالى أعلم

(فصل) ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت أسبابه من العدة والعديد وانما الظفر فيها والغلب من قبيل
البخت والاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من أمور ظاهرة وهي الحيوش ووفورها وكال
الاسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية
وهي امامن خدع البشر وحيلهم في الارجاف والتشاييع التي يقع بها التخذيل وفي التقديم الى الاماكن المرتفعة
ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك وفي الكمون في الغياض ومطامير الارض والتواري بالكدي عن
العدو حتى يتداوهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتممون الى التجاوز أمثال ذلك واما أن تكون تلك الاسباب
الخفية أمور اسماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تاتي في القلوب فيستولى الرهب عليهم لاجلها فتختل مراكرهم
فتقع الهزيمة وأكثر ما تقع الهزائم عن هذه الاسباب الخفية لكثرة ما يعتدل لكل واحد من الفريقين فيها حرا
على الغلب فلا بد من وقوع التأثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة ومن
أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة فتدتين أن وقوع الغلب في الحرب غالباً عن أسباب خفية غير ظاهرة ووقوع
الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهّم من وقوع الغلب عن الامور الاسماوية
كما شرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين في حياته بالعدد
القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكفل لبيده بالتقاء العرب في قلوب
الكافرين حتى يستولي على قلوبهم فيهنز موامعجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان العرب في قلوبهم سبيلاً للهزائم
في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي عن العيون * وقد ذكرنا الطرطوشى أن من أسباب الغلب في الحروب
أن تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في أحد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر مثل أن يكون أحد
الجانبين فيه عشرة أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد
ولو بواحد يكون له الغلب وأعد في ذلك وأبدي وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قدمنا وليس بصحيح وانما
الصحيح المعبر في الغلب حال العصبية أن يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الآخر
عصائب متعددة لان العصائب اذا كانت متعددة يقع بينهما من التخاذل ما يقع في الوحدان المتفرقين الفاقدين للعصبية

وديعى منك لديه ولبسك
العافية ويخلصك وايى من
الورطة ويحملنا أجمعين على
الجادة ويحتم لنا بالسعادة
والسلام الكريم عودا على
بدور رحمة الله وبركاته من
الحب المشوق الذاك
الداعي ابن الخطيب في الثاني
من جمادي الاولي من عام
تسعة وستين وسبع مائة
اتهي (فأجيبه) ونص
الجواب سيدى مجدداً علواً
وواحدى ذخراً مرجواً
ومحل والدي براوخوا
ما زال الشوق مذناً بي
وبك الدار واستحكم بيتنا
البعاديرعى سمعى أبناءك
ويجزل الى من أيدى الرياح
تناول رسائلك حتى ورد
كتابك العزيز على استطلاع
وعهد غريمضاع ووددى
أجناس وأنواع فحشر بقلبي
ميت السلو وحشر أنواع
المسرات وقدر للقاتل
زناد الامل والله أسأل
الامتناع بك قبل الفوت
على ما يرضيك ويسنى أمانى
وأمانيك وحيتة نحية الهائم
لموقع الغمام والمسدج
لأصبح المتبلج وأمل على

مسترج الاولياء خصوصا
فيك من اطمئنان الحال
وحسن القرار وذهاب
الخواجس وسكون النفرة
وعموما في الدولة من رسوخ
القدم وهبوب ريح النصر
والظهور على عدو الله
باسترجاع الحصون التي
استنقذوها في اعتلال الدولة
وتخريب المعامل التي هي
قواعد النصرانية غريبة
لا تثبت الا في الحلي وآية من
آيات الله وان خباة هذا
الفتش في طي العصور
السالفة الى هذه المدة الكريمة
لدليل على غناية الله بملك
الذات الشريفة حيث أظهر
على يدها خوارق العادة
وما تجدد آخر الايام من
معجزات الملة وكل فيها
والحمد لله تحسين التدبير
ويعن التمنية من حميد الامر
وخالد الذكر طراز في حلة
الخلافة النصرانية وتاج في
مفرق الوزارة كته الله لك
فيما يرزاه الله من عباده
ووقفت عليه الاشراف من
أهل هذا العصر المحروس
وأذعته في الملاسرور العز
الاسلام وأظهار المنعمة

اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصابته واحدة
لا حل ذلك ففهمه واعلم أنه أصبح في الاعتبار مما ذهب اليه الطرطوشي ولم يحمله على ذلك الانسيان شأن العصابة
في حالة وبلدو انهم اتسارون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة الى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم لا يمترون في ذلك
عصية ولا انسا وقدينا ذلك أول الكتاب مع أن هذا أو أمثاله على تقدير صحتة انما هو من الاسباب الظاهرة
مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلا بالغلب ونحن قد
قررناك الآن أن شيئا منها لا يعارض الاسباب الخفية من الحيل والخداع ولا الامور السماوية من الرعب
والخذلان الالهى فافهمه وتفهم أحوال الكون والله مقدر الليل والنهار

(فصل) ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل أن تصادف
موضعها في أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتحلين للفضائل على العموم وكثير من
اشهر بالشرو هو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبعا
على صاحبها والسبب في ذلك أن الشهرة والصيت انما هما بالاجابة والاعتراف بالفضل والاهول عن المقاصد عند
التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال لخفاها
بالتاميس والتصنع أو الجهل الناقل ويدخلها التقرب لاصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين
الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنفوس مولدة بحب الثناء والناس متطاولون الى الدنيا وأسبابها من جاء أو ثروة
وليسو في الاكثر براغين في الفضائل ولا منافسين في أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن
أسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخت كما تقرر والله
سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

فصل في الحياة وسبب قتلها وكثرتها

٣٩

اعلم أن الحياة أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة والسبب
في ذلك أن الدولة ان كانت على سنن الدين فليست الا بالمغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة
الوزائع لان مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع
المغارم الشرعية وهي حدود لا تعدي وان كانت على سنن التغلب والعصية فلا بد من البداوة في أولها كما تقدم
والبداوة تقتضي المسامحة والمكاملة وحفض الجناح والتجافي عن أموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في
النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الاموال من مجموعها واذقلت الوزائع والوظائف
على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار ويزيد محصول الاغتباط بقلة المنعم وإذا كثرا الاعتمار
كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الحياة التي هي حيلها فإذا استمرت الدولة واتصلت وتماقت ملوكها
واحد بعد واحد وانصفوا بالكيس وذهب شر البداوة والسذاجة وخلفها من الاغضاء والتجافي وجاء الملك
المعروض والحضارة الداعية الى الكيس ونحاق أهل الدولة حينئذ بنحاق التحذوق وتكثرت عوائدهم
وحوائجهم بسبب ما انعموا فيه من النعم والترف فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والاكرة
والفلاحين وسائر أهل المغارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدار اعطيا لتكثرت لهم الحياة ويضعون المكوس
على المبيعات وفي الابواب كما نذكر بعد ثم تدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة في الترف
وكثرة الحاجات والاتفاق بسببه حتى تنقل المغارم على الرعايا وتهضم وتصير عادة مفروضة لان تلك الزيادة
تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما سببت على الرعايا في الاعتمار لذهاب
الامل من نفوسهم بقلة النفع اذا قابل بين نفسه ومقارمه وبين ثمرته وفائدته فتنقبض كثير من الايدي عن الاعتمار

جملة فنقص جملة الحياة حينئذ بنقصان تلك الوظائف منها وربما يزيدون في مقدار الوظائف اذار أو اذلك النقص في الحياة ويحسبونه جبرا لما نقص حتى تنتهي كل وظيفة ووزيرة الى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الاتفاق حينئذ في الاعتبار وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوظائف والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها الى أن ينقضي العمران بذهاب الآمال من الاعتبار ويعود وبذلك علي الدولة لان فائدة الاعتبار عادة اليها واذافهمت ذلك علمت أن اقوي الاسباب في الاعتبار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما لم يكن فذلك تنبسط النفوس اليه لثقتها بادراك المنفعة فيه والله سبحانه وتعالى مالك الامور كلها ويده ملكوت كل شيء

٤٠ فصل في ضرب المكوس أو اخر الدولة

واستطراد الذكر الدولة المولوية بما تستحقه من طيب الثناء والتماس الدعاء والتجديت بنعمتها والاشادة بفضلها على الدول السالفة والخالفة

وتقدمها فان شرت الصدور حبا وأمتلات القلوب اجلالا وتعظيما وحسنت الآثار اعتقاد ودعاء وكان كتاب سبدي لشرف تلك الدولة عنوانا لمعاشه يستعجم من نعتي في مناقبها ترجانا زاده الله من فضله وأمتع المسلمين سكون الغريب من الشوق المزعج والحيرة التي تكاد تذهب بالنفس أسفا لتجافي عزمها عن الامن والتقوى عن دار العزيز المولي المنعم

والسيد الكريم والبلد الطيب والاخوان البررة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان تشوفت السيادة الكريمة الى الحال فعلى ما علمتم سيرا مع الامل ومغالبة للايام على الحظ واقطعا لا مغللة جانب العمر

اعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الحياة حينئذ وفاء بأزيد منها بل يفضل منها كثير عن حاجتهم ثم لا تلبث أن تأخذ بدين الحضارة في الترف وعوائد وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خرج أهل الدولة ويكثر خرج السلطان خصوصا كثرة بالغة بنفقته في خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك الحياة فيحتاج الدولة الى الزيادة في الحياة لما تحتاج اليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوظائف أو لا كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصاها عن حياية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الحياة وتكثر العوائد ويكثر بكثرها رزاق الجند وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الحياة يضر بها على البياعات ويفرض لها قدر معلوما على الاثمان في الاسواق وعلى أعيان السلع في أموال المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بمساعدة اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحامية وربما يزيد ذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الاسواق لنسداد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى أن تضمد جرحا وقد كان وقع منه بامصار المشرق في أخريات الدولة العباسية والميدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم وأسقط صلاح الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأغاضها بآثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محارمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجربد بفريقية هذا العهد حين استبدها رؤساؤها والله تعالى أعلم

٤١ فصل في أن التجارة من السلطان مضره بالرعايا مفسدة للحياة

اعلم أن الدولة اذا ضاقت حيايتها بقدومها من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحاصل من حيايتها على الوفاء بمحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والحياة فتارة توضع المكوس على بياعات الرعايا وأسواقهم كما قد مضى ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في ألقاب المكوس ان كان قد استحدثت من قبل وتارة بمقاسمة العمال والحياة وامتلاك عظامهم لسيرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل من أموال الحياة لا يظهر له حسابان وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الحياة لسيرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة أموالهم وأن الارباح تكون على نسبة رؤس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لحوالة الاسواق ويحسبون ذلك من ادرار الحياة وتكثر الفوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولا مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك فان الرعايا متكاثرون في اليسار متقاربون ومن احمه بعضهم بعضا تنتهي الى غاية وجودهم وأقرب واذار افقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثير منهم فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في

هل نافعى والجدي

صب

مدى مسع الآمال في

صعد

رجع الله بناليه وامل في

عظمتكم النافعة شفاء من

هذا الداء العياء ان شاء

الله وان لطف الله صاحب

من هذه الرياسة المزينة

وحسبك بها عليه عصمة

وافية صرفت وجه القصد

الى ذخيري التي كنت اعتدتها

منهم كعامة من حين تقاقم

الخطب وتلون الدرر

والافلات من مظان التكة

وقدرت حولها بعد

ما جبرته الحادثة بمهلك

السلطان المرحوم على يد

ابن عمه قريسه في الملك

وقسيمه في النسب واليثار

الحجاء وتغير السلطان

واعتقال الاخ الخائف

والياس منه لولا تكليف

الله في نجاة واليعة بعده في

المسزل والولد واغتصاب

الضياع المقتناة من بقايا

ما تمت به الدولة النصرية

أبقاها الله من النعمة قاوى

الى الوركو وساهم في الحادث

وأشرك في الجاد والمال

شيء من حاجته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له غضا
أو بأيسر ثمن أو لا يجد من يناقشه في شرائه فيخس ثمنه على بائعه ثم اذا حصل فوائد الفلاحة ومغلها كله من زرع
أو حرير أو عمل أو سكر أو غير ذلك من أنواع الغلات وحصلت بضائع التجارة من سائر الأنواع فلا ينتظرون به
حوالة الأسواق ولا تفارق البياعات لما يدعوههم اليه تكاليف الدولة فيكلفون أهل تلك الأصناف من تاجر أو فلاح
بشراء تلك البضائع ولا يرضون في أنماها إلا القسيم وأزيد فيستوعبون في ذلك ناض أموالهم وتبقى تلك البضائع
بأيديهم عروضا جامدة ويمكثون عظاما من الإدارة التي فيها كسبهم ومعاشهم ويريدونهم الضرورة إلى شيء
من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الأسواق بأخس ثمن وربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم
بما يذهب رأسه فيقعده عن سوقه ويتعد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد
الأرباح ما يقبض أهلهم عن السعي في ذلك جملة ويؤدي إلى فساد الحياة فان معظم الحياة انما هي من الفلاحين
والتجار لاسيما بموضع المكوس ونمو الحياة بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحة وقعد التجار عن التجارة
ذهبت الحياة جملة أو دخلها النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الحياة وبين هذه الأرباح
القليلة وجدها بالنسبة إلى الحياة أقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له بحظ عظيم من الحياة فيما يمانية من
شراء أو بيع فانه من البعيدين بوجه فيه من المكس ولو كان غير في تلك الصفقات لكان تكسبها كما حصل من
جهة الحياة ثم فيه التعرض لأهل عمرانه واختلال الدولة بفسادهم ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تسمير أموالهم
بالتجارة والتجارة نقصت وتلاشت بالنقصات وكان فيها اتلاف أحوالهم فافهم ذلك وكان الفرس لا يمكنون عليهم
الأمن أهل بيت المملكة ثم يختارونه من أهل الفضل والدين والأدب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون
عليه مع ذلك العدل وأن لا يتخذ صنعة فيضرب بخير انه لا يتاجر فيجب غلاء الأسعار في البضائع وأن لا يستخدم
العبيد فليهم لا يشيرون بخير ولا مباحة * واعلم ان السلطان لا ينبغي ماله ولا يدور موجوده إلا الحياة وإدارها
انما يكون بالعدل في أهل الأموال والنظر لهم بذلك فبذلك تبسط أموالهم وتنشرح صدورهم ولا تخذ في تسمير
الأموال وتهيئها فتعظم منها حياة السلطان وأما غير ذلك من تجارة أو فلاح فانه هو مضرعة عاجلة للرعايا وفساد
لحياة ونقص للمعاملة وقد ينتهي الحال بهؤلاء المتساعين للتجارة والفلاحة من الأمراء والمتغلبين في البلدان
انهم يتعززون بشراء الغلات والسلع من أربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون
ويبيعونها في وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذا أشد من الأولى وأقرب إلى فساد الرعية
اختلال أحوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من بداخله من هذه الأصناف أعني التجار والفلاحين لما
هي صناعته التي نشأ عليها فيجمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من
جميع المال سريعا سيما مع ما يحصل له من التجارة بلا غرم ولا مكس فانها أجدر بنمو الأموال
واسرع في تسميره ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص حياته فينبغي للسلطان أن يحذر من
هؤلاء ويعرض عن سماعهم المضررة بحياته وسلطانه والله يلهمنا رشداً أنفسنا ونفعا بصالح الأعمال والله
تعالى أعلم

٤٢

فصل في أن ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة

والسبب في ذلك أن الحياة في أول الدولة توزع على أهل القليل والعصية بمقدار غنائمهم وعصيتهم ولأن الحاجة
اليهم في تهديد الدولة كما قلناه من قبل فرئيسهم في ذلك متجاف لهم عما يسمون اليه من الحياة معتاض عن ذلك
بما هو يروم من الاستبداد عليهم فله عليهم عزه وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمانه من الحياة إلا الأقل من حاجته
فتجد حاشيته لذلك وأذيله من الوزراء والكتاب والموالي مملكين في الغالب وجاههم متقلص لانه من جاء بخدومهم

ونطاقه قد ضاق بمن يزاحمه فيه من أهل عصيته فإذا استفحلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض أيديهم عن الحيات الامايطير لهم بين الناس في سهامهم وتقل حظوظهم اذذاك لقلة غناهم في الدولة بما انكبح من أغنتهم وصار الموالي والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينفر دصاحب الدولة حينئذ بالحياة أو معظمها ويحتوى على الاموال ويحتجها بالنفقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتتملى خزائنه ويتسع نطاق جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع جاههم ويقتنون الاموال ويتأثلون بها ثم اذا أخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصية وفناء القليل الماهدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخوارج والمنازعين والثوار وتوهم الاتقاض فصار خراجها لظهوره وأعوانه وهم أرباب السيوف وأهل العصبية وأنفق خزائنه وحاصلها في مهمات الدولة وقلت مع ذلك الحياة لما قدمناه من كثرة العطاء والاتفاق فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فيقلص ظل النسمة والترفع عن الخواص والحجاب والكتاب فيقلص الجاد عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنفق أبناء البطانة والحاشية مآثلهما بأوهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة وقبيلون على غير ما كان عليه بأوهم وسلفهم من المناجحة ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجاههم فيصطاعها وينثرها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحدا بعد واحد على نسبة رتبته وتنكر الدولة لهم ويعود بالذات على الدولة بفناء حاشيتها ورجالاتها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مباني المجد بعد أن يدعمه أهلها ويرفعه وناظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني خنطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وأمثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد وبني أبي عبد تو بن حدير وبني بردو وأمثالهم وكذا في الدولة التي أدركنها العهد ناسنة الله التي قد خلت في عباد

(فصل) ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخاص من رتبة السلطان بما حصل في أيديهم من مال الدولة الى قطر آخر ويرون أنه أنفاهم وأسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاهام المفسدة لاجوالهم وديانهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه غير متمتع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك طرفة عين ولا أهل العصبية المزاحمون له بل في ظهور ذلك منه هدم للملك واتلاف لنفسه بمجاري العادة بذلك لان رتبة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند استفحال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق بالشر وأما اذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب في دولته فقل أن يحل بينه وبين ذلك أمأولا فلما يرام الملك أن ذويهم وحاشيتهم بل وسائر عايلهم مكالهم مطلعون على ذات صدورهم فلا يسمعون بحل رقبته من الخدمة ضنا بأسرارهم وأحوالهم أن يطاع عليها احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد كان بنو أمية بالاندلس ينعون أهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس فلم يحج سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم وما يبيع الحج لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها الى الطوائف وأما ناسيا فلانهم وان سمحوا بحل رقبته هو فلا يسمعون بالتجافي عن ذلك المسال لمسايرين انه جزء من مالهم كما كان ربه جزءا من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتقوم نفوسهم على انتزاع ذلك المسال والتقامه كما هو جزء من الدولة ينفعون به ثم اذا توهمنا انه خالص بذلك المسال الى قطر آخر وهو في النادر الاقل فتمتد اليه أعين الملوك بذلك القطر وينزعونه بالارهاب والتخويف تعريضا أو بالقهر ظاهر المسايرون انه مال الحياة والدول وأنه مستحق للانفاق في المصالح واذا كانت أعينهم تمتد الى أهل

وأعان على نواب الدهر
وطلب الورحين أري
الدهر قلاني وأمل الملوك
استخلاصي وتجاوزوا في
اتحافي والله المختص من
عقال الآمال والمرشد الى
نبذهذه الحفظ المورطة
وأنبأني سيدي بمصدر عنه
من التصانيف الغربية في
هذه الفتوحات الجليلة
وبودي لو وقع الاتحاف بها
أو بعضها فلقد عاودني الندم
على ما فرطت وأما أخبار
هذا القطر فلا زيادة علي
ما علمتم من استقرار
السلطان أبي اسحق ابن
السلطان أبي يحيى بتونس
مستبدا بأمره بالحضرة بعد
مهلك شيخ الموحدين أبي
محمد بن تافراكين القائم
بأمره رحمة الله عليه مضيقا
في حياته الوطن وأحكامه
بالعرب المستظفرين
بدعوتهم مصانعا لهم بوفرة على
أمان الرعايا والسابلة لو أمكن
حسن السياسة جهده الوقت
ومن انتظام بحاجية محل دولتنا
في أمر صاحب قسنطينة
وبونة خلافا كما علمتم محملا
الدولة بصرا متسه وقوة

الثروة واليسار المكتسبين من وجود المعاش فأحرى به أن تمتد إلى أموال الحياة والدول التي تجتهد السبل إليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان أبو يحيى ذكر يابن أحمد اللحياني تاسعاً وعاشراً ملوك الحفصيين بأفريقية الخروج عن عهدة الملك واللاحق بمصر فراراً من طلب صاحب الغور الغربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل اللحياني الرحلة إلى ثغر طرابلس يورى بمهيد وركب السفين من هنالك وخلص إلى الاسكندرية بعد أن حمل جميع ما وجد به بيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل ما كان يخزائهم من المتاع والعقار والجواهر حتى الكتب واحتمل ذلك كله إلى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشرة من المائة الثامنة فأكرم زله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرة شياً فشيئاً بالتعريض إلى أن حصل عليها ولم يبق معاش ابن اللحياني إلا في جرابه التي فرض له إلى أن هلك سنة ثمان وعشرين حسباً نذكره في أخباره فهذا وأمثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وإنما يخلصون أن اتفق لهم الخلاص بأنفسهم وما يتوهمونه من الحاجة فقط ووههم والذي حصل لهم من الشهرة بتجدة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالجرايات السلطانية أو بالجاه في اتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن

النفس راغبة إذا رغبتها * وإذا ترد إلى قليل تقنع

والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق عنه وفضله والله أعلم

﴿فصل في أن نقص العطاء من العطاء من السلطان نقص في الحياة﴾

٤٣

والسبب في ذلك أن الدولة والسلطان هي السوق الأعظم للعالم ومنه مادة العمران فإذا احتج السلطان الأموال أو الحيايات أو فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ ما بأيدي الحاشية والحامية واقطع أيضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت نفقاتهم جملة وهو معظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة للاسواق ممن سواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الأرباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والحياة إنما تكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للفوائد والأرباح وبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حينئذ بقلة الخراج فان الدولة كما قلناه هي السوق الأعظم أم الأسواق كلها وأصلها ومادتها في الدخل والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فأجدر بما بعدها من الأسواق أن يلحقها مثل ذلك وأشد منه وأيضاً قال المال إنما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم إليه ومنه إليهم فإذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله في عباده

﴿فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران﴾

٤٤

اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها ليسيرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها أنها به من أيديهم وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فإذا كان الاعتداء كثيراً عاماً في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالأمال جملة بدخوله من جميع أبوابها وان كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران وفورده ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران واتقضت الأحوال وابتدع الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فحفظ ساكن القطر وقلت دياره وخربت أمصاره واحتل باختلاله حال الدولة والسلطان لما أنها صورة العمران تسد بفساد مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن الموبدان صاحب الدين عهدهم

شكمته فسوق طوقها من الاستبداد والضرب على أيدي المستقلين من الأعراب متقض الطاعة أكثر أوقاته لذلك الاما شمل البلاد من تغلب الغرة ونقص الأرض من الأطراف والواسط وخمد وذبال الدول في كل جهة وكل بداية إلى تمام وأما أخبار المغرب الأقصى والأندلس فليدكم طلمه وأما المشرق فأخبر الحاج هذه السنة من اختلاله وانتقاض سلطانه وانزواء الجفأة على كرسية وفساد المصانع والسقايات المعدة لو فدا الله وحاج بيته ما يسخن العين وبطل البث حتى زعموا أن الهبة اتصلت بالقاهرة أياماً وكثر الهرج في أزقتها وأسواقها لما وقع بين سندمر التغلب بعد بلغا الخاصكي وبين سلطانه ظاهر القلعة من الجولة التي كانت دائرتها عليه أجلت هن زهاه الخمسة قتي من حاشيته وموالي بلغا وتقض على الباقيين فأودع منهم السجون وطاب الكثير وقتل سندمر في محبسه

أيام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك أصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له ان يوما ذكر ابروم نكاح يوم أني وأنها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال ان دامت أيام الملك أقطعك ألف قرية وهذا أسهل مرام فقبله الملك من غفلة وخلا بالموذان وسأله عن مراده فقال له أيها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونيه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سييل الى المال الا بالعمارة ولا سييل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة ونصبه الرب وجعل له قيا وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت الى الضياع فاتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال وأقطعها الحاشية والخدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصالح الضياع وسومحو في الخراج لقرهم من الملك ووقع الخيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم وخلو ديارهم وأووا الى ما تعذر من الضياع فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلك الجنود والرية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانترعت الضياع من أيدي الخاصة وردت على أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند حيازة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه ففهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب لل عمران وان عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض ولا تنظر في ذلك الى أن الاعتداء قديو جدد بالامصار العظيمة من الدول التي بها لم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المصر فلما كان المصر كبيراً وعمرانه كثيراً وأحواله متسعة بما لا يخسر كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسير لان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في المصر لم يظهر أثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المصر ونجىء الدول الاخرى فترقبه مجتهداً وتحير النقص الذي كان خفياً فيه فلا يكاد يشعر به الا أن ذلك في الاقل النادر والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمناه وبالله عائد على الدولة ولتحسين الظلم انما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من أخذ ملكاً أحداً وغصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه خباة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمتهمون لها ظلمة والممانعون لحقوق الناس ظلمة وغصب الاملاك على العموم ظلمة وبوال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لاذهابه الآمال من أهله واعلم ان هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراجعة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كإرأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وأدلت من القرآن والسنة كثيراً أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر ولو كان كل واحد قادر عليه لوضع بازانته من العقوبات الزاجرة ما وضع بازاء غيره من المفسدات للنوع التي يقدر كل أحد على اقترافها من الزنا والقتل والسكر الا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع من أهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه عسى أن يكون التواضع فيه لا قادر عليه في نفسه وما يربك بظلام العيد * ولا تقول ان العقوبة قد وضعت بازاء الحراة في الشرع وهي من ظلم القادر لان

وأنقى زمام الدولة بيد كبير من موالى السلطان فقام بها مستبداً وقادها مستقلاً وبيد الله تعاريف الامور ومظاهر الغيوب حل وعلا ورغبني من سيدى أبقاه الله أن لا يغيب خطابه عني متى أمكن أن يصل منته الجملة وأن يقبل عني اقدم تلك الذات المولوية ويعرفه بما عندي من التشيع لسلطانه والشكر لنعمته وأن ينهي عني لحاشيته وأهل اختصاصه التحية المختلصة من أنفاس الرياض كبيرهم وصغيرهم وقد تأدى منى الى حضرة الكريمة خطاب على يد الحاج نافع سلمه الله تناوله من الاخ يحيى عند لقائه اياه بسلامة بجزرة السلطان أبى حمز أيدى الله فرمى بصل وسيدى بوضوح من ثنائى ودعائى بما مجزعه الكتاب والله يقيمكم ذخراً للمسلمين وملاذاً للامنين بفضله والسلام الكريم عليكم وعلى من لا ذنبكم من السادة الاولاد المناجيب والاهل والحاشية والانتحاب من انخب فيكم المعتد بكم

المحارب زمن حرايته قادران في الجواب عن ذلك طريقين أحدهما أن تقول العقوبة على ما يترتب من الجنائيات في نفس أو مال على ما ذهب إليه كثير وذلك أنما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة بجنائياته وأما نفس الحاربة فهي خلو من العقوبة الطريق الثاني أن تقول المحارب لا يوصف بالقدرة لانا إنما نقي بقدرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المؤذنة بالحرب وأما قدرة المحارب فأنما هي اخافة يجعلها ذريعة لاخذ الاموال والمدافعة عنها يه الكى موجودة شرعا وسياسة فليست من القدر المؤذن بالحرب والله قادر على ما يشاء

(فصل) ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق وذلك أن الاعمال من قبيل المتمولات كسنيين في باب الرزق لان الرزق والكسب انما هو قيم أعمال أهل العمران فاذا ماسعهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسبهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية المتملئين في العمارة انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك فاذا كانوا العمل في غير شأنهم واتخذوا سخرى في معاشهم بطل كسبهم واعتصموا بقيمة عملهم ذلك وهو متمولهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حفظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم أفسد آمالهم في العمارة وقعدوا عن السعي فيها جملة فأدى ذلك الى انتقاض العمران وتخريبه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(فصل) وأعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسايط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع وربما فرض عليهم تلك الأثمان على النواحي والتأجيل فيتلألؤون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تحبثهم المطامع من حجب ذلك بحواله الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأبخس الأثمان وتعود خسارة ما بين الضفتين على رؤس أموالهم وقديع ذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوق وأهل الدكاكين في المساكل والنواك وأهل الصنائع فيما يتخذ من الآلات والموازين فتشمل الخسارة سائر الأصناف والطبقات وتوالت على الساعات وتجنف برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا القعود عن الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها بالارباح ويتناقل الواردون من الآفاق اشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل معاش الرعايا لان عامتهم من البيع والشراء وإذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتنقص جباية السلطان أو تفسد لان معظمها من أوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البيعات كما قدمناه ويؤلف ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الحلل على التدريج ولا يشعر به هذا ما كان يأمثال هذه الذرائع والاسباب الى أخذ الاموال وأما أخذها مجانا والعدوان على الناس في أموالهم وحرمانهم ودمائهم وأسرارهم وأعراضهم فهو يفضي الى الحلل والفساد دفعة وتنقض الدولة سريعا بما ينشأ عنه من الهرج المفضي الى الانتفاض ومن أجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء وحظر كل أموال الناس بالباطل سدا لأبواب المفاسد المنفضية الى انتقاض العمران بالهرج أو بطلان المعاش واعلم أن الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستحدثون القبا ووجوها يوسعون بها الحياة ليني لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة الى أموال الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى أن تنمحي دائرتها ويذهب رسمها ويغلبها

طالبها والله أعلم

فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم

شيعه فضلكم ابن خلدون
ورحمه الله وبركاته عنوانه
سيدي وعمادي ورب
الصنائع والايادي والفضائل
الكريمة الخواتم والمبادئ
امام الامة علم الائمة
تاج المسلة نخر العلماء عماد
الاسلام مصطفى الملوك
الكرام كافل الامامة تاج
الدول أمير الله ولي أمير
المؤمنين الغنى بالله ايد الله
الوزير أبو عبد الله ابن
الخطيب أبقاه الله وتولى
عن المسلمين جزاءه
(وكتب) الى من غرناطة
ياسيدي وولي وأخي
وحمل ولدي كان الله لكم
حيث كنتم ولا أعدهمكم
لطفه وغنايته لو كان مستقر
بحيث يتأني اليه ترد يد رسول
وانفاذ مقتطع أو توجيهه
نائب لزحفت على نفسي
باللائمة في اغفال حثكم
ولكن العذر ما علمتم
واحمدوا الله على الاستقرار
في كنف ذلك الفاضل
الذي وسعكم كنفه وشملكم
فضله شكر الله حسبه الذي
لم يخلف وشهدته التي لم
تفكر وانى اغتتمت سفر

اعلم أن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمنا لأنه لا بد لها من العصية التي بها يتم أمرها ويحصل استيلائها والبداءة وهي شعار العصية والدولة أن كان قيامها بالدين فإنه بعيد عن منازع الملك وإن كان قيامها بغز الغلب فقط فالبداءة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضا عن منازع الملك ومذاهبه فإذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبداءة والقرب من الناس وسهولة الأذن فإذا رسخ عزه وصار إلى الأفراد بالمجد واحتاج إلى الأفراد بنفسه عن الناس للحديث مع أوليائه في خواص شؤنه لمساكن كثير حيثئذ من بحاشيته فيطلب الأفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الأذن ببابه على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دولته ويتخذ حاجباً له عن الناس يقيه ببابه هذه الوظيفة ثم إذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعها استجالت خلق صاحب الدولة إلى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها إلى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من مباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم فسخطوه وصاروا إلى حالة الانتقام منه فانفر دمع رفة هذه الآداب مع الخواص من أوليائهم وحجبوا غير أولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت حفظاً على أنفسهم من معاينة ما يسخطهم وعلى الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الأول يفضي إليهم منه خواصهم من الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الثاني يفضي إلى مجالس الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الأول يكون في أول الدولة كما حدث لأيام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحجاب جرباً على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك إلى الحجاب الثاني وصار اسم الحجاب أخص به وصار باب الخلفاء داران للامباسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث أخص من الأولين وهو عند محمولة الحجر على صاحب الدولة وذلك أن أهل الدولة وخواص الملك إذا نصبوا الأبناء من الأقباب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدأ به ذلك المستبد أن يحجب عنه بطانة ابنه وخواص أوليائه يوهمه أن في مباشرتهم إياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الأدب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعوده ملابسة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواء إلى أن يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب إلا أواخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليلاً على هرم الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لأن القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه

فصل في انقسام الدلة الواحدة بدولتين

٤٦

هذا الشيخ وافد الحرمين
بمجموع الفتوح في إيصال
كتابي هذا وبودي لو
وقفت على ماله من البضاعة
التي أتم رأسها وصدرها
فيكون لكم في ذلك بعض
أنس وربما تأدى ذلك
في بعضه مما لم يحتم عليه
وظواهر الأمور من أجل عليه
في تريفكم بها وأما
البواطن فمما لا تأتي كثرة
وجامة وأخص ما أظن
تشوفكم إليه حالى فاعلموا
أنى قد بلغ في الماء الربى
واستولى على سوء المزاج
المنحسرف وتوالت
الأمراض وأعوز الشفاء
لبقاء السب والعجز عن
دفعه وهي هذه المداخلة
جعل الله عاقبتها إلى خير
ولم أترك وجهاً من وجوه
الجنة إلا بذله فما أغنى عني
شيئاً ولو لأنى بعدكم شغل
الفكر بهذا التأليف مع
الزهد وبعد العهد وعدم
الامتع بطالعة الكتب لم
تتمش من طريق فساد
الفكر إلى هذا الحد وآخر
ما صدر عني كتاب سميت
باستئزال اللطف الموجود

اعلم أن أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك أن الملك عندما يستجحل ويبلغ أحوال الترف والنعيم إلى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالمجد وينفر دبه يأتف حيثئذ عن المشاركة ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع باهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم ونزعوا إلى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد وانظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حاريزاً مجتمعاً ونطاقها ممتداً في الاتساع وعصية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم يذض عرق من الخلاف سائر أيامه إلا ما كان من بدعة الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لئزعة ملك ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم العصية القوية ثم

في أسر الوجود أمليته في
 هذه الأيام التي أقم فيها رسم
 النيابة عن السلطان في سفره
 إلى الجهاد بودي لوقوفكم
 عليه وعلى كتابي في المحبة
 وعسى الله أن ييسر ذلك
 ومع هذا كله والله ما قصرت
 في الحرص على إيصال
 مكتوب اليكم أمام من جهة
 أخيكم أو من جهة السيد
 الشريف أبي عبد الله حتى
 من المغرب إذا سمعت الركب
 متوجها منه فلا أدري هل
 بلغكم شيء من ذلك أم لا
 والاحوال كلها عني
 ما تركتموها عليه وأجابكم
 بخير على ما علمتم من الشوق
 والتشوق والارتماض
 على مفارقتكم ولا حول
 ولا قوة إلا بالله والله
 يحفظكم ويتولى أمورك
 والسلام عليكم ورحمة الله
 من الحب الواحش ابن
 الخطيب في ربيع الثاني
 من عام احدى وسبعين
 وسبعمائة وباطنه مدرجة
 فيها سيدي رضي الله عنكم
 استقر بتلمسان في سبيل
 قلبه مسارعة مزاج
 تعرفونه صاحبنا المقدم في

لما خرج الامر من بني أمية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف
 وأذنت بالتقلص عن القاصية نزاع عبدالرحمن الداخل إلى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بهم ملكا
 واقطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزاع ادريس إلى المغرب وخرج به وقام بامرته وأمرائه من بعده
 البرابرة من أوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصا فاضطرب الأغلبة في
 الامتناع عنهم ثم خرج الشيعة وقام بامرهم كتامة وصنهاجة واستولوا على إفريقية والمغرب ثم مصر والشام
 والحجاز وغلبوا على الادارة وقسموا الدولة دولتين أخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني
 العباس بمركر العرب وأصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بني أمية بالمجدين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم
 بالمشرق ودولة العبيديين بإفريقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدولة إلى أن كان انقراضها متقاربا أو
 جيعا وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى وكان بالناسية بنو ساسان في اوراق النهر وخراسان والعلوية
 في الديلم وطبرستان وأل ذلك إلى استيلاء الديلم على عراقين وعلى بغداد والخلفاء ثم جاء السلاجوقية فلكوا
 جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم أيضا بعد الاستفحال كما هو معروف في أخبارهم وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة
 بالمغرب وإفريقية لما بلغت إلى غايتها أيام باديس بن المنصور خرج عليه عمه حماد واقطع ممالك العرب لنفسه
 ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وملوية واختط القلعة بجبل كتامة حياك المسيلة ونزلها واستولى على مكرهم
 أشير بجبل تيطرى واستحدث ملكا آخر قسما لملك آل باديس وبقي آل باديس بالقيروان وما إليها ولم تزل ذلك
 إلى أن انقرض أمرها جميعا وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار بإفريقية بنو أبي حفص فاستقلوا بها
 واستحدثوا مملكة لأعقابهم بنوا حيا ثم لما استفحل أمرهم واستولى على الغاية خرج على الممالك الغربية من
 أعقابهم الأمير أبو بكر يحيى ابن السلطان أبي اسحق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكا بجاية وقسنطينة
 وما إليها ورثه بنوه وقسموا به الدولة قسمين ثم استولى على كرسى الحضرة بنو نيس ثم انقسم الملك ما بين أعقابهم
 ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد انتهى الانقسام إلى أكثر من دولتين وثلاثة وفي غير أعياص الملك من قومه كما وقع في
 ملوك الطوائف بالاندلس وملوك العجم بالمشرق وفي ملك صنهاجة بإفريقية فقد كان لا خرد دولتهم في
 كل حصن من حصون إفريقية نأثر مستقل بأمره كما تقدم ذكره وكذا حال الجريد والزاب من إفريقية قبيل
 هذا العهد كما ذكره وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض الهرم بالتلف والدعة وتقلص
 وظل الغلب فيقسم أعياصها أو من ينلب من رجال دولتها الامر ويتعسد فيها الدولة والله وارث الارض
 ومن عليها

﴿فصل في أن الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع﴾

٤٧

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحدا بعد واحد وبيننا أنها تحدث للدولة بالطبع وأنها كلها
 أمور طبيعية لها وإذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الامور الطبيعية كما يحدث الهرم في
 المزاج الحيواني والهرم من الامراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها إلا أنه طبيعي والامور الطبيعية
 لا تتبدل وقد يتنبه كثير من أهل الدول من له يقظة في السياسة فيرى منازل بدولتهم من عوارض الهرم ويظن أنه
 يمكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك الهرم ويحسبه أنه لحقها بتقصير من قبله من
 أهل الدولة وغفلتهم وليس كذلك فإنها أمور طبيعية للدولة والعوائد هي المناهضة له من تلافيها والعوائد منزلة
 طبيعية أخرى فان من أدرك مثلاً بأه وأكثراً أهل بيته يلبسون الحرير والدياج ويحولون بالذهب في السلاح
 والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس
 والزي والاختلاط بالناس اذا العوائد حينئذ تنمعه وتقبح عليه مرتكبه ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس في

الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتها
لولا التأييد الالهي والنصر السماوي وربما تكون العصية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعهما من
النفوس فاذا ازيلت تلك الابهة مع ضعف العصية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب أو هاهم الابهة فتدبر الدولة
بتلك الابهة ما أمكنها حتى ينقضي الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهزم قد ارتفع
عنها ويومض ذهابها بماضة الجود كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضة توهم أنها
اشتعال وهي انطفاء فاعتبر بذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل
أجل كتاب

٤٨

فصل في كيفية طرق الحلل للدولة

اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصية وهو المعبر عنه بالجند والثاني المال الذي هو قوام
أولئك الجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والحلل اذا طرقت الدولة طرقها في هذين الاساسين فلنذكر
أولاً طرق الحلل في الشوكة والعصية ثم نرجع الى طرقها في المال والحياة واعلم أن تهديد الدولة وتأسيسها كما
قلناه إنما يكون بالعصية وأنه لا بد من عصية كبرى جامعة للعصائب مستتعبة لها وهي عصية صاحب الدولة
الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا اجابت الدولة طبيعة الملك من الترف وجده أنوف أهل العصية كان أول ما يجده
أنوف عشيرته وذوي قرابته المقاسمين له في اسم الملك فيستبد في جده أنوفهم بما بلغ من سواهم يأخذهم الترف
أيضاً أكثر من سواهم لمكانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والتهمر ثم يصير القهر
آخر إلى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر فيقبض غيرتهم منهم إلى الخوف على
ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقولون وتسد عصية
صاحب الدولة منهم وهي العصية الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتستتبعها فتجلى عروتها وتضعف شكيمة
وتستبدل عنها بالبطالة من موالي النعمة وصنائع الاحسان وتخذ منهم عصية الانها ليست مثل تلك الشدة
الشكيمة لفقدان الرحم والقرابة منها وقد كنا قدمنا أن شأن العصية وقوتها التماهي بالقرابة والرحم لما جعل الله في
ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشيرة والانصار الطبيعية ويحس بذلك أهل العصائب الأخرى فيتجاسرون عليه
وعلى بطائته تجاسر طبعياً فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحداً بعد واحد ويقلد الآخر من أهل الدولة
في ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قد منافى قوتهم في الهلاك بالترف والقتل حتى
يخرجوا عن صفة تلك العصية وينشوا بعزتها وشورتها ويصيروا أوجز على الحماية ويقولون لذلك فتسل الحامية
التي تنزل بالاطراف والتغور فيتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في الاطراف ويبادر الخوارج على الدولة من
الاعياس وغيرهم إلى تلك الاطراف لما يرجون حيثئذ من حصول غرضهم بما يباعه أهل القاصية لهم وأمنهم من
وصول الحامية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضاق حتى تصير الخوارج في أقرب الاماكن إلى
مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين أو ثلاثة على قدر قوتها في الاصل كما قلنا ويقوم بأمرها غير
أهل عصيتها لكن ادعانا لأهل عصيتها ولغلبهم المعهود واعتبر هذه في دولة العرب في الاسلام انتهت أولاً إلى
الاندلس والهند والصين وكان أمر بني أمية نافذاً في جميع العرب بعصية بني عبد مناف حتى أقدم امرسايمان بن عبد
الملك من دمشق بقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم ير دأمر ثم تلاشت عصية بني أمية بما أصابهم
من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس ففضوا من أعنة بني هاشم وقتلوا الطالبيين وشردوهم فانحلت عصية عبد
مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم أهل القاصية مثل بني الاغاب بافرقية وأهل الاندلس وغيرهم
وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام البربر بأمرهم ادعانا للعصية التي لهم وأما أن تصالهم مقاتلة أو

الطبيب أبو عبد الله الشقوري
فاذا اتصل بكم فأعينوه
على ما يقف عليه اختياره
وهذا لا يحتاج معه إلى مثلكم
عنوانه سيدى ومحل أخى
الفقيه الجليل الصدر الكبير
المعظم الرئيس الحاجب
العالم الفاضل الوزير ابن
خلدون وصل الله سبحانه
وحرس مجده بمنه وانما
طوات بذكر هذه المخاطبات
وان كانت فيما يظهر خارجة
عن غرض الكتاب لان فيها
كثير من اخبارى وشرح
حالى فيستوفى ذلك منها
ما يشوف اليه من المطالعين
للكتاب ثم ان السلطان أباً
حمو لم يزل متمسكاً في
الاجلاب على بحاية
واستتلاف قبائل رياح
لذلك ومعولاً على مشايخه
فيه ووصل يده مع ذلك
بالسلطان أبي اسحق ابن
السلطان أبي بكر صاحب
تونس من بنى أبي حفص
كان بينه وبين أخيه صاحب
بحاية وقسنطينة من العداوة
التي تقضيها مقاسمة النسب
والملك فكان يوفسدرسله
عليه في كل وقت ويمرونى

وأنا بيسكره قفا كد الوصاة
بمخاطبة كل منهما وكان أبو
زيان ابن عم السامان أبي
حمو بعد اجفاله عن بجاية
واحتلال معسكره قدسار
في أثره إلى تلمسان وأجاب
على نواحيها فلم يظفر بشيء
وعاد إلى حصين فأقام بينهم
واشتملوا عليه ونجم التفارق
في سائر أعمال المغرب
الوسط ولم يزل يستألفهم
حتى اجتمع له الكثير منهم
فخرج في عساكره فقتل
تسع وستين إلى حصين وأبي
زيان واعتصموا بجبل
تيطري وبعث إلى في استنفار
الزواو دلا خذ بحجزهم
من جهة الصحراء وكتب
يستدعي أشياخهم يعقوب
ابن علي كبير أولاد محمد
وعثمان بن يوسف كبير أولاد
سباع بن يحيى وكتب إلى ابن
مزي في قيعة وظهرهم بمداومهم
في ذلك فأمدهم وسرنا
مغربين إليه حتى نزلنا القطن
بسل تيطري وقد أحاط
السلطان به من جهة التل
على أنه إذا فرغ من شأنهم
سار معنا إلى بجاية وبلغ الخبر
إلى صاحب بجاية أبي العباس

حامية للدولة فإذا خرج الدعاة آخر أفيتمدون على الأطراف والقاصية وتحصل لهم هناك دعوة وملك تقسيمه
الدولة ورمز بذلك متى زادت الدولة تقاصا إلى أن ينتهي إلى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها
الترف فهاك وتضعف الدولة المنقسمة كما هو رباطا لها بعد ذلك فتستغنى عن العصبية بما حصل
لها من الصيغة في نفوس أهل إياتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل أحد من الأجيال
مبدأها ولا أوياتها فلا يعقلون إلا التسليم لأصحاب الدولة فيستغنى بذلك عن قوة العصابات ويكفي صاحبها بما حصل
لها في تهديد أمرها لأجراء على الحامية من جنس دي ومرزق ويعضد ذلك ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا
يكاد أحد أن يتصور عصيانا أو خروجا إلا الجمهور منكرونها مخالفة له فلا يقدر على التصدي لذلك ولو
جهدهم دور ما كانت الدولة في هذا الحال أسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام صبغة التسليم والانقياد لهم
فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يحتاج في ضميرها الخراف عن الطاعة فيكون أسلم من الهرج والانتقاض
الذي يحدث من العصابات والمشاوئم لا يزال أمر الدولة كذلك وهي تلاشي في ذاتها شأن الحرارة الفرزية في
البدن المادم فغدا إلى أن تنتهي إلى وقتها المقدور ولكل أجل كتاب ولكل دولة أمد والله يقدر الليل والنهار وهو
الواحد التهار * وأما الخل الذي يتطرق من جهة المال فاعلم أن الدولة في أولها تكون بدوية كما سر فيكون
خاكا الرفق بالرعيا والقصد في النفقات والتعفف عن الأموال فتتجافي عن الامعان في الحياة والتحقاق
والكيس في جمع الأموال وحسبان العمال ولاداعية حيث تدلى الأسراف في النفقة فلا يحتاج الدولة إلى كثرة
المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستفحل المثل فيدعو إلى الترف ويكثر الاتفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان
وأهل الدولة على العموم بل يمدى ذلك إلى أهل المصر ويدعو ذلك إلى الزيادة في أعطيات الجند وأرزاق أهل
الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الأسراف في النفقات وينتشر ذلك في الرعية لأن الناس على دين ملوكها وعوائدها
و يحتاج السلطان إلى ضرب المكوس على أثمان اليعات في الأسواق لادار الحياة ليراها من ترف المدينة الشاهد
عليهم بالرفق ولا يحتاج هو إليه من نفقات سلطانه وأرزاق جنده ثم تزيد عوائد الترف فلا تفي بها المكوس وتكون
الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر لمن تحت يدها من الرعايا فتمتد أيديهم إلى جمع المال من أموال الرعايا
من مكس أو تجارة أو قنطرة في بعض الأحوال بشبهة أو بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسر على الدولة
بسلطتها من القتل والهرم في العصبية فتتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الاتفاق فيهم ولا تجدد عن
ذلك ولا يهتف وتكون حياة الأموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الحياة وكونها بأيديهم وبما
اتبع لذلك من جاههم فيتوجه إليهم باحتجان الأموال من الحياة وتفشو السعاية فيهم بعضهم من بعض للمنافسة
والجند فتعظم التكاليف والمصادرات وأحدوا أحدا إلى أن تذهب ثروتهم وتلاشي أحوالهم ويسعد ما كان
للدولة من الأبهة والجمال بهم وإذا اصطامت نعمتهم تجاوزتهم الدولة إلى أهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون
الوهم في هذا الطور قد خلق الشوكة وضعت عن الاستطالة والقهر فتتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ إلى
مدارة الأمور ببذل المال ويراد أن يرفع من السيف لقلته غناة فتعظم حاجته إلى الأموال زيادة على النفقات وأرزاق
الجند ولا يفي فيما يريدو يعظم الهرم بالدولة وتجاسر عليها أهل النواحي والدولة تخل عراها في كل طور من هذه
إلى أن تقضى إلى الهلاك وتعموض من الاستيلاء الكل فان قصدها طالب انتزعها من أيدي القائمين بها ولا
بقيت وهي تسلشي إلى أن تضمحل كالذهب في السراج إذا فني زيتها وطفئ والله مالك الأمور ومدبرها لو كان
لا اله الا هو

﴿فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع﴾

٤٩

اعلم أن نشأة الدول وبدايتها إذا أخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاض يكون على نوعين إما بأن يستبد دولة

الاعمال في الدولة بالقافية عندما يتقاص ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه عنه أبناؤه أو مواله ويستفحل لهم الملك بالتدريج ويرى زحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه ويتزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين أخذت دولتهم في الهرم وتقاص ظلمها عن القافية واستبد بنو سامان بمأوراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام وبنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب ملكها في الطوائف الذين كانوا ولائها في الاعمال وانقسمت دولها وملوكها وأرثوها من بعدهم من قرابتهم أو موالهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة أدركها الهرم وتقلص ظلمها عن القافية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بأن يخرج علي الدولة خارج مما يجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما أشرف ناليه أو يكون صاحب شوكة وعصية كبير في قومه قد استفحل أمره فيسموهم الي الملك وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتمتعون له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالمطالبة الى أن يظفروا بها ويرزنون (١) أمرها كإيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

٥٠ فصل في أن الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة

بالمطالبة لا بالمناجزة

ففسكر من استألف من بقايا قبائل رباح وعسكر بطرف ثنية القطفا المفضية الى المسيلة وبينما نحن على ذلك اجتمع الخالفون من زغبة وهم خالد بن عامر كبير بني عامر وأولاد عريف كبراء سويد ومنهضوا لنا بمكانات من القطفا فأجفلت أحياء الزواودة وتأخرنا الى المسيلة ثم الى الزاب وسارت زغبة الى تطرى واجتمعوا مع أبي زيان وحسين وهجموا على معسكر أبي حمو فقلوه ورجع منهم ما الى تلمسان ولم يزل من بعد على استئلاف زغبة وورباح يؤمل الظفر بوطنه وابن عمه والكرة على نجاية عامر فاعا ما وأعلى حالي في مشايخته وإيلاف ما بينه وبين الزواودة والسايطان أبي اسحق صاحب تونس وابنه خالد من بعده ثم دخلت زغبة في طاعته واجتمعوا على خدمته من تلمسان لشفاء نفسه من حصين وبجاية وذلك في أخريات احدى وسبعين فوفدت عليه بطائفة من

قد ذكرنا أن الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يتبع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القنوع بما في أيديهم وهونهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تستكرر وتتصل الي أن يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك أن الظفر في الحروب انما يقع كما قدمناه بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع من أنفع ما يستعمل في الحرب وأكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فكثير بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكثر من همم أتباعه وأهل شوكته وان كان الاقربون من بطائنه على بصيرة في طاعته ومواظبته الا أن الآخرين أكثر وقد ادخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض القصور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطالبة حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فتضمحل عقائد التسليم لها من قومه وتنبعث منهم الهمم لصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وأيضا فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما يستحكم لهم من الملك وتوسع النعيم والذات واختصوا به دون غيرهم من أموال الحياة فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الاسلحة وتعظم فيهم الأبهة الملكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضطارا فيزهون بذلك كله عدوهم وأهل الدولة المستجدة بمعزل عن ذلك لمساهم فيه من البداوة وأحوال الفقر والخصاصة فيسبق الي قلوبهم أو هام الرعب بما يبلغهم من أحوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من أجل ذلك فيصير أمرهم الى المطالبة حتى تأخذ المستقرة مأخذها من الهرم ويستحكم الخلل فيها في العصية والحياة فيتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة بسنة الله في عباده وأيضا فأهل الدولة المستجدة كلها مباينون للدولة

(قوله) ويزنون في نسخة ويرفون من الرفو بالراء والفاء آه

الزواودة أولاد عثمان بن
 يوسف بن سليمان البشارف
 أحواله ونظاله بما يرسم
 له في خدمته فاقيناه بالبطحاء
 وضرب لنا موعدا بالجزائر
 انصرف به العرب الي
 أهلهم وتخلت بعدهم
 لقضاء بعض الأغراض
 والحق بهم وصليت به
 عيد الفطر على البطحاء
 وخطبت به وأنشدته عند
 انصرافه من المصلي تهنئة
 بالعيد وغرضه
 هذي الديار خيبر
 صباحا
 وقف المطايا يهن
 طلاحا
 لا تسأل الا طلال ان لم
 تروها
 عبات عينك واكفا
 ممتاحا
 فلقد أخذن على جفونك
 موتقا
 أن لا يرين مع البعاد
 شعاحا
 ايه على الحسى الجميع
 وربما
 طرب القواد لذكرهم
 فارتاحا

المستقرة بأنسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم مفخرون لهم ومناذون بما وقع من هذه المطالبة
 وبطلهم في الاستيلاء عليه فتتمكن المباحدة بين أهل الدولتين سرا وجها ولا يصل الي أهل الدولة المستجدة
 خبر عن أهل الدولة المستقرة يصيبون منه غرة (١) باطنا وظاهرا لا تقطع المداخلة بين الدولتين فيقيمون
 على المطالبة وهم في احجام ويشكون عن المناجزة حتي يأذن الله بزال الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور
 الخلال في جميع جهاتها واتضح لأهل الدولة المستجدة مع الأيام ما كان يخفى منهم من همها وتلاشيها وقد عظمت
 قوتهم بما اقتطعوا من أعمالها ونقصوا من أطرافها فحدث همهم بدا واحدة للمناجزة ويذهب ما كان بث في
 عزائمهم من التوهمات وتنتهي المطاولة الي حدها ويقع الاستيلاء آخرا بالمعاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس
 حين ظهورها حين قام الشيعة بنجراسان بعد انقضاء الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشرين أو يزيدو حينئذ تم لهم
 الظفر واستولوا على الدولة الأموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاولتهم
 حتي استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضي أمر العلوية وسما الديلم الي ملك فارس والعراقين فكثروا سنين
 كثيرة يطاولون حتي اقتطعوا أصهبان ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيدون أقام داعيتهم بالمغرب أبو
 عبد الله الشيعي بنى كتامة من قبائل البربر عشرين ويزيد تطاول بنى الأغلب بآفريقية حتي ظفر بهم واستولوا
 على المغرب كله وسموا الي ملك مصر فكثروا ثلاثين سنة وأنحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل
 في كل وقت وحجى المسدد لمداقتهم برا وبحرا من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والقيوم والصعيد وخطط
 دعوتهم من هنالك الي الحجاز وأقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر
 واستولى عليها واقتلع دولة بنى طغ من أصولها واختط القاهرة فجاء الخليفة بعد المعز لدين الله فزها السنين
 سنة وأنحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بنى سامان وأجازوا
 من وراء النهر مكثوا نحو امان ثلاثين سنة يطاولون بنى سبكتكين بنجراسان حتي استولوا على دولته ثم زحفوا الي
 بغداد فاستولوا علىها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المفازة أعوام سبعة
 عشر وسنة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد أربعين سنة وكذا أهل المغرب خرج به المرابطون من لمتونة على ملوكه
 من مغراوة فطاولوهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة فكثروا نحو امان ثلاثين سنة
 بحاربونهم حتي استولوا على كرسيم براكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فكثروا يطاولونهم
 نحو امان ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوا وأعمالها من ملكهم ثم أقاموا في محاربهم ثلاثين أخرى حتي
 استولوا على كرسيم براكش حسبا نذكر ذلك كله في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع
 المستقرة في المطالبة والمطاولة سنة الله في عبادهم ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات
 الاسلامية وكيف كان استيلائهم على فارس والروم ثلاث أو أربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم أن ذلك
 إنما كان معجزات من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها أسماة المسلمين في جهاد عدوهم استبعادا بالايامن
 وما أوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة المقررة في مطاولة
 الدول المستجدة للمستقرة واذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف
 ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى أعلم
 وبه التوفيق

٥١ ﴿فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات﴾

اعلم أنه قد تقرر لك فيما سلف أن الدولة في أول أمرها لابد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في إياها امامن

(١) قوله غرة بكسر الغين أى غفلة اهـ

الدين ان كانت الدعوة دينية أو من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول وإذا كانت الملكية رفيعة
محسنة تبسط آمال الرعايا وتنشطو العمران وأسبابه فتوفر ويكثر التنازل وإذا كان ذلك كله بالتدريج فأنما
يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي انقضاء الحيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ
العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقول انه قد مر لك أن أواخر الدولة يكون فيها الاحجاف بالرعايا وسوء
الملكية فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاحجاف وان حدث حينئذ وقلت الحيايات فأنما يظهر أثره في
تناقص العمران بعد حين من أجل التدرج في الامور الطبيعية ثم ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر
الدول والسبب فيه أما المجاعات فلنقص الناس أيديهم عن الفلاح في الاكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان
في الاموال والحيايات أو الفتن الواقعة في تناقص الرعايا وكثرة الحوارج لهرم الدولة فيقل احتكاك الزرع غالبا
وليس صلاح الزرع وثمرته يستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة
والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبه الا أن الناس واثقون في أقواتهم
بالاحتكاك فاذا فقد الاحتكاك عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وبجزئه أولوا الخصاصه فهلكوا وكان
بعض السنوات والاحتكاك مفقود فشمل الناس الجوع وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما
ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع البواب وسببه في الغالب فساد الهوا بكثرة
العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهوا وهو غذاء الروح الحيواني وملاسه
دائما فيفسر الفساد الى مزاجه فان كان الفساد قوي وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة
بالرئة وان كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الامرجة وتمرض الابدان
وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة لما كان في أوائلها
من حسن الملكية ورفقها وقلة المغمز وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه من الحكمة أن تحل الخلاء والفقر بين
العمران ضروري ليكون نموج الهوا يذهب بما يحصل في الهوا من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهوا
الصحيح ولهذا أيضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير كمصر بالشرق وفاس
بالمغرب والله يتقدر ما يشاء

٥٢ . فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره

اعلم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكامل فيه وأنه لا بد لهم في
الاجتماع من ازع حاكم يرجمون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم
اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مباغته وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من
ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولي يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة
ولما راعاه نجاها العباد في الآخرة والثانية انما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من
هذا الباب وانما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقته حتي
يستغنوا عن الحكم رأسها ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمي من ذلك بالمدنية الفاصلة والقوانين المرعاة
في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك
وهذه المدنية الفاصلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير ثم ان السياسة
العقلية التي قدمناها تكون على وجهين * أحدهما يراعي فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة
ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد أغناها الله تعالى عنها في الملة ولعمد
الخلافة لاني الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآفات واحكام الملك مندرجة فيها * الوجه

ومن ازل للظا غنيين
استعجمت
حزنا وكانت بالمرور
فصاحا

وهي طويصلة ولم يسبق في
حفظي منها الا هذا وبيننا نحن
في ذلك اذ بلغ الخبر بأن
السلطان عبدالعزيز صاحب
المغرب الأقصى من بني
مرين قد استولى على جبل
عامر بن محمد الهتاني
بمراش وكان أخذ بمخفقه
منذ حول وساقه الي فاس
فقتله بالعذاب وأنه عازم على
النهوض الي تلمسان لما
سأف من السلطان أبي حمو
أثناء حصار السلطان عبد
العزیز عامر في جبله من
الاجلاب على نفور المغرب
ولحين وصول هذا الخبر
أضرب السلطان أبو حمو
على ذلك الذي كان فيه وكر
راجعا الي تلمسان وأخذ
في أسباب الخروج الي
الصحراء مع شعبة بني عامر
من أحياء زغبة فاستأنف
وجمع وسدد الرجال وقضى
عبد الانحي وطلبت منه
الاذن في الانصراف الي

الاندلس لتعذر الوجهة الى بلاد رباح وقد اظلم الجو بالفتنة وانقطعت السبل فأذن لي وحماني رسالة الى السلطان ابن الاحمر وانصرفت الى المرسى بهنين وجاءه الخبر بنزول صاحب المرسى تازافي عساكره فأجمل بعدى من تلمسان ذاهبا الى الصحراء على طريق البطحاء وتعذر على ركوب البحر من هذين فأقصرت وتأدى الخبر الى السلطان عبدالعزيز بن أبي مقسم بهنسين وأنهم وديعة احتماها الى صاحب الاندلس تخيل ذلك بعض الغواة وكتب به الى السلطان عبدالعزيز فأخذ من وقته سرية من تازا وتعرضني لاسترجاع تلك الوديعة واستمر هو الي تلمسان ووافقتي السرية بهنين وكشفوا الخبر فلم يفتوا على صحته وحلوني الى السلطان فلقيته قريبا من تلمسان واستكشفتني عن ذلك الخبر فأعلمته بفيه وعفني على مفارقة دارهم فاعتذرت له لما كان من عمر بن عبد

الثاني أن راعي فيها مصاحبة الساطن وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاحتجاج التي لساير الملوك في العالم من مسلم وكافر إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بحسب جهدهم فقوايتها اذا اجتهدت من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع الطبيعية وأشياء من مراعاة الشوك والصبغة ضرورية والاقتداء فيها بالشرع أولاً ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم ومن أحسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما سواد المأمون الرقة ومصر وما بينهما فكتب اليه أبوه طاهر كتابه المشهور عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلاطنه من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والمالوكية وخشعه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة * ونص الكتاب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايله سخطه واحفظ رعتك في الليل والنهار والزما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يصمك الله عز وجل ويخيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب الرفقة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده والزما العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبتهم والحقن لدمائهم والامن لسيدهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل وأنه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عليه ولكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعملك المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على سننها من اسباغ الوضوء لها واقتراح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك وتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك واداب عليها فانها كمال الله عز وجل تنهي عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلافة واقفاء أثر السلف الصالح من بعده وادور عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزومه ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمر دينه وحلاله وحرامه وإتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تملين عن العدل فيما أحبت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان أفضل ما يزين به المرء الفقه في الدين والخطاب له والحث عليه والمعرفة بما يقرب به الي الله عز وجل فانه الدليل على الخير كلمو القائل اليه والآمر به وانتهى عن المعاصي والموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة واجلالاً ودرجات العلى في المعاد مع ما في ظهور الناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والأنسية بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شيء أبين نفعاً ولا أخص أمناً ولا أجمع فضلاً من القصد داعية الي الرشاد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وكذا في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والاجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة وما لم الرشدا والاعادة والاستكثار من البر والسعي له اذا كان يطالب به وجهه الله تعالى ومرضاه ومرافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث الضرر ويحص من الذنوب وأنت لن تحوط نفسك من قائل ولا تصالح أمورك بأفضل منه فاته واعتد به تتم أمورك وتزيد مقدرتك ويصاح عاتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعتك والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستمد به النعمة عليك ولا تتم من أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فان إيقاع الهم بالبراء والظنون السيئة بهم اثم فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه

فيهم يعنيك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم ولا تتخذن عدو الله الشيطان في أمرك معمدافاته انما يكتمن بالليل من
وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم ما ينقص لذادة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة
وتكتفي به ما حبيت كفايته من أمورك وتدعوه الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن
الظن بأصحابك والرافة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء وحياطة
الرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤاتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيى للسنة وأخاص نيتك
في جميع هذا وتفر دقة يوم نفسك تفر من يعلم أنه مسئول عما صنع ومجزي بما أحسن ومؤاخذ بما أساء فان الله
عز وجل جعل الدنيا حرازا وعزا ورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه
الأهدى وأتم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهانون به
ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك في ذلك
بالسنن المعروفة وقوا جانب البدع والشبهات يسلك دينك وتملك مروءتك واذا عاهدت عهدا فوف به واذا وعدت
الخير فأتجزه واقلل الحسنة وادفع بها وأغض عن عيب كل ذي عيب من رعيته واشدد لسانك عن قول الكذب
والزور وابض أهل النعمة فان أول فساد أمورك في عاجلها وأجلها تقريب الكذب والجرأة على الكذب
لان الكذب رأس الماتم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقالها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له
أمر وأجب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشرف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم واتبع بذلك وجه الله
تعالى وأعز أزمرة والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجنب سوء الاهواء والجور واصرف عنب ما رأيك
وأظهر برأتك من ذلك لرعيته وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنهي بك الى سبيل الهدى
واملك نفسك عند الفضل وأثر الحلم والوقار واياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله واياك أن تقول أنا
مسلم أفعل ما شاء فان ذلك سريع الى نقص الرأي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه واليقين
واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتية من يشاء وينزع من يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة الى أحد أسرع
منه الى جهلة النعمة من أصحاب السلاطين والمبسوط لهم في الدولة اذا كفر وانهم الله واحسانه واستطاعوا بما
أعطاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخايرك وكنوزك التي تذخر وتكثير البر والتقوى
واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغالة للمهوفهم واعلم أن الاموال اذا
اكتنزت وادخرت في الخرائن لاتهم واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم تمت
وزكت وصالحت به العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خزانك نفريق
الاموال في عمارة الاسلام وأهله ووفره على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم
وتعهد ما يصاح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجبت المزيدين من الله تعالى وكنت بذلك على
جباية أموال رعيته وخزائنك وأقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أساس لطاعتك وطب نفسا
بكل ما أردت وأجهد نفسك فيما حدثت لك في هذا الباب وليعظم حقتك فيه وانما يبق من المال ما أتفق في سبيل
الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأثمهم عليه واياك أن تنسبك الدنيا وغرورها هول الآخرة
فتهاون بما يحق عليك فان الهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارح
الثواب فان الله سبحانه قد أسغ عليك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل
يثيب بقدر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئ حاسدا ولا ترحم فاجرا ولا تصان
كفورا ولا تهاون عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن عدوا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن
مرايا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن وعدا ولا

الله المستبد عليهم وشهد لي كبير
مجلسه وولى آية و ابن و ليه
و نمرار بن عريف و وزيره
عمر بن مسعود بن منديل
ابن حماد و احتفت بالاطاف
و سألني في ذلك المجلس عن
أمر نجارية و أفهمني أنه يروم
تملكها فهو نعت عليه السليل
في سلك فسر به و أقت تلك
الليلة في الاعتقال ثم أطلقني
من القيد فعدت الى رباط
الشيخ الولي أبي مدين
وزنت بجواره مؤثرا
للتخلى و الانقطاع للعالم
تركته

مشايعة السلطان عبد
العزيز صاحب المغرب على
نبي عبد الواد

و لما دخل السلطان عبد
العزيز الى تلمسان واستولى
عليها و بلغ خبره الى أبي حمو
وهو بالبطحاء فأجفل من
هناك و خرج في قومه
وشيعته من بني عامر ذاهبا
الى بلاد رياح فسرح السلطان
وزيره أبا بكر بن غازي في
المساكر لاتباعه و جمع عليه
أحياء زغبة و المعقل
بأستلاف و ليه و ترمار
و تدبيره ثم عمل السلطان

تذهبن نفرا ولا تظهرن غضبا ولا تباينن رجاء ولا تمشين مرحا ولا تزينن سفها ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للنمام عينا ولا تمتنع عن ظالم رهبة منه أو محابة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا وأكثرن مشاورة الفقهاء واستعملن نفسك بالحلم وخضعن أهل التجارب وذوي العقول والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شيء أسرع فسادا لم استقبلت فيه أمر رعيتك من الشج واعلم أنك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من أوليائك بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشج واعلم أنه أول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا وابقن أن الجود أفضل أعمال العباد فأعده لنفسك خلقا وارض به عملا ومذهبا وتفقد الجدي دو او ينهم ومكاتيبهم وادرعهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقم في قوئك أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانسراحا وحسب ذي السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وعطيته وانصافه وغنايته وشفقتة ويرد وتوسعة فذالك مكرود أحد البايين باسمه فارفض الباب الآخر ولزوم العمل به تلقى ان شأن الله تعالى به نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس له به شيء من الامور لانه ميزان الله الذي يعدل عليه أحوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمّن السبل وينتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقيم الدين ويجرى السنن والشرائع في مجاريها واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن التعلق وامض لاقامة الحدود وأقلل العجلة وابعد عن الغجر والتناق واقع بالقسم وانتفع بجربتك وانتبه في حثك وسدد في منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وأبغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا بحاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر واتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وساط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انها كلها بغير حقها وانظر هذا الحراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاء ورفعة ولا هلة توسعة ومنعة ولعدوه كبتا وغيظا ولا هلا الكفر من معادهم ذلا وضغارا فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئا منه عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مرالحق فان ذلك أجمع لآلتهم والزم ارضاء العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي أهل عملك رعيتك لانك راعيتهم وقيمتهم فخدمهم ما أعطوك من غنهم ونفذه في قوام أمرهم وصلاحتهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالمعنى والعدل بالسياسة والعفاف وه سع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك فلا يشغلك عنه شاغل ولا يعيرك عنه صارف فانك متى آثرته وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوث في عملك واستجرت به المحبة من رعيتك وأعتت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بافضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها اذا عدل وآلة وقوة وعدة فتناهي فيها ولا تقدم عليها شيئا تحمد عاقبة أمرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى

نظره ورأى أن يقدمني أمامه الى بلاد رباح لأوطي أمره وأحملهم على مناصرته وشفاء نفسه من عدوه بما كان السلطان أيس من استباع رباح وتصريفهم فيما يريد من مذهب الطاعة فاستدعاني من خلوتي بالعبادة عند رباط الولي أبي مدين وأنا قد أخذت في تدريس العلم واعتزمت على الانقطاع فأسنى وقرئني ودعاني لما ذهب اليه من ذلك فلم يسعني الا اجابته وخلع علي وحماني وكتب الي شيوخ الزواودة بامثال امري وما لقيه اليهم من أوامره وكتب الي يعقوب بن علي وابن مزني بمساعدتي على ذلك وأن يحاولوا على استخلاص أبي حمو من بين أحياء بني عامر ويجعلوه الي حي يعقوب بن علي فودعته وانصرفت في عاشوراء سنة ثنتين وسبعين فاجتقت الوزير في عساكر دواحياء العرب من المعتل وزغبة على البليحاء ولقيته ودفعت اليه كتاب السلطان

كانك مع كل عامل في عمله معاينا لا موره كلها واذا اردت أن تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فأمنه والاقوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عهده فانه بما نظر الرجل في أمره وقد أتاه على ما هو فافواه ذلك وأعجبه فان لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عايه أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت وأبشره بعد دعوى الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وأفرغ من عمل يومك ولا تؤخره وأكثر مباشرة بنفسك فان أفسد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغل ذلك حتى ترضى منه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت بدنانك ونفسك وجمعت أمر سلطانك وانظر أحرار الناس وذوى الفضل منهم ممن بلوت صفاء طوبيتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالصبر والحفاظة على أمرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واستعمل مؤتمهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا الخلل منهم منافرا وأفر دنفك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه أخفى مسئلة وكل بأمثاله أهل الإصلاح في رعيتك ومهرهم برفع حوائجهم وخلالهم لتنظر فيما يصاح الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء يتماهم وأرأهم واجعل لهم أرواقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعز الله تعالى في العطف عليهم والصلوة لهم يصاح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجر للأمرأ من بيت المال وقدم حملة القبر أن منهم والخافطين لاكثر في الجرائد على غيرهم وانصب لرضى المسلمين دورا توهمهم وقوامير فتونهم وأطباء يعالجون أسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أماتهم تبرمهم وربما تبرم المتصنع لأمور الناس لكثرة ما يرده عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما ينال به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف بحاسن أمور في الماحل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقرى ما يقرب الي الله تعالى ويلتمس رحمته وأكثر الاذن للناس عليك وأرهم وجهك وسكن حراسك واخضع لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف عليهم بحودك وفضلك واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتمس للصناعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مريحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما تري من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتمد في أحوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وبأقامة دينه وكتابيه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعالي سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عملك من الاموال وما يفتقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايتار مكارم الاخلاق ومقاتلتها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذارأى عييا لم تنعمه هيبتك من انتهاء ذلك اليك في ستر واعلامك بما فيه من النقص فان أولئك أنصرا وأليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابتك فوقك لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعيتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصره وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقا للحق والحزم فأمنه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والتمس الثبوت والتمس على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من أحد الا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ولا تضمن المعروف الاعلى ذلك وتنفهم كتابي اليك وأمن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز وجل مع الصالح وأهله وليكن أعظم سبيلك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضاولدته نظاما ولا له عزوا وتمكيننا والملة والذمة عدلا وصلاحا وأنا

وتقدمت أمامه وشيعني
وترماري يومئذ وأوصاني
بأخيه محمد وقد كان أبو
حموقض عليه عندما أحس
منهم بالخلاف وأنهم
يرومون الرحلة الى المغرب
وأخرجه معه من تلمسان
مقيدا واحتمله في معسكره
فأكد على وترماري في
المحاولة على استخلاصه
بما أمكن وبعث مهي ابن
أخيه عيسى في جماعة من
سويديدروني وتقدم الي
أحياء حصين وأخبرهم
فرج بن عيسى بوصية عمه
وترماريهم فنبذوا الي
أبي زيان عهده وبعثوا معه
من أوصاله الى بلاد رباح
ونزل على أولاد يحيى بن على
ابن سباع وتوغلوا به في القفر
واستمرت ذاهبا الى بلاد
رباح فلما انتهت الى المسيلة
ألقيت السلطان بأحسو
وأحياء رباح معسكرين
قريبا من هافي وطن أولاد
سباع بن يحيى من الزاودة
وقد تسايلا اليه وبذل فيهم
العطاء ليجمعوا اليه فلما
سمعوا بمكان من المسيلة
جاءوا الى خدمتهم على طاعة

وقال العجلي كان يختلف عليه في زروابي وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان ثقة الا
أنه كثير الخطأ في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم قلت لابي
إبراهيم أبا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سيئ الحفظ
وقال أبو حاتم محله عندى محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن
خراش في حديثه نكرة وقال أبو جعفر العقيلي لم يكن فيه الاسوء الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شيء وقال
يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردي الحفظ وقال أيضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم
ابن أبي النجود وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو
حسن الحديث وان احتج أحد بان الشيخين أخرجه فنقول أخرجه مقررنا بغيره لأصلا والله أعلم * وخرج
أبو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم بن أبي مرة عن أبي الطفيل عن علي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت
جورا وقطن بن خليفة وان ثقة أحمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا أن العجلي قال حسن
الحديث وفيه تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال أحمد بن عبد الله بن يونس كنا نمر على قطن وهو
مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت امر به وأدعه مثل الكلب وقال الدارقطني لا يحتج به وقال أبو بكر
ابن عياش ما تركت الرواية عنه الاسوء مذهبه وقال الجرجاني زائع غير ثقة انتهى وخرج أبو داود أيضا
بسنداه الى علي رضي الله عنه عن مروان بن المغيرة عن عمر بن أبي قيس عن شعيب بن أبي خالد عن أبي اسحق
النسفي قال قال علي ونظر الى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما روى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه
رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ملاء الأرض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن أبي
قيس عن مطرف بن طريف عن أبي الحسن عن هلال بن عمر سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم
يخرج رجل من وراء التهر يقال له الحرث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطي أو يمكن لأن محمد كما مكنت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال اجابته سكت أبو داود عليه وقال في
موضع آخر في هرون هو من ولد الشيعة وقال السلمي في فيه نظر وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس لا بأس به في
حديثه خطأ وقال الذهبي صدوق له أو هام وأما أبو اسحق الشيباني وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت
أنه اختلط آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذلك رواية أبي داود عن هرون بن المغيرة * وأما
السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجهولان ولم يعرف أبو الحسن الا من رواية مطرف بن طريف
عنه انتهى وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرک من طريق علي بن نقييل
عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة والحفظ
الحاكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه
بصحيح ولا غيره وقد ضعفه أبو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي ابن نقييل عليه ولا يعرف الابن وخرج أبو
داود أيضا عن أم سلمة من رواية صالح أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت
خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيسألهون عن
الركن والمقام فيبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال
أهل الشام وعصائب أهل العراق فيسألهون ثم ينشأ رجل من قريش أخوه الكلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم
وذلك بعث كلب والحية لمن لم يشهد غزوة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس سنة نبهم صلى الله عليه وسلم وبقي
الاسلام بحرانه على الأرض فلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه أبو داود من رواية أبي الخليل

دلهم الطريق وفد أولاد
سباع الذين بعثهم من
المسيبة فلم أشرفوا على الخيم
أغاروا عليه مع غروب
الشمس فأجفل بنوعاصر
وانتهب تخيم السلطان أبي
حور حاله وأمواله ونجا
بنفسه تحت الليل وتمزق
شمل ولده وحرمه حتي
خلصوا اليه بعد أيام
واجتمعوا بقصور مصاف
من بلاد الصحراء وأملأت
أيدي العساكر والعرب
من نهبهم وانطلق محمد بن
عريف في تلك الهمعة
أطلقه الموكلون به وجاء
الى الوزير وأخيه وترمار
وتاقوده بما يجبله وأقام
الوزير أبو بكر بن غازي
بالدوس أياما أراح فيها
وبعث اليه ابن مزني بطاعته
وأرغله من الزاد والعلوفة
وارتحل راجعا الى المغرب
وتخافت بعده أياما عند أهلي
ببسكرة ثم ارتحلت الى
السلطان في وفد عظيم من
الزواودة يقدمهم أبو دينار
أخو يعقوب بن علي
وجاعة من أعيانهم فسابقنا
الوزير الى تلمسان وقدمنا

عن عبد الله بن الحرث عن أم سلمة فتيين بذلك المبهم في الاسناد الاول ورجاله رجال الصحيحين لامطعن فيهم ولا
 مخبر وقد قال انه من رواية قتادة عن ابي الخليل وقاتدة مدلس وقد عنته والمدلس لا يقبل من حديثه الا
 ما صرح فيه بالسماع مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي ثم ذكره ابو داود في ابوابه وخرج ابو داود
 ايضا وتابعه الحاكم عن ابي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن قتادة عن ابي بصرة عن ابي سعيد
 الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني احيى الجبهة اقي الانف يملأ الارض قسطا وعدلا
 كما ملئت ظلما وجورا ملك سبع سنين هذا لفظ ابي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدي منا اهل البيت اشم
 الانف اقي احيى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط يساره وأصبعين من يمينه
 السبابة والاهسام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اه وعمران القطان
 مختلف في الاحتجاج به انما اخرج له البخاري استشهاد الاصل وكان يحيى القطان لا يحدث عنه وقال يحيى بن
 معين ليس بالقوي وقال مرة ليس بشئ وقال أحمد بن حنبل أرجو أن يكون صالح الحديث وقال يزيد بن
 زريع كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القبلة وقال النسائي ضعيف وقال ابو عبيد الآجري سألت
 ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن ومائتة الاخبار اوسمته مرة أخرى ذكره فقال ضعيف اقي في أيام ابراهيم
 ابن عبد الله بن حسن يفتوى شديدة فيها سفك الدماء وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد الخدري
 من طريق زيد العمي عن ابي الصديق التاجي عن ابي سعيد الخدري قال خشيت أن يكون بعض شئ حدث فسلنا
 ابي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان في أمي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا زيدا الشاك قال قانا وما ذاك
 قال سنين قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني قال فيجيء له في توبه ما استطاع أن يحمله هذا لفظ
 الترمذي وقال حديث حسن وقدرى من غير وجه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه
 والحاكم يكون في أمي المهدي ان قصر فسبع والا فسنين اقي فيه نعمة لم يتعموا بمثلها قط تؤتى الارض كلها
 ولا يدخر منه شئ والمسال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيقول خذ انتهي وزيد العمي
 وان قال فيه الدارقطني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد أحمد انه فوق يزيد الراقي وفضل بن
 عيسى الا أنه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا ينجس به وقال يحيى بن معين في رواية أخرى لاشئ وقال
 مرة يكتب حديثه وهو ضعيف وقال الجرجاني تماسك وقال ابو زرعة ليس بقوي واهي الحديث ضعيف
 وقال ابو حاتم ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما يرويه ومن يروى
 عنهم ضعفاء على ان شعبة قد روي عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث الترمذي وقع تفسيره
 لمسا رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر أمي خليفة يحيى
 المسال خيالا بعد عددا ومن حديث ابي سعيد قال من خلفائكم خليفة يحيى المسال حثيا ومن طريق أخرى
 عنهما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المسال ولا يعده انتهى واحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا
 دليل يقوم على أنه المراد منها ورواد الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرابي عن ابي الصديق التاجي عن ابي
 سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يملأ الارض جورا وظلما وعدوانا ثم
 يخرج من اهل بيتي رجلا يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط
 الشيخين ولم يخرجاه ورواد الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن ابي الصديق التاجي عن ابي سعيد
 الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج في آخر أمي المهدي يسقيه الله العيش ويخرج الارض نباتها
 ويعطي المسال سخا وتكثر المساشية وتعظم الامه يعيش سبعا أو ثمانيا يعني حججا وقال فيه حديث صحيح
 الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليله ان بن عبيد لم يخرج له أحد من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان أحدا

على السلطان فوسفنا من
 حبان ونكرته ونزله
 ما بعد المهدي بمسألة ثم جاء
 من بعدنا الوزير أبو بكر
 ابن غازي على الصحراء
 بعد أن مر بقصور بني عامر
 هنالك فخر بها وكان يوم
 قدومه على السلطان يوما
 مشهودا واذن بعده هالوفود
 الزواودة في الانصراف
 الى بلادهم وقد كان ينتظر
 بهم قدوم الوزير ووليه
 وترمارين عريف فودعوه
 وبالسخ في الاحسان
 وانصرفوا الى بلادهم ثم
 أعمل نظره في اخراج أبي
 زيان من بين أحياء الزواودة
 لما خشي من رجوعه
 الى حصين فأمرني في ذلك
 وأطلقني اليهم في محاولة
 انصرافه عنهم فانطلقت
 لذلك وكان أحياء حصين قد
 توجسوا الخيفة من
 السلطان وتشكروا له
 وانصرفوا الى أهاليهم بعد
 صرحهم من غزاتهم مع
 الوزير وبادروا باستدعاء
 أبي زيان من مكانه عند أولاد
 يحيى بن علي وأنزلوه بينهم
 واشتملوا عليه وعادوا الى

تتكلم فيه ثم رواه الحاكم أيضا من طريق أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وأبي هريرة العبدى
عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الأرض جورا وظلما فيخرج
رجل من عترتي فيملك سبعا وتسعا فتملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا
حديث صحيح على شرط مسلم وإنما جعله على شرط مسلم لأنه أخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر
الوراق وأما شيخه الآخر وهو أبو هريرة العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا متهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط
أقوال الأئمة في تضعيفه * وأما الراوي له عن حماد بن سلمة وهو أسد بن موسى ويلقب بأسد السنة وإن قال
البخارى مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به أبو داود والنسائي إلا أنه قال مرة أخرى ثقة لو لم يصنف
كان خيرا له وقال فيه محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الأوسط من رواية أبي الواصل
عبد الحميد بن واصل عن أبي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي أحد بني بهدلة عن أبي سعيد الخدري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من أمي يقول بسني ينزل الله عز وجل له القطر من
السماء ويخرج الأرض بركتها واملأ الأرض منه قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعمل على هذه الأمة سبع
سنين وينزل بيت المقدس وقال الطبراني فيه رواه جماعة عن أبي الصديق ولم يدخل أحد منهم بينه وبين أبي سعيد
أحد إلا بالواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبي سعيد انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم
ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الإسناد من روايته عن أبي سعيد ورواية أبي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان
انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات وأما أبو الواصل الذي رواه عن أبي الصديق فلم يخرج له أحد من
الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه يروى عن أنس وروى عنه شعبة وعطاء بن بشر
وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبل فية من بني هاشم فلما رآهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذرفت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكره فقال أنا أهل البيت اختار الله لنا
الأخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدى بلاء وتشرىدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم
رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون مأسألا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل
من أهل بيتي فيملؤا قسطا كاملا وجورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج انتهى * وهذا
الحديث يعرف عند المحققين بحديث الرايات وي زيد بن أبي زياد رواه قال فيه شعبة كان رفعا عني برفع
الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن الفضيل كان من كبار أئمة الشيعة وقال أحمد بن حنبل لم يكن
بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعيف وقال المعلى جائر الحديث وكان باخراة
يلقن وقال أبو زرعة لين يكتب حديثه ولا يحتج به وقال أبو حاتم ليس بالقوى وقال الجرجاني سمعهم
يضعون حديثه وقال أبو داود لأعلم أحدا ترك حديثه وغيره أحب إلي منه وقال ابن عدي هو من شيعته أهل
الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فلا كثرون على ضعفه وقد صرح
الأئمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات وقال وكيع بن
الجراح فيه ليس بشئ وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال أبو قدامة سمعت أبا أسامة يقول في حديث يزيد عن
إبراهيم في الرايات لو حلف عندى خمسين مينا فاسامة ماضقة أهذا مذهب إبراهيم أهذا مذهب علقمة أهذا
مذهب عبد الله وأورد المعلى هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن ماجه
عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين المعلى عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المهدي من أهل البيت يصلح الله به في ليلة ويأسين المعلى وإن قال فيه ابن معين ليس به بأس

الخلاف الذي كانوا عليه
أيام أبي حمو واشتعل
المغرب الأوسط نارا ونجم
صبي من بيت الملك في
مغراوة وهو حمزة بن علي
ابن راشد فر من معسكر
الوزير بن غازي أيام مقامه
عائيا فاستولى على شلف
وبلاد قومه وبعث السلطان
وزير عمر بن مسعود في
المساكن لئلا يزلته وأما
داؤه وانقطعت أناسك
وحال ذلك ما يدنى وبين
السلطان إلا بالكتاب
والرسالة وبانفى في تلك
الأيام وأنا يسكرة مفسر
الوزير ابن الخطيب من
الاندلس حين توجس
الحيفة من سلطانها بما كان
له من الاستبداد عليه
وكثرة السعاية من البطانة
فيه فأعمل الرحلة إلى
التنوير الغريبة لمطالعها
بأذن سلطانها فلما حاذى
جبل الفتح قبل الفرضة
دخل إلى الجبل ويده عهد
السلطان عبد العزيز إلى
التأديت بقبوله وأجاز البحر
من حينه إلى سبته وسار إلى
السلطان بتامسان وقدم

فقد قال البخاري فيه نظر وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية في التضعيف جدا وأورد له ابن عسدي في الكامل
والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه الاستسكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه
الأوسط عن علي رضي الله عنه أنه قال لا يبي صلى الله عليه وسلم أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله فقال بل منا
بنايحه ثم الله كما نفتح وبنابسته تدون من الشرك وبنابؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما بنألف بين قلوبهم
بعد عداوة الشرك قال علي المؤمنون أم كافرون قال مفتون وكافرانتهى وفيه عبد الله بن طهية وهو ضعيف
معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو أضعف منه قال أحمد بن حنبل روى عن جابر منا كبر وبلغنى
أنه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن الهيثم شيخا أحق ضعيف العقل وكان يقول على في
السحاب وكان يجلس معناه فيصير سحابة فيقول هذا على قدمي في السحاب وخرج الطبراني عن علي رضي الله
تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في
المدن فلا تسبوا أهل الشام ولكن سبوا أنصارهم فان فيهم الأبدال يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من
السماء فيفريق جماعتهم حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي في ثلاث رايات المكثر
يقول هم خمسة عشر ألفا والمقل يقول هم ثمانون ألفا وأما رتهم أمت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها
رجل يعذب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله إلى المسلمين الفهم ونعمتهم وقاصيتهم ودانيتهم اه وفيه عبد الله
ابن طهية وهو ضعيف معروف الحال ورواد الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجوا في روايته ثم
يظهر المشايخ في رد الله الناس إلى الفهم الحو ليس في طريقه ابن طهية وهو اسناد صحيح كذا ذكر وخرج الحاكم
في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه
فسأله رجل عن المهدي فقال على هيأتهم عقد بيده سبعة أقال ذلك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله
قال ويجمع الله له قوما قزعا كقزاع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد
دخل فيهم عدتهم على عدة أهل بدر لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين
جاءوا معه النهر قال أبو الطفيل قال ابن الحنفية أريده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الأخشين قلت
لا جرم والله ولا أدعها حتى أموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى
واسما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارا الذهبي ويونس بن أبي اسحق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو
ابن محمد العبقرى ولم يخرج له البخاري احتجاجا بل استشهدا مع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الذهبي وهو
وأن وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سفيان أن بشر بن مروان قطع
عرقه به قات في أي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية سعد بن
عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد النخعي عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن أنس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحزوة على وجعفر والحسن
والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان أخرج له مسلم فاما أخرج له متابعة وقد ضعفه بعض ووثقه
آخرون وقال أبو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل إلا أن يصرح بالسماع وعلى بن زياد قال الذهبي في الميزان
لا يدرى من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وأن وثقه يعقوب بن أبي شيبة وقال
في ينجي بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لا نراه يفتي في مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان
كان من خش عطاءه فلا يفتي به وقال أحمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعي أنه سمع عرض كتب مالك
والناس يشكرون عليه ذلك وهو ههنا بعد ادماج فكيف سمعها وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم
فيه وخرج الحاكم في مستدرکه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم

عليه ما في يوم مشهود وتلقاه
السلطان من الخطوة
والقريب وادرار النعم بما
لا يهدم بئله وكتب الي من
تلمسان يعرفني بخبره ويلم
بعض العتاب على ما بلغه
من حديثي الاول
بالاندلس ولم يحضرني
الآن كتابه فكان جوابي
عنه مانصه المحدث ولا
قوة الا بالله ولا ارادنا
قضي الله بايدي ونعم
الذخر الايدي والمروة
الوثقى التي أعاقها يدي أسام
عليك سلام التدموم على
المخدوم والخطوع للملك
المتبوع لابل أحبيكم تحية
المشوق للمعشوق والممدوح
للصباح المتباج وأقرر
ما أتم أعلم بصحيح عقدي
فيه من جبي لكم ومعرفتي
بمقداركم وذهابي إلى أبعاد
الغايات في تعظيمكم والتناء
عليكم والاشادة في الآفاق
بما قبلكم دينا معروفا
وسجية راسخة يعلم الله
وكفى بالله شهيدا وهذا كما
في علمكم أسنى ما اختلف
أولا ولا آخر ولا شاهدا
ولا غائبوا أتم أعلم بما تمني

أسمع أنك من أهل البيت ما حدثك بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر لا أذكر لمن يكره قال فقال
 ابن عباس منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي قال فقال مجاهد دين لي هؤلاء
 الاربعة فقال ابن عباس أما السفاح فربما قتل أنصاره وعفان عدوه وأما المنذر أراه قال فانه يعطى المال
 الكثير ولا يتعاطم في نفسه ويمسك القليل من حقه وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان
 يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرهب منه عدوه على مسيرة
 شهر وأما المهدي فانه الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وتأمين البهايم السباع وتاقى الأرض أفلاذ كبدها
 قال قلت وما أفلاذ كبدها قال أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة اه وقل الحاكم هذا حديث صحيح
 الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه واسمعيل ضعيف وابراهيم أبوه وإن
 خرج له مسلم فالأكثر على تضعيفه اه * وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقتل عندكزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الي واحد منهم ثم تطاع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوههم
 قتلاً لم يقتله قوم ثم ذكر شيئاً لا أحفظه قال فاذا رأيتهم فابعدهم ولو حبوا على الخيل فانه خليفة الله المهدي اه
 ورجاله رجال الصالحين إلا أن فيه أباقلة الجرمي وذكر الذهبي وغيره أنه مدلس وفيه سفيان الثوري وهو
 مشهور بالتدليس وكل واحد منهما عن لم يصرح بالسماع فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهوراً
 بالتشيع وعمي في آخر وقته فحفظ قال ابن عدى حدث باحدث في الفضائل ما يوافقه عليها أحد ونسبوا دلي
 التشيع انتهى * وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من
 عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من
 المشرق فيوطئون للمهدي يعني ساطانه قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث على الذي خرجه
 الطبراني في معجمه الاوسط أن ابن لهيعة ضعيف وأن شيخه عمر بن جابر أضعف منه * وخرج البزار في
 مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في
 أمتي المهدي أن قصر فسبع والاقتناع والافتقار تنعم فيها متى نعمة لم ينعموا بآياتها رسل السماء عليهم مدرار ولا
 تدخر الأرض شيئاً من الثبات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي أعطني فيقول خذ قال الطبراني
 والبزار تفرد به محمد بن مروان العجلي زاد البزار ولا نعلم أنه تابعه عليه أحد وهو وإن وثقه أبو داود وابن حبان
 أيضاً ما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة
 ليس عندي بذلك وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدث باحدث وأنا شاهد له
 أكتبها تركها على عمد وكتب بعض أصحابنا عنه كانه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة
 وقال حدثني خليل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم
 حتى يرجعوا إلى الحق قال قلت وكيف يملك قال خمساً واثنين قال قلت وما خمس واثنين قال لأدرى اه وهذا
 السند وإن كان فيه بشير بن نهيك وقال فيه أبو حاتم لا يحتاج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس ولم ينفقوا إلى
 قول أبي حاتم لا يحتاج به إلا أن فيه رجاء بن أبي رجاء البشكري وهو مختلف فيه قال أبو زرعة ثقة وقال يحيى بن
 معين ضعيف وقال أبو داود ضعيف وقال مرة صالح وعلق له البخاري في صحيحه حديثاً واحداً * وخرج
 أبو بكر البزار في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والوسط عن قرعة بن إياس قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لئلا نل الأرض جوراً وظلماً فاذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً من أمي اسمه اسمي واسم أبيه اسم
 أبي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً فلا تمتنع السماء من قطرها شيئاً ولا الأرض شيئاً من نباتها يلبث فيكم
 سبعاً أو ثمانياً أو تسعين سنين اه وفيه داود بن المحبر بن قحزم عن أبيه وهما ضعيفان جداً * وخرج الطبراني

نفسي وأكره شهادة في خفايا
 ضعيفي ولو كنت ذلك فقد
 ساف من حقوقكم وحيل
 أخذكم واجتلاب الحظ
 لو هب القدر لمساعدكم
 وإيتاري بالمكان من
 ساطانكم ودولتكم
 ما يستلين معاطف القلوب
 ويستل سخائم الهوا جس
 فأنا أحاشيكم من استعمار
 نبوة وأخزار وطن ولو
 تعاق معاق ساق حر زرزو
 فاش لله أن يفسدح في
 الخلوص لكم أو يرجح
 سوايكم إنما هي خية
 الفؤاد إلى الخسر واللقاء
 ووالله وجميع ما يقسم به
 ما طاع على مستكنه مني
 غير صديقي وصديقكم
 الملبس كان لي ولكم
 الحكيم الفاضل أبي عبد الله
 الشقوري أعزه الله نقشة
 مصدور ومبائة خلوص اذ
 أنا أعلم الناس بمكانه منكم
 وقد علم ما كان مني حين
 مفارقة ناسان واضمحلال
 أمره من اجتماع الامر
 على الرحلة اليكم والحقوق
 إلى حاضرة البحر للاجازة
 إلى عدوتكم تعرضت فيهم

لهم ووقت بمجال
الظنون حتى تورط في
الهلكة ولولا حسن رأيه
في وثبات بصيرته لكانت
في الهالكين الأولين كل ذلك
شوقا إلى لقاءكم وتمننا
لأنكم فلا تظنوا بالظنون
ولا تصدقوا التوهجات فانا
من قد علمتم صداقة وسدا جنة
وخلصوا واتفاق ظاهر
وباطن أثبت الناس عهدا
وأحفظهم غيبا وأعرفهم
بوزان الأخوان ومزايا
الفضلاء ولا مرمات أخر
كتابي من تلمسان فأني
كنت استشر من استضافني
ربا بخطاب سوا خصوصا
جهتكم لتقديم ما بين الدولتين
من الاتحاد والمظاهرة
واتصال اليد مع إن الرسول
ترددالي وأعلمني اهتمامكم
واهتمام السلطان بولاد الله
باستكشاف ما بهم من حالي
فلم أترك شيئا مما أعلم
تشوقكم إليه الا وكشفت
له قناعه وأمنته على ابلاغه
ولم أزل بسدا يناس المولي
الحليفة لدماي وجذبه
بضجى ساجا في تيار
الشواغل كما علمت القاطعة

في معجمه الأوسط عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار وعلي
ابن أبي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاخي العباس ورجل من الانصار فاغلظ الانصاري للعباس فأخذ
التي صلى الله عليه وسلم بيد العباس ويدعلى وقال سيخرج من صلب هذا فيتملا الأرض جورا وظلما وسيخرج
من صلب هذا فيتملا الأرض قسطا وعدلا فاذا رأيت ذلك فعليكم بالتي التي فانه يقبل من قبل المشرق وهو
صاحب راية المهدي انتهى وفيه عبد الله بن عمر العمى وعبد الله بن لهيعة وهما ضعيفان اه * وخرج
الطبراني في معجمه الأوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يسكن منها
جانب الا تشاجر جانب حتى ينادي مناد من السماء ان اميركم فلان اه وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا
وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما ذكره في ابوابه ورجحه استئناسا (فهذه) جملة الاحاديث
التي خرجها الاثمة في شأن المهدي وخرجوها آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من التقيد الا القليل أو الأقل
منه وربما تمسك المتكبرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندی عن أبان بن صالح بن أبي عياش عن الحسن
البصري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في
محمد بن خالد الجندی انه ثقة وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف
عليه في اسناده فمرة يروى كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادریس الشافعي ومرة يروي عن محمد بن خالد عن أبان
عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان بن
أبي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب
وقد قيل في أن لا مهدي الا عيسى أي لا يتكلم في المهد الا عيسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو الجمع
بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث جريح ومثله من الخوارق * وأما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم
مخوضون في شيء من هذا وانما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنانها نتائج المواجد والاحوال
وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك
من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيخين كاذكر ناد في مذاهبهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام
المعصوم وكثرة التآليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع من الحلول وآخرون
يدعون رجة من مات من الاثمة بنوع النسخ وآخرون منتظرون محي من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون
عود الامر في أهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث أيضا عند
المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول
والوحدانية فشاركو فيها الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الاثمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم أيضا القول بالقطب
والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والتقباء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى
تجدعوا مستند طريقهم في ايس الحرقه أن عليا رضي الله عنه البسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالزام
الطريقة واتصل ذلك عنهم بالخليفة من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة
بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم راحة من التشيع قوية
يفهم منها ومن غيرهما ما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظهر منهم أيضا القول بالقطب وامتلات
كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر وكان بعضهم عليه على
بعض ويتقنه بعضهم عن بعض وكأنه مبني على أصول واهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين
في القرائن وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا أو أكثر من تحكم من هؤلاء
المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب غنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلق التملين

وعبد الحق بن سبعين وابن أبي وأطيل تلميذه في شرحه لكتاب خاتم العليين وأكثر كلماتهم في شأنه الغارز
وأمثال وربما يصرحون في الاقلأ وبصرح مفسر وكلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن
أبي وأطيل أن النبوة بها ظهر الحق والهدي بعد الضلال والعمى وانها تعقب الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم
يعود تنجيها وتكبرا وباطلا قالوا ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب أن يجي
أمر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافاتهم يعقبها الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا
لمساوق من شأن النبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي لهذا
الفاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على أثره والكفر من بعد ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة
الثلاث مراتب الاولى قالوا ولما كان أمر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم
يزاول علمه وجب أن تكون الامامة فيمن هو أخص من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرا كبنى عبد
المطلب واما باطنا فمن كان من حقيقة الآل والآل من اذا حضر لم يقب من هو آله وابن العربي الخاتمي سماه في
كتابه عقائد مغرب من تأليفه خاتم الاولياء وكفى عنه بلينة الفضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين
قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابني يتبأوا كمله حتى اذا لم يبق منه الاموضع لبنة فانا
تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حتى اكملت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة والكاملة ويمثلون
الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء أي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما
كان خاتم الانبياء حائز المرتبة التي هي خاتمة النبوة فكفى الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة بانسبة اليه في الحديث
المذكور وهما على نسبة واحدة فيها فهي لبنة واحدة في التمثيل في النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين
الرتبتين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولبنة الفضة كناية عن
هذا الولي الفاطمي المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء وقال ابن العربي فيما نقل ابن أبي وأطيل عنه
وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون من بعد مضي خ ف ج من الهجرة
ورسم حروف ثلاثة يريد عددها بحساب الجمل وهو الحاء المعجمة بواحدة من فوق ستمائة والفاء اخذت القاف
بثمانين والحاء المعجمة بواحدة من أسفل ثلاثة وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهي آخر القرن السابع ولما
انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لهم على أن المراتب تلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده
وأن خروجه يكون بعد العشر والسبع مائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن
العربي سنة ثلاث وثمانين وست مائة فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا أن خروج الدجال
يكون سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة من اليوم الحمدي وابتداء اليوم الحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم الى تمام ألف سنة قال ابن أبي وأطيل في شرحه كتاب خلع النعيلين الولي المنتظر القائم بأمر الله المشار
اليه محمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي ابعثه روحه وحبيبه قال صلى الله عليه وسلم
العالم في قومه كالنبي في أمته وقال علماء أمق كانباء بني اسرائيل ولم تزل البشرية تتابع به من أول اليوم الحمدي
الي قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت بنباشير المشايخ بتقريب وقتها وازدلاف زمانه منذ انقضت
الي هلم جرا قال وذكر الكندي أن هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويحدد الاسلام ويظهر
العدل ويقتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومية فيفتحها ويسير الى المشرق فيفتحه ويفتح القسطنطينية ويصير
له ملك الأرض فينقوي المسلمون ويملوا الاسلام ويظهر دين الخليفة فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت
صلاة قال عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت وقال الكندي أيضا الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتوح
بها سور القرآن جملة عددها سبع مائة وثلاثة وأربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر فيصالح

حتى عن الفكر وسقطت
الى محل مجد خدمتي من
هذه القاصية أخبار
خلوصكم الى المغرب قبل
فصول راحتي الى الحضرة
غير خلية ولا ملثمة ولم
يتعين ما في العاص ولا مستقر
النوى فأرجأت الخطاب
الى استجلائها وأفتدت من
كتابكم العزيز الجارى على
سنن الفضل ومذاهب المجد
ما كيفه القدر من بديع
الحال لديكم وعجيب تاني
أملككم الشار فيه كما كنا
نستبعده عند المفاوضة
فخدمت الله لكم على
الخلاص من ورطة الدول
عسى أحسن الوجوه
وأجل المخارج الحميدة
العواقب في الدنيا والدين
العائدة بحسن المآل في
الخفاف من أهل وولد
ومتاع وأثر بعد أن رضتم
جروح الايام وتوقلت قلل
العز وقدتم الدنيا بخدا فيرها
وأخذتم بأفاق السماء على
أهلها وهنيأ فقد نالت
نفسكم التواقة بعد أمانها
ثم ناقت الى ما عند الله
وأشهد لما ألهتم

للاعراض عن الدنيا ونزع اليد من حطامها عند الاصحاب والاقبال ونهي الآمال الاجنبا وعناية من الله وحبا واذا أراد الله أمرا يسر أسبابه واتصل بي ما كان من مخفي السيادة المسولية بكم واهتزاز الدولة لتقومكم ومثل هذه الخلافة أبدىها الله من يثار على المفاخر ويثار بالاخيار وليت ذلك عند اقبالكم على الحظ وأنسكم باجتلاء الآمال حتي يحسن المتاع ويتجمل السرير المملوك بمكانكم فالظن ان هذا الباعث الذي هزم الآمال ونبتذ الحظوظ (١)

المفارق العزيز سؤمكم الله حتي يأخذ يديكم الي قضاء المجاهدة ويستوي بكم على جدد الرياضة والله يهدي لقي هي أقوم وكافي بالاقدام نقلت والبصائر بالهام الحق صقلت والمقامات خلقت بعد ان استقبلت والعرفان شيمة أنواره وپوارقه والوصول (١) ياض بالاصل

الدنيا وتمشي الشاة مع الذئب ثم بقي ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستين عاما بعد حروف المعجم وهي قى ن دولة العدل منها أربعون عاما قال ابن أبي واطيل وماورد من قوله لامهدي الاعبي فغناه لامهدي تساوي هدايته ولايته وقيل لا يتكلم في المهد الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريج وغيره وقد جاء في الصحيح أنه قال لا يزال هذا الامر قائما حتي تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة يعني قرشيا وقد أعطي الوجود أن منهم من كان في أول الاسلام ومنهم من سيكون في آخره وقال الخلافة بعدى ثلاثون أو احدى وثلاثون أو ستة وثلاثون وانقضاءها في خلافة الحسن وأول أمر معاوية فيكون أول أمر معاوية خلافة أخذنا بأوائل الاسماء فهو سادس الخلفاء وأما سابع الخلفاء فعمربن عبدالعزيز والباقر خمسة من أهل البيت من ذريته علي يؤيده قوله انك لذوقر نهاري دالامة أي انك الخليفة في أولها وذريتك في آخرها وربما استدل بهذا الحديث القائلون بالرجعة فالاول هو المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفق كنوزها في سبيل الله وقد أنفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي يهلك قيصر وينفق كنوزه في سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية فعم الأير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر أربعين وفي بعض الروايات سبعين وأما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقين من أهله القائمين بامره من بعده علي جميعهم السلام قال وذكر أصحاب النجوم والقرانات ان مدة بقاء أمره وأهل بيته من بعده مائة وتسعة وخمسون عاما فيكون الامر على هذا جاريا علي الخلافة والعدل أربعين أو سبعين ثم تختلف الاحوال فتكون ملكا تنهى كلام ابن أبي واطيل وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر من اليوم المحدث حين تمضي ثلاثة أرباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات اذا وصل القران الي الثور علي رأس حضيخ بحر فين (١) الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية وتسعين وستمائة من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الأرض ماشاء الله تعالي قال وقد ورد في الحديث ان عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين مزعفرتين صفراوين مصرتين واضعا كفيه على أجنحة الملكين لهمة كما نما خرج من ديماس اذا طأ طأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جنان كالؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث آخر مبروع الخلق والى البياض والحرة وفي آخره يتزوج في القرب والقرب دلو البادية يريد أنه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد أربعين عاما وجاء أن عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء أن أبابكر وعمر يحشران بين يديين قال ابن أبي واطيل والشيعة تقول انه هو المسيح مسيح المسايخ من آل محمد قتل وعليه حمل بعض المتصوفة حديث لامهدي الاعبي أي لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الي الشريعة المحمدية نسبة عيسى الي الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم النسخ الي كلام من أمثال هذا يعمنون فيه الوقت والرجل والمكان بادلة واهية وتحكمات مختلفة فينقض الزمان ولا أثر لشي من ذلك فبرجعون الي تجسيد رأي آخر متحل كما تراه من مفهومات لغوية وأشياء تخيلية وأحكام نجومية في هذا انقضت أعمار الاول منهم والآخرون أما المتصوفة الذين عاصروا هم فأكثروا بشيرون الي ظهور رجل مجد لا يحكم الله ومراسم الحق ويتحنون ظهوره لمقرب من عصرنا فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعنا من جماعة كبرهم أبو يعقوب البادسي كبير الاولياء بالمغرب كان في أول هذه المائة الثامنة وأخبرني عنه حافده صاحبنا أبو يحيى زكريا عن أبيه أبي محمد عبد الله عن أبيه الولي أبي يعقوب المذكور هذا آخر ما اطلعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما

(١) الضاد عند المغاربة بتسعين والصاد بستين قاله نصر اه

أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه ببلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين والملك الوجود شوكة عصية تظهره وتدفع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أريناك هناك وعصية الفاطميين بل وقرش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجدتهم آخرون قد استعلت عصيتهم على عصية قرش الأماقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهزم عصابات بدوية متفرقون في مواطنهم وأما رثهم وآرائهم بياغون الأفا من الكثرة فان صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصية وافية بظهور كلمته وحمل الناس عليها وأما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة وأما ما تدعيه العامة والاعمار من الدهماء من لا يرجع في ذلك إلى عقل يهديه ولا علم يفيد فيجيئون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقليد لما اشتهر من ظهور فاطمي ولا يعلمون حقيقة الأمر كما بيناه وأكثروا يمجحون في ذلك القاصية من الممالك وأطراف العمران مثل الزاب بأفريقية والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة لما كان ذلك الرباط بالمغرب من المثلثين من كدالة واعتقادهم أنه منهم أو قائمون بدعوته زعماء المستدلهم الإغربة تلك الأمم وبعدهم على يقين المعرفة بأحوالهم من كثرة أوقلة أو ضعف أو قوة ولبعد القاصية عن منال الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى عندهم الأوهام في ظهوره هناك بخروجهم عن رتبة الدولة ومنال الأحكام والقهر ولا يحصل لديهم في ذلك إلا هذا وقد قصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتليس بدعوة يمه تمامها وسواسا وحما قتل كثير منهم أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبي قال خرج رباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوزير نسبة إلى توزر مصغرا وادعى أنه الفاطمي المنتظر واتبه الكثير من أهل السوس من ضالة وكرولة وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فذس عليه السكسوى من قتله ياتوا نخل أمره وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالبباس وادعى أنه الفاطمي واتبه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس غنوة وحرق أسواقها وارتحل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا الغلط وأخبرني شيخنا المذكور بغربية في مثل هذا وهو أنه يحب في حجه في رباط العباد وهو مذهب الشيخ أبي مدين في جبل تلمسان المطل عليها رجلا من أهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعا معظما كثير التلميذ والخدام قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان قالوا تآكدت الصحبة بيننا في ذلك الطريق فأنكشف لي أمرهم وأنهم إنما جاؤا من موطنهم بكر بلاء لطلب هذا الأمر واتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لأصحابه ارجعوا فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا يدل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم إلا بالعصية المكافئة لاهل الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه وبقي عليه أن يستيقن أن عصية الفواطم وقرش أجمع قد ذهبت لاسيما في المغرب إلا أن المتعصب لشأنه لم يترك لهذا القول والله يعلم وأنه لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريرية نزعة من الدعاء إلى الحق والقيام بالسنة لا يتحولون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وإنما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتفسير المنكر ويعتق بذلك ويكثر تابعه وأكثروا ينعون باصلاح السابلة لما أن أكثر فساد الأحراب فيها لما تقدمناه من طبيعة معاشهم في أخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية فيهم

انكشفت حقائقه لما ارتفعت عوائقه وأما حالي والظن بكم الاهتمام بها والبحث عنها فغير خفية بالباب المولوى أعلاه الله ومظهرها في طاعته ومصدرها عن أمره وتصريفها في خدمته والزعيم أنى وقت المقام الحمود في التشيع والانجاش واستمالة الكافة إلى المناصرة ومخالصة القلوب للولاية وما يتشوفه مجدهم ويتطلع إليه فضلهم وأما اهتمامكم في خاصتها من النفس والولد فجهينة خبره مؤدى كتابي اليكم ناشي تأديبي وثمره ترتبي فسهلوا الأذن وأنبوا له جانب التجوى حتى يؤدى ما عندكم وما عندي وخذوه بأعقاب الاحاديث إن يقف عند مبادئها واثنونوه علي ما تحنون فليس بضنين على السر وتشوق بما يرجع به اليكم سيدي وصديقي وصديقكم المقرب في المجد والفضل المساهم في الشدائد كبر المغرب وظهير الدولة أبو

لم تستحكم لم أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين أنما يقصدون بها الاقصار عن الفارة والتهب لا يعقلون في توبتهم وأقبالهم إلى مناجي الديانة غير ذلك لأنها المعصية التي كانوا عليها قبل المقرة ومنها توبتهم فتجد ذلك المتدخل بالدعوة والقائم بزعمه بالنسبة غير متمتعين في فروع الاقتداء والاتباع أنما ديههم الاعراض عن التهب والغبى وافساد السالبة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقضي جهدهم وشتان بين هذا الأخذ في اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فاتفاقهما ممتنع لا تستحكم له صبغة في الدين ولا يكمل له زرع عن الباطل على الجسلة ولا يكثرون ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه ولا يتي في نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بأفريقية لرجل من كهب من سليم يسمى قاسم بن مرة بن أحمد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان أشد ديناً من الاول وأقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب أمره تابعه كما ذكرناه حسبما يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ويبتلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا من بعدهم شيء من أمرهم انتهى

٥٤ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر *

اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كمرقة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول وتفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة البشر مجبولون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام والاخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفه ولقد نجد في المدن صنفان من الناس يتجولون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتغد وعليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والحياه والمعاش والمعاشره والعداوة وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الخاسب ونظري في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات الفاشية في الامصار لما تقر في الشريعة من ذم ذلك وأن البشر محجوبون عن الغيب الامن أطلع الله عليه من عنده في نوم أو ولاية أو أكثر ما يعتنى بذلك ويتطلع إليه الامراء والملوك في آماد دولتهم ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم اليه وكل أمة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يتحدثون أنفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمي مثل ذلك الحدنان وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد أخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق وسطيح في تأويل رؤيا ربعة بن نصر من ملوك اليمن أخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تأويل سطيح لرؤيا الموبذان حين بعث اليه كسري بهامع عبد المسيح وأخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جيل البربر كهان من أشهرهم موسى بن صالح من بني يفرن ويقال من غمرة وله كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانهم وفيها حدنان كثير ومعظمه فيما يكون لزانة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين أهل الحيل وهم يزعمون تارة أنهم ولي وتارة أنه كاهن وقد يزعم بعض من اعلمهم أنه كان نبيا لان تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله أعلم وقد يستند الحيل إلى خبر الانبياء ان كان لعهدهم كما وقع لني اسرائيل فان أنبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عند ما ينوهم في السؤال عنه * وأما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع إلى الدولة وأعمارها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثارا منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بن اسرائيل مثل كعب الاحبار

يحيى بن أبي مدين كان الله له في شأن الولد والخلف تشوق الصديق لكم الضنين على الايام بقلامة الظفر من ذات يديكم فأطلعوه طلع ذلك ولا يهكم بالفرار الواقع حس فالسلطان كبير والامر جميل والعدو الساعي قاتل حقير والنية صالحة والعمل خالص ومن كان له كان الله له واستطلاع الرئاسة المرتبة الكافلة كافأ الله يده اليضاء عنى وعنكم (١) من أحوالكم استطلاع من يسترجع وزانكم ويشكر الزمان على ولائه بملككم وقد قررت من علومنا بكم وبعد شأوكم وغريب منحاكم ما شهدت به آثاركم الشائعة الخالدة في الرئاسة المتأدية على السنة الصادر والوارد من الكافة من حمل الدولة واستقامة السياسة ووقفته على سلامكم وهو يراكم بالتحية ويساهمكم بالدعاء وسلامي على سيدي وفلذة جدي ومحل ولدى الفقيه أنزكى الصدر أبي الحسن (١) يابض بالاصل

وذهب بن منبه وأمثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر ما ثورة وتأويلات محتملة ووقع لجمعهم وأمثاله من
 أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم بالكشف عما كانوا عليه من الولاية وإذا كان مشله لا ينكر من
 غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعتابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم إن فيكم محدثين فهم أولى الناس بهذه الرتب
 الشريفة والكرامات الموهوبة وأما بعد صدر الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب
 الحكماء إلى اللسان العربي فكثر مقتدهم في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر الأمور العامة من القرائنات
 وفي المواليذ والمسايل وسائر الأمور الخاصة من الطوالع لها وهي شكل الفلك عند حدوثها فلذلك كرا الآن ما وقع
 لاهل الاثر في ذلك ثم ترجع لكلام المنجمين * أما هسل الاثر فلهم في مدة الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في
 كتاب السهيل فانه نقل عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة ونقض ذلك بظهور كذبه
 ومستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة ولم يذكر ذلك دليلا وسره والله
 أعلم تقدير الدنيا بأيام خلق السموات والارض وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله وان يوما عند ربك كألف
 سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجلكم في أجل من كان قبلكم
 من صلاة العصر إلى غروب الشمس وقال بعث أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقدر ما بين
 صلاة العصر وغروب الشمس حين صيرورة ظل كل شيء مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك وصل
 الوسطى على السبابة فتكون هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها وهو خمسمائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم
 لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف وخمسمائة سنة
 وعن وهب بن منبه أنها خمسة آلاف وستمائة سنة أعني الماضي وعن كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة
 قال السهيل وليس في الحديثين ما يشهد بشئ مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فأما قوله لن يعجز الله أن
 يؤخر هذه الامة نصف يوم فلا يقتضي في الزيادة على النصف وأما قوله بعث أنا والساعة كهاتين فأنما فيه
 الإشارة إلى القرب وأنه ليس بينه وبين الساعة شيء غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيل إلى تعيين أمد الملة من
 مدرك آخر لوساعده التحقيق وهو أنه جمع الحروف المقطعة في أوائل السور بعد حذف المكرر قال وهي أربعة
 عشر حرفا يجتمعها قولك ألم يسطع نص حق كرهه فأخذ عددها بحساب الجمل فكان سبعمائة وثلاثة
 (١) أضافه إلى المنقضي من الألف الآخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يعد ذلك أن يكون من مقتضيات
 هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه والذي حمل السهيل على ذلك
 إنما هو ما وقع في كتاب السير لابن اسحق في حديث ابنه أخيط من أحبار اليهود وهما أبو ياسر وأخوه جحي
 حين سمعا من الأحرف المقطعة ألم وتأولاها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت إحدى وسبعين فاستقلا المدة
 وجاء جحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال المص ثم استزاد الرثم استزاد المر فكانت
 إحدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال قد لبس علينا أمرك يا محمد حتى لا ندري أقليل أعطيت أم كثير أتم
 ذهبوا عنه وقال لهم أبو ياسر ما يدريكم لعله أعطى عددها كلها تسعمائة وأربع سنين قال ابن اسحق فزل قوله
 تعالي منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات اه ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد
 لأن دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية وإنما هي بالتواضع والاصطلاح الذي
 يسمونه حساب الجمل نعم أنه قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس أبو ياسر وأخوه جحي ممن يؤخذ
 رأيهم في ذلك دليلا ولا من علماء اليهود لأنهم كانوا بادية بالحجاز غلغل الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم
 (١) هذا العدد غير مطابق كأن المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وإنما المطابق للحروف المذكورة
 ٦٩٣ وهو الموافق لما سبذكره عن يعقوب الكندي قاله نصر اه

نجلكم أعزاه الله وقد وقع
 منى موقع البشرى حلوله
 من الدولة بالمكان الغنيز
 والرتبة الناهية والله يلحفكم
 جميعا رداء العافية والستر
 ويمهد لكم محل النقطه
 والامن ويحفظ عليكم
 ما أسبغ من نعمته ويجريكم
 على عوائد لطفه وعنايته
 والسلام الكريم يخصكم
 من الحب الشاكر الداعي
 الشائق شيعه فضلكم عبد
 الرحمن ابن خلدون ورحمة
 الله وبركاته في يوم الفطر عام
 اثنين وسبعين وسبعمائة
 وكان بعث إلى مع كتابه
 نسخة كتابه إلى سلطانه
 ابن الأحمر صاحب
 الاندلس عند ما دخل
 جبل الفتح وصار إلى إيالة
 بنى مرين فخطبه من هنالك
 بهذا الكتاب فرائت أن
 أثبتة هنا وإن لم يكن من
 غرض التأليف لغرابته
 ونهايته في الجودة وأن مثله
 لا يهمل من مثل هذا
 الكتاب مع ما فيه من زيادة
 الاطلاع على أخبار الدول
 في تفاصيل أحوالها ونص
 الكتاب

بانوا فسن كان باصيا
 يكي
 هذى ركاب السرى بسلا
 شك
 فمن ظهو رالركاب
 معمة
 الى بطون الرى الى
 الفلك
 تصدع الشم مثل
 ما المحدث
 الى صبوب جواهر
 السالك
 من النوى قبل لم ازل
 حذرا
 هذا النوى جعل مالك
 الملك
 مولاي كان الله لكم وتولي
 امركم اسلم عليكم سلام
 الوداع وأدعو الله في تيسر
 اللقاء والاجتماع من بعد
 التفرق والانصداع
 وأقرر لديكم ان الانسان
 أسير الاقدار مسلوب
 الاختيار متقلب في حكم
 الخواطر والافكار
 وأن لا بد لكل أول من
 آخروا أن التفرق لما لزم
 كل اثنين بموت أو حياة ولم
 يكن منه بد كان خير أنواعه
 الواقعة بن الاحباب

ووفقه كتابهم وماتهم وانما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تلتفت العوام في كل ملة فلا يفتقر للسبيل دليل على ما ادعاه
 من ذلك ووقع في الملة في حدثان دولتها على الخصوص مسند من الأثر اجمالى في حديث خرجه أبو داود عن
 حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن أبي مرزوق عن عبد الله بن فروخ عن أسامة بن
 زيد الليثي عن أبي قيس بن ذؤيب عن أبيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما أدري أنسى أم أنسى أم تناسوه والله
 ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائدة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا
 باسمه واسم أبيه وقيته وسكت عليه أبو داود وقد تقدم أنه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا
 الحديث اذا كان صحيحا فهو محمل ويقتدر في بيان اجماله وتعيين مبهماته الى آثار أخرى مجودا سانيدها وقد وقع
 استناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة أيضا قال قام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث عنه حفظه من
 حفظه ونسبه من نسبه قد علمه أصحابه هؤلاء اه ولفظ البخارى ما ترك شيئا الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب
 الترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بهار ثم قام
 خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسبه من نسبه اه وهذه الاحاديث كلها
 محمولة على ما ثبت في الصحيحين من أحاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المهود من الشارع صلوات الله وسلامه
 عليه في أمثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تفردها أبو داود وفي هذا الطريق شاذة منكروا مع أن الأئمة اختلفوا
 في رجاله فقال ابن أبي مرزوق في ابن فروخ أحاديثه منكرا وقال البخارى يعرف منه وينكر وقال ابن عدى
 أحاديثه غير محفوظة وأسامه بن زيد وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فانما خرج له البخارى استشهاده
 وضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وأبو قيس بن ذؤيب مجهول
 فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابن داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذا كما مر وقد يستدلون
 في حدثان الدول على الخصوص الى كتاب الجفر ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والتجوم
 لا يزيدون على ذلك ولا يبرفون أصل ذلك ولا مستنداه واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هرون بن سعيد
 العجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما يقع لاهل البيت على العموم ولبعض
 الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك الجفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذى يقع
 لثلاثهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي وكتبه وسماه الجفر باسم
 الجلد الذي كتب منه لان الجفر في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير
 القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه
 وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحها دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه
 أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات وقد صرح عنه أنه كان يحذر بعض قرأته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول وقد
 حذر يحيى بن عمارة من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم
 فما ظنك بهم علما ودينا وآثارا من النبوة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة وقد ينقل بين
 أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى أحد وفي أخبار دولة العبيدين كثير منه وانظر ما حكاه ابن
 الرقيق في لقاء أبي عبد الله الشيعي لعبيد الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثاه به وكيف بشاه الى ابن حوشب
 داعيتهما باليمن فأمره بالخروج الى المغرب وبث الدعوة فيه على علم لفته أن دعوته تتم هناك وان عبيد الله لما بين
 المهدي بعد استفحال دولتهم بافر بقة قال بنينا لياليتصمها القواطم ساعة من نهار وأراه من موقف صاحب الحمار
 أنى يزيد بالمهدية وكان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبر يلوغه الى المكان الذى عينه جده عبيد الله فأيقن

بالظفر وبرز من البلد فهزمه واتبه الي ناحية الزانب فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عندهم كثيرة * وأما
المنجمون فيستندون في حد ثان الدول الي الاحكام النجومية أما في الامور العامة مثل الملك والدول فمن
القرانات وخصوصا بين العلويين وذلك أن العلويين زحل والمشتري يقتربان في كل عشرين سنة مرة ثم يعود
القران الي برج آخر في تلك المثلثة من الثلاث الايمن ثم بعده الي آخر كذلك الي أن يشكر في المثلثة الواحدة نتي
عشرة مرة تستوي بروجه الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوي في
المثلثة بنتي عشرة مرة وأربع عودات في مائتين وأربعين سنة ويكون اتقائه في كل برج على الثلاث الايمن وينتقل
من المثلثة الي المثلثة التي تليها اعني البرج الذي يلي البرج الاخير من القران الذي قبله من المثلثة وهذا القران الذي
هو قران العلويين ينقسم الي كبير وصغير ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك الي أن
يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثني عشرة مرة وبعد
مائتين وأربعين سنة ينتقل الي مثلثة أخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج وبعد عشرين سنة يقتربان
في برج آخر علي ثلثيه الايمن في مثل درجه أو دقائقه مثال ذلك وقع القران أول دقيقة من الحمل وبعد عشرين
يكون في أول دقيقة من القوس وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير
ثم يعود الي أول الحمل بعد ستين سنة ويسمي دور القران وعود القران وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية
الي الترابية لانها بعد هذا قران ووسطه ينتقل الي الهوائية ثم المائية ثم يرجع الي أول الحمل في تسعمائة
وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير يدل على عظام الامور مثل تغيير الملك ولدولة واتقال الملك من قوم الي
قوم والوسط على ظهور المتغلبين والطالين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن أو
عمرانها ويقع أثناء هذه القرانات قران التحسين في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمي الرابع ورج
السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريح معظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء
وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء والقحط ويدوم ذلك أو ينهي على قدر السعادة
والخساسة في وقت قرانها على قدر تيسير الدليل فيه قال ابن جراس أحد الحاسب في الكتاب الذي ألفه لنظام
الملك ورجوع المريح الي القرب له أثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليها فالملوك الذين كان عند قران العلويين
برج القرب فلما رجع هناك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض في أهل العلم والدين ونقصت أحوالهم
أوربما انهم بعض بيوت العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من بني أمية والمتوكل من
بني العباس فاذا رويت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت في غاية الاحكام * وذكر شاذان البلخي أن المسئلة
تنتهي الي ثلثمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال أبو معشر يظهر بعد المائتين والخمسين منها اختلاف
كثير ولم يصح ذلك وقال جراس رأيت في كتب القدماء أن المنجمين أخبروا كسرى عن ملك العرب
وظهور النبوة فيهم وأن دليلهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك فيهم أربعين سنة وقال أبو معشر في كتاب
القرانات القسمة اذا انتهت الي السابعة والمشر من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج
القرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقي
من درجات شرف الزهرة وهي احدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ومدة ذلك ستمائة وعشرين سنة وكان
ظهور أبي مسلم عند اتقال الزهرة ووقع القسمة أول الحمل وصاحب الجند المشتري وقال يعقوب بن اسحق
الكندي ان مدة الملة تنتهي الي ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران الملة في ثمان
وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها
ستون فيكون ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال وهذه مدة الملة باتفاق الحكماء ويعضده الحروف الواقعة في أول

ما وقع على الوجوه الجميلة
البريئة من الشرور ويعلم
مولاي حال عبده منذ
وصل اليكم من المغرب
بولدكم ومقامه لديكم
بحال فائق ولولا تعليمكم
ووعدكم وارقب اللطائف
في قلبك قلبكم وقطع
نواحل الايام حريصا على
استكمال سنكم ونهوض
ولدكم واضطلاعكم بأمركم
وتمكن هدة وطنكم وما
تجمل في ذلك من ترك
غرضه لغرضكم وما استقر
بيده من عهدكم وأن
العبد الآن تسبب لكم في
الهدنة من بعد الظهور
والعز ونجح السعي وتأتي
لسنين كثيرة الصلح ومن
بمدان لم يبق لكم بالاندلس
مشغب من القرابة وتحرك
لمطالعة الثغور الغريبة
وقرب من فرضة الحجاز
واتصال الارض ببلاد
المشرق لطرقه الافكار
وزعزت صبره رياح
الحواطر وتذكر أشرف
العمر على التمام وعواقب
الاستغراق وسيرة
الفضلاء عند شمول

الياض فغلبته حال شديدة
منمت التعشق بالشمل
الجميع والوطن المليح
والجاء الكبير والسلطان
القابل النظر وعمل
بمقتضى قوله موتوا قبل أن
تموتوا فان سحت الحال
المرجوة من امداد الله
تقلت الاقدام الى امام
وقوي التعلق بعروة الله
الوثقى وان وقع العجز أو
اقضح العزم فانه يعاملنا
بلطفه وهذا المرتكب
مرام صعب لكن سهله
عليه أمور منها ان
الانصراف لما يمكن منه
بدلم يتعين على غير هذه
الصورة اذ كان عندكم من
باب الحال ومنها ان مولاي
لوسمح لي بفرض
الانصراف لم تكن لي قدرة
هلى موقف وداعه لا والله
ولكان الموت أسبق الى
وكفى بهذه الوسيلة الحسنة
التي يعرفها وسيلة ومنها
حرصي على أن يظهر
صدق دعواي فيما كنت
أهتف به وأظن اني
لأصدق ومنها اغتنام
المفارقة في زمن الامان

السور بحذف المكرر واعتباره بحساب الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السيلي والفالب أن الأول هو
مستند السيلي فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هرمنافريد الحكيم عن مدة أردشير وولده ملوك الساسانية فقال
دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطي أطول السنين وأجودها أربع مائة وسبعا وعشرين سنة ثم زيد الزهرة
وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في
شرفها فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة وسأل كسرى أنوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج
الملك من فارس الى العرب فاخبره أن القائم منهم يولد لخمس وأربعين من دولته وملك المشرق والمغرب والمشتري
يعوض الى الزهرة وينتقل القران من الهوائية الى العقرب وهو ماني وهو دليل العرب فهذه الأدلة تقضي للملّة
بمدة دور الزهرة وهي ألف وستون سنة وسأل كسرى أبرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر
وقال نوفيل الرومي المنجم في أيام بني أمية أن مدة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعمائة وستين سنة فاذا عاد القران
الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملّة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملّة فحينئذ ما أن يفترا العمل به أو
يتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس واقفوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والثار
حتى نهلك سائر المكنونات وذلك عند ما يقطع قلب الاسد أربعين درجة التي هي حد المربخ وذلك بعد مضي
تسعمائة وستين سنة وذكر جراس أن ملك زابلستان بعث الى المأمون بحكيمه ذوبان أخفه به في هدية وأنه تصرف
للمأمون في الاختبارات بحروب وأخيه وبعقد اللواء لظاهره وان المأمون أعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فاخبره
بانقطاع الملك من عقبه وأتصافه في ولد أخيه وان العجم يتغلبون على الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون
ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من شمال المشرق فيملكونه الى الشام والفرات وسيحون وسيملكون
بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المأمون من أين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن أحكام صهبن داهر
الهندي الذي وضع الشطرنج قلت والترك الذين أشار الى ظهورهم بعد الديلمهم السلاجوقية وقد انقضت
دولتهم أول القرن السابع قال جراس وانتقال القران الى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين
وثم ثمانية ايزدجرد وبعدها الى برج العقرب حيث كان قران الملّة سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو
أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملّة قال وتحويل السنة الاولى من القران الاول في المثلثات
المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثم ثمانية ولم يستوف الكلام على ذلك * وأما مستند المنجمين في دولة
على الخصوص من القران الاوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها من
العرمان والقائمين بها من الامم وعدد ملوكهم وأسمائهم وأعمارهم ونحلهم وأديانهم وعوائدهم وخرابهم كما ذكر
أبو مشر في كتابه في القرائن وقد توجد هذه الدلالة من القران الاصغر اذا كان الاوسط دال عليه فمن هذا
يوجد الكلام في الدول * وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في القرائن
الكائنة في الملّة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حسد ثمان دولة
بني العباس وانها نهايته وأشار الى اقراضها والحادثة على بغداد انها تقع في اتصاف المائة السابعة وأن بانقراضها
يكون اقراض الملّة ولم تقف على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي
طرحها هلا كملك التتر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جزء
منسوب الى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر أنه وضع لبني عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك
الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حديثه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد
الكندي منجمون وكتب في الحديث وانظر ما نقله الطبري في أخبار المهدي عن أبي بديل من أصحاب صنائع
الدولة قال بعث الى الربيع والحسن في غزاهما مع الرشيد أيام أبيه فحشهما جوف الليل فاذا غداهما كتابا من

كتب الدولة يعني الحدنان واذامدة المهدي فيه عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدي وقدمضى من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيم اليه نفسه قالاف الحيلة فاستدعيت غنيسة الوراق مولى آل بديل وقات له انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشر أربعين ففعل فوالله لولا انى رأيت العشرة في تلك الورقة والاربعين في هذه ما كنت أشك أنها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدنان الدول منظوما ومنشورا ورجز اما شاء الله أن يكتبوه وبأيدى الناس متفرقة كثير منها وتسمى الملاحم وبعضها في حدنان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلها منسوبة الى مشاهير من أهل الخليفة وليس منها أصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب اليه فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى الرأى وهي متداولة بين الناس ونحسب العامة أنهم من الحدنان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيو خنأها مخصوصة بدولة ننتونة لان الرجل كان قيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من يدمو الى بني حود وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بيد أهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبعة او لها

طربت وما ذاك معنى طرب * وقد يطرب الطائر المغتضب

وما ذاك معنى لهو أو أراه * ولكن لتذكر بعض السبب

قريبان خمسمائة بيت أو ألف فيما يقال ذكر فيها كثير من دولة الموحدين وأشار فيها الى الفاطمي وغيره والظاهر أنها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب أيضا ملحبة من الشعر الزجلي منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها أحكام القرائات لعصره العلويين والنحسين وغيرهما وذكر ميتة قتيل بفاس وكان كذلك فيازعوه وأوله

في صبغ ذا الازرق اشرفه خبارا * فافهموا يا قوم هذى الاشارا

نجم زحل اخبر بذى العلاما * وبدل الشكلا وهى سسلا

شاشية زرقا بدل العماما * وشاس ازرق بدل الفرارا

﴿ يقول فى آخره ﴾

قد تم ذا التجنيس لانسان يهودى * يصاب ببلدة فاس فى يوم عيد

حتى يحجيه الناس من البوادرى * وقله يا قوم على الفراد

وأيتها نحو الخمسمائة وهى فى القرائات التى دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم المغرب أيضا قصيدة من عروض المتقارب على روى الباء فى حدنان دولة بنى أبي حفص تونس من الموحدين منسوبة لابن الابار وقال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير أبو على بن باديس وكان بصيرا بما يقوله وله قدم فى التنجيم فقال لي ان هذا ابن الابار ليس هو الحافظ الاندلسى الكاتب مقتول المستنصر وانما هو رجل خياط من أهل تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله تعالى ينشد هذه الايات من هذه الملحمة وبقى بعضها فى

حفظي مطلعها عذيرى من زمن قلب * يغرب ببارقة الاشنب

ويبعث من جيشه قائدا * ويبقى هناك على مر قب

فتأتى الى الشيخ أخباره * فيقبل كالجل الجرب

ويظهر من عدله سيرة * وتلك سياسة مستجلب

ومنها في ذكر أحوال تونس على العموم

(١) فاما رأيت الرسوم انمجت * ولم يرع حق الذى منصب

(١) قوله فاما رأيت أصله فان رأيت زبدت ما وأدغمت فى ان الشرطية المحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما رأيت والاولى هي الموجودة فى النسخة التونسية قاله نصر اه

والهدنة الطويلة والاستثناء اذا كان الانصراف المفروض ضروريا قيحا في غير هذه الحال ومنها هو أقوى الاعذار أني مهمالم أطلق تمام هذا الامر أو ضاق ذرعى به لجزأ أو مرض أو خوف طريق أو فساد زاد أو شوق غالب رجعت رجوع الاب الشفوق الى الولد البر الرضى اذ لم أخلف ورائى مانعا من الرجوع من قول قيسج ولا فعل بل خلفت الوسائل المرعية والآثار الخالدة والسير الجميلة وانصرفت بقصد شريف فقت به أشياخى وكبار وطنى وأهل طوري وترككم على أتم ما أرضاه مثنيا عليكم داعيا لكم وان فسح الله فى الامد وقضى الحاجة فأملى العودة الى ولدى وترى وان قطع الاجل فأرجوا أن أكون ممن وقع أجره على الله فان كان تصر فى صوابا وجاريا على السداد فلا يلام من أصاب وان كان عن حق وفساد عقل فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه

نخذي الترحل عن تونس * وودع معاملها واذهب

فسوف تكون بها فتنة * تضيف البرى الى المذنب

ووقفت بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بني أبي حفص هؤلاء بتونس فيها بعد السلطان أبي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر محمد أخيه من بعده يقول فيها

وبعد أبي عبد الله شقيقه * ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل

الآن هذا الرجل لم يملكها بعد أخيه وكان يننى بذلك نفسه الى أن هلك ومن الملاحم في المغرب أيضا الملحمة المنسوبة الى الهوشي على لغة العامة في عروض البلديات أولها

دعنى بدمي الهتان * فترت الامطار ولم تنفتر

واستقت كلها الويدان * وانى تملى وتتقدر

البلاد كلها تروى * فاولي مامل ما تدرى

ما بين الصيف والشتوى * والعام والربيع تجرى

قال حين سحت الدعوى * دعنى بكي ومن عذر

انادى من ذى الازمان * ذا القرن اشتد وتمرى

وهي طويلة ومخوطة بين عامة المغرب الأقصى والغالب عليها الوضع لانه لم يصح منها قول الاعلى تأويل تحرفه العامة أو الحارث فيه من يتجملها من الخاصة ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحائمي في كلام طويل شبه الغاز لا يعلم تأويله الا الله ليخله أوفق عديدة ورموز ملفوزة واشكال حيوانات تامة ورؤس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روي الام والغالب أنها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن أصل علمي من نجامة ولا غيرها وسمعت أيضا ان هناك ملاحم أخرى منسوبة لابن سينا وابن عقب وليس في شيء منها دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من القرائن ووقفت بالمشرق أيضا على ملحمة من حدنان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى الباجريتي وكلها الغاز بالحروف أولها

ان شئت تكشف سر الجفر ياسائى * من علم جفر وصى والد الحسن

فافهم وكن واعيا حرقا وجماته * والوصف فافهم كفضل الحاذق الفطن

أما الذى قبل عصرى لست أذكره * لكننى أذكر الآتى من الزمن

بشهر يبرس يبقى بعد خمستها * وحاء ميم بطيش نام فى الكنن

شبين له أثر من تحت سرتنه * له القضاء قضى أى ذلك المسنن

ففسر والشام مع أرض العراق له * وأذر يجان فى ملك الى اليمن

وآل بوران نال طاهرهم * الفاتك الباتك المعنى بالسمن

لخاع سين ضعيف السن سين أئى * لالوفاق ونون ذى قرن (١)

قرم شجاع له عقيل ومشورة * يبقى بحاء وأين بعد ذو سمن

من بعد باء من الاعوام قتلته * يلى المشورة ميم الملك ذو اللسن

هذا هو الاعرج الكلبى فاعن به * فى عصره فتن ناهيك من فتن

يأتى من الشرق فى جيش يقدمهم * عار عن القاف قاف جسد بالقتن

بقتل دال ومثل الشام أجمعها * أبدت بشجو على الاهلين والوطنى

إذا أتى زلزلت يايوح مصر من الزلزال مازال حاء غير مقتطن

بل يمدد ويشفق عليه

ويرحم وان لم يعط مولاي

أمرى حقه من العدل

وجلبت الذنوب ونشرت

بعسى العيوب فجاؤه

وتناصفه ينكر ذلك

ويستحضر الحساب من

التربية والتعليم وخدمة

الساف وتخليد الآثار

وتسمية الولد وتايب

السلطان والارشاد الى

الاعمال الصالحة والمداخلة

والإباسة لم يتجمل ذلك قط

خيانة فى مال ولا سر ولا

غش فى تدبير ولا تعلق به

محار ولا كدر نقص ولا

حمل عليه خوف منكم ولا

طمع فيما بيدهم وان لم تكن

هذه دواعي الرعى والوصلة

والإبقاء فقيم تكون بين

بني آدم وأنا قدر حلت فلا

أوصيتكم بمال فهو عندي

أهون متروك ولا بولد فهم

رجالكم وخدامكم ومن

يحرص منكم على

الاستكثار منهم ولا يعيال

فهي من مزايا بيتكم

وخواص داركم انما

أوصيكم بتقوى الله والعمل

لغد وقبض عنان الله في

ومنها

ومنها

ومنها

طاء وظاء وعين كلهم حبسوا * هلكا وينفق أموالا بلائس
يسير القاف قافا عند جمعهم * هون به أن ذاك الحصن في سكن
وينصبون أخاه وهو صالحهم * لاسلم الألف سين لذاك بني
تمت ولايتهم بالحاء لأحد * من السنين يداني الملك في الزمن
ويقال أنه أشار إلى الملك الظاهر وقدم إليه عليه بمصر

يأتي إليه أبوه بعد هجرته * وطول غيبته والشظف والزرن

وأياتها كثيرة والغالب أنها موضوعة ومثل صنعتها كان في القديم كثيرا ومعروف الاتجال (حكي)
المؤرخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام المقتدر رراق ذكر يعرف بالديان إلى ييل الأوراق ويكتب فيها بخط عتيق
برمز فيه بحروف من أسماء أهل الدولة ويشير بها إلى ما يعرف ميلهم إليه من أحوال الرفعة والجاه كأنها ملاحم
ويحصل على ما يريد منهم من الدنيا وأنه وضع في بعض دفاتر دوما مكررة ثلاث مرات وجاء به إلى مفاح مولي
المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مفاح مولي المقتدر وذكر عنه ما برضاه ويناله من الدولة ونصب لذلك
علامات يومها عليه فبذل له ما أغناه به ثم وضعه للوزير ابن القاسم بن وهب على مفاح هذا وكان معزولا فجاءه
بأوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وأنه إلى الوزارة لثاني عشر من الخلفاء
وتستقيم الأمور على يديه ويقهر الأعداء وتعمر الدنيا في أيامه وأوقف مفاح هذا على الأوراق وذكر فيها كواثر
أخري وملاحم من هذا النوع مما وقع وبما يقع ونسب جميعه إلى دانيال فأعجب به مفاح ووقف عليه المقتدر
واهتدي من تلك الأمور والعلامات إلى ابن وهب وكان ذلك سببا للوزارة به بمثل هذه الحيلة العريضة في الكذب
والجهل بمثل هذه الألفاظ والظاهر أن هذه الملاحمة التي ينسبونها إلى الباجري من هذا النوع * ولقد
سألت أكمال الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملاحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب
إليه من الصوفية وهو الباجري وكان عارفا بطرائفهم فقال كان من القندرية المبتدعة في حلق الأحيية وكان
يتحدث عما يكون بطريق الكشف ويومي إلى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمها لمن يراه
منهم وربما يظهر نظم ذلك في آيات قليلة كان يتعاهداه فتتوفا عنه وواع الناس بها وجعلوها ملاحمة مرموزة
وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو أمر تمتنع إذا لمز أنما هدى
إلى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما مثل هذه الحروف فلا تنالها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم
لا يتجاوزها فرائد من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من أمر هذه الملاحمة وما كنا نلهتدي
لولا أن هدانا الله والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

﴿ الفصل الرابع من الكتاب الأول ﴾

في البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الأحوال
وفيه سوابق ولواحق

﴿ فصل في أن الدول أقدم من المدن والأمصار وأنها أتت بعد ثمانية عن الملك ﴾

وبيانه أن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك
متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضا فالمدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة ونناء كبير وهي موضوعة
للعوموم لا لا خصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون وليست من الأمور الضرورية للناس التي تعم بها
البلى حتى يكون نزوعهم إليها اضطارا بل لا بد من إكراههم على ذلك وسوقهم إليه مضطهدن بعض الملوك أو
مرغين في الثواب والأجر الذي لا يفي بكثرة الملوك والدولة فلا بد في تصير الأمصار واختطاط المدن من

موطن الجسد والحياة من
الله الذي محص وأقال وأعاد
النعمة بعذر وألها لينظر
كيف تعملون وأطلب منكم
عوض ما وفرت عليكم من
زاد طريق ومكافأة واعانة
زاد أسهلا عليكم وهو أن
تقولوا إلى غفر الله لك
ما ضيعت من حق خطأ أو
عمدا وإذا علمت ذلك فقد
رضيت وأعلموا أيضا
على جهة النصيحة أن ابن
الخطيب مشهور في كل قطر
وعند كل ملك واعتقاده
وبره والسؤال عنه وذكره
بالجميل والأذن في زيارته خاتمة
منكم وسمعه درع ودها
فانما كان ابن الخطيب
بوطنكم سحابة رحمة نزلت
ثم أقشمت وترك الأزار
تفوح والمحاسن تلوح
ومثاله معكم مثل الموضة
أرضعت السياسة والتدبير
الميمون ثم رفدتكم في مهد
الصالح والأمان وغطتكم
بقناع العافية وانصرفت إلى
الحمام تفسل اللبن والوضير
وتعود فان وجدت الرضيع
لحسن أو قد انتبه فلم تتركه
إلا في حد الانقطاع ونحتم

هذه العزارة بالخلف الاكيد
 أني ما تركت لكم وجه
 نصيحة في دين ولا في دنيا
 الا وقد وفيت لكم ولا
 فارقتكم الا عن عجز ومن
 ظن خلاف هذا فقد ظلمني
 وظلمكم والله يرشدكم
 ويتولى أمركم ويعمل
 خاطرهم في ركوب البحر
 انتهت نسخة الكتاب وفي
 طيها هذه الايات
 صاب مزن الدموع من
 جفن صبك
 عند ما استروح الصبا من
 مهبك
 كيف يسلو يا جنتي عنك
 وقد
 كان قبل الوجود جن
 بحبك
 ثم قل كيف كان قبل انشاء
 الر
 وح من أنسك النبي
 وقربك
 لم يدع بيتك المنيع حماء
 لسواه الا الى بيت ربك
 أول عذري الرضا فاجبت
 بدعا
 دمت والفضل والرضامن
 دائماً

الدولة والملك ثم اذا بنيت المدينة وكمّل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية
 والارضية فيها فعمّر الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع
 عمرها واخرت وان كان أمداً للدولة طويلاً ومدتها منفسخة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرخيبة تكثر
 وتتعدو ونطاق الاسواق يتباعدو وينفسح الي أن تتسع الخطوة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كل وقع ببغداد
 وأمّاها * ذكر الخطيب في تاريخه أن الخيامات بلغ عددها ببغداد اعمد المأمون خمسة وستين ألف حمام
 وكانت مشتملة على مدن وأمصار متلاصقة ومقاربه تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة وحدها يجمعها سور واحد
 لا فراط العمران وكذا حال القير وان وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعد ما فيها يبلغنا لهذا
 العهد وأما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما أن يكون لضواحي تلك المدينة ومقاربها من الحيا
 والبساتين بادية يمدّها العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستمر عمرها بعد الدولة كآثاره بفاس وبجاية
 من المغرب وبمرق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الحيا لان أهل البداوة اذا انتهت أحوالهم الى
 غاياتهم من الرفه والنكسب تدعو الي الدعوة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزولون المدن والامصار ويتأهلون وأما
 اذا لم يكن تلك المدينة المؤسسة مادة لتقيدّها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقاً
 لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمراتها شيئاً فشيئاً الى أن يذعر ساكنها ويخرب كل وقع بمصر وبغداد والكوفة
 بالمشرق والقير وان والمهدية وقلمة بني حماد بالمغرب وأمّاها فنفهمه ورعيانزل المدينة بعد انقراض مخطيها
 الا واين ملك آخر ودولة ثانية يتخذها قرا او كرسيها يستغني بها عن احتياط مدينة ينزلها فحفظ تلك الدولة
 سياجها وتزايد مبانها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفعها وتستجد بعمرانها عمراً آخر كل وقع بفاس
 والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم به والتوفيق

٢ ﴿فصل في أن الملك يدعو الى نزول الامصار﴾

وذلك أن القبائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الامصار لامر ين أحدها ما يدعو اليه
 الملك من الدعوة والراحة وحظ الانتقال واستكمال ما كان ناقصاً من أمور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع
 على الملك من أمر المنازعين والمشاعين لان المصير الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم
 والخروج عليهم وانزع ذلك الملك الذي سمو اليه من أيديهم فيعتصم بذلك المصير وبغاليتهم ومغالبة المصير على
 نهاية من الدعوة والمشقة والمصير يقوم مقام العساكر المتعددة لمسافيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء
 الجدران من غير حاجة الي كثير عدد ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصاية انما احتيج اليها في الحرب للثبات لما
 يقع من بعد كره القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء الجدران فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد
 فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلاء ويخضع شوكة
 استيلائها فاذا كانت بين أجنابهم أمصاراً تنظموها في استيلائهم الامن من مثل هذا الانحرام وان لم يكن هناك
 مصير استجدت ضرورة لتكميل عمرانهم أو لا وحظ أقالهم وليكون شجافى خلق من يروم العزة والامتناع عليهم
 من طوائفهم وعصائبهم فتعين أن الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى أعلم به
 التوفيق لارب سواه

٣ ﴿فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير﴾

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وأنها تكون على نسبتها وذلك أن تشييد المدن انما يحصل باجتماع
 الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشر الفعلة من أقطارها وجمعت أيديهم على
 عملها ورماستعين في ذلك في أكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل أقال البناء لعجز القوة

البشرية وضعها عن ذلك كالمحال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ايوان كسرى وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب انما كانت بقدرهم متفرقين أو مجتمعين في تخيل لهم أجساما تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها تناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والمحال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتعالمين في البلاد يعان في شأن البناء واستعمال الخيل في نقل الاجرام عند أهل الدولة المعتنين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا وأكثر آثار الاقدمين لهذا العهد تسميها العامة عادية نسبة الى قوم عادلوهمهم أن مباني عادو ومصانعهم انما عظمت لعظم أجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين نعرف بمقادير أجسامهم من الامم وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كايوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بأفريقية والصنهاجيين وأثرهم بالدي اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الاغالبية في جامع القيروان وبناء الموحدون في رباط الفتوح ورباط السلطان أبي سعيد لعهد أربعين سنة في المنصورة بازاء تلمسان وكذلك الحنايا التي جلب اليها أهل قرطاجة الماء في القناة الرابكة عابها مائلا أيضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهاكل التي نقلت اليها أخبار أهلها قريبا وبعدا وتقتناهم لم يكونوا بأفراط في مقادير أجسامهم وانما هذارأي ولع به القصاص عن قوم عادو ثمود والعمالقة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح أنها بيوتهم يمر بها الركب الحجازي أكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جوها ومساحتها وسماكتها على المتعاهدونهم ليلالغون فيما يتقدمون من ذلك حتى انهم ايزعمون أن عوج بن غناق من حيل العمالقة كان يتناول السمك من البحر طريا فيشويه في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيما قرب منها ولا يملعون أن الحرف بالدينها هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابله سطح الارض والهواء وأما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضى لامزاج له وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها والله الخلق ما يشاء ويحكم ما يريد

فصل في أن الهياكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية وقد تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفردة أو مضاعفة بالهندام كما قلناه فيحتاج الى معاودة قدر أخرى مثلهما في أزمنة متعاقبة الى أن تتم فيبتدي الأول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون مائلا للعيان بظنه من براه من الآخرين أنه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وأن الذي بناه سبأ بن يشجب وساق اليه سبعين واديا وعاقه الموت عن اتمامه فأتمه ملوك حمير من بعده ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجة وقناتها الرابكة على الحنايا العادية وأكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد لذلك أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد شرع في احتطاطها وتأسيسها فاذ لم يتبع أثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك أيضا أن نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة تميز الدول عن هدمها وتخريبها مع أن الهدم أيسر من البناء بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا ان القدرة التي أسسته مفرطة القوة وأنها ليست أتر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ايوان كسرى لما اعتم الرشيدي على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشير في ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واركع مائلا يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لاهل ذلك الهيكل فاتهم في الصيحة وقال أخذته انعة للعجم والله لا أضرمه وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه وأخذله القوس وحماه

واذا ما ادعت كرا بافقدى
أين كرى ووحشقى من
كربك
ولدى في ذراك وكرى في
دو

حك لحدى وترتبي في
ترك

يا زمانا أغرى الفراق
بشملى

لبنى أهبتى أخذت
لحريك

أركبى الصرو فك الصعب
حتى

جئت بالبين وهو أصعب
صعبك

وكتب آخر النسخة
يخاطبني هذا ما تيسر والله

ولى الخيرة لى ولكم من هذا
الحياط الذى لانسبة يند

وبين أولى الكمال ردنا الله
اليه وأخلص توكنا على

وصرف الرغبة على مالد
وفي طي النسخة مدرج

نضارضى الله عن سيادى
أو نسكم بمصدر منى أتما

هذا الواقع مما استحض
الولدى فى الوقت وهو يس

عليكم بما يجب لكم وق
حصل من حظوة هذا

المقام الكريم على حة

رافرو وأجزل احسانه ونوه بحسب رايته وأثبت الفرسان خلفه والحمد لله ثم انصل مقامي ببسكرة والمغرب الاوسط مضطرب بالفتنة المانعة من الاتصال بالسلطان عبدالعزيز وحزة ابن راشد ببلاد مغراوة والوزير عمر بن مسعود في العساكر يحاصره بجحصر ناجوت وأبوزيان العبد الوادي ببلاد حصين وهم مشتملون عليه وقائمون بدعوته ثم سخط السلطان وزيره عمر بن مسعود ونكر منه تقصيره في حزة وأصحابه فاستدعاه الي تلمسان وقبض عليه وبعث به الى فاس معتقلا فحبس هنالك وجهه العساكر مع الوزير ابن فازي فنهض اليه وحاصره ففر من الحصن ولحق بمليانة مجتازا عليها فأندربه عاملها فقبض عليه وسبق الي الوزير في جماعته من أصحابه فضربت أعناقهم وصلبهم عظة ومن دجرا لاهل الفتنة ثم أوعز السلطان بالمسير الي حصين وأبي زيان فسار في العساكر

بالنار وصب عليه الخل حتى اذا أدركه العجز بعد ذلك كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشير ما ينافي التجافي عن الهدم فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واستمر على ذلك لثلاثين يوما ثم بعث الى يحيى يستشير ما ينافي التجافي من مصانع المعجم فعرها الرشيد وأقصر عن هدمه وكذلك اتفق للأموون في هدم الاهرام التي بمصر وجمع القلعة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقيه فانتهوا الى جوبين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر ويزعم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله أعلم وكذلك خنايا المعلقة الى هذا العهد تحتاج أهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم وتستجد الصنائع حجارة تلك الخنايا فيحاولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط الضمير من جدرانها الا بعد عصب الرقيق وتجمع له المحافل المشهورة شهدت منها في أيام صباي كثير والله خلقكم وما تعملون

فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراجعة

(اعلم) أن المدن قرار يتخذ الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الطرف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والمأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار وأن يكون وضع ذلك في متنع من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باستدارة البحر وأنهرها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب مناهلها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلاسة من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا للمياه الفاسدة أو مناطق متعفنة أو مروج خبيثة أسرع اليها العفن من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بقرية فلا يكاد ساكنها أو طارقيها يخلص من حمى العفن بوجه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفر ظهر فيه اناء من نحاس محتوم بالرصاص فلما فض ختامه سعد منه دخان الى الجوف وانقطع وكان ذلك مبدأ أمراض الحميات فيه وأراد بذلك ان الاناء كان مشتملا على بعض أعمال الطلسمات لوبائه وأنه ذهب سره بذها به فرجع اليها العفن والوباء وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نباهة العلم واستتارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يتبين خرفه فقله كما سمعه والذي يكشف لك الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يهت بها التعفن الاجسام وأمراض الحميات ركودها فاذا تملتها الريح وتفتت وزهبت بهائنا وشمالا خف شأن العفن والمرض البادي منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكد ويكون ذلك معيناله على الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجذ الهواء معينا على حركته وتموجه وبقى ساكنا راكدا وعظم عفته وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عندما كانت افرريقية مستجدة العمران كثيرة الساكن تموج بأهلها مو جاف كان ذلك معينا على تموج الهواء واضطراره وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعندما خف ساكنها ركدها واهلها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض فهذا وجهه لا غير وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء وكانت أو لا قليلة الساكن فكانت أمراضها كثيرة فلما كثر ساكنها اتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فقفهمه تجد ما قاتله وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بآبارها عيون عذبة ثم فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المرافق لساكنهم اذا صاحب كل قرار لا بد له من دواجن

والحيوان للتأجير والضرع والركوب ولا بد لهم من المرمي فإذا كان قريبا طيا كان ذلك أرفق بحالهم لما يعمدون
من المشقة في بعده ومما يراعى أيضا المزارع فإن الزروع هي الأقوات فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان
ذلك أسهل في اتخاذها وأقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء فإن الحطب مما تهم البلوى في اتخاذها لو قود
النيران للاصطلاء والطبخ والحطب أيضا ضروري لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الحطب من ضرورياتهم وقد
يراعى أيضا قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية الآن ذلك ليس بمثابة الأول وهذه كلها
متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو اليه ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي أو
انسياح ما هو أهم على نفسه وقومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لأول الإسلام في المدن التي اختطوها
بالعراق وأفريقية فأنهم لم يراعوا فيها إلا إلهامهم عندهم من مراعى الأبل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم
يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعى السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقيروان والكوفة
والبصرة وأمثالها ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لما لم تراعى فيها الأمور الطبيعية

﴿فصل﴾ ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفورة
العدد تكون صريحا للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن
بساحتها عمران للقبائل أهل العصيات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة ليليات وسهل طرقها في
الأساطيل البحرية على عدوها ومحيفة لها لما يأت من وجود الصريح لها وإن الحضر المتعدين للدعة قد صاروا
عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كالاسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونة وسلا ومتى كانت
القبائل والعصائب متوطنين بقربها بحيث يبلغهم الصريح والنفير وكانت متوعرة المسالك على من يرومها
باختطاطها في هضاب الجبال وعلى أسنتها كان لها بذلك منعة من العدو ويُسوَأ من طرقها ما يكبدونه من
وعرها وما يتوقعونه من إجابة صريحها كما في سبتة وبجاية وبلد القل على صغرها فافهم ذلك واعتبره في اختصاص
الاسكندرية باسم النفر من لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورثتها بريقة وأفريقية وإنما اعتبر في ذلك الخفاة
المتوقعة فيها من البحر لهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طرق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملة مرات
متعددة والله تعالى أعلم

﴿فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم﴾

٦.

(اعلم) أن الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعا اختصها بآثاره وجعلها موطن لعبادته يضاعف فيها
الثواب وتمويهها الأجور وأخبرنا بذلك على السنن رسله وأنبأته لطف بعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم * وكانت
المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الأرض حسبا في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما البيت الحرام
الذي بمكة فهو بيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج إليه فبناء هو وابنه
اسماعيل كما نصه القرآن وقام بمأموره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم إلى أن
قبضهما الله ودفنا بالحجر منه * وبيت المقدس بناء داود سليمان عليهما السلام أمرهما الله ببنائه مسجده ونصب
هياكله ودفن كثير من الأنبياء من ولد اسحق عليه السلام حوايه * والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات
الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة إليها وإقامة دين الإسلام بها في مسجده الحرام بها وكان ما جده الشريف
في تربتها فهذه المساجد الثلاثة قرعة عين المسامين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة
الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنشتر إلى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف
تدرجت أحوالها إلى أن كل ظهورها في العالم (فأما مكة) فأوليتها يقال إن آدم صلوات الله عليه بناها
قبلة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وإنما اقتبسوه من محل الآية في

قوله واذا رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرهما من هاجر ما هو معروف وأوحى الله اليه أن يترك ابنه اسماعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما وكيف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم بهما حتى احتملواهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حتى إلى زمزم كما عرف في موضعه فالتحق اسماعيل بموضع الكعبة يتأوى اليه وأدار عليه سياجاً من الردم وجعله زراً بالقمعة وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مراراً لزيارته من الشام أمر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناد واستعان فيه بابنه اسماعيل ودعا الناس إلى حججه وبقى اسماعيل ساكنه ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون إليهم من كل أفق من جميع أهل الخليفة لا من غير اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنأ ودناى فتدفل أن التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه وأن تبعاً كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحاً ونقل أيضاً أن الفرس كانت تحججه وتقرب إليه وان غزا إلى الذهب الذين وجدها عبد المطلب حين احتفر زمزم كان من قرابينهم ولم يزل جرهم الولاية عليه من بعد ولد اسماعيل من قبل خولتهم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثروا ولد اسماعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فقبلتهم قريش على أمرهم وأخرجوهم من البيت وملكوا عليهم يومئذ قصى بن كلاب فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل وقال الاعشى

حلفت بثوبى راهب الدير والى * بناها قصى المضاض بن جرهم

ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتمدم وأعادوا بناءه وجعلوا النفقة لذلك من أموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانها فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعاً وكان الباب لاصقاً بالأرض فجعلوه فوق القامة ثلاثاً دخله السيول وقصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصر واعن قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبرا أداروها بحجر قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقى البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعاه نفسه وزحف إليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين بن غير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فاصابه حريق يقال من النفط الذي رما به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن ما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في بناءه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لولا قومك حديث عهد بكفر لرددت البيت على قواعدا ابراهيم ولجأت له بابين شرقياً وغرباً فهدموا وكشف عن أساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه وأشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فادار على الأساس الخشب ونصب من فوقها الاستار حفظاً للقبلة وبعث إلى صنعاء والكلس فحملهما وسأل عن مقطع الحجارة الأولى فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس ابراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعاً وعشرين ذراعاً وجعل لها بابين لاصقين بالأرض كالأروى في حديثه وجعل فريشاً وأزرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفاً من الابواب من الذهب * ثم جاء الحجاج لحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالمجنبيات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما ظفر بابن الزبير شاو وعبد الملك فيما نادوا وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال أنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت أني كنت حملت أباً خيب في أمر البيت وبنائه لم تحمل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر وبناه على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك ساورها لم يغير منه شيئاً فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صالحة ظاهرة للعيان لجهة ظاهرة بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم * ويعرض ههنا أشكال قوي لثاقته لما

ذاهبين إلى الصحراء واستولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلفهم ولما بلغوا مأمنهم من القفر نبذوا إلى أبي زيان عهده فلحق بجبال غمرة ووفد أعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان وفاؤا إلى طاعته فقبل طاعتهم وأعادهم إلى أوطانهم وتقدم الوزير عن أمر السلطان بالمسير مع أولاد يحيى بن علي بن سباع للقبض على أبي زيان في جبل غمرة وفاء بحق الطاعة لأن غمرة من رعاياهم فضينا لذلك فلم يجده عندهم وأخبرونا أنه ارتحل عنهم إلى بلد وأركلا من مدن الصحراء فنزل على صاحبها أبي بكر بن سليمان فانصرفنا من ههنا إلى ماضي أولاد يحيى بن علي إلى أحيائهم ورجعت أنا إلى أهلي يسكروا وخطبت السلطان بما وقع في ذلك وأقت منتظراً أو أمره حتى جاءني استدعاؤه إلى حضرته فرحلت إليه

العودة الى المغرب
الاقصى

ولما كنت في الاعمال في
مشايعة السلطان عبدالعزيز
ملك المغرب كما ذكرت
تفاصيله وأنا مقيم بـسكرة في
جوار صاحبها أحمد بن
يوسف بن مزني وهو
صاحب زمام رياح وأكثر
عظائم من السلطان
مفروض عليه في جباية
الزباوهم يرجعون اليه في
الكثير من أمورهم فلم أشعر
الوقد حدثت المنافسة منه
في استتباع العرب ووغر
صدره وصدق في جنونه
وتوهمته وطوع الوشاة فيما
يوردون علي سمعه من
التقول والاختلاف وجاش
صدره بذلك فيكتب الي
وتر مارين عريف ولي
السلطان وصاحب شورا
يتنفس الصعداء من ذلك
فأنهأ الي السلطان فاستدعاني
لوقته وارتحت من بـسكرة
بالاهل والولدي يوم المولد
الكريم سنة أربع وسبعين
متوجها الي السلطان وكان
قد طرقة المرض فـ

قوله الفقهاء في أمر الطواف ويحذر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس الجدر من أسفلها فيقع
طوافه داخل البيت بناء على أن الجدر إنما قامت على بعض الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا
قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائمًا لا يقع بعض طوافه داخل
البيت وإذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو أنما بنى على أساس إبراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه
ولا يخص من هذا إلا أحد أمرين إما أن يكون الحجاج هدم جميعه وأعادوه وقد قبل ذلك جماعة إلا أن العيان في
شواهد البناء بالتحام ما بين البناءين وتميز أحد الشقين من أعلاه عن الآخر في الصناعة يرد ذلك وإما أن يكون ابن
الزبير لم يرد البيت على أساس إبراهيم من جميع جهاته وإنما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله في البيت مع
كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد إبراهيم وهذا بعيد ولا يحصى من هذين والله تعالى أعلم ثم إن مساحة
البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفتين ولم يكن عليه جدر أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر من بعده ثم كثر
الناس فاشتري عمر رضي الله عنه دورا هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جدار أدون القامة وفعل مثل ذلك
عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناء بعد الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت
الزيادة واستقرت على ذلك إلهنا * وتشريف الله لهذا البيت وغنايته به أكثر من أن يحاط به وكفي من ذلك أن
جمعه مهبط للوحي والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكها وأوجب لحرمه من سائر نواحيه من
حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب لغيره فنع كل من خالف دين الإسلام من دخول ذلك الحرم وأوجب على داخله
أن يتجرد من الخيط إلا زار استره وحجي العائذ به والرائع في مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خائف ولا
يصاد له وحش ولا يختطب له شجر وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمه من طريق المدينة ثلاثة أميال إلى
التعيم ومن طريق العراق سبعة أميال إلى الثانية من جبل المنقطع ومن طريق الطائف سبعة أميال إلى بطن
نمرة ومن طريق جدة سبعة أميال إلى منقطع العشار * هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى
الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها أيضا بكة قال الأصمعي لأن الناس يبك بعضهم بعضها أي يدفع وقال
بجاءه بكة بدلها ما كما قالوا لا زب ولا زم لقرب المخربين وقال النخعي بلباء البيت وبلليم البلد وقال الزهري
بالباء للمسجد كله وبلليم للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث اليه بالاموال والذخائر
كسرى وغيره وقصة الاسيف وغرالي الذهب اللذين وجدتهما عبد المطاب حين احتفر زمزم معروفة وقد وجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الحب الذي كان فيها سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان المملوك
يهدون لبيت فيها ألف ألف دينار مكررة مرتين بمائتي قطار وزنا وقاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يجره هكذا قال الأزرق وفي
البخاري بسنده إلى أبي وائل قال جلست إلى شيبه بن عثمان وقال جلست إلى عمر بن الخطاب فقال هممت أن لأدع
فيها صفرأولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت ما أنت بفاعل قال ولم قلت فلم يفعله صاحبك فقال لها اللذان
يقنتي بهما وخرجه أبودودوا بن ماجه وأقام ذلك المال إلى أن كانت قننة الاطلس وهو الحسن بن الحسين بن
علي بن علي بن العابد بن سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عمدا إلى الكعبة فأخذ ما في خزائنها وقال
ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا يتفع به نحن أحق به نستعين به علي حربنا وأخرجه وتصرف فيه وبطلت
الذخيرة من الكعبة من يومئذ (وأما بيت المقدس) وهو المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصابئة موضع
الزهره وكان يقرؤون اليه الزيت فيما يقرؤونه يصوبونه على الصخرة التي هناك ثم دثر ذلك الهيكل وأخذها بنو
اسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم وذلك أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني اسرائيل من مصر لتخليقهم بيت
المقدس كما وعد الله أباهم اسرائيل وأباه اسحق من قبله وأقاموا بأرض التي أمر الله بالتخا ذقية من خشب السنت

عين بالوحي مقدارها وصفها وهياكلها وتمائيلها وان يكون فيها التابوت ومائدة بصحافها ومئذنة بقناديلها وان يصنع مذبحا للقربان وصف ذلك كله في التوراة اتم كل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الاالواح المصنوعة عوضا عن الاالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تنكسرت ووضع المذبح عندها وعهد الله الي موسى بأن يكون هرون صاحب القربان ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون اليها ويتقربون في المذبح امامها ويتعرضون للوحي عندها ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبلة لهم ووضعوا على الصخرة بيت المقدس وأرادوا ود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الي ابنه سليمان فبناءه لاربعة سنين من ملكه وخمسة مائة سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشي أبوابه وحيطانه بالذهب وصاغها كلها وتمائيلها وأوعيتهم ومئذنته ومئذنته من الذهب وجعل في ظهره قبر اليعاقبة فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الاالواح وجاء به من صهيون بلداً يهد داود ويحمله الاسباذ والكهنة حتى وضعه في القبر ووضع القبة والوعية والمذبح كل واحد حيث أعده من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بختنصر بعد ثمان مائة سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغها كلها كل ونثر الاحجار ثم بناها أعادهم ملوك الفرس بناءه عزير بن بني اسرائيل له هذه باعانة بهمن ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي بختنصر وحدهم في بنائه حدودا دون بناء سليمان بن داود عليهما السلام فلم يتجاوزها ثم تداءوا لهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خسان من كهنتهم ثم لصهرهم هيردوس ولبنيه من بعده وبني هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتألف فيه حتى اكمله في ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم يدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في الاخذين النصارى تارة وتركه أخرى الي أن جاء قسطنطين وتبصرت أمه هيلانة وارتحلت الي المقدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح زعمهم فاخبرها القساوسة بأنه رمى بجشبهته على الارض وألقى عليها القمامات والقذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كأنها على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى تغطاها وخفي مكانها جزاء بزعمهم لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي الامر كذلك الي أن جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبني عليها مسجدا على طريق البداة وعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه وماسبق من أم الكتاب في فضله حسبما ثبت ثم اختلف الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وأن يعموها بالفسيفساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها وكانت في ملكة العبيدين خلفاء القاهرة من الشيعة واحتل أمرهم زحف الفرنجة الي بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة نفور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن أيوب الكردي بملك مصر والشام ومخاثر العبيدين وبدعهم زحف الي الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من نفور الشام وذلك نحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبني المسجد على النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يمرض لك الاشكال المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول بيت وضع فقال مكة قبل ثم أي قال بيت

هو الآن وصلت مليانة من أعمال المغرب الأوسط لقيني هنالك خبر وفاته وأن ابنه أبابكر السعيد نصب بهده للامر في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي وانه ارتحل الى المغرب الأقصى مغدا السمر الى فاس وكان على مليانة يومئذ علي بن حسن ابن أبي علي الهساضي من قواد السلطان ومو الي يته فارتحلت معه الي أحياء العطف ونزلنا على أولاد يعقوب بن موسى من أمراءهم وبدرنى بعضهم الي حلة أولاد عريف أمراء سويد ثم لحق بنا بعد أيام على ابن حسن في عسكرو وارتحلنا جميعا الي المغرب على طريق العجرا وكان أبو حمزة درجبع بعدهم الي السلطان من كان انتباهه بالقصر في تيكورارين الي تلمسان فاستولى عليها وعلى سائر أعماله وأوعز الي بني يعقوب من شيوخ عبيد الله في المعقل أن يعتزلونا بحدود بلادهم من رأس العين مخرج وادي صا فاعتزلونا هنالك فتجا

المقدس قبل فكهم بينهما قال أربعون سنة فإن المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين إبراهيم وسليمان
 لأن سليمان بانيه وهو ينف على الالف بكثير * واعلم أن المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنما المراد
 أول بناء عين للعبادة ولا يبعد أن يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل أن
 الصابئة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك أنها كانت مكاناً للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام
 والتماثيل حول الهيكل الكعبة وفي جوفها والصابئة الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد إبراهيم عليه السلام فلا
 تبعده مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وإن أول
 من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام ففهمه ففيه حل هذا الاشكال * (وأما المدينة) * وهي المسماة
 يثرب فهي من بناء يثرب بن مهليل من العمالة وملكها بنو اسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز ثم
 جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها المسماة
 من غياة الله بها فهاجر اليها ومعها أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبني مسجده ويوتيه في الموضع الذي كان الله قد
 أعده لذلك وشرفه في سابق أزله وأواماً بناء قيلة ونصره ولذلك سماوا الانصار وتمت كلمة الاسلام من المدينة
 حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار أنه يتحول عنهم إلى بلده فأهملهم
 ذلك فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه غير متحول حتى إذا قبض صلى الله عليه وسلم كان
 ملجده الشريف بها وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا يخفاه ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها
 على مكة وبه قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة إلى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف
 أبو حنيفة والشافعي * وأصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام وجنح اليها الامم باقتداهم من كل أوبانظر
 كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة المسماة من غياة الله لها وتقهرهم سر الله في الكون وتدرج به
 على ترتيب محكم في أمور الدين والدنيا * وأما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلمه في الأرض إلا ما يقال من
 شأن مسجد آدم عليه السلام بسريديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شيء يعول عليه وقد كانت للامم
 في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز
 التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها في غزواته وقد ذكر المسعودي منها بيوت النسمان ذكرها في شيء أذهي
 غير مشروعة ولا هي على طريق ديني ولا يلتفت اليها ولا إلى الخبر عنها ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ فمن
 أراد معرفة الأخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبحانه

٧ ﴿فصل في أن المدن والامصار بأفريقية والمغرب قليلة﴾

والسبب في ذلك أن هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الاسلام وكان عمر انما كاه بدوي ولم
 تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول التي ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل أمداً فيهم
 حتى ترسخ الحضارة منها فلم يزل عوائد البداوة وشؤونها فكانوا اليها أقرب فلم تكثر مبانيهم وأيضاً فالصنائع
 بعيدة عن البربر لأنهم أعرق في البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تتم المباني بها فلا بد من الحذق في
 تعلمها فلم يمكن للبربر أن تتاح لهم يمكن لهم تشوف إلى المباني فضلاً عن المدن وأيضاً فهم أهل عصبية وأنساب
 لا يخلو عن ذلك جمع منهم والأنساب والعصبية أجنح إلى البدو وانما يدعوا إلى المدن الدعة والسكون ويصير
 ساكنها عسلاً على حاميها فاجتدأ أهل البدو ولذلك يستكفون عن سكنى المدينة أو الإقامة بها ولا يدعوا إلى
 ذلك إلا الترف والنفي وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران أفريقية والمغرب كله أو أكثره بدوياً أهل
 خيام وظواهر وقباطن وكنز في الحياك وكان عمران بلاد المعجم كله أو أكثره قرى وأمصاراً ورساتيق من

من نجمانا على خيو لهم إلى
 جبل دبداوا واتهموا جميع
 ما كان مناوراً جلوا الكثير
 من الفرسان وكنت فيهم
 وبقيت يومئذ في فقره ضاحياً
 عارياً إلى أن حصلت إلى
 العمران ولحقت بأصحابي
 بجبل دبداوا وقع في خلال
 ذلك من اللطاف ما لا يعبر عنه
 ولا يسع الوفاء بشكره ثم
 سرنا إلى فاس ووفدت على
 النوراني بكر وابن عمه
 محمد بن عثمان بفاس في جمادى
 من السنة وكان لي معه قديم
 حبة واختصاص منذ نزع
 معي إلى السلطان أبي سالم
 بجبل الصفيحة عند اجازته
 من الاندلس لطلب ملكه
 كما مر في غير موضع من
 الكتاب فلقيني من الوزير
 وكرامته وتوفير جراته
 واقطاعه فوق ما احتسب
 وأقت بكماني من دولتهم
 أمير الخلد ثابت الرتبة عظيم
 الجاه مندوب المجلس عنده
 السلطان ثم انصرم ففصل
 الشتاء وحدث بين الوزير أبي
 بكر بن غازي وبين السلطان
 ابن الأحمر منافرة بسبب ابن
 الخطيب ومادع إليه ابن

الاحمر من ابعاده عنهم
وأنت الوزير من ذلك
فأظم الجو بينهما وأخذ
الوزير في تجهيز بعض القرابة
من بني الاحمر ليشغله به
ونزع ابن الاحمر الى اطلاق
عبد الرحمن بن أبي فلولس
من ولد السلطان أبي علي
والوزير مسعود بن رحو
ابن ماسي كان حبسهما أيام
السلطان عبدالعزيز وأشار
بذلك ابن الخطيب حين
كان في وزارتهما بالاندلس
فأطلقهما الآن وبعثهما
لطلب الملك بالمغرب
وأجازهما في الاسطول الى
سواحل عساسة فنزلوا بها
ولحقوا بقبائل بطوية
هنالك فاشتعلوا عليهم
وقاموا بدعوة الأمير عبد
الرحمن ونهض ابن الاحمر
من غرناطة في عساكر
الاندلس فنزل على جبل
الفتح فحاصره وبغت
الاخبار بذلك الي الوزير
أبي بكر بن غازي انقاسم
بدعوة بني مرين فوجه لحين
ابن عمه محمد بن عثمان بن
الكاس الى سبتة لامداد
الحامية الذين لهم بالجبل

٨

عيا لا على غيره فافهمه وقس عليه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق
فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها
والى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه اذ العرب أيضاً عرق في البدو وأبعد عن الصنائع وأيضاً فكانوا
أجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولم تملكوها لم تنفج الامد حتى تستوفي رسوم الحضارة
مع أنهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم وأيضاً فكان الدين أول الامر مانعاً من المغالة في البنيان
والاسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب
الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلو ولا يزيدن أحد على ثلاثة أيات ولا تطاولوا في البنيان والزمو السنة تلمزكم
الدولة وعهد الى الوفاء وتقديم الى الناس أن لا يرفعوا بنياناً فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقرب بكم من السرف
ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتجرج في أمثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف
واستخدم العرب أمة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهما أحوال الدعوة والترف فحينئذ شيدوا
المباني والمصانع وكان عهد ذلك قريبا بقرض الدولة ولم يفسخ الامد لكثرة البناء واحتطاط المدن والامصار
الاقبلا ولا وليس كذلك غيرهم من الامم فالفرس طالبت مدتهم آلاف من السنين وكذلك القبط والنبط والروم
وكذلك العرب الاولى من عاد ونموذ والعمالق والتبابعة طالبت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت مبانيهم
وهياكلهم أكثر عدداً وأبقى على الأيام أثراً واستبصر في هذا تجده كما قلت لك والله وارت الأرض
ومن عليها

٩

فصل في أن المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها
الحراب الا في الاقل

والسبب في ذلك شأن البدو والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله والله أعلم وجهه
آخر وهو ما سبه وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في احتطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء والمياه
والمزارع والمراعي فانه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصروف ودائه من حيث العمران الطبيعي والعرب بمعزل
عن هذا وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خبت ولا قل أو كثروا يسألون عن زكاة
المزارع والمنازل والاهوية لا تتقاهم في الأرض وتقلهم الحبوب من البلد البعيد أو ما الريح فالقصر مختلف للمهاب
كلها والظعن كفيل لهم بطيها لان الرياح انما تخت مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما احتطوا
الكوفة والبصرة والقيصر وان كيف لم يراعوا في احتطاطها الامراعي ابلهم وما يقرب من القصور ومسالك الظعن
فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمنا انه يحتاج اليه في حفظ
العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم فيعمرها الناس فلا أول وهلة من انحلال
أمرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سياجها أي عليها الحراب والانحلال كأن لم تكن والله يحكم
لامعقب حكمه

١٠

فصل في مبادئ الحراب في الامصار

اعلم أن الامصار اذا احتطت أو لا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والخير وغيرهما يعال على

الحيطان عند التناق كالتزليج والرخام والريخ والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها يومئذ بدويا وآلاتها فاسدة فاذا عظم عمر ان المدينة وكثرتسا كنهها كثرت الآلات بكثرة الاعمال حينئذ وكثرة الصنائع الى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق شأنها فاذا تراجم عمرانها وخف ساكنها قلت الصنائع لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالاة عليه بالتتميق ثم تقل الاعمال لعدم الساكن فيقل جاب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتقدم ويصير بناؤهم وتشيدهم من الآلات التي في مبانهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاه أكثر المصانع والقصور والمنازل بقلة العمران وقصوره عما كان أولا ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى أن يفقد الكثير منها جملة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التتميق بالكلية فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمداشر ويظهر عليها سبيل البداوة ثم تمر في التناقص الى غايتها من الخراب ان قدر لها به سنة الله في خلقه

فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاق الاسواق

١١

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وأنهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة الاكثر من عددهم أضاعافا فالقوت من الحظمة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا اتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلاح وتوزعوا على تلك الاعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لأضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم فأهل مدينة أو مصر اذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالقل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زائدة على الضرورت فتنقص في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيرهم من أهل الامصار ويستجلونهم باعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق أن المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعهم أحوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التناق في المساكن والملابس واستجادة الآنية والمعاون واتخاذ الخدم والمرآكب وهذه كلها أعمال تستدعى بقيمها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها فتتفق أسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار لمتحتج ذلك من قبل أعمالهم ومتي زاد العمران زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف تابعا للكسب وزادت عوائده وحاجاته واستتبعت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانية ونفقت سوق الاعمال بها أكثر من الاول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمصر اذا فضل بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه وبعوائده من الترف لا توجد في الآخر فما كان عمر انه من الامصار أكثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف القاضي مع القاضي والتاجر مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقي مع السوقي والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي واعتبر ذلك في المغرب مثلا لبحال فاس مع غيرهما من أمصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة نجد بينهما بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان وهكذا كل صنف مع صنف أهله وكذا أيضا حال تلمسان مع وهران والجزائر وحال وهران والجزائر مع مادونهما الى أن ينتهي الى المداشر الذين اعتمدوا في ضروريات معاشهم فقط ويقصرون عنها وما ذالك الا لتفاوت الاعمال فيها فكانها كلها أسواق للاعمال والخرج في كل سوق على نسبه فالقاضي بفاس دخله كفاء خرجه وكذا القاضي بتلمسان

ونفس هو في العساكر الى بطولية لقتال الامير عبد الرحمن فوجدته قدم ملك تازا فأقام عليها يحاصره وكان السلطان عبد العزيز قد جمع شبابا من بني آيه المرشجين فحبسهم بطنجة فلما وافي محمد بن الكلاس سبتة وقعت المراسلة بينهما وبين ابن الاحمر وعتب كل منهما صاحبه على ما كان منه واشتد على ابن الاحمر على اخلائهم الكرسي من كفته ونصبتهم السعيد بن عبد العزيز صليما ليشرفا ستعتب له محمد واستقال من ذلك فعمله ابن الاحمر على أن يبيع لاحدا لاء المحبوسين بطنجة وقد كان الوزير أبو بكر أوصاه أيضا بأنه ان تضايق عليه الامر من الامير عبد الرحمن يفرج عنه بالبيعة لاحد أولئك الابناء وكان محمد بن الكلاس قد استوزره السلطان أبو سالم لانه أحد أيام ملكه فبادر من وقته الي طنجة وأخرج السلطان أحمد ابن السلطان أبي سالم من محبسه وباع له وسار به الى

سبعة وكتب لابن الاحمر يعرفه بذلك ويطلب منه المدد على أن ينزل له عن جبل الفتح فأمدّه بما شاء من المال والعسكر واستولي على جبل الفتح وشجته بحاميته وكان أحمد ابن الساطن أبي سالم قد تعاهد مع بني أبيه في محبتهم على أن من صار له الملك منهم يميز الباقيين إلى الاندلس فلما بويج له ذهب إلى الوفاء لهم بعهدهم وأجازهم جميعا فنزلوا على الساطن ابن الاحمر فأكرم نزولهم ووفّر جرايتهم وبلغ الخبر بذلك كله إلى الوزير أبي بكر بمكانه من حصار الأمير عبد الرحمن فأخذه المقيم المقدم من فلة ابن عمه وكرّ راجعا إلى دار الملك وعسكر بكدية العرائس من فاس وتوعد ابن عمه محمد ابن عثمان فاعتذر بأنه امتثل وصيته فاستشاط وتهدهه واتسع الحرق بينهم وارتحل محمد بن عثمان بساطلانه ومدده من عسكر الاندلس إلى أن احتل بجبل زرهون المطل على مكناسة فعسكر

وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الاحوال أعظم وهما بفاس أكثر لتفاق سوق الاعمال بما يدعو اليه الترف فالاحوال أضخم ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنهي كفاكنا إلى الامصار التي لا تنوي أعمالها بضرورتها ولا تعتمد في الامصار اذ هي من قيل القري والمدائر فلذلك تجد أهل هذه الامصار الصغيرة ضغماء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن أعمالهم لا تنفي بضرورتهم ولا يفضل ما يتأثرونه كسبا فلاتته ومكاسبهم وهم لذلك مساكين محايج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك حتى في احوال الفقراء والسؤال فان السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الاضاحي اثمان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيرا من احوال الترف واقتراح المال كل مثل سؤال الاحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والمساكن كالغريال والآنية ولوسأل سائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر ويباغوا لهذا العهد عن احوال القاهرة ومصر من الترف والغنى في عوائدهم ما يقضى منه العجب حتى أن كثيرا من الفقراء بالمغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك وما يبلغهم من شأن الرفق بمصر أعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس أن ذلك لزيادة ايثار في أهل تلك الآفاق على غيرهم وأموال مختزنة لديهم وأنهم أكثر صدقة وايثارا من جميع أهل الامصار وليس كذلك وإنما هو لما تعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذا الامصار التي لديك فعظمت لذلك احوالهم * وأما حال الدخل والخرج فتكافي في جميع الامصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصر كل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تنسكه واعتبره بكثره العمران وما يكون غنسه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل والايثار على متبغيه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في هجرانها أو غشيانها فان بيوت أهل النعم والثروة والمواند الخصب منها تكثر بساحتها وأقيمتها بنثر الجيوب وسواقط الفتات فيزدحم عليها غواشي النمل والحشاش ويحاق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا وتمتلئ شجعا ورياء وبيوت أهل الخصاصة والفقراء الكاسدة أرزاقهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يحاق بجوها طائر ولا تاوى إلى زوايا بيوتهم فأرة ولا بهرة كما قال الشاعر

نسقط العاير حيث تلتقط الحب وتعشي منازل الكرماء

فتأمل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناسى بغاشية العجم من الحيوانات وفئات المواثد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يذلها لاستغنائهم عنها في الاكثر لوجود أمثاله لديهم واعلم أن اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرتهم والله سبحانه وتعالى أعلم وهو غنى عن العالمين

﴿فصل في أسعار المدن﴾

١٢

اعلم أن الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الاقوات وما في معناها كالباقلا والبصل والتوم وأشباهه ومنها الحاجي والكالمى مثل الادم والفواكه والماليس والمساكن والمراكب وسائر المصانع والمباني فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضرورى من القوت وما مناه وغلت أسعار الكالمى من الادم والفواكه وما يتبعها واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الامر بالعكس والسبب في ذلك أن الجيوب من ضرورات القوت فتوفر الدواعى على اتخاذها لكل أحد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره أو سنته فيم اتخاذها أهل المصر أجمع أو الاكثر منهم في ذلك المصر أو فيما قرب منه لا بد من ذلك وكل من اتخذ لقوته تفضل عنه وعن أهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثيرين من أهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن أهل المصر من غير شك فترخص أسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا

احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لبذلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران وأما سائر المرافق من الادم والفواكه وما إليها فأنها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها أعمال أهل المصر أجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستبحرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواعي على طاب تلك المرافق والاكتسكتار منها كل بحسب حاله فيقصر الموجد منها على الحاجات قصور ابالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتردحهم أهل الاغراض ويبدل أهل الرفه والترف أنماها باسراف في الغلاء لحاجتهم اليها أكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كآثره * وأما الصنائع والأعمال أيضا في الامصار الموفورة العمران فبسبب الغلاء فيها أمور ثلاثة الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز أهل الأعمال لخدمتهم وامتنان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم إلى امتنان غيرهم وإلى استعمال الصنائع في مهنتهم فيبدلون في ذلك لاهل الأعمال أكثر من قيمة أعمالهم مزاحمة ومنافسة في الاستثابرة فيعتر العمال والصنائع وأهل الحرف وتغلب أعمالهم وتكثر نفقات أهل المصر في ذلك * وأما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلّة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحتكرونه فيعز وجوده لديهم ويغلبون منه على مستامه وأما مرافقهم فلا تدعو اليها أيضا حاجة بقلّة الساكن وضعف الاحوال فلا تنفق لديهم سوق فيختص بالرخص في سعره وقد يدخل أيضا في قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الاسواق وأبواب الحفر والحياة في منافع وصولها عن البيوعات لمسايسهم وبذلك كانت الاسعار في الامصار أغلى من الاسعار في البادية اذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة وكثرتها في الامصار لاسيما في آخر الدولة وقد تدخل أيضا في قيمة الاقوات قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك أنهم لما ألجأهم النصارى الى سيف البحر وبلاد المتوعدة الحثينة الزراعة النكدة النبات وملكوا عليهم الارض الزراعية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها وفلاحها وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤنة وصارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واختص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطهرهم النصارى الى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لاجل ذلك وبحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار في قطرهم أنها قلّة الاقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم أكثر أهل المعمور فلاحا فيما علمناه وأقومهم عليه وقل أن يخلو منهم سلطان أو سوقة عن فدان أو مزرعة أو فلاح الاقل من أهل الصنائع والمهن أو الطراء على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطايتهم بالعولة وهي أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع وانما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاه منابتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤنة جملة في الفلاح مع كثرة وعمومه فصار ذلك سببا لرخص الاقوات ببلدهم والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

١٣

به واشتملوا عليه وزحف اليهم الوزير أبو بكر وصعد الجبل فقاتلوه وهزموه ورجع الى مكانه بظاهر دار الملك وكان السلطان ابن الأحمر قد أوصى محمد ابن عثمان بالاستعانة بالامير عبد الرحمن والاعتضاد به ومسا همته في جانب من أعمال المغرب يستبد به لنفسه فراسله محمد بن عثمان في ذلك واستدعاه واستمده وكان وتر مار بن عريف ولى سلفهم قد أظلم الجوب بينه وبين الوزير أبي بكر لانه سألوه وهو محاصر تازا في الصباح مع الامير عبد الرحمن فامتنع وأتهمه بمدخلته والميل له فاعتزم على التقبض عليه وودس اليه بعض عيونهم فركب الليل ولحق بأحياء الاحلاف من المعقل وكانوشية للامير عبد الرحمن ومعهم على بن عمر الويفلاني كبير بني ورتاجين كان اتقضى على الوزير ابن غازي ولحق بالسوس ثم خاض القفر الى هؤلاء الاحلاف فنزل بينهم

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترّفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف وتمتد تلك الحاجات لما يدعوا اليها فتقلب ضرورات وتصير فيه الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدحام الاغراض عليها من أجل الترف والمغارم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغة على نسبة عمرانه ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عينتهم وسائر مؤنهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا اذا كان ساكنا فكان كاسد الاسواق في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأمل كسبا ولا ملافا فيتذر

مقيما لدعوة الأمير عبد الرحمن بجاءهم وترمار مفلتا من حباله الوزير أبي بكر وحرصهم على ما هم فيه ثم بلغهم خبر السلطان أحمد بن أبي سالم ووزيره محمد بن عثمان وجاءهم وافدا الأمير عبد الرحمن يستدعيهم وخرج من نازا فلقيمهم ونزل بين أحيائهم ورحلوا جميعا إلى إمداد السلطان أبي العباس حتى انتهوا إلى صفروى ثم اجتمعوا جميعا على وادى النجاو تعاقدوا على شأنهم وأصبحوا غدا على التبعة كل من ناحيته وركب الوزير أبو بكر لقتالهم فلم يطق وولى منهم زما فاحجج بالبلد الجديد وخيم القوم بكدية العرائس محاصرين له وذلك أيام عيد الفطر من سنة خمس وسبعين فحاصروها ثلاثة أشهر وأخذوا بهيختها إلى أن جهد الحصار الوزير ومن معه فأذعن للصاح على خلع الصبي المنسوب السعيد بن السلطان عبد العزيز وخروجه إلى السلطان أبي

عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مرقه وعزلة حاجاته وهو في دونه يسد خلته بأقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنه فلا يضطر إلى المال وكل من يتشوف إلى المصر وسكانه من أهل البادية فسر يعاما يظهر عجزه ويقتضج في استيظانه الامن يقدم منهم تأمل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجرى إلى الغاية الطبيعية لاهل العمران من الدعوة الترف فيخذل ينقل إلى المصر وينتظم حاله مع أحوال أهله في عوائدهم وترفعهم وهكذا شأن بداية عمران الامصار والله بكل شئ محيط

١٤ فصل في أن الاقطار في اختلاف أحوالها بالرقة والفقر مثل الامصار

(اعلم) أن ما توفّر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثر ساكنها اتسعت أحوال أهله وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وماسياتي ذكره ما من أنها سبب الثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على الناس كسبا يتأثرونه حسبما نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب في تزيد الرفه لذلك وتتسع الاحوال ويحجى الترف والغنى وتكثر الحياة للدولة بنفاق الاسواق فيكثر ما لها ويشخ سلطانها ويتفنن في اتخاذ المعاول والحصون واختطاط المدن وتشديد الامصار واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها وأقطارها وراء البحر الرومي نساكثر عمراتها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولتهم وتعددت مدتهم وحواضرهم وعظمت متاجرهم وأحوالهم فالذي نشاهده لهذا العهد من أحوال تجار الامم النصرانية الواردة على المسلمين بالمغرب في رفهم واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف وكذا تجار أهل المشرق وما يبلغنا عن أحوالهم وأبلغ منها أحوال أهل المشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين فانه يبالغنا عنهم في باب الغنى والرفه غرائب تسير الركبان يحدونها ورما تاتي بالانكار في غالب الامر ويحسب من يسمعهما من العامة أن ذلك لزيادة في أموالهم أولان المعادن الذهبية والفضية أكثر بارضهم أولان ذهب الاقدمين من الامم اسأروا به دون غيرهم وليس كذلك فمعدن الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي إلى المغرب أقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانما يجلبونه إلى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتيدا موفورا لديهم لما جلبوا بضائهم إلى سواهم يتبعون بها الاموال ولا يستغنوا عن أموال الناس بالجملة ولقد ذهب المنجمون لما رأوا مثل ذلك واستغربوا ما في المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفورا أموالها فقاموا بان عطايا الكواكب والسهام في مواليد أهل المشرق أكثر منها حصصا في مواليد أهل المغرب وذلك بخير من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما نراه وهم انما اعطوا في ذلك السبب النجمي وبقي عليهم أن يعطوا السبب الارضي وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بأرض المشرق وأقطاره وكثرة العمران تفيد كثرة الكسب بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفه من بين الآفاق لان ذلك الجرد الاثر النجمي فقد فهمت مما أثرنا لك أولانه لا يستقل بذلك وان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها أمر لا بد منه واعتبر حال هذا الرفه من العمران في قطر افريقية وبرقة لما خفف سكانها وتناقص عمرانها كيف تلاشت أحوال أهلها وانتهاوا إلى الفقر والخصاصة وضعت جباياتها فقلت أموال دولها بعد أن كانت دول الشيعة وصنهاجة بها على ما بلغك من الرفه وكثرة الحيايات واتساع الاحوال في نفس قاتمهم وأعطياتهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من القير وان إلى صاحب مصر لحاجاته ومهماته وكانت أموال الدولة بحيث حمل جوهر الكاتب في سفره إلى فتح مصر ألف حمل من المال يستعدها لارزاق الجنود وأعطياتهم ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في القديم دون افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت أحواله في دول الموحدین متسعة وجباياته موفورة وهذا العهد قد أقصر

عن ذلك لقصور العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه أكثره ونقص عن معهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكاد أن يباحق في أحواله بمثل أحوال أفريقية بعد أن كان عمرانه متصلا من البحر الرومي إلى بلاد السودان في طول ما بين السوس الأقصى وبرقة وهي اليوم كلها أو أكثرها قفار وخلاء وصحاري الاماهو منها بسيف البحر أو ما يقاربه من التلول والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٥

﴿فصل في تأثيل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها﴾

(اعلم) ان تأثيل العقار والضياع الكثيرة لأهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا في عصر واحد اذ ليس يكون لأحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها عن الحدود لو بلغت أحوالهم في الرفه ما عسى أن تبلغ وانما يكون ملكهم وتأنيهم لها تدريجا مابالورانه من آباءه وذوي رحمه حتى تنادى أملاك الكثيرين منهم إلى الواحد أو أكثر لذلك أو أن يكون بحواله الاسواق فان العقار في آخر الدولة وأول الاخرى عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعي المصر إلى الحراب تقل الغبطة بقسلة المنفعة فيها يتلانى الأحوال فترخص قيمها وتملك بالانسان اليسيرة وتتخطى بالميراث إلى ملك آخر وقد استجد المصر شيابه باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له أحوال رائمة حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع لكثرة منافعها حينئذ قطع قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا معني الحواله فيها ويصبح مال كهما من أغنى أهل المرو ليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل ذلك وأما فوائدها العقار والضياع فهي غير كافية لمساكنها في حاجات معاشها ذهني لاتفى بموائدها لترف وأسبابه وانما هي في الغالب لسد الحاجة وضرورة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان أن التقصدا بقائه الملك من العقار والضياع انما هو الحشية على من يترك خلفه من الذرية الضعفاء ليكون مبرا بهم به ورزقهم فيه ونشؤهم بفائدة ماداموا عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سموافيا بأنفسهم وربما يكون من الولد من يعجز عن التكسب اضغف في بدنه أو آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار قواما لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائه وأما التمول منه واجراء أحوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك منه للقليل أو التادير بحواله الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه والعالي في جنسه وقيمه في المصر الآن ذلك اذا حصل ربما امتدت إليه أعين الأمراء والولاة واغتصبوه في الغالب أو أرادوه على بيعه منهم ونالت أصحابه منه مضار ومعاطب والله غالب على أمره وهورب العرش العظيم

١٦

﴿فصل في حاجات المتمولين من أهل الامصار إلى الحياه والمدافعة﴾

وذلك أن الحضري اذا عظم ثقله وكثر للعقار والضياع تأثله وأصبح أغنى أهل المصر ورمقه العيون بذلك وانفسحت أحواله في الترف والعوائد زاحم عليها الأمراء والملوك وغصوبه ولما في طباع البشر من العدوان تمتد أعينهم إلى تملك ما يبدون يافسونه ويحولون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة حكم سلطاني وسبب من المؤاخذة ظاهر يتزع به ماله وأكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذا العدل الحوض انما هو في الخبالفة الشرعية وهي قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا فلا يد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة في العمران من حامية تدود عنه وجاء ينسحب عليه من ذى قرابة للملك أو خالصة له أو عصبية يتحاماها السلطان فيستظل بظلمها ويرتع في أمهات من طوارق التعدي وان لم يكن له ذلك أصبح نهبا بوجود التحيلات وأسباب الحكم والله يحكم لامقلب لحكمه

١٧

﴿فصل في أن الحصار في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ

بأصل الدولة ورسوخها﴾

العباس ابن عمه والبيعة له وكان السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن قد تعاهدوا عند الاجتماع بوادى النجا على التعاون والتناصر على أن الملك للسلطان أبي العباس بسائر أعمال المغرب وان للامير عبد الرحمن بلد سجلماسة ودرعة والأعمال التي كانت لجده السلطان أبي على أخى السلطان أبي الحسن ثم بدا للامير عبد الرحمن في ذلك أيام الحصار واشتط بطلب مراكش وأعمالها فغضوا له في ذلك وشارطوه على ذلك حتى يتم لهم القتح فلما انعقد ما بين السلطان أبي العباس والوزير أبي بكر وخرج اليه من البلد الجديد وخلع سلطانه الصبي المنصوب ودخل السلطان أبو العباس إلى دار الملك فأتى ست وسبعين وارثا للامير عبد الرحمن يفن السير إلى مراكش وبدا السلطان أبي العباس ووزيره محمد بن عثمان في شأنه فسر حوا المساكر في اتباعه واتهوا خلفه إلى وادى بهت فواقفوه ساعة

من نهار ثم أحجموا عنه
وولوا على راياتهم وساروا
الي مراكن ورجع عنه
وزير مسعود بن ماسي بعد
ان طلب منه الاجازة لي
الاندلس يتودعها فسرحه
لذلك وسارا الي مراكن
فلكها وأما أنا فكننت مقيما
بفاس في ظل الدولة وعنايتها
منذ قدمت علي الوزير سنة
أربع وسبعين كمرعا كفا
علي قراءة العلم وتدرسه
فلما جاء السلطان أبو العباس
والامير عبد الرحمن
وعسكروا بكدي العرائس
وخرج أهل الدولة اليهم
من الفقهاء والكتاب والخدم
وأذن للناس جميعا في مراكرة
أبواب الساطنين من غير
تكبير في ذلك فكنت أباكرهم
معا وكان بيني وبين الوزير
محمد بن عثمان ما مر ذكره
قبل هذا فكان يظهر لي
رعاية ذلك ويكثر من
المواعيد وكان الامير عبد
الرحمن يعل الي ويستدعي
أكثر أوقاته ويشاورني في
أحواله فقص بذلك الوزير
محمد بن عثمان وأغرى
سلطانه فتقبض علي وسمع

والسبب في ذلك أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت
الرفعة وتفاوت الامم في القوة والكثرة تتفاوت فيها عند كثرة التفتن في أنواعها وأصنافها فتكون
بمثلة الصنائع ويحتاج لكل صنف منها الي القوة عليه والمهارة فيه وبقدر ما يتردد من أصنافها يتردد أهل صناعتها
ويكون ذلك الحيل بها ومتي اتصت الايام وتماقت تلك الصناعات حذق أولئك الصنائع في صناعتهم ومهروا في
معرفة قواها والاعصار ببنائها وانساح أمدها وتكرار أمثلها تزيدها استحكاما ورسوخا وكثر ما يقع ذلك في
الامصار لاستبحار العمران وكثرة الرزق في أهلها وذلك كله انما يجي من قبل الدولة لان الدولة تجمع أموال
الريعية وتنفعها في بطانتها ورجالها وتسع أحوالهم بالجاه أكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال
من الرعايا وخرجها في أهل الدولة ثم فيمن تعاقبهم من أهل المصروهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر
غناهم وتزيد عوائد الترف ومذاهبهم وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فنونها وهذا هي الحضارة ولهذا تجد
الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تعاقب عليها أحوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع
مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك الا لجواردة السلطان لهم وفيض
أدولتهم كلما ينحصر ما قرب منه فاقرب من الارض الي أن ينتهي الي الخوف على البعد وقد قدمنا أن
السلطان والدولة سوق العالم فالبضائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه واذا بدت عن السوق افتقدت
البضائع جملة ثم ان اذا اتصت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك العصر واحدا بعد واحد استحكمت الحضارة
فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود والاطال ملكهم بالشام نحو من ألف وأربعمائة سنة رسخت حضارتهم
وحذقوا في أحوال المعاش وعوائد التفتن في صناعاتهم والمطاعم والملابس وسائر أحوال المنزل حتى انها
لأن حذقهم في الثغالب الي اليوم ورسخت الحضارة ايضا وعوائدهم في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة
سنة فكانوا في غاية الحضارة وكذلك أيضا القبط دام ملكهم في الخليفة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوائد
الحضارة في بلادهم مصر وأعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناصر للكل فلم تزل عوائد الحضارة بها
متصلة وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لان اتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالة والتابعة آلافا من
السنين وأعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لان اتصال دولة التبت والفرس بها من لدن الكلديانيين
والكيانية والكسروية والعرب بعدهم آلافا من السنين فلم يكن علي وجه الارض لهذا العهد حضرة من أهل الشام
والعراق ومصر وكذا أيضا رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لان اتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم
مأعقبها من ملك بني أمية آلافا من السنين وكلنا الدولتين عظمة فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت
وأما إفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع الافرنجة الي إفريقية البحر وملكوا الساحل
وكانت طاعة البربر أهل الفاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قنعة وأولاهل المغرب لم تجاورهم دولة
وانما كانوا يعيشون بطاعتهم الي القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب إفريقية والمغرب لم
يبث فيهم ملك العرب الا قليلا اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بإفريقية والمغرب
لم يجدهم من الحضارة ما يقد فيه من سلفه اذ كانوا بربر منغسين في البداوة ثم اتقوا بربر المغرب الاقصى
لا قرب اليهود علي يد ميسرة المظفر في أيام هشام بن عبد الملك ولم يرجعوا أمر العرب بعدواستقلا بأمرا أنفسهم
وان بايعوا الادريس فلا تعدد دولته فيهم عربية لان البربر هم الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدد وبقيت
إفريقية الاغلبية ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء بحصول لهم من ترف الملك ونعيمه
وكثرة عمران القيروان وورث ذلك عنهم كتامة ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعمائة سنة
وانصرفت دولتهم واستحالت صعبة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بد والعرب الهلاليين عليها

وخرّبوها وبقى أثر خفي من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يؤنس سلف له بالقلة أو القير وان أو المهدية سلف فتجدله من الحضارة في شؤون منزله وعوائدها حواله آثارا متبسة بغيرها من الحضاري البعير بها وكذا في أكثر أمصار أفريقيا وليس ذلك في المغرب وأمصاره لرسوخ الدولة بأفريقية أكثر أمدا منذ عهد الإغالية والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكمتها ومعظمها من أهل الأندلس ثم انتقل أهل شرق الأندلس عند جالية النصارى الى أفريقية فأبقوا فيها بأمصارها من الحضارة آثارا ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وأفريقية حظ صالح من الحضارة عفى عليه الخلاء ورجع على أعقابها وعاد البربر بالمغرب الى أديانهم من البداوة والحشونة وعلى كل حال فآثار الحضارة بأفريقية أكثر منها بالمغرب وأمصاره لما تداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد أهل مصر بكثرة المترددين بينهم فتفظن لهذا السرفاة خفي عن الناس واعلم أنها أمور متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الأمة أو الحيل وعظم المدينة أو الأمصار وكثرة النعمة واليسار وذلك أن الدولة والمملك صورة الحليقة والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والأهوار وسائر الأحوال وأموال الحياة عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من أسواقهم ومتاجرهم وإذا أفاض السلاطان عطاءه وأمواله في أهلها انبت فيهم ورجعت اليهم ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الحياة والخراج عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة وأصله كله العمران وكثرتة فاعتبره وتأمله في الدول مجده والله يحكم لامعقب لحكمه

١٨ ﴿فصل في ان الحضارة غاية العمران ونهاية العمر دور انهم مؤذنة بفساده﴾

قد بينا لك فيما سلف أن المملك والدولة غاية للعصيدة وأن الحضارة غاية للبداوة وإن العمران كله من بداوة وحضارة ومملك وسوقه له عمر محسوس كأن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمر محسوسا وتبين في المعقول والمثقول أن الاربعين للانسان غاية في تزايد قوامه ونموها وأنه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة عن أثر النمو والنمو بزمه ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضا كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعه الى مذاهب الحضارة والتخلف بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفتن في الترف واستجدات أحواله والكف بالصنائع التي تؤرق من أصغافه وسائر فوائده من الصنائع المهمة للعطاش أو الملابس أو المبانى أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل وللتأنيق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة وعدم التأنيق فيها واذا بلغ التأنيق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتلون النفس من تلك العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولادنياها أماديتها فلا يستحكما صبغة العوائد التي يعبر زعمها وأماديتها فلكثرة الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها * ويانه أن المصير بالتفتن في الحضارة تعظم نفقات أهلها والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران ففي كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل وقد كنا قدمنا أن المصير الكثير العمران يختص بالفلاء في أسواقه وأسعار حاجته ثم تزيدها المكوس غلاء لان الحضارة إنما تكون عند انتهاء الدولة في استيفائها وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة خرجهما حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على البياعات بالفلاء لان السوق والتجار كلهم يحسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما يدفعونه حتى في مؤنة أنفسهم فيكون المكس لذلك داخلا في قيم المبيعات وأنماها فتعظم نفقات أهل الحضارة ونخرج عن القصد الى الاسراف ولا

الامير عبد الرحمن بذلك وعلم اني انما أتيت من جراد خلف ليقوض خيامه ويبعث وزيره مسعود بن ماسي لذلك فأطلقني من الغد ثم كان افتراقهما لثلاثة ودخل الامير أبو العباس دار الملك وسار الامير عبد الرحمن الى مراكنش وكنت أنا يومئذ مستوحشا فصحبني الامير عبد الرحمن معترفا على الاجازة الى الأندلس من ساحل آسفي معولا في ذلك علي بحياة الوزير مسعود ابن ماسي لهواى فيه فلما رجع مسعود تي عزمي في ذلك ولحقنا بوتر مار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف لتقدمه وسيلة الى السلطان أبي العباس صاحب فاس في الجواز الى الأندلس ووافينا عنده داعي السلطان فصحبناه الى فاس واستأذنه في شأنى فأذن لي بعدمطاوله وعلى كره من الوزير محمد ابن عثمان بن داود بن اعراب ورجال الدولة وكان الاخ يحيى بن ارحل السلطان أبو حو من تامسان رجع عنه من بلاد زغبة الى

السلطان عبد العزيز فاستقر
في خدمته وبعده في خدمة
ابنه السيد المنسوب مكانه
ولما استولى السلطان أبو
العباس على البلد الجديد
استأذن الاخ في الالحاق
بتلسمان فأذن له وقدم على
السلطان أبي حمو فأعاده
لكتابته سره كما كان أول
أمره وأذن لي أنا بعده
فانطلقت الي الاندلس
بفصد انقراو والدعة الى
أن كان ما ذكره ان شاء
الله تعالى

الاجازة الثانية الى
الاندلس ثم الى تلسمان
والالحاق بأحياء العرب
والمقامة عند أولاد
عريف

ولما كان ما قصصه من
تسكر السلطان أبي العباس
صاحب فاس والذهاب مع
الامير عبد الرحمن ثم
الرجوع عنه الى وتر ماربن
عريف طلبا للوسيلة في
انصرافي الي الاندلس
بقصد الفرار والعكوف
على قراءة العلم فم ذلك
ووقع الاسعاف به بعد

يحدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من أثر العوائد وطاعها ونذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتابعون في
الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للمبايع فتكسد الاسواق ويفسد حال المدينة وداعية
ذلك كله أفرط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران وأما فساد أهلها
في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود
على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة
والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتصرف النفس الى الفكر في ذلك والغوص عليه
واستجماع الحيلة فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الايمان
والربا في البياعات ثم تجدهم أبصر بطرق الفسق ومذاهب والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه
حتى بين الأقارب وذوي المحارم الذين تقتضي البدواة الحياء منهم في الاقتداع بذلك وتجدهم أيضا أبصر بالمركر
والخدعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يشوقونه من العقاب على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة
وخلقا لاكثرهم الامن عصمه الله ويخرج من المدينة بالسفلة من أهل الاخلاق الذميمة وبجاريهم فيها كثير من
ناشئة الدولة وولدانهم ممن أهل عن التأديب وغلب عليه خلق الجواروان كانوا أهل أنساب وبيوتات وذلك
أن الناس بشر متماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضائل واحتساب الرذائل فمن استحكمت
فيه صيغة الرذائل بأى وجه كان وفسد خلق الخير فيه لم تنفعه زكاه نسب ولا طيب منتهى ولهذا تجد كثيرا من أعقاب
اليوت وذوي الاحساب والاصالة وأهل الدول منظر حين في الغمار منتحلين لا تحرف الدينية في معاشهم بما
فسد من أخلاقهم وما تلونوا به من صيغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك في المدينة أو الامة تأذن الله بخرابها
وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا ووجهه حينئذ أن مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم أحوالهم
واذا فسدت أحوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض أهل
الخواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارنج تأذن بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتخامى غرس النارنج بالدور
وليس المراد ذلك ولأنه خاصة في النارنج وانما معناه أن البساتين واجراء المياد هو من توابع الحضارة ثم ان
النارنج والايام والسرور وأمثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية الحضارة اذ لا يقصدها في البساتين الا
أشكالها فقط ولا تنرس الا بعد التفتن في مذاهب الترف وهذا هو الطور الذي يخفي معه هلاك المصر وخرابه
كقنائه وان قد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصدها الا تلون البساتين بنور هاما بين
أحرر وأيضا وهو من مذاهب الترف * ومن مفسدات الحضارة انها مك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة
الترف فيقع التفتن في شهوات البطن من المساكل والملاذ ويتبع ذلك التفتن في شهوات الفرج بانواع المتكح من
الزنا والواط فيفضى ذلك الى فساد النوع إما بواسطة اختلاط الانساب كافي الزنا فيجهل كل واحد ابنه اذ هو لغير
رشد لان المياد مختاطلة في الارحام فتفسد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويؤدى ذلك الى
انقطاع النوع أو يكون فساد النوع كالواط اذ هو يؤدى الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدى الى عدم ما يوجد
منه ولذلك كان مذهب مالك رحمه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بمقاصد الشرعية
واعتبارها لمصالح فافهم ذلك واعتبر به أن غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه اذا بالغ غايته انقلب الى الفساد
وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية لا يحيو انات بل تقول ان الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد
لان الانسان إنما هو انسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضارده واستقامة خلقه لاسمي في ذلك والحضري
لا يقدر على مبائنه حاجاته اما عجز الماحصل له من الدعة أو ترفع الماحصل له من المربي في النعم والترف وكلا

الأميرين ذمهم وكذا لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه لاسي في ذلك والحضري بما قد فقد من خلق
الانسان بالترف والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك عيال على الحماية التي تدافع عنه ثم هو فاسد أيضا غالبا بما فسدت
منه العوائد وطاعتها ما تلونت به النفس من مكانتها كإقرارنا في الأقل النادر وإذا فسد الانسان في قدرته على
أخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار مستخاضا على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يربون على الحضارة
وخلقها موجودين في كل دولة فقد تبين أن الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة والله
سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن

١٩ فصل في أن الامصار التي تكون كحواشي للملك تخرب بحراب الدولة وانتقاضها

قد استقر بنا في العمران أن الدولة اذا احتلت وانتقضت فان المصير الذي يكون كرسى السلطانها ينتقض عمرانه
وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه أمور (الاول) ان الدولة لا بد في أولها
من البداوة المقتضية للتجافي عن أموال الناس والبعد عن التحذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الحياة والمغامر التي منها
مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسى للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة
ونقصت أحوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت أيديهم من أهل المصير لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خاق
الدولة اما طوعا لمافي طباع البشر من تقليد متبوعهم أو كرها ما يدعوا اليه خاق الدولة من الانقباض عن الترف
في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر لذلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائد
الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير (الامر الثاني) ان الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب
وانما يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداها على الاخرى في
العوائد والاحوال وغلب أحد المتنافين يذهب بالمتنافي الآخر فتكون أحوال الدولة السابقة منكروة عند أهل
الدولة الجديدة ومستبشة وقيحة وخصوصا أحوال الترف فتقتضي في عرفهم بشكر الدولة لها حتى تنشأ لهم
بالترديد عوائد أخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك تصور الحضارة الاولى ونقصها وهو
معنى اختلال العمران في المصير (الامر الثالث) ان كل أمة لا بد لهم من وطن هو منشؤهم ومنه أولية ملكهم
واذا ملكوا ملكا آخر صار تبعه الاول وأمصارة تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط
الكرسى نحو الممالك التي للدولة لانه شبه المركز لنطاق فيبعدمكانه عن مكان الكرسي الاول وتهوي أفئدة الناس
اليه من أجل الدولة والسيطان فينتقل اليه العمران ويخف من مصير الكرسي الاول والحضارة انما هي توفر
العمران كما قد مرناه فتنقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله وهذا كوقع للساجوقية في عدوهم بكرسيهم عن
بغداد الى أصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن الى الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول عن دمشق
الى بغداد ولبنى مرين بالمغرب في العدول عن مراکش الى فاس وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسي في مصر يغزل
بعمران الكرسي الاول (الامر الرابع) ان الدولة الثانية لا بد فيها من تبع أهل الدولة السابقة وأشياءها
يجوبهاهم الى قطار آخر يؤمن فيه غائثهم على الدولة وأكثر أهل المصير الكرسي أشياع الدولة اما من الحماية
الذين نزلوا به أول الدولة وأعيان المصير لان لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع أصنافهم بل أكثرهم
نائش في الدولة فهم شعبة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصية فهم بلابل والحجة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة
محو آثار الدولة السابقة فيقلصهم من مصير الكرسي الي وطنه المتمكن في ملكتها بعضهم على نوع التهريب
والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتأخف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبق في مصير الكرسي الانبعاث
والهمل من أهل الفتح والعبارة وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتها وأشياءها من يشتهدها المصير واذا ذهب من
مصر أعيانهم على طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يستجد عمران آخر في ظل

الامتناع وأجبرت الي
الاندلس في ربيع سنة ست
وسبعين ولقيني السلطان
بالكرامة وأحسن التزل على
عادته وكنت لقيت بجبل
الفتح كاتب السلطان ابن
الاحمر من بعد ابن الخطيب
الفقيه أبا عبد الله بن زمرك
ذاهب الى فاس في غرض
التهنئة وأجاز لي سبته في
اسطوله وأوصيته باجزة
أهلي وولدي الى غرناطة
فلما وصل الى فاس وتحدث
مع أهلي في اجازتهم تشكروا
لذلك وساءهم استقرار
بالاندلس واتهموا اني ربما
أحمل السلطان ابن الاحمر
على الميل الى الامير عبد
الرحمن الذي اتهموني
بملاسته ومنعوا أهلي
من الايقاظي وخطبوا ابن
الاحمر في أن يرجعني اليهم
فأبى من ذلك فطلبوا منه
أن يجيزني الى عدوة تلمسان
وكان مسعود بن ماسي قد
أذنوا لي في الايقاظ بالاندلس
فخلوه مشافهة السلطان
بذلك وأبدوا لي اني كنت
ساعيا في خلاص ابن الخطيب
وكأنوا قد اعتقلوه لاول

الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من له بيت على أوصاف مخصوصة
 تأمل من قدرته على تغيير تلك الأوصاف وإعادة بنائها على ما يختار دونه فيخر بذلك البيت ثم يبدئ ببناء
 ثانيا وقد وقع من ذلك كثير في الأمصار التي هي كراسي للملك وشاهدنا وعلمناه والله يقدر الليل والنهار
 والسبب الطبيعي الأول في ذلك على الجملة أن الدولة والمملك العمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ
 بنوعه لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر فالدولة دون العمران
 لا تصور والعمران دون الدولة والمملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع فتعين السياسة
 لذلك اما الشريعة أو الملكية وهو معنى الدولة وإذا كان لا ينضج فاحتلال أحدهما مؤثر في اختلال الآخر كأن
 عدمه مؤثر في عدمه والحلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم أو الفرس أو العرب على
 العموم أو بني أمية أو بني العباس كذلك وأما الدولة الشخصية مثل دولة أنوشروان أو هرقل أو عبد الملك بن مروان
 أو الرشيد فأشخاصها متعاقبة على العمران حافظة لوجوده وبقائه وقرينة الشبه بعضها من بعض فلا تؤثر كثير
 الخلل لأن الدولة بالحقيقة التفاعلية في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة على أشخاص الدولة
 فإذا ذهبت تلك العصبية ودفعها عصبية أخرى مؤثرة في العمران ذهب أهل الشوكة باجمعهم وعظم الخلل كما قررناه
 أو لا والله سبحانه وتعالى أعلم

٢٠ فصل في اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض

وذلك أنه من البين أن أعمال أهل المصر يستدعي بعضها بمضام في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من
 الأعمال يختص ببعض أهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويعملون معاشهم فيه
 ورزقهم منه لعموم البلوى به في المصر والحاجة إليه وما لا يستدعي في المصر يكون غفلا إذا فائدة لمتجلبه في
 الاحتراف به وما يستدعي من ذلك اضطرور للمعاش فيوجد في كل مصر كالخياط والحداد والتجار وأمثالها
 وما يستدعي لعمائد الترف وأحواله فانما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة الآخذة في عوائد الترف
 والحضارة مثل الزجاج والصائغ والدهان والطباخ والصفار والفرش والذبايح وأمثال هذه وهي متفاوتة وبقدر
 ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك المصر دون غيره ومن
 هذا الباب الحمايات لأنها إنما توجد في الأمصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعوا إليه الترف والنهي من
 التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وانزع بعض الملوك والرؤساء إليها فيختطها ويجري أحوالها إلا
 أنها لا يمكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتحرب وتقر عنها القومة لقلة فائدتهم ومعاشهم منها والله
 يقضه بيسر

٢١ فصل في وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض

من البين أن الالتحام والاتصال بوجود في طباع البشر وان لم يكونوا أهل نسب واحد إلا أنه كما قدمناه أضعف مما
 يكون في النسب وأنه تحصل به العصبية بمضام يحصل بالنسب وأهل الأمصار كثير منهم ملتحمون بالصهر
 يجذب بعضهم بعضا إلى أن يكونوا الحماة وقرابة قرابة وتجد بينهم من المداوة والصدقة ما يكون بين القبائل
 والعشائر مثله فيفترون شيئا وعصائب فإذا نزل الهرم بالدولة وتصل ظل الدولة عن القاصية احتاج أهل
 أمصارها إلى القيام على أمرهم والنظر في حماية بلدهم ورجعوا إلى الشوري وتميز العلية عن السفلة والثفوس
 طباعها متطاوله إلى الغاب والرياسة قطع مع المشيخة لخلاء الجوارح من السلطان والدولة القاهرة إلى الاستبداد
 ، ينازع كل صاحبه ويستوصلون بالاتباع من الموالي والشيعة والاحلاف ويدلون ما في أيديهم للأوغاد
 والأوشاب فيمصوب كل صاحبه ويعين الغاب بعضهم فيحطف على أكنائهم ليقص من أعينهم ويتبعهم بالقتل أو

استيلائهم على البلد الجديد
 وظفرهم به وبعث إليه ابن
 الخطيب مستنصر خا به
 ومتوسلا فخطبت في شأنه
 أهل الدولة وعولت فيه
 منهم على وتر ماروا بن ماسي
 فلم تنجح تلك السعاية وقتل
 ابن الخطيب بمحبسه فلما
 قدم ابن ماسي على السلطان
 ابن الأحمر وقد أغرو به
 أتى إلى السلطان ما كان
 منى في شأن ابن الخطيب
 فاستنصروا حش من ذلك
 وأسعفهم بأجازي التي
 العدو ونزلت بهنن والجو
 بين وبين السلطان أبي حمو
 مظلم بما كان منى في اجلاب
 العرب عليه بازاب كمر
 فأوعز بمقامي بهنن ثم وفد
 عليه محمد بن عمر بف فعذله
 في شأنه فبعث عني إلى
 تلمسان واستقررت بها
 بالعباد ولحقني أهلي وولدي
 من فاس وأقاموا معي وذلك
 في عيد الفطر سنة ست
 وسبعين وأخذت في بت العلم
 وعرض للسلطان أبي حمو
 رأي في الزاودة وحاجة
 إلى استئلا فهم فاستدعاني
 وكلفني السفارة إليهم في هذا

التعريب حتى يخذلهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار الحادشة ويستبد بمصره أجمع ويرى أنه قد استحدث ملكا
يورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما يسمو
بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعاظم أصحاب القبائل والشاشر والعصيات والزخوف والجرور والاقطار
والملك فيتحلون بها من الجلوس على السرير واتخاذ الآلة واعداد المواعيد للسير في اقطار البلد والتختم
والحسية والخطاب بالتبويل ما يسخر منه من يشاهد أحوالهم بالتخلوه من بشارات الملك التي ليسوا بها أهل
انما دفعهم الى ذلك نقص الدولة واتحاح بعض القربان حتى صارت عصبية وقد تنزه بعضهم عن ذلك ويجري
على مذهب السذاجة فرار من التعريض بنفسه للسخرية والعبث وقد وقع هذا بفرقة لهذا العهد في آخر
الدولة الحفصية لاهل بلاد الجريد من طرابلس وقابس وتوزرو نقطة وقصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك
سموا الى مثلها عند تقاضى ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستسلموا على أمصارهم واستبدوا بأمرها على
الدولة في الاحكام والحياة وأعطوا طاعة معروفة وصفقة ممرضة وأقطعوا هاجانبا من الملاينة والملاطفة
والانقياد وهم بمنزل عنده وأورثوا ذلك أعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغائلة والتجبر ما يحدث
لأعقاب الملوك وخلفهم ونظروا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقه حتى تحاذك ولا تأمير
المؤمنين أبو العباس واتزع عما كان بأيديهم من ذلك كإنذكرة في أخبار الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر
الدولة الصنهاجية واستقل بأمصاير الجريد أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين
وملكهم عبد المؤمن بن علي ونقلهم كلهم من امارتهم بها الى المغرب ومحامن تلك البلاد آثارهم كإنذكرة في أخباره
وكذا وقع بسببته آخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبيا في أهل السروات والبيوتات المرشجين
للمشيخة والرياسة في المعصر وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدهاء وإذا حصلت له العصبية
والالتحام بالآو غاد لاسباب يجر هاله المقدار فيتغلب على المشيخة والعباية إذا كانوا قافدين للعصاية والله سبحانه
وتعالى غالب على أمره

فصل في لغات أهل الامصار

٢٢

الغرض فاستوحشت منه
ونكرته على نفسي لما أثرته
من التخلي والانتقطاع
وأجسته الى ذلك ظاهرا
وخرجت مسافرا من
تامنسان حتى انتهيت الى
البطحاء فعدت ذات اليمين
الى منداس ولحقت باحياء
أولاد عريف قبلة جبل
كزول فاقفوني بالتحف
والكرامة وأقمت بينهم أياما
حتى يبعثوا عن أهلي وولدي
بآمنسان وأحسنوا العذر
الى السلطان عني في العجز
عن قضاء خدمته وأترلوني
بأهلي في قلعة أولاد سلامة
من بلاد بني توحين التي
صارت لهم باقطاع السلطان
فأقمت بها أربعة أعوام
متخايعا عن الشواغل
وشرعت في تأليف هذا
الكتاب وأنام قسم بها
وأكمل المقدمة على ذلك
النحو الغريب الذي اهتديت
اليه في تلك الخلوة فسالت
فيها شآيت الكلام والمعاني
على الفكر حتى امتحضت
زبدتها وتالفت نتائجها
وكانت من بعد ذلك الفينة

(اعلم) أن لغات أهل الامصار انما تكون بلسان الامة أو الحيل الغالين عليها أو المختطين لها ولذلك كانت لغات
الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وان كاللسان العربي المضى قد فسدت ملكته
وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من التغلب على الامم والدين والملة صورة الوجود دولامك
وكلامها وادله والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من الثريمة وهي بلسان العرب لما أن النبي صلى
الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من اللسان في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهج عمر
رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خبايى مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات العجمية وكان لسان القائمين
بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال
اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم وأسلمتهم في جميع الامصار والامالك وصار
اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في أمصارهم ومنهم وصارت الاسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة ثم
فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أو اخره وان كان في الدلالات على أصله وسعى اسان
حضر يافي جميع أمصار الاسلام وأيضا أكثر أهل الامصار في الملة لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها
الهالكين في ترفها بما كثروا الدجم الذين كانوا يورثوا أرضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة
الاعقاب على حيال لغة الآباء وان فسدت أحكامها بمخالطة الاعجم شيئا فشيئا وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى
أهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من العرب فانها كانت أعرق في الروية ولم تملك العجم من الدليل

والساجوقية بعدهم بالشرق وزناة والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد
الإنسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من غناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين وصار
ذلك مرجع البقاء للغة العربية المضربة من الشعر والكلام الأقبالي بالامصار فلما ملك التترو المغل بالشرق ولم
يكنوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجع وفسدت اللغة العربية على الإطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك
الإسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم
وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الأقبالي يقع تعليمه صناعيا بالقوانين المتدريسة من
كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسهل الله تعالى لذلك ورى بما بقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام
والاندلس والمغرب لبقاء الدين طلبا لها فانخفضت ببعض الشيء وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق
له أثر ولا عين حتى ان كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس والله
أعلم بالصواب

﴿الفصل الخامس من الكتاب الاول﴾

﴿في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يرزق في ذلك كله من

الاحوال وفيه مسائل﴾

(فصل) في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الاعمال البشرية * اعلم أن الإنسان
مفتقر بالطبع الى ما يقوته ويموته في حالته وأطواره من اذن نشوء الى أشده الى كبره والله الغني وأنتم الفقراء
والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهد ويد الإنسان
مبسوطة على العالم وما فيه مما جعل الله له من الاستخلاف وأيدى البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل
عليه يده هذا امتنع عن الآخر الا بعوض فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء
المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعراض عنها قال الله تعالى فابتغوا عند الله
الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالمنطر المصالح لزرعة وأمثاله الا أنها تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما
يأتي فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت بمقدار الضرورة والحاجة ورياشا ومتعولا لان زادت على ذلك ثم
ان ذلك الحاصل أو المقتنى ان عادت منفعة على العبد وحصلت له ثمرة من أنفاقه في مصالحه وحاجاته سمي ذلك
رزقا قال صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما أكلت فأفقت أو لبست فأبست أو تصدقت فأمضيت وان لم ينتفع
به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة الى المالك رزقا والمتماك منه حيث يذسى العبد وقدرته يسمى
كسبا وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى المالك كسبا ولا يسمى رزقا اذ لم يحصل به منفعة وبالنسبة الى الوارثين
متى اتفقوا به يسمى رزقا وهذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقا أن يكون
بحيث يصح تملكه وما لا يملك عندهم لا يسمى رزقا وأخرجوا الغصوبات والحرام كله عن أن يسمى شيء منها
رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ويخص برحمته وهدايته من يشاء ولم في ذلك حرج
ليس هذا موضع بسطها * ثم اعلم أن الكسب انما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد الى التحصيل فلا بد في الرزق
من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله
تعالى والهامه فالكل من عند الله فلا بد من الاعمال الانسانية في كل مكسب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه مثل
الصنائع فظاهر وان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانساني كما تراه والام يحصل
ولم يقع به انتفاع ثم ان الله تعالى خالق الحجرين المعدنين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية

الى تونس كاذكره ان شاء
الله تعالى

﴿الفقيه الى السلطان أبي
العباس بتونس﴾

ولما نزلت بقلعة ابن سلامة
من أحياء أولاد عريف
وسكنت بقصر أبي بكر بن
عريف الذي اختطه بها
وكان من المساكن وأوقفها
ثم طال مقامها هناك وأنا

مستوحش من دولة المغرب
وتلمسان وعاكف على

تأليف هذا الكتاب وقد
فرغت من مقدمته الى

أخبار العرب والبربر وزناة
وتشوفت الى مطالعة

الكتب والدواوين التي
لا توجد الا بالامصار بعد ان

أملت الكثير من حفظي
وأردت التنقيح والتصحيح

ثم طرقت مرض أربي على
البنية لولا ما تدارك من لطف

الله فحدث عندي ميل الى
مراجعة السلطان أبي

العباس والرحلة الى تونس
حيث قرار أبائي ومساكنهم

وأثارهم وقبورهم فبادرت
الى خطاب السلطان بالفقيه

الى طاعته والمراجعة فما
كان غير بعيدواذ خطابه

ولا هـ سو د ه بالا ذن
والاستحاث لاقدوم فكان
الخقوق للرحلة فظننت
عن أولاد عريف مع عرب
الاحص من بادية رباح كانوا
هنالك ينتجعون المسيرة
بمهندس وارحلنا في رجب
سنة ثمانين وسلكنا القفر
الى الدوسن من أطراف
الزاب ثم صعدت الى التل مع
حاشية يسقوب بن علي
وجدتهم بفرار الضيعة التي
اختطفها بالزاب فرحلت
معهن الى أن نزلنا عليه
بضاحية قسنطينة ومعه
صاحبها الامير ابراهيم ابن
السلطان أبي العباس بمخيمه
ومعسكره فحضرت عنده
وقسم لي من بره وكرامته
فوق الرضا وأذن لي في
الدخول الى قسنطينة واقامة
أهلي في كفالة احسانه ربنا
أصل الى حضرة أبيه وبنت
يعقوب بن علي معي ابن أخيه
أبي دينار في جماعة من قومه
وسرت الى السلطان أبي
العباس وهو يومئذ قد خرج
من تونس في العساكر الى
بلاد الجريد لاستئصال
شيوخها عن كراسي القننة

لاهل العالم في الغالب وان اتقى سواها في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلها بما يقع في غيرهما من حواله
الاسواق التي هاجتها بزل فهما أصنعت المكاسب والفنية والذخيرة * واذا قرر هذا كله فاعلم ان ما يفيد
الانسان ويقتنيه من الثمولات ان كان من الصنائع فالمناد المتني منه قيمة عمله وهو التصدد بالفنية اذ ليس هناك
الاعمال وليس بمقصود بنفسه لاقتنيه وقد يكون مع الصنائع في بعضها غير هائل النجارة والحياكة معهما الخشب
والنزل الا ان العمل فيهما اكثر فقيمتهم اكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد في قيمة ذلك المناد والفنية من
دخول قيمة العمل الذي حصلت به اذ لو لا العمل لم تحصل قنيتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها
فتجعل له حصص من القيمة عظمت أو صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كفي أسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار
الاعمال والنفقات فيها ملاحظ في أسعار الحبوب كما قدمناه لكنه خفي في الاقطار التي علاج الفلاح فيها مؤتمته يسيرة
فلا يشعر به الا القليل من أهل الفلاح فقد تبين أن المنادات والمكسبات كلها أو أكثرها انما هي قيم الاعمال
الانسانية وتبين معنى الرزق وانه المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما * واعلم انه
اذا فقدت الاعمال أو قلت باتت ناقص العمران تأذن الله برفع الكسب ألا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف
يقبل الرزق والكسب فيها أو يفقد اقله الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التي يكون عمراتها كثير يكون أهواها
أوسع أحوالها وأشرفا فية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد اذا تناقص عمراتها انها قد ذهب
رزقها حتى ان الأنهار والعيون ينقطع جريها في التفريغ ان فور العيون انما يكون بالانباط والامتراء الذي هو
بالعمل الانساني كالحل في ضرور الانعام فالحل انباط ولا امتراء نصبت وغارت بالجملة كما يحجب الضرر اذا
ترك امتراءه وانظره في البلاد التي تهمد فيها العيون لا يام عمراتها ثم يأتي عليها الحراب كيف تغور مياهها حلة
كانها لم تكن والله يقدر الليل والنهار

فصل في وجود المعاش وأصنافه ومذاهبه

اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسمي في تحصيله وهو مفعول من العيش كأنه لما كان العيش الذي هو
الحياة لا يحصل الا بهذه جعلت موضعاً على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان يكون بأخذه من يد
الخير واتزاعه بالاعتدال عليه على قانون متعارف ويسمى مغرماً وجبياً واما ان يكون من الحيوان الوحشي
باعتناصه وأخذه برمي من البر أو البحر ويسمى اصطيداً واما ان يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله
المنصرف بين الناس في منافعهم كالبهي من الانعام والحرير من دوده والعسل من نحله أو يكون من النباتات في
الزرع والشجر بالقيام عليه واعداه لاستخراج ثمرة ويسمى هذا كله فلاحاً واما ان يكون الكسب من الاعمال
الانسانية اما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة وحياكة وفروسة وأمثلة ذلك أو في مواد
غير معينة وهي جميع الامتانات والنصرات واما ان يكون الكسب من البضائع واعداها للاعواض اما بالقلب
بها في البلاد واحتكارها وارتياب حواله الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجود المعاش وأصنافه وهي
معني ما ذكره المحققون من أهل الأدب والحكمة كالحريري وغيره فانهم قالوا المعاش إمارة وتجارة وفلاحة
وصناعة فاما الإمارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شيء من أحوال الجبابرة
السلطانية وأهلها في الفصل الثاني وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجود طبيعية للمعاش أما الفلاحة فهي
متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظار ولا علم ولهذا تنسب في الحقيقة الى آدم أبي
البشر وانه معلمها والقائم عليها اشارة الى أنها أقدم وجود المعاش وانسبها الى الطبيعة وأما الصنائع فهي ثابته
ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والانظار ولهذا لا توجد غالباً الا في أهل الحضرة الذي هو
متأخر عن البدو وان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الأب الثاني للاحذية فانه مستبطها من بعده من

البشر بالوحى من الله تعالى وأما التجارة وإن كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومبذاهها انما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع ليحصل فائدة الكسب من تلك الفضة ولذلك أباح الشرع فيه المكايسة لما أنه من باب المقامرة إلا أنه ليس أخذ المال الغير مجبانا فلهذا اختص بالمشروعية

﴿فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي﴾

٣

اعلم أن الساطن لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب الامارة والمالك الذى هو بسبيله من الجسد والشرطى والكتاب ويستكفى في كل باب بمن يعلم غناه فيه ويتكفل بأرزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعانها اذ كلهم ينسحب عنهم حكم الامارة والمالك الاعظم هو ينبوع جداولهم وأما ما دون ذلك من الخدمة فسيما أن أكثر المترفين يرفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجز اعطى الماساري عليه من خلق التعم والترفع فيخذل من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجرا من ماله وهذه الحالة غير محدودة بحسب الرجولية الطبيعية للإنسان اذ الثقة بكل أحد عجوز ولا تزايد في الوظائف والخروج وتدل على العجز والخذل الذين ينفى في مذاهب الرجولية التزدهن عنها الآن العواند تقلب طباع الانسان الى ما لو فيها فهو ابن عواند لا ابن نسله ومع ذلك فالخديم الذى يستكفى به يومئذ يغناه كالمفقود اذا الخديم القائم بذلك لا يمدوا ربيع حالات اما مضطلع بامرهم وموثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس فيهما وهو أن يكون غير مضطلع بامرهم ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس في أحداهما فقط مثل أن يكون مضطعا غير موثوق أو موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن أحد استعماله بوجه اذ هو باضطلاله ومقتنه غنى عن أهل الرتب الدينية ومحتقر لمنال الأجر من الخدمة لاقتداره على أكثر من ذلك فلا يستعمله إلا الامراء أهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاهد وأما النصف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي اعادته استعماله لانه يحيف بمخدومه في الامر من معافيضيع عليه لعدم الاصطناع تارة ويذهب ماله بالحيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاه فهذا الصنفان لا يطعم أحد في استعمالهما ولم يبق إلا استعمال النصفين الآخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق والناس في الترحيح ينقسمان مذهبان ولكل من الترحيح وجهه الآن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لانه يؤمن من تضيعه ويحاول على التحرز من خيائنه جهد الاستطاعة وأما المضطلع ولو كان مأمونا فضرر بالتضيع أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا في الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

﴿فصل في أن ابتغاء الاموال من الدقائق والكنوز ليس بمعاش طبيعي﴾

٤

اعلم أن كثير من ضعفاء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من تحت الارض ويتفنون الكسب من ذلك ويعتقدون أن أموال الامم السالفة مختزنة كلها تحت الارض محتوم عاينها كلها باطلاسم سحرية لا يفيض ختامها ذلك الا من عثر على عامه واستحضر ما قبله من البخور والدعاء والقربان فاهل الامصار بافرقية برون أن الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام هادقوا أموالهم كذلك وأودعوا في الصحف بالكتاب الى أن يجدوا السيل الى استخراجها وأهل الامصار بالشرق برون مثل ذلك في أمم القبط والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتهاء بعض الطالبيين لذلك الى حفر موضع المال من لا يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا أو معمورا بالديدان أو يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها متصين سيوفهم أو تميدبه الارض حتى يفضنه خسفا أو مثل ذلك من الهذر وتجدي كثير من طلبة البر بالفرج العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه يتقربون الى أهل الدنيا بالاوراق المتجزمة الحواشي المخطوط بحمية أو بمسارحهم زعمهم منها من خطوط أهل الدقائق باعطاء الامارات عليها في أما كنهن يبتغون بذلك الرزق منهم عاينهم ثمنهم على الحفر

التي كانوا عاينها فوافيته بظواهر
سوسة فخيا وفادتي وبر
مقدمي وبالغ في تأنيبي
وشاورني في مهمات أموه
تمردني الى تونس وأوعز
الى نائبه بما هو لاد فارج بهيته
المنزل والكفالة من الجراية
والملوفة وجزيل الاحسان
فرحت الى تونس في شعبان
من السنة وأويت الى ظل ظليل
من عناية الساطن وحرمتا
وبعثت الى الاهل والولد
وجمت شملهم في مرعي
تلك التهمة والقيت عصا
التسيار وطالت غيبة الساطن
الى أن اقتح أمصار الجريد
وذهب فاهم في اتواحي
ولحق زعيمهم يحيى بن يملول
ونزل على صهره ابن مزني
وقسم الساطن بلاد الجريد
بين ولده فأنزل ابنه محمدا
المتصرف بوزر وجعل نقطة
ونفزاوة من أعماله وأنزل
ابنه أبابكر بقفصة وعاد الى
تونس مظهر امزهر فاقبل على
واستدنا في مجالسته والنجاء
في خلوة فقص بطائفة من ذلك
وأفاضوا في السمايات عند
الساطن فلم تتجج وكانوا
يعكفون على امام الجامع

والطلب ويوهون عليهم بأنهم أنما حملهم على الاستعانة بهم طلب الحياه في مثل هذا من مثال الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم كثرة أو غريبة من الاعمال السحرية يومها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمنزل عن السحر وطرقه في افعال كثير من ضمام العقول بجمع الايدي على الاحتقار والتسترفيه بظلمات الاليل مخافة الرقباء وعيون أهل الدول فاذالم يستروا على شيء ردوا ذلك الى الجهل بالظلم الذي ختم به على ذلك المال يخادعون به أنفسهم عن اخفاق مظامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العتلى انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجود الطبيعية للكسب من التجارة والفلاح والصناعة فيطلبونه بالوجود المنحرفة وعلى غير الحياتي الطبيعي من هذا واما مثاله عجرا عن السبي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون أنهم يقعون أنفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهه شديد أشد من الاول ويعرضون أنفسهم مع ذلك لمثال العقوبات وربما يحمل على ذلك في الاكثر زيادة الترف وعوانده وخروجها عن حد النهاية حتى يفر عنها وجود الكسب ومذاهبه ولا تفي بمطالبها فاذا عجز عن الكسب بالجرى الطبيعي لم يجدوا ليجه في نفسه الا ان ياتي لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة اي في له ذلك بالعوائد التي حصل في أسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا فاكثير من تراه يحرصون على ذلك هم المترفون من أهل الدولة ومن سكان الامصار الكثرية الترف المتسعة الاحوال مثل مصر وما في معناها فاجد الكثير منهم منزهين بابتغاء ذلك وتحصيله ومساءلة الركبان عن شواذه كما يحرصون على الكيمياء هكذا باغنى عن أهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبية المغاربة اعلمهم يعثرون منه على دفين أو كنز ويزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لسا يرون ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجارى النيل وأنه أعظم ما يستردفينا ونحتزن في تلك الآفاق ويومهم عليهم أصحاب تلك الدفاتر المتفعلة في الاعتذار عن الوصول اليها بجزيرة النيل تستر بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على نضوب الماء بالاعمال السحرية لتحصيل مبتغاه من هذه كلفا بشأن السحر متوارثا في ذلك القطر عن أوليه فعملوهم السحرية وآثارها باقية بازهم في البرارى وغيرها وقصة سحره فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل أهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكيم المشرق تعطي فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة سحرية حسب ما تراه فيها وهي هذه

يا طالب للمر في التغوير * اسمع كلام الصدق من خبير
دع عنك ما قد صنفو في كتبهم * من قول هتان ولفظ غرور
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي * ان كنت مما لا يرى بالزور
فاذا أردت تغور البئر اتى * حارت لها الاوهام في التشدير
صور كصور تلك التي أوقفها * والرأس رأس الشبل في التغوير
ويدها مسكتان لا يجبل الذي * في الدلو ينشل من قرار السير
وبصدره هاء كما عاينتها * عدد الطلاق احذر من التكرير
ويطأ على الطآت غير ملامس * مشى اللبيب الكيس التجرير
ويكون حول الكل خط دائر * تر يعبه أولى من التكوير
واذبح عليه الطير والطخه * واقصده عقب الذبح بالتبخير
بالسندروس وباللبان وميعة * والقسط والبسه بثوب حرير
من أحمر أو أصفر لأزرق * لا أخضر فيه ولا تكدير
ويشده بخيطان صوف أبيض * أو أحمر من خالص التحمير

وشيوخ الفتيا محمد بن هرفة
وكان في قلبه نكتة من الغيرة
من لدن اجتماعنا في المرسى
بمجالسة الشيوخ فكثيرا ما
كان يظهر شفو في عليه وان
كان أسن منى فاسودت تلك
النكتة في قلبه ولم تفارقه
ولما قدمت تونس اتت
على حلابة العلم من أصحابه
وسواهم يطالبون الافاده
والاشغال وأسعفتهم بذلك
فعظم عليه وكان يسر التنفير
الى الكثير منهم فلم يقبلوا
واشدت غيظه ووافق ذلك
اجتماع البطانة اليه فانفقوا
على شأنهم في التائب
والسعاية بى والسلاطن
خلال ذلك ممرض عنهم في
ذلك وقد كافني بالاكباب على
تأليف هذا الكتاب
لتشوقه الى المعارف
والاخبار واقتناء الفضائل
فأكلت منه أخبار البربر
وزناة وكتبت من اخبار
الدولتين وما قبل الاسلام
ما وصل الى منها وأكلت منها
نسخة رفعتها الى خزائنه
وكان مميا يرون به السلطان
قعودى عن امتداحه فاني
كنت قد أهملت الشعر

والطالع الاسد الذي قدينا * ويكون بدء الشهر غير مثير

والبدر متصل بسعد عطارد * في يوم سبت ساعة التسديس

يعني أن تكون الطآت بين قدميه كأنه يمشي عليها وعندى أن هذه القصيدة من توميات المتخرفين فلمهم في ذلك أحوال غريبة واصطلاحات مجيئة وتنتهي التخرفة والكذبهم إلى أن يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة لمثل هـدو ويخفرون الحفر ويضعون المطابق فيها والشواهد التي يكتبونها في صحائف كذبهم ثم يقصدون ضعفاء العقول بأمثال هذه الصحائف ويغشون على أكثراء ذلك المنزل وسكنائه ويوهون أن به دفيناً من المال لا يعبر عن كثرة ويطالبون بالمال لأشتراء العقاقير والبخورات لحل الطلاسم ويعمدونه بظهور الشواهد التي قد أعدوها هنالك بأنفسهم ومن فعلهم فينبعث لسائرهم من ذلك وهو قد خدع وليس عليه من حيث لا يشعر وبينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليخفي عند محاورتهم فيما يتلونه من حفر وبخور وذبح حيوان وأمثال ذلك وأما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا أصل له في علم ولا خبر واعلم أن الكنوز وإن كانت توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه القصد إليها وليس ذلك باصراً بل هو بالبلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت الأرض ويختمون عليها بالطلاسم لافي القديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضه النقص وهو دفين الجاهلية إنما يوجد بالعمور والاتفاق لا بالقصد والطالب أيضاً من احتزن ماله وختم عليه بالأعمال السحرية فقد بالغ في إخفائه فكيف ينصب عليه الأدلة والامارات لمن يتبعه ويكتب ذلك في الصحائف حتى يطالع على ذخيره أهل الأعصار والاتفاق هذا يناقض قصد الإخفاء وأيضاً فافعال العقلاء لا بد وأن تكون لغرض مقصود في الانتفاع ومن احتزن المال فإنه يختزنه لولد أو قريبه أو من يؤثرون وأما أن يقصد إخفاءه بالكلية عن كل أحد وإنما هو لبلاء والهلاك أولاً لا يعبره بالكلية ممن سأل من الأمر فهذا ليس من مقاصد العقلاء بوجه * وأما قولهم أين أموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم أن الأموال من الذهب والفضة والجواهر والامتنعة إنما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر المعقارات والمعادن والعمران يظهرها بالأعمال الإنسانية ويزيد فيها أو ينقصها وما يوجد منها بأيدي الناس فهو متناقل متوارث وربما اتقل من قطر إلى قطر ومن دولة إلى أخرى بحسب أغراضه والعمران الذي يستدعي له فإن نقص المال في المغرب وأفريقية فلم ينقص بلاد الصقالية والأفرنج وإن نقص في مصر والشام فلم ينقص في الهند والصين وإنما هي الآلات والمكاسب والعمران يوفرها أو ينقصها مع أن المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويرى إلى الأواو والجواهر أعظم مما يسرع إلى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلاء والفناء ما يذهب باعياهم الأقرب وقت وأما ما وقع في مصر من أمر المطالب والكنوز فسيبها من مصر في ملكة القبط منذ آلاف أو يزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجواهر والآلي على مذهب من تقدم من أهل الدول فلما اقتضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم تقرأ على ذلك في قبورهم وكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالآهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فصل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعثر على الدفين فيها في كثير من الاوقات اماما يدفنونهم من أموالهم أو ما يكرمون به موتاهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك عني أهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى أنهم حين ضربت المكوس على الأصناف آخر الدولة ضربت على أهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحثي والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من أهل الاطماع الذرية إلى الكشف عنه والذرع باستخراجه وما حصلوا الأعلى الحبيبة في جميع مساعيهم لئلا يذهب من الحسران فيحتاج من وقع له

وأخاله جملة وتفرغت للعالم فقط فكأنوا يقولون له إنما ترك ذلك استهانة بساطنك لكثرة امتداد حلاله لملوك قبلك وتسمت ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وتوجته باسمه أنشدته في ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه وأذكر سيره وقبوحاته واعتذر عن اتحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب إليه فقلت هل غير بابك للغريب مؤمل أوعن جنابك للاماني معدل هي همة بثت إليك على انشوى عز ما كما شحذ الحسام الصيقل متبواً الدنيا ومنتجع المنال والغيث حيث العارض المنهل حيث القصور الزاهرات منيفة تعسوها زهر النجوم وتحفل

شيء من هذا الوسواس وابتلى به أن يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

﴿فصل في أن الجاه مقيد للمال﴾

وذلك أن نجد صاحب المال والحظوة في جميع أصناف المعاش أكثر يساراً وثروة من فاقه الجاه والسبب في ذلك أن صاحب الجاه مخدوم بالأعمال يتقرب بها إليه في سبيل التزلف والحاجة إلى جاهه فالتاس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته من ضروري أو حاجي أو كلى فيحصل قيم تلك الأعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه أن تبذل فيه الأعواض من العمل يستعمل فيه الناس من غير عوض فتوفر قيم تلك الأعمال عليه فهو بين قيم الأعمال يكسبها وقيم أخرى تدعو الضرورة إلى إخراجها فتوفر عليه والأعمال أصاحب الجاه كثيرة فقصيد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الأيام يساراً وثروة ولهذا المعنى كانت الأمانة أحد أسباب المعاش كما قدمناه وناقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساراً لا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه وهو لا يهم أكثر التجار ولهذا نجد أهل الجاه منهم يكونون أيسر بكثير ومما يشهد لذلك أننا نجد كثيراً من الفقهاء وأهل الدين والعبادة إذا اشتهر حسن الظن بهم واعتقد الجمهور بمعاملة الله في أرفادهم فأخلص الناس في أعاتهم على أحوال دنياهم والاعتقال في مصالحهم أمرعت اليهم الثروة وأصبحوا ميسرين من غير مال مقتني إلا ما يحصل لهم من قيم الأعمال التي وقعت المعونة به من الناس لهم رأيتهم من ذلك أعداداً في الأمصار والمدن وفي البدو يسعي لهم الناس في الفاح والتجر وكل قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتأمل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يفتن لهذا السرف في حال ثروته وأسباب غناه ويسار دوله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب

﴿فصل في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق وإن

هذا الخلق من أسباب السعادة﴾

قد سألنا فيما سبق أن الكسب الذي يستفيد به البشر إنما هو قيم أعمالهم ولو قدر أحد عطل عن العمل جملة لكان ناقداً الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الأعمال وحاجة الناس إليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك نمو كسبه أو نقصانه وقد بينا أننا أن الجاه يفيد المال ما يحصل أصاحبه من تقرب الناس إليه بأعمالهم وأموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل أو مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الأغراض في صالح أو طالح وتسير تلك الأعمال في كسبه وقيمه أموال وثروته فيستفيد الغنى واليسار لا قرب وقت ثم إن الجاه متوزع في الناس ومرتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلوي الملوك الذين ليس فوقهم بدعالية وفي السفلى إلى من لا يملك ضراً ولا نفعا بين أبناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمه الله في خلقه بما ينظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاءهم لأن النوع الإنساني لا يتم وجوده إلا بالتعاون وأن ندر فقد ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاءه ثم إن هذا التعاون لا يحصل إلا بالأكراه عليه لجهلهم في الأكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وأن أفعالهم إنما تصدر بالفكر والروية لا بالظلم وقد يمنع من المعاونة قيمته حملها عليها فلا بد من حملها بكره أبناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الإلهية في بقاء هذا النوع وهذا معني قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون فقد تبين أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن نحن أيدهم من أبناء جنسهم بالأذن والتمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحكمهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فبأسوى ذلك ولكن الأول مقصود في العناية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الإلهي لانه قد لا يتم

حيث الحيام البيض ترفع

للقري

قد فاح في أر جأهن

المنديل

حيث الحمي له سزفي

ساحاته

ظل أفاته الو شيع

الذبل

حيث الرماح يكاد يورق

عودها

مما تعمل من الدماء

وتهل

حيث الحيا دأملن شجعان

الونجي

مما أطالوا في المنار

واوغلوا

حيث الوجوه الغرقعها

الحيا

والبشر في صفحاتها

يتهل

حيث الملوك الصيد والنفر

الالي

عن الجوار لد بهم

والمنزل

من شيعه المهدي بل من

شيعه الله

سوحيد جاء به الكتاب

مفصل

وجود الخير الكثير الوجود شر يسير من أجل المواد فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم ثم إن كل طبقة من طباق أهل العمران من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد يدي الجاه من أهل الطبقة التي فوقه ويزداد كاسبه تصريفهم تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ويسمع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فإن كان الجاه متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وإن كان ضيقا قليلا فقلته وفاقدا الجاه وإن كان له مال فلا يكون يساره لا بمقدار عمله أو ماله ونسبة سعيه ذاهبا وآيبا في تمتيته كما كثرت أرباب وأهل الفلاحة في الغالب وأهل الصنائع كذلك إذا فقدوا الجاه واقتصر واعي فوائدهم فلم يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكثر ولا تسرع إليهم ثروة وانما يرمقون العيش ترمقا ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة وإذا تقرر ذلك وأن الجاه متفرع وأن السعادة والخير مقتربان بمحصوله علمت أن بذله وافادته من أعظم النعم وأجلاها وإن بذله من أجل المتعدين وانما يبذله لمن تحت يديه فيكون بذله يدي عالية وعزرة فيحتاج طالبه ومبتغيه إلى خضوع وتماق كإسأل أهل العز والمملوك والافتعذر حصوله فذلك قلنا إن الخضوع والتماق من أسباب حصول هذا الجاه المحصل لمساعدة والكسب وإن أكثر أهل الثروة والسعادة بهذا التماق ولهذا نجد الكثير من تخلف بالترفع والشتم لا يحصل لهم غرض الجاه فيقتصرون في التكسب على أعمالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة * واعلم أن هذا الكبر والترف من الاخلاق المذمومة انما يحصل من توهم الكمال وأن الناس يحتاجون إلى بضاعته من علم أو صناعة كالعلم المتبحر في علمه أو الكاتب المجيد في كتابته أو الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم أن الناس محتاجون لما يبيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم أهل الانساب ممن كان في آباءه ملك أو عالم مشهور أو أكمل في طور يعبرون بمارأود أو سمعوه من حال آبائهم في المدينة ويتوهمون أنهم استحقوا مثل ذلك بقراباتهم إليهم ووراثتهم عنهم فهم مستمسكون في الحاضر بالامر المعدوم وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب بالامور قديتوهم بعضهم كالإني نفسه بذلك واحتياجاله وتجاهله لا الاصناف كلها مترفين لا يخضعون اصحاب الجاه ولا يمتنعون أن هو أعلى منهم ويستصغرون من سواهم لا اعتقادهم الفضل على الناس فيستكف أحدهم عن الخضوع ولو كان له ملك ويعده ذلة وهو انما وسفها ويحاسب الناس في معاملتهم اياهم بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك ويرى ما يدخل على نفسه المهورم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في غناء عظيم من إيجاب الحق لنفسه وأباية الناس له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التأله وقل أن يسلم أحدهم لآحدي الكمال والترفع عليه إلا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كاتين لك مقتته الناس بهذا الترفع ولم يصل له حظ من احسانهم وفقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي أعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن آمهاتهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر أو فوق ذلك بقايل وأما الثروة فلا تحصل له أسلاوا من هذا اشتهر بين الناس أن الكمال في المعرفة محروم من الحظ وأنه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خالق شيء يسره والله المقدر لأرب سواه واقديع في الدول أضرب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك أن الدول إذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انفرده منها منبت الملك بملكهم وسلطانهم ويئس من سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكأنهم خول له فاذا استمرت الدولة وشيخ المالك تساوي حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من اتقى إلى خدمته وتقرب إليه بنصيحة واصطنعه السلطان لغناؤه في كثير من مهماته فتجد كثيرا من السوق يسي في التقرب من السلطان بمجده ونصيحه

شادوا على التقوى مباني
عزهم
لله ما شادوا بذاك
وأثلوا
بل شيعه الرحمن أني
حبرهم
في خلقه فسموا بذاك
وفضلوا
قوم أبو حفص أب لهم
وما

أدراك والفاروق جد
أول
نسب كما اضطردت أنابيب
القنا
وأنى على تقويمهن
معدل
سام على هام الزمان
كانه
للفجرتاج بالبدور
مكلل
فضل الانام حديثهم
وقديمهم
ولأنك ان نصبوا أعز
وأفضل
وبنوا على قلال النجوم
ووطدوا
وبناؤك العالى أشد
وأطول
ولقد أقول لحائض بحر
الغلا
والليل مدر الجوانب اليل

ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتعلق له ولحاشيته وأهل نسبه حتى يرسخ قدمه معهم وينظمه السلطان في جهته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة وينتظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومها الذين ذلوا أضغانهم ومهدوا أكنافهم مغترون بما كان لأبائهم في ذلك من الآثار لم تسمح به نفوسهم على السلطان ويعتدون بأنار دويجرون في مضمار الدولة بسببه فيجتمه السلطان لذلك ويباعدهم ويحيل الي هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى الدالة ولا ترفع انما دأبهم الخضوع له والتماق والاعتمال في غرضه متى ذهب اليه فيتسع جاههم وتعلمونازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من قبل السلطان والمكانة عند دويجق ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتساد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بعدا من السلطان ومقتوا انار هؤلاء المصطنعين علمهم الى أن تقرض الدولة وهذا أمر طبعي في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

٧ فصل في أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة

والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب لذلك أن الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة اليها أشد وأهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص من أقبال على دينه وان احتيج الى الفتيا والقضاء في الخصومات فلايس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يساهم باقامة مراسمهم صاحب الدولة بماله من النظر في المصالح فيقسم له حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لايساوهم بأهل الشوكة ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورتها أهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم أيضا يشرف بضائعهم أعززة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا يفرغ أوقاتهم لذلك لمساهمة فيه من الشغل بهذه البضائع الشرعية المشتملة على أعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا يشرف بضائعهم فهم بمنزل عن ذلك فذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد بحث بعض الفضلاء فذكر ذلك على فوقع يدي أوراق مخروقة من حسابات الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعت فيه أرزاق القضاء والأئمة والمؤذنين فوقته عليه وعلم منه حجة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من أسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لأرب سواه

٨ فصل في أن الفلاح من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو

وذلك لانه أصيل في الطبيعة وبسيط في منجاده ولذلك لا تجده ينتج له أخدم من أهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص منتج له بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأي السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الادخله الذل وحملة البخارى على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعهما من المغرم المنفضي الى التحكم واليبد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مفرما إشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسايط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مفرما للملوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

ماض على غول الدجا لا يتيق

منها وذابله ذبال مشعل متقلب فوق الرماح كأنه

طيف بأطراف المهاد موكل

يبنى منال الفوز من طرق الغني

و يرود مخصبها الذي لا يحمل

أرح الركاب فقد ظفرت بواهب

يعطى عطاء المنعمين فيجزل

لله من خاق كريم في الذي

كالروض حياه ندى مخضوضل

هذا أمير المؤمنين امامنا

في الدين والدنيا اليه الموثل

هذا أبو العباس خير خليفة

شهدت له الشيم التي لا تجهل

مستنصر بالله في قهر العدا

وعلي أعانة ربه متوكل

﴿فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها﴾

٩

اعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخس وبيعها بالغلاء أي بما كانت السلعة من رقيق أو ذرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر التام يسمى ربحي. وبمحاولة لذلك الربح إما أن يحتزن الساعه ويخين بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشترها فيه فيعظم ربحه ولذلك قل بعض الشيوخ من التجارة لطالب الكشف عن حقيقة التجارة أنا علمها لك في كلمتين اشترى الرخص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة اشارة بذلك الى المعنى الذي قررناه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

﴿فصل في أي أصناف الناس يحترف بالتجارة وأهم ينبغي له اجتناب حرفها﴾

١٠

قد قدمنا أن معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من ثمن الشراء إما بانتظار حوالة الاسواق أو نقلها الى بلده في أثنى وأغلى أو بيعها بالغلاء على الأجل وهذا الربح بالنسبة الى أصل المال يسير إلا أن المال إذا كان كثيراً اعظم الربح لأن القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة بشراء البضائع وبيعها ومعاملاتهم في تقاضي أثمانها وأهل الصفة قليل فلا بد من الغش والتخفيف المجحف بالبضائع ومن المثل في الأثمان المجحف بالربح كتمطيل المحاولة في تلك المدة وبهائماته ومن الجودود الانتكار المسحت لرأس المال ان لم يتقيد بالكتاب والشهادة وغناء الحكام في ذلك قليل لأن الحكم إنما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك أحوال الصعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح إلا بعظم العناء والمشقة أو لا يحصل أو يتلذذ رأس ماله فان كان جريشاً على الخصومة بصير بالحبسان شديد المماحكة مقدما على الحكم كان ذلك أقرب له الى النصفة بجراته منهم ومما حكته والافلا بد له من جاهد يدرع به موقع له الهية عند الباعة ويحمل الحكم على انصافه من معاملاته فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني وإما من كان فاقداً لاجراءه والاقدام من نفسه فاقد الاجراء من الحكم فينبغي له أن يجتنب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير مأكلاً للباعة ولا يكاد يتصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصاً الرعايا والباعة شريهون الى ما في أيدي الناس سواهم متوثبون عليه ولو لا وازع الاحكام لاصبحت أموال الناس نهبا ولو لادفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

﴿فصل في أن خالق التجارة نازلة عن خالق الاشراف والملوك﴾

١١

وذلك أن التجار في غالب أحوالهم انما يمانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة ضرورة فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي أعني خالق المكايسة بعيدة عن المروءة التي تتحق بها الملوك والاشراف وأما ان استرذل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلاية وتماهد الايمان الكاذبة على الايمان رداً وقبولاً فاجسد بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجدد أهل الرئاسة تحامون الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد وجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويحماهم لشرف نفسه وكرم جلاله إلا أنه في النادر بين الوجود والله يهدي من يشاء بفضل وكرمه وهو رب الاولين والآخرين

﴿فصل في نقل التاجر للسلع﴾

١٢

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الاما تم الحاجة اليه من الغنى والفقير والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق ساعته وأما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد تضرع نفاق ساعته حينئذ باعوا الشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض فتكسد سوقه وتفسد أرباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فتم نقل الوسط من

سبق للسلوك الى العلاء
متمهلاً

لله منك السابق المتمهل
فلانت أعلى المال كين وان
غدوا

يتسابقون الى العلاء
وأكل

قايس قد بما منهم
بقديكم

فالامر فيه واضح لا
يجهل

دانوا القومكم بأقوم طاعة
هي عرودة الدين التي لا

تفصل
سائل تلمسانا بها وزانة

ومرين قباهم كقدينتل
واسأل باندلس مبدائن

ملكها
تخبرك حين استأ نسوا

واستأهلوا
واسأل بذا مراكشا

وقصورها
فلقد تحجب رسومها من

يسأل
يا أيها الملك الوفي يا ذا الذي

ملأ القلوب وفوق ما
يتمثل

لله منك مؤيد عز ماته
تمضي كما يمضي اقتضاء

المرسل

صنفها فان العالمي من كل صنف من السلع انما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس أسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليتحرك ذلك جهده ففيه اتفاق سلعته أو كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحاً وكفل بحوالة الاسواق لان السلعة المنقولة حيث تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها أو شدة الضرر في طريقها فيقل حملها ويعجز وجودها وإذا قلت وعزيت غلت أثمانها وأما إذا كان البلد قريب المسافة والطريق سائلاً بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أمواً لبعدهم طريقهم ومشقة واعراض المفازة الصعبة المحطرة بالحر والبرد لا يوجد فيها الماء الا في أماكن معلومة يتسدى اليها الدلاء الركبان فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لندىنا تختص بالفلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغني والثروة من أجل ذلك وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعدها الشقة أيضاً وأما المستردون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه ففائدتهم قليلة وأرباحهم فافهم لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذوالقوة المتين

١٣

فصل في الاحتكار

ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار أن احتكار الزرع لتجني أوقات الغلاء مشؤم وأنه يعود على فائدة بالتلف والخسران وسببه والله أعلم أن الناس لحاجتهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطرا رافق النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بما لها سر كبير في وبالها على من يأخذ مجانا ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لا عطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرا للناس اليها وانما يبيعونها عليها التفتن في الشهوات فلا يبذلون أموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبق لهم تعلق بما أعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذ من أموالهم فيفسد ربحه والله تعالى أعلم * وسعت فيما يناسب هذا حكاية طريقة عن بعض مشيخة المغرب أخبرني شيخنا أبو عبد الله الابلي قال حضرت عند القاضي بفاس له هذا السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن المالبي وقد عرض عليه أن يختار بعض الاقارب الخزينة لجرايته قال فأطرق مدياتهم قال لهم من مكس الخمر فاستضحك الحاضرون من أصحابه وعجبا وسأله عن حكمته ذلك فقال إذا كانت الحيات كلها حرة اما فاختار منها ما لا تتابعه نفس معطيه والخمر قل أن يبذل فيها أحد ماله الا وهو طرب مسرور بوجوده غير أسف عليه ولا متعلقة بنفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

١٤

فصل في أن رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص

وذلك أن الكسب والمعاش كما قدمنا انه هو بالصنائع أو التجارة أو التجارة هي شراء البضائع والسلع وادخارها تخزينها حوالة الاسواق بالزيادة في أثمانها ويسمى ربحاً ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائماً فاذا استديم الرخص في سلعة أو عرض من مأكول أو ملبوس أو متمول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فسد الربح والنماء يطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤس أموالهم واعتبر ذلك أو لا بالزرع فانه اذا استديم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطواره من الفلج والزراعة لقلة الربح فيه وندارته أو فقده فيفقدون النماء في أموالهم أو يجدونه على قلة ويعودون بالاتفاق على رؤس أموالهم وتفسد أحوالهم ويصبرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين أيضاً بالطحن والخبز

حيث ان زمان يمتد أعظم
حتة
فاقر عنه وهو أكساح
أعضل
والشمل من أنبائه
متصدع
وعلا خلافتهم مضاع
مهمل
والخلق قد صرخوا اليك
قلوبهم

ورجوا صلاح الحال منك
وأملوا
فعبثته لما اتدبت
لامره
بالأس والعزم الذي لا
يمهل
ذلت منه جاعح لا
ينتهي
سهلت وعسر أكاد لا
يتهل
والتت من سوس العتاة
وذنتهم
عن ذلك الحرم الذي قد

حللوا
كانت لصولة صولة
ولقومه
يعود ذوب بها ولستطوي
المعقل

وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث الى صيرورته ما كولا وكذا يفسد حال الجند اذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل الفلاح زرعاً فانها تقل جياتهم من ذلك ويعجزون عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتفسد أحوالهم وكذا اذا استديم الرخص في السكر أو العسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استديم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الفسلاء المفرط أيضاً وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتقررة بين أهل العمران وانما يحمدهم الرخص في الزرع من بين الميسرات لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغنى والفقير والعالة من الخلق هم الأكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

١٥ ﴿فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المرواة﴾

قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمحاكة والتحاكي وممارسة الخصومات والجدال وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف نقص من الذكاء والمرواة وتجرح فيها لان الافعال لا بد من عوداً تلها على النفس فافعال الخير تعود بآثار الخير والزركاء وافعال الشر والسفسفة تعود بفساد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الممكات الناشئة عن الافعال وتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم فمن كان منهم سافل الطور ومخالفا لشرار الباعة أهل الغش والخلافة والفجور في الائتمان اقرارا وانكارا كانت رداءة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المرواة وكتسبها بالجلجلة والافلا بدله من تأثير المكايسة والمحاكة في مروأته وفقدان ذلك منهم في الجلجلة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله أنهم يدعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر وذلك أن يكون المال قديو جده عنده دفعة بنوع غريب أو ورثه عن أحد من أهل بيته فخصت له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين أهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشمه ويسهل له الأحكام الصنف في حقوقهم بما يؤنسهم من ربه وأخافه فيعبدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المقتضية لها كما مرفكون مروأتهم وأرسخوا بعد عن تلك الحاجة الاما يرسى من آثار تلك الافعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون الى مشاركة أحوال أولئك الكلاء وواقفهم أو خلافتهم فيما يتأون أو يذرون من ذلك الا انه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وما تعملون

١٦ ﴿فصل في ان الصنائع لا بد لها من المعلم﴾

(اعلم) أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسياني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة تقابلها بالمباشرة أو عاب لها أو كمال لان المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعاني أو عاب وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنها كمال وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا ولانه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نفسه فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج

ومهلل تسدى وتلحم في التي ما أحكموها فهي بعد مهمل

والمراة بصولة هنا صولة بن خالد بن حمزة أولاد أبي الليل وذو ب هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمسلق فريق من العرب من احلافهم ومهلل هم بنو مهمل بن قاسم انظارهم وأقنارهم ثم رجع الى وصف العرب عجب الانام لشأنهم بادون قد

قد فت يحيمهم المطي الذلل

رفعوا القباب على العماد وعندها

سجرد السلاهب والرماح العسل

في كل طامي الرب منعقد الحصا

تهدى للجنه الظماء قنهل

حي شراهم السراب ورزقهم

ريح يروح به الحكى ومنصل

حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة واحدة يحصل في أزمان وأجيال اذ خروج الاشياء من القوة الى الضعف لا يكون دفعة لاسيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الضعف وتنقسم الصنائع ايضا الى ما يختص بأمر المعاش ضرورياً كان أو غير ضروري والى ما يختص بالأفكار التي هي خاصة بالانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الاول الحياكة والحجارة والحدادة وأمثالها ومن الثاني الوراقة وهي معاناة الكتب بالنسخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك ومن الثالث الخدمية وأمثالها والله أعلم

١٧

﴿فصل في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته﴾

والسبب في ذلك ان الناس لم يستوف العمران الحضري وتمتد المدينة انما همهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا تمت المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عاياه صرف الزائد حينئذ الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأق فيها حينئذ واستجادة ما يطالب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار وإذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وانما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملة التأق في الصنائع واستجادتها فكملة بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها تدعو اليه عوائد الترف وأحواله من جزار وديباغ وخرار و صنايع وأمثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى أن يوجد منها كثير من الكمالات والتأق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر لتتجملها بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطباخ والسفاح والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعوا اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وأمثال ذلك وقد تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور المعجم والحمر الانسية وتخيّل أشياء من العجائب بايها قلب الاعيان وتعليم الحداد والرقص والمشي على الحيوط في الهواء ورفع الاثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة ادام الله عمرانهما بالمسلمين

١٨

﴿فصل في أن رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها﴾

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد العمران والوان والعوائد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الصبغة عسر نزاعها ولهذا تجد في الامصار التي كانت اشتهجت في الحضارة لم تراجع عمراتها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانما تجد فيها رسوخ الصنائع قائم وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعوا اليه عوائد امصارها

حي حصول بالعمرا
ودونهم
قذف النوى ان يظعنوا
أو يقبلوا
كانوا يرعون الملوك بما
بدوا

وغدت ترفه بالنعيم
وتخضل
فبدوت لالتوى على دعة
ولا
تأوى الى ظل القصور
وتهزل
طورا يصاحك الهجير
ونارة

فيه بخفاق البنود تظال
واذا تعاطى الضمر في يوم
الوغي
كاس التجميع فبا الصهيل
تعلل
مخشوشا في العز معتعلا
له

في مثل هذا يحسن المستعمل
تقري حشي البيداء لا يسري
بها
وكف ولا يهدى اليها

جحفل
وتنجر أذيال الكتائب
فوقها
تختال في السمر الطوال
وترفل

كلما بنى والطبخ وأصناف الفناء والله من الآلات والأتار والرقص وتضييد الفرش في القصور وحسن
الترتيب والأوضاع في البناء وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجمع المواعين وإقامة الولائم والأعراس وسائر
الصنائع التي يدعوا إليها الترف وعوائده فوجدتهم أقوم عليها وأبصر بها ومجدها صنائعهم مستحكمة لديهم فهم على حصة
موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الأمصار وإن كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوي عمران غيرها
من بلاد العدو وما ذاك إلا ما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية وما قبلها من دولة القوط
وما بعدهما من دولة الطوائف إلى هلم جرافلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر إلا ما ينقل عن العراق والشام
ومصر أيضا الطول أماد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكلت جميع أصنافها على الاستجادة والتميق وبقيت
صنعتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه إلى أن ينتقض بالكلية حال الصبغ إذا رسخ في الثوب وكذا أيضا حال تونس
فيما حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في
سائر الأحوال وإن كان ذلك دون الاندلس إلا أنه متضاعف برسوم منها تنقل إليها من مصر لقرب المسافة بينهما
وتردد المسافرين من قطر ها إلى قطر مصر في كل سنة وربما سكن أهلها هناك عصورا فينقلون من عوائدهم
وحكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصار أحوالها في ذلك متشابهة من أحوال مصر لما ذكرناه ومن
أحوال الاندلس لما أن كثرت ساكنها من شرق الاندلس حين الجلاء لعهد المائة السابعة ورسخ فيها
من ذلك أحوال وإن كان عمرانها ليس بمناسب لذلك لهذا العهد إلا أن الصبغة إذا استحكمت فقليل
ما تحول الأزوال محلها وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلمة ابن حماد ثرا بقاء من ذلك وإن كانت هذه كلها
اليوم خرابا أو في حكم الخراب ولا يفتن لها إلا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا تدله على ما كان بها
كأثر الخط الممحوف في الكتاب والله الخلاق العالم

١٩ فصل في أن الصنائع إنما تستجدو وتكثر إذا كثر طلبها

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن الإنسان لا يسمح بعمله أن يقع مجانا لأنه كسبه ومنه معاشه إذا فائدة له في جميع
عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه إلا به قيمة في مصر وليعود عليه بالنفع وإن كانت الصناعة مطلوبة وتوجه إليها
التفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السامة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة
ليكون منها معاشهم وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد إلى تعلمها فاختصت بالترك وفقدت
للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى أن صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو
معاشه وأيضا فهنا سر آخر وهو أن الصنائع وأجادتها إنما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات
إليها وما لم تطلبه الدولة وإنما يطلبها غيرها من أهل المصر فليس على نسبتها لأن الدولة هي السوق الأعظم وفيها
نفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فانفق منها كالأكثر يضرورة والسوق وإن طلبوا
الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

٢٠ فصل في أن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع

وذلك لما بينا أن الصنائع إنما تستجد إذا احتيج إليها وكثر طلبها وإذا ضفت أحوال المصر وأخذ في الهرم
بانتقاض عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم فنقل الصنائع
التي كانت من توابع الترف لأن صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فيفر إلى غيرها أو يموت ولا يكون خلف منه
فيذهب رسم تلك الصنائع جملة كإذهب النقاشون والصواغ والكتاب والنساج وأمثالهم من الصنائع لحاجات
الترف ولا تزال الصنائع في التناقص ما زال المصر في التناقص إلى أن تضمدحل والله الخلاق العليم سبحانه

٢١ فصل في أن العرب بعد الناس عن الصنائع

ونعالي

ترهيمهم منها بكل مدحج
شاكي السلاح إذا استعار
الاعزل
وبكل أسمر حصنه
متأود
وبكل أبيض غطه
متهد
حتى تفرق ذلك الجمع
الألي
عصفت بهم ريح الجلاء
فزولوا
ثم استملتهم بنعمته
التي
خضعوا لعزك بعدها
وتدلوا
ونزعت من أهل الجريد
غواية
وقطعت من أسبابها
أصولا
ونظمت من أمصاره
وتفوره
للملك عقدا بالفتوح
يفصل
فسدت مطلع النفاق وأنت
لا
تنبو ظباك ولا العزيمة
تكل
بشكيمة مرهوبة
وسياسة
تجري كما يجري فرات ساسل

والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعو اليه من الصنائع وغيرها والعجم من أهل المشرق وأمم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها لانهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي أعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرمال المهيشة لتناجها ولهذا نجد أن طائر العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وأرض الترك وأمم النصرانية كيف استكثرت فيهم الصنائع واستجلبها الامم من عندهم وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ احدثت من السنين ويشهد بذلك قلة الامصار بقطرهم كقادمنا فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والجلد في خرزه ودبغه فانهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين أغلب الساع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة وأما المشرق فقد رست الصنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من الفرس والبط والقبظ وبنى اسرائيل ويونان والروم أحقابا متطاولة فرسخت فيهم أحوال الحضارة ومن جملة الصنائع كقادمنا فلم يمح رسمها وأما الصين والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكة العرب الا أنهم تداولوا ملكة الآفام من السنين في أمم كثيرين منهم واختطوا أمصاره ومدن وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالة وحمير من بعدهم والتبابعة والاذواء فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت فلم تلب ببلاد الدولة كقادمنا فبقيت مستجدة حتى الآن واختصت بذلك الوطن كصناعة الوشى والعصب وما يستجد من حوك الثياب والحرير فيها والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

﴿فصل فيمن حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة في أخرى﴾

٢٢

ومثال ذلك الخياط اذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورسخت في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء الا أن تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدهم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها فاذا تلونت النفس بالملكة الاخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها لملكة الاخرى أضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل أن تجد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها أخرى ويكون فيهما معا على رتبة واحدة من الاجادة حتى أهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبت بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الأقل النادر من الاحوال ومبنى سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلونه بلون الملكة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب سواه

٢٣

﴿فصل في الاشارة الى أهمات الصنائع﴾

اعلم أن الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العد الا أن منها ما هو ضروري في العمران أو شريف بالموضوع فخصها بالذكر وترك ما سواها فاما الضروري فالفلاحة والبناء والحياطة والنجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع فالكاتبات والوراقة والغناء والطب فاما التوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البلوى اذ بها يحصل حياة المولود ويتم غالبا وموضوعها مع ذلك المولودون وأهماتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقدمة لها عن النسيان ومبلغه ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود

عذب الزمان لها ولذ مذاقه

من بعد ما قد مر منه الحنظل

فضوى الانام لعز أروع مالك

سهل الخليفة ماجد متفضل وتطابقت فيه القلوب على الرضا

سيان منها الطفل والمتكهل يامالك وسع الزمان وأهله

عدلا وأمانا فوق ما قد أملا

فالارض لا يخشى بها غول ولا

يعدو وبساحتها الهزبر المشبل

والسرب يجتنبون كل توفة

سرب القطا مارا عهن الاجدل

سبحان من بملك قدأحيي المنا

واعاد حلي الحيد وهو معطل

فكأنما الدنيا عروس تجل

فتميس في حلل الجمال وترفل

للمعاني وأما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة ذاع الى مخالطة الملوك
الاعاظم في خلواتهم ومجالس أنسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وماسوى ذلك من الصنائع فتابعة وتمتعة في الغالب
وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله اعلم بالصواب

﴿فصل في صناعة الفلاحة﴾

٢٤

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على ائارة الارض لها وازدراعها وعلاج نباتها وتمهده بالسقي
والتنمية الى بلوغ غايته ثم حصا دسنبه واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه
وهي اقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا إذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الامن
دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو اذ قدمنا أن أقدم من الحضرة وسابق عليه فكانت هذه الصناعة
لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها لأن أحوالهم كلها ثمانية عن البداوة فصنائعهم ثمانية عن صنائعها وتابعة
لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيها أراد

﴿فصل في صناعة البناء﴾

٢٥

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى
للإبدان في المدن وذلك أن الانسان لما حبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الاذي
من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتشفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر مختلف في هذه الحيلة الفكرية
فهم المعتدلون فيها يتخذون ذلك باعتدال أهالي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس وأما أهل البدو
فيعدون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم عن ادراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير
علاج ثم المعتدلون المتخذون للمأوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشون
طروق بعضهم بعضا فيحتاجون الى حفظ مجتمعتهم بادارة ماء أو أسوار تحوطهم ويصير جميعا مدينة واحدة
ومصر أو احدا ويحوطهم الحكماء من داخل يدفع عنهم عن بعض وقد يحتاجون الى الاتصاف ويتخذون المعامل
والحصون لهم ولين تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الامراء وكبار القبائل في المدن كل مدينة على
ما يتعارفون ويصطاحون عليه ويناسب مزاج هوائهم واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة
الواحدة فهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة
ولده وحشمه وعياله وتابعيه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلجم بينها بالكس ويعالي عليها بالاصبغة والحص
ويبالغ في ذلك بالتجديد والتنميق اظهارا للبطشة بالنعانية في شأن المأوى ويهيئ مع ذلك الاسراب والمطامير
للإختزان لاقواته والاسطبلات لربط مفراته اذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالامراء ومن
في معناهم ومنهم من يبنى الدورية والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يبتغي ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقتضاره
على الكس الطبعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه الصناعة أيضا عند تأسيس الملوك وأهل
الدول المدن العظيمة والها كل المرتفعة ويبالغون في اتقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة
مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة من الرابع
وما حواله اذا الاقاليم المنخفضة لا بناء فيها وانما يتخذون البيوت حفلا من القصب والطين وانما يوجدي في الاقاليم
المعتدلة وأهل هذه الصناعة القائمون عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي تتنوع أنواعا كثيرة
فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران المصقفا بعضها الى بعض بالطين والكس الذي يعقد معها ويلتحم كأنها
جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها الوحان من الخشب مقدران طولوا وعرضا باختلاف العادات في
التقدير وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد يوعدا بينهما بما يراهما صاحب البناء في عرض

وكان مطبقة البلاد بعدله

عادت فسيح ليس فيها

مجهل

وكان أنوار الكواكب

ضوعت

من نور غرته السقي هي

أجل

وكانما رفع الحجاب

لناظري

فراى الحقيقة في الذى

يخيل

ومنها في المذرع مدحه

مولاي غاضت فكري

وبلادت

منى الطباع فكل شيء

مشكل

تسمو الى درك الحقائق

همتي

فأصد عن ادراكهن

وأعزل

وأجد ليلى في امراء

قربى

فتعود غورا بعد ما ترسل

فأيت يختلج الكلام

بخاطري

والنظم يشرد والقوا في

تجفل

الاساس ويوصل بينهما باذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما
بلو حين آخرين صغير ثم يوضع فيه التراب مخلط بالكس ويركز بالمرأ كز المعدة حتي ينعم ركزه وتختلط أجزاؤه
ثم يزاد التراب ثانيا وثالثا الى أن يتملي ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكس والتراب وصارت
جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة ويركز كذلك الى أن يتم وينظم الألواح كلها سطرًا من فوق
سطر الى أن يتنظم الحائط كله ملتصقا كما أنه قطعة واحدة ويسمى الطاية وصانعه الطواب ومن صنائع البناء أيضا
أن تجعل الحيطان بالكس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يتبدل مزاجه عن افراط
النارية المفسدة للحام فإذ تم له ما يرشاه من ذلك علاءه من فوق الحائط وذلك الى أن يلتحم ومن صنائع البناء عمل
السقف بان يمد الخشب المحكمسة التجارة أو الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصولة
بالدساتر ويصب عليها التراب والكس ويسط بالمرأ كز حتي تتداخل أجزاؤها وتلتحم ويعال على الكس
كما يعال على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التتميق والترتين كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال الجسمة
من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلبل فيشكل على تناسب مخربا بمثابة الحديد الى أن يبقى له
رونق ورواء ورسم عو على الحيطان أيضا تقطع الرخام والآجر والخزف أو بالصدف أو بالسبج بفصل
أجزاء متجانسة أو مختلفة وتوضع في الكس على نسب وأوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحائط ليعان كأنه قطع
الرياض المنمنمة الى غير ذلك من بناء الجباب والصاريج لسفح الماء بعد أن تعدي في البيوت قصاع الرخام القوراء
المحكمة الخراط بالقو هات في وسطها ينبع الماء الجاري الى الصهريج بحجاب اليه من خارج في القنوات المفضية الى
البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصناعة في جميع ذلك باختلاف الخندق والبصر ويعظم عمران
المدينة ويتسع فيكونون وربما يرجع الحكم الى نظر هؤلاء فيهم أبصر به من أحوال البناء وذلك أن الناس
في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتي في الفضاء والهواء لعل على والاسفل ومن الاتقاع بظاهر البناء
مما يتوقع منه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من ذلك الاما كان له فيه حق ويخافون أيضا في استحقاق
الطرق والمنافع للمياه الجارية والقنوات المسربة في القنوات وربما يدعى بعضهم حق بعض في حائطه أو علوه أو
قناة لتضايق الجوار أو يدعى بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع
ضرره عن جاره عندهم يراه أو يحتاج الى قسمة دار أو عرصة بين شريكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا
اهمال لمنفعتهما وأمثال ذلك ويخفي جميع ذلك الاعلى أهل البصر العارفين بالبناء وأحواله المستدلين عليها بالمعاقد
والقنط ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة أوضاعها ومنافعها وتسمير
المياه في القنوات مجلوبة ومرفوعة بحيث لا تضر بما مررت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلمهم بهذا كله
البصر والخبرة التي ليست لغیرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجوودة والقصور في الاجيال باعتبار الدول وقوتها فانا
قدمنا ان الصنائع وكلها انما هو بكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لها فلذلك عندما تكون الدولة بدوية في
أول أمرها تنفق في أمر البناء الى غير قطرها كما وقع لاوليدين عبد الملك حين أجمع على بناء مسجد المدينة
والقدس ومسجده بالشام فبعث الى ملك الرومي بالقسطة طينية في الفعلة المهر في البناء فبعث اليه منهم من حصل له
غرضه من تلك المساجد وقدير ف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة مثل تسوية الحيطان بالوزن واجراء
المياه بأخذ الارتراف وأمثال ذلك فيحتاج الى البصر بشي من مسائله وكذلك في جبر الانقال بالهندام فان الاجرام
العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة يعجز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة
الحبل بادخاله في المعلق من أقباب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من
ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم باصول هندسية مرفوعة متداولة بين البشر وبمثلها كان بناء الهياكل المسماة لهذا

واذا امتريت العفومنه

جاهدا

عاب الجها بذ صنعه

واستردلوا

من بعد حول اتقيه ولم

يكن

في الشمر لي قول يعاب

ويمهل

قاصونه عن أهله

متواريا

أون لا يضمهم وشعري

محفل

وهي البضاعة في القبول

نفاقها

سيان فيه الفحل والمتطفل

و بنات فكري ان أتك

كليتة

زهراء تخطر في القصور

وتخطل

فأهال الفخار اذا منحت

قبوها

وأنا على ذلك انبلغ

المقول

ومنها في ذكر الكتاب

المؤلف بخزائنه

واليك من سير الزمان

وأهله

عبر ايدن بفضائها من

يعدل

العهد التي بحسب الناس أنهما من بناء الجاهلية وإن أبدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسدي وليس كذلك وإنما تم لهم ذلك بالحيل الهندسية كإذ كرهوا قفهم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

٢٦ فصل في صناعة التجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته وأحاجاته وكان منها الشجر فإنه فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا ليست وأول منافعها أن يكون وقود للنيران في معاشهم وعصياً للاتكاء والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائمها ينجي مبله من أفتالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لاهل البدو والحضر فاما أهل البدو فيتخذون منها العمود والأتاد لحياهمم والحدوج لظفائهم والراح والقسي والسهم لسلحهم واما أهل الحضر فالسقف ليوهمم والاعلاق لآبوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالحشبة مادة لها ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولاً بما ينحسب أصغر منه وألواح ثم يركب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنفته أعداد تلك الفصائل بالاتظام أي أن تصير أعضاء ذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو التجار وهو ضروري في العمران ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ما عون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجادته بغير أثمن الصناعة كإلية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل تهيشة القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برها وتشكيلها ثم تأنق على نسب مقدرة وتلحم بالداستار فتبدو لرأي العين ملتحمة وقد أخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجئ أنقى ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدسرو وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبجه في الماء بقوادهم وكذلك يكون ذلك الشكل أعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسماك تحريك الرياح ورسم أعين بحركة المفاذيف كفا في الأساطيل وهذه الصناعة من أصلها محتاجة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها إلا أن أخرج الصور من القوة إلى الفعل على وجه الأحكام محتاج إلى معرفة تناسب في المقادير أعموماً أو خصوصاً وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع إلى المهندس ولم هذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان أوقليس صاحب كتاب الأصول في الهندسة نجاراً وبها كان يعرف وكذلك أبلونيوس صاحب كتاب الخروطات وميلوش وغيرهم وفيما يقال إن معلم هذه الصناعة في الخياطة هو نوح عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان وهذا الخبر وإن كان ممكناً أعني كونه نجاراً إلا أن كونه أول من علمها أو تعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعدها ماداً وإنما معناه والله أعلم بالإشارة إلى قدم التجارة لأنه لم يصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام فجعل كانه أول من تعلمها فتفهم أسرار الصنائع في الخليفة والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

٢٧ فصل في صناعة الحياكة والخياطة

هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه فالأولى لنسج القطن من الصوف والكتان والقطن سد في الطول والحام في العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فتم منها قطع مقدرة فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل أولاً بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة

محققاً ترجم عن أحاديث الألي

د رجوا فتجمل عنهم وتفصل

تبدى التابع والعمالق سرها

وتمود قبلهم وعاد الأول والقائمون بآلة الاسلام

من مضرب بربرهم إذا ما حصلوا

لخصت كتب الأولين بجمعها

وأنت أولها بما قد أغفلوا

وأنت حوشي الكلام كأنما

سرد اللغات بها لتطرق ذلوا

وجملته لسوار ملكك مفخرا

يبي السدي به وبزهو المحفل

والله ما سرف فيما قلته شيئاً ولا الأسراف مني

يحمل ولا أنت أرسخ في المسالي رتبة

من أن يموه عنده متطفل

وصلاً وتبنيّاً وتفسحاً على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري من أن أهل البدو يستفنون عنها وإنما يشتملون الاثواب اشتغالاً وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحوامها بالخيطة للباس من مذاهب الحضارة وقنونها وفهم هذا في سر تحرير الخيط في الحجج بأن شروعية الحجج شتملة على نبداء الاثاق الديونية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا أول مرة حتى لا يعاق العبد قبه بشيء من عوائد ترفه لا طيباً ولا نساء ولا مخيطاً ولا خفا ولا يتعرض لصيد ولا شيء من عوائد التي تلونت بها نفسه وخلقته مع انه يفقد هابالموت ضرورة وإنما يجيء كانه وارد الى المحشر ضار عاقبه بخالص ربه وكان جزاؤه ان تم له اخلاصه في ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه سبحانه، أرفقك بعبادك وأرحمك بهم في طب هدايتهم اليك * وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليفة لما أن الله ضروري للبشر في العمران المعتدل وأما المنحرف الى الحر فلا يحتاج أهله الى دفع ولهذا يلغى عن أهل الاقليم الاول من السودان أنهم عراة في الغالب ولقد علم هذه الصناعات بنسب العامة الى ادريس عايه السلام وهو أقدم الانبياء وربما ينسبون الى هرمس وقديقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

فصل في صناعة التوليد

٢٨

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادعى من بطن أمه من الرقيق في اخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك ثم ما يصاحبه بعد الخروج على ما ذكر وهي مختصة بالنساء في غالب الامر لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمي القائمة على ذلك منهن القابلة استعير فيها معنى الاعطاء والقبول كأن النفساء تعطيها الجنين وكأنها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه في الرحم وأطوار دوا بلغ الى غاية والمدة التي قدر الله لكته وهي تسعة أشهر في الغالب في طلب الخروج بما جعل الله في المولود من النزوع لذلك ويضيق عليه المتنفذ فيعسر وربما مزق بعض جوانب الفرج بالضغط وربما انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم وهذه كلها آلام يشتد لها الوجع وهو معنى الطاق فتكون القابلة مهيئة في ذلك بعض الشيء بفعل الظاهر والوركين وما يحاذي الرحم من الاسائل تساق بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنه او على ما تهدي الى معرفة عسر دمه اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذي منها متصلة من سرته بمعاد تلك الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان النطفة ولا تفرغ معاد ولا برحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي أو بما تراد من وجود الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه في ذلك المتنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانشاء فربما تغير أشكال أعضائه وأوضاعها لترب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله الطبيعي ووضع المقدرة له ويرتد خلقه سوياً ثم بعد ذلك تراجع النفساء وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج أغشية الجنين لانهار بما تتأخر عن خروجه قليلاً ويخني عند ذلك أن تراجع المسكة حاطة الطبيعية قبل استكمال خروج الأغشية وهي فضلات فتعفن ويسرى عفنها الى الرحم فيتبع الهلاك فتجاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى أن يخرج تلك الأغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج أعضائه بالادهان والذرورات القابضة لتشدده وتحفف رطوبات الرحم وتحسكه لرفع إلهاته وتسمطه لاستفراغ بطن دماغه وتفرغ به بالابوق لدفع السدود من معاد وتنجو فيها عن الالتصاق ثم تدوي النفساء بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطاق ومالحق رحمها من ألم الانفصال اذا المولود ان لم يكن عضواً طبيعياً بخالة التكوين في الرحم صيرته بالالتحام كالمعضو المتصل فلهذا كان في انفصاله ألم يقرب من ألم القطع وتدوي مع ذلك ما يلحق الفرج من ألم من جراحة التزيق عند الضغط في الخروج وهذه كلها أدواء تعجزها القوابل ابصر بدواها وكذلك ما يمرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه الى

فلذلك كل فضيلة

وحقيقة

اناس تعرف فضلها ان

بدلوا

والحق عندك في الامور

مقدم

أبد انما ذا يدعيه

المبطل

والله أعطاك السقي لا

فوقها

فاحكم بما ترضي فانت

الاعدل

أبقك ربك للعباد

ترهم

فانته يخلقههم ورعيك

يكذل

وكنتم انصرفت من

معسكره على سوسة الي

تونس بانني وأما قديم بها أنه

أصابه في طريقه مرض

وعقبه برء غاطبته بهذه

القصيد

ضحكت وجود الدهر بعد

عبوس

وتخللتا رحمة من بوس

حين الفصل نجد من أبصرها من الطيب الماهر وما ذاك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة انما هو بدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز الفصل صار بدن انسانيا بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطيب اشد فهذه الصناعة كآثار ضرورية في العمران لنوع الانساني لا يتم كون اشخاصه في الغالب دونها وقد يعرض لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلاف الله ذلك لهم معجزة وخرقا للعادة كافي حق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أو بالهام وهداية يلهم لها المولود ويغفر عاينها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة فاما شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مسرورا محتونا واضعا يديه على الارض شاخصا يصبره الى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك واما شأن الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بصفات من الالهامات كالنحل وغيرها فاطنك بالانسان المفضل عليها وخصوصا بمن اختص بكرامة الله * ثم الالهام العام للمولودين في الاقبال على الندي أوضح شاهد على وجود الالهام العام لهم فشان العناية الالهية أعظم من أن يحاط به ومن هنا يفهم بطلان رأى الفارابي وحكامه الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكوّنات خصوصاً في النوع الانساني وقالوا انقطع اشخاصه لاستحالة وجودها بعد ذلك لتوقفه على هذه الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفالتها الى حين الفصل لم يتم بقاؤه اذ لا وجود للصنائع دون الفكر تمتع لانها ثمرة تابعة له وتكف ابن سينا في الرد على هذا الرأي لمخالفة اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانيا لاقتضات فلكية وأوضاع غريبة تدبر في الاحقاب بزعمه فتقتضي تخمير طينة مناسبة لازجته بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا ثم يقضى له حيوان بخلاف فيه الالهام تربيته والحنو عليه الى أن يتم وجوده وفصله وأطنب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة الحي بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع لكن من غير ما استدلل به فن داليه مبني على اسناد الافعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرده عليه ولا واسطة على القول بالاعمال المختار بين الافعال والقدرة القديمة ولا حاجة الى هذا التكلف * ثم لو سلمنا ما جدلا فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجوده هذا الشخص بخلاف الالهام تربيته في الحيوان الاعجم وما القصور الداعية لذلك واذا كان الالهام بخلاف في الحيوان الاعجم فما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قررناه ولا وفاق الالهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلا المذهبين شاهدان على أنفسهم بالبطلان في مناحيهم سيما ما قرره تلك والله تعالى اعلم

فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية

٢٩

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدها فان ثمرتها حفظ الصحة للاسحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم واعلم أن أصل الأمراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله المصدية بيت الداء والحية رأس الداء والدواء أصل كل داء البردة فأما قوله المصدية بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحية رأس الداء فالحية الجوع وهو الاحتواء من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الادوية وأما قوله أصل كل داء البردة ففي البردة ادخال الطعام على الطعام في المدة قبل أن يتم هضم الاول وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالنفخ يستعمله بالاكرو وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى أن يصير دما ملائما لاجزاء البدن من اللحم والعظم ثم أخذته النامية فينقبأ لحما وعظما ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة النورية طورا بعد طور حتى يصير جزءا بالفضل من البدن وتفسيره أن الغذاء اذا حصل في الفم ولا كتته الا شدقا أثرت فيه حراره الفم طبخا يسيرا وقلبت مزاجه بعض الشيء كما تراد في اللقمة اذا تناولتها طعاما ثم أجدها مضافا ترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل

وتوضحت غرر البشائر بعد ما انت
سبغت فأطلعها حداة
العيس
صدعوا بها ليل العموم
كانما
صدعوا الظلام بجذوة
المقبوس
فكانهم جنات عدن في
الوري
نشرت لها الآمال من
مرموس
قرت عيون الخلق منها
بالي
شربوا النعيم لها بغير
كؤوس
يتمايلون من البرة
والرضا
ويقالون أهلة
بشموس

من راكب وانى يحيى
راكبا
وجايس أنس قاده لجايس
ومشقه لله يؤنس عنده
أثر الهدى في المهد المأنوس

في المعدة قطبها حرارة المعدة الى أن يصير كيموسا وهو صوف ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما رسب منه في المي فلا ينفذ الى الخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى أن يصير دما عيطا وتطفو عاياه رغوة من الطبخ هي الصفراء وترسب منه اجزاء يابسة هي السوداء ويقتصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الفليظ منه فهو الباغم ثم ترسلها الكبد كما هي في العروق والجداول ويأخذها طبخ الحار الغريزي هناك فيكون عن الدم الحاصل بخار حار رطب يمد الروح الحيواني وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون اللحم غليظه عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق والاعاب والمخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لتمام ان أصل الامراض ومظهرها هي الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضج وسببه غالبا كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغاب على الحار الغريزي أو ادخل الطعام الى المعدة قبل أن تستوفي طبخ الاول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله أو يتوزع عليه ما يقتصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه ووربما بقي في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا أخذ البدن حاجته الملائمة أرسله مع الفضلات الاخرى من العروق والدمع والاعاب ان اقدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتترايد مع الايام وكل ذي رطوبة من المتعرجات اذا لم يأخذها الطبخ والنضج بعض فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالمخاط وكل متعفن فيه حرارة غريبة وتلك هي المسماة في بدن الانسان بالحُمى واختبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى تعفن وفي الزبل اذا تعفن ايضا كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى الحميات في الابدان وهي رأس الامراض وأصلها كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها بقطع الغذاء عن المريض أسابيع معلومة ثم ينال له الاغذية الملائمة حتى يتم رؤه وذلك في حال الصحة علاج في التحفظ من هذا المرض وأصله كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسة أو في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له هذه كلها جماع الامراض وأصنافها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب ووقوع هذه الامراض في أهل الحضرة والامصار أكثر انخضب عيشهم وكثرة ماكلهم وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توقيهم لتناولها وكثيرا ما يخافون من الاغذية من التوابل والبقول والفواكه رطبا أو يأسف في سبيل العلاج بالطبخ ولا يتقشرون في ذلك على نوع أو أنواع وربما عددنا في اليوم الواحد من انواع الطبخ أربعين نوعا من الثبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون ضريبا عن ملاءمة البدن وأجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تفسد بمخالطة البحر العفنة من كثرة الفضلات والاهوية منشطة الارواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار الغريزي في الهضم ثم الرياضة مفعولة لاهل الامصار اذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم أثر افكان ووقوع الامراض كثيرا في المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة وأما أهل البدو فأكولهم قليل في الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن أنها جيلة لاستمرارها ثم الادم قليلة لديهم أو مفعولة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه كما يدعوا اليه ترف الحضارة الذين هم بمنزل عنه فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يحتاجها ويقرب مزاجها من ملاءمة البدن وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا أهليين أو لاختلاف الاهوية ان كانوا طواغيت ثم ان الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الحيل أو الصيد أو طلب الحاجات لمهنة أنفسهم في حاجتهم فيحسب بذلك كله الهضم ويجود ويفقد ادخال الطعام على الطعام فتكون أمتزجتهم أصلح وأبعد من الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية

بعدمها رحمة قدسية
 فيبو للرحمن بالتقديس
 طب باخلاص الدعاء
 وانه
 يشفي من الداء العيا
 والبوس
 والمعنى به امام الجامع الاعظم
 جامع الزيتونة بتونس
 يابن الحسلافة والذين
 بنورهم
 نهجت سبيل الحق بعد
 دروس
 والناصر الدين القويم
 بعزمه
 طردت امامتها بغير
 عكوس
 هجر المتنافهين اولذات المنا
 في لذة التهجير والتغليس
 حاط الرياضة بالسياسة
 فانطوت
 منه لا كرم مالك
 وسيوس
 أسد بخامى عس حى
 أشباله
 حتى ضو وامنه لأمنع خليس

بوجه وما ذاك الا لاستغناء عنه اذ لو احتيج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوه الي سكنائه سنة الله
التي قد خلت في عبادته ولن تجد لسنة الله تبديلا

٣٠

فصل في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية

وهو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على مافي النفس فهو اناني رتبة من الدلالة اللغوية
وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان وايضا فهي تطاع على مافي الضمائر
وتؤدي بها الاغراض الى البدلية بدقته في الحاجات وقد قدمت مؤنة المباشرة لها ويطاع بها على العلوم والمعارف
ويخفف الاولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجود والمنافع وخر وجهافي الانسان من
القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناهي في الكمالات والطلب لذلك تكون
جودة الخط في المدينة اذهو من جملة الصنائع وقد قدمنا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد ان كثير البدو
امين لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصر او قراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في
الامصار الخارج عمراتها عن الحد بالغ وأحسن وأسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا
العهد وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكام في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك
المباشرة بتعليم وضعه فتمتصده رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجود وانما أتى هذا من كمال
الصنائع وفورها بكثرة العمران واتساح الاعمال وقد كان الخط العربي بالغامبا لنفسه من الاحكام والاتقان
والجودة في دولة التبابعة لما باغت من الحضارة والترفع وهو المسمى بالخط الحميري وانتقل منها الى الحيرة لما
كان بها من دولة آل المنذر نسبة التبابعة في العيصية والمجديين لملك العرب بأرض العراق ولم يكن الخط عندهم
من الاجادة كما كان عند التبابعة لتصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن
ذلك ومن الحيرة قمت اهل الطائف وقريش فيما ذكر يقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال
حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدره وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب الي أنهم تعلموها من اياد اهل العراق
لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا * ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان اياد او انزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة والخط من الصنائع الحضارية
وانما معنى قول الشاعر أنهم أقرب الي الخط والقلم من غيرهم من العرب اقربهم من ساحة الامصار وضواحيها
فانقول بان اهل الحجاز اتم القنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التبابعة وخير هو الايق من الاقوال وكان
خير كتابة تسمى المستحرف وفهام منفصلة وكان يؤمنون من تعلمها الا باذنهم ومن حيرة تعلمت مضر الكتابة العربية
الا أنهم لم يكونوا يجيدون لها شأن الصنائع اذا وقعت باليد فلا تكون محكمة المذهب ولا مائلة الى الاتقان والتتبع
لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل أو قريبا من كتابتهم لهذا
العهد أو نقول ان كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة لان هؤلاء أقرب الي الحضارة ومخالطة الامصار والدول
وأما مضر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضرة من اهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان
الخط العربي لأول الاسلام غير بالغ الي الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من
البداوة واتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة
بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسوماتهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم
اقتفى اتباعون من الساف رسوماتهم فيما تتركب رسمه انتخاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده
المتلقون لوجيه من كتاب الله وكلامه كما يقتضى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ويتبع رسمه خطا أو صوابا وأين

قسما يوشى البطاح وقد
غدت
تختال زهوا في ثياب
عروس
والمئات من الخنايا
جنبا
باليد من طسم وفن
جديس
وخز البلي منها القوارب
والذري
فلفتن حذرا بالعيون
الشوس
لبقاك حير زللا نام
وعصمة
وحياة أرواح لنا
ونفوس
ولأنت كافل ديننا
بحمية
لولاك ضيع عهدنا
وتومي
الله أعطاك التي لا فوقها
وحباك حظا ليس بالمركوس
تغنوا لوجه اليك قبل
وجوهنا
سيان من رأس ومن
مرؤس

نسبه ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسما ونه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك الى ما رزعه بعض المغفلين من أنهم كانوا يحكمين لصناعة الخط وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كالتخيل بل لكلها وجه ويقولون في مثل زيادة الالف في الأذبح أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في أيدي أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لأصله الا لا التحكم المحض وما حاهم على ذلك الاعتقاد هم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم انتقص في قلة اجادة الخط وحسبوا أن الخط كمال فز هوهم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادة وطلبوا تعميل ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح * واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كإيرائه فيما مروا الكمال في الصنائع اضافي وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النفوس وقد كان صلى الله عليه وسلم أميا وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة الي مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العمالية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها وليست الامية كمالا في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتي العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيده واستحكم وباع في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان لأنها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك واقتحموا افريقية والاندلس واحتط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادى معروف الرسم وتبعه الافريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشرقي ونحيز ملك الاندلس بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كرهو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأعيد كتبها وتجديد ما ماتت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفا له وتنافس أهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه ثم لم يخل نظام الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فالتقل شأنا من الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقها نافقة لهذا العهد وله بها معلمون يرسمون لتعاليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم فلا يثبت المتعلم أو يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد قلنا احسننا وحقق فيها دربة وكتابا واخذها قوانين عامة فتجنى أحسن ما يكون وأما أهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند ثلاثى ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة الممتونية الى هذا العهد وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلموا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقى وعنى عليه ونسى خط القيروان والمهدي بنسبان عواثدها وصنائعهم اوصارت خطوط أهل افريقية كلها على الرسم الاندلسى بنونس وما اليه اتوا فز أهل الاندلس بها عند الحالية من شرق الاندلس وبقى منه رسم بلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الاندلس ولا تراسوا بجوارهم إنما كانوا يندون على دار الملك بنونس فصار خط أهل افريقية من أحسن خطوط أهل الاندلس حتي اذا تقلص ظل الدولة الموحدية نبض النور وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه ووجعل فيه وجه التعاليم فساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الاندلسى تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع اذ اسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسى لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريبا واستعملهم اياهم

فاذا اقتت فان ربعك

راحل

يحمي على الاعداء كل

وطيس

واذا رحلت فلا مساعدة

آية

تقتادها في موكب

وخيس

واذا الادلة في الكمال

تطابقت

جاءت بمسموع لها

ومقيس

فانعم بما لك دولة عادية

تشقى الاعادى بالعذاب

الليس

واليكها في علي خجل

بها

عنداء قد حليت بكل

نقيس

عندك قد طمس الشباب

ونوره

وأضاء صبح الشيب عند

طموس

لولا عنايتك الى أوليتي

ما كنت أعنى بعد ها

بطروس

سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصار الخطوط بأثر يبقية والمفرد بين مائتة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لتصحيحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيح وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم

فصل في صناعة الوراقة

٣١

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية بجزر زاخر بالعراق والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونطاق أسواق ذلك لديهم ما فكثر التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناولها في الآفاق والاعصار فانتسخت وجسدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت السجلات أولاً لا تنساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيئة بالصناعة من الجلد لكثرة الرفه وقلة التأليف صدر الملة كما نذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقصر وأعلى الكتاب في الرق تشرى بالمكتوبات وميلابها إلى الصحة والاتقان ثم طما بجزر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذ الناس من بعده صحفاً مكتوباً بهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في صناعته ماشاء ثم وقفت عناية أهل العلوم وهم أهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المستندة إلى مؤلفيها واضعها لانه الشأن الاهم من التصحيح والضبط فبذلك تسند الاقوال إلى قائلها والفتيا إلى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وما يمكن تصحيح المتن باستنادها إلى مدونها فلا يصح استناد قولهم ولا فتيا وهكذا كان شأن أهل العلم وحملته في العصور والاحيال والآفاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثة في الرواية على هذه فقط اذ تفرتها الكبرى من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وتمحصت زبدة ذلك في الامهات المتألفة بالقبول عند الامهات وصار القصد إلى ذلك انما هو من العمل ولم يبق ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثة وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتأليف العلمية واتصال سندها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاستناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالشرق والاندلس بمسدة الطرق واضحة الساتك ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في أقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها لهذا العهد بأيدي الناس في العالم اصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقلونها إلى الآن ويشدون عليها بآداب الصناعة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جلة بالمغرب وأهل لا تقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتهاص عمرائه وبداءة أهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية تنسخها طلبة البربر صحائف مستحجة برداء الخط وكثرة الفساد والتصحيح فستستغاق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا في الافل النادر وأيضاً فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن أئمة المذهب وانما تأتي من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك أيضاً ما تصدى إليه بعض أئمتهم من التأليف لقللة بعمرهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا انارة خفية بالاحياء وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكلية من المغرب والله غالب على أمره ويبلغ لنا العهد أن صناعة الرواية قائمة بالشرق وتصحيح الدواوين لم يرومه بذلك سهل على مئة فيه لنفاق أسواق العلوم والصنائع كما ذكره بعد الا

والله ما بقت ممارسة
النوى

منى سوى رسم أمر دريس
أخفى الزمان على في الأدب
الذي

دارسته بمجامع ودروس
فسطاً على فرعى وروع
مأمنى

واجت من دوح النشاط
غروسى

ورضاك رحتى السقي
أعدها

تحيي منافسى وتذهب
بوسى

ثم كثرت سعاية البعانة بكل
نوع من أنواع السعائيات

وابن عرفة يزبد في اغرائهم
مقى اجتمعوا اليه الى أن

أغروا السلطان بسفرى
معه ولقنوا النائب بتونس

القائد فارح من موالى
السلطان أن يتفادى من

مقامي معه خشية على أمره
منى بزعمه وتواطوا على

أن يشهد ابن عرفة بذلك

ان الخط الذي بقي من الاجادة في الاتساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم وأما النسخ بمصر ففسد كفسد
بالمغرب وأشد والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

﴿فصل في صناعة الغناء﴾

٣٣٢

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة بوقع علي كل صوت منها
توقعاً عند قطعه فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها الي بعض على نسب متعارفة فيسمى المسماعها الاجل ذلك
التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون
صوت نصف صوت ورابع آخر وخمس آخر وجزاً من أحد عشر من آخر واختلاف هذه النسب عند تأديتها الي
السمع يخرجها من البساطة الي التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذ عند السماع بل تراكيب خاصة هي التي
حصرها أهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات
الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجمادات اما بالقرع أو بالنفخ في الآلات فتخل ذلك فترى الملة عند السماع فيها
لهذا المهد أصناف منها ما يسمونه الشبابة وهي قصبة جوفاء بالبخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج
الصوت من جوفها على سدادة من تلك الانبجاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعاً على تلك الانبجاش
وضاءة متعارفاً حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتمثل كذلك متناسبة فيلذذ السمع بأدراكها لتتناسب الذي
ذكرناه من جنس هذه الآلة المزامار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة منجوة الجانين من الخشب
جوفاء من غير تدوير لاجل اثلاثها من قطعتين منفردتين كذلك بالبخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل
فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجرى فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانبجاش بالاصابع مثل
ما يجرى في الشبابة ومن أحسن آلات الزمر لهذا المهد البوق وهو بوق من نحاس أجوف في مقدار الذراع
يتسع الي أن يكون انفراج مخرج فيه في مقدار دون الكف في شكل برى القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح
من الفم اليه فيخرج الصوت فينادو يوافيه بالبخاش أيضاً معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب
فيكون ملذوذاً ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها ما على شكل قطعة من الكرة مثل البربط والرباب أو على
شكل مربع كالقانون توضع الاوتار على بسائطها مشدودة في رؤسها الي دساتر جائلة ليتأتى شد الاوتار وريحها
عند الحاجة اليه بأدائها ثم تهرع الاوتار اما بعد آخر أو بوتر مشدودين طرفي قوس يمر عليها بعد أن يعلو
بالشمع والكندر ويقطع الصوت فيه بخفيف اليد في امرارده أو نقله من وتر الي وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع
آلات الاوتار توقع باصابعها على أطراف الاوتار فيما يهرع أو يحرك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذودة وقد
يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الاعواد بعضها ببعض على توقع متناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع
وانيين لك السبب في الالذذ الناشئة عن الغناء وذلك أن الالذذ كما تقرر في موضعه هي إدراك الملائم والمحسوس انما
تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذودة واذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة
فاللائم من الطعوم ما ناسب كيفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملموسات وفي الروائح ما ناسب
مزاج الروح القابض البخاري لانه المدرك واليه تؤدي الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار العطريات أحسن
رائحة وأشد ملائمة للروح الغالبة الحارة فيها التي هي مزاج الروح القابض وأما المراتبات والمسموعات فالملائم فيها
تناسب الاوضاع في أشكالها وكيفية اهوائها أنسب عند النفس وأشد ملائمة لها فاذا كان المرقى متناسباً في أشكاله
وتحاطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى
الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ متناسباً للنفس المدركة فتلذذ بأدراك ملائمتها ولهذا نجد العاشقين
المستترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر نفهمه ان كنت

للساطان حتى شهد به في غيلة
مضى ونكر الساطان عليهم
ذلك ثم بث الي وأمرني
بالسفر معه فسارعت الي
الامثال وقد شق ذلك على
الأنى لم أجد محيصاً فخرجت
معه وانتهيت الي تبسة وسط
وطن تلؤلأ فريقيه وكان
منحدر في عسكره وتوابعه
من العرب الي توزر لان ابن
يلؤلأ أحب علمه اسنة ثلاث
وثمانين واستنقذها من يد
ابنه فسار الساطان اليه
وشرده عنها وأعاد اليها ابنه
وأولياءه ولم تهن من
تبسة رجعت الي تونس
فأقمت بضعة الرياحين من
نواحيها لضم زراعتي بها
الي أن قفل الساطان ظافراً
منصوراً فصحبته الي تونس
ولما كان شهر شعبان من
سنة أربع وثمانين أجمع
الساطان الحركة الي الزاب
بما كان صاحب ابن مزني
قد آوى ابن يلؤلأ اليه

ومهدله في جوار دغشيت
أن يعود في شأني ما كان في
السنة قبلها وكان بالبرسي
سفينة تجار الاسكندرية
قد شحنها التجار بأمتعتهم
وصروهم وهي مقاعة الى
الاسكندرية فطارحت
على السلطان وتوسلت اليه
في تخية سيدى لقضاء فرضي
فأذن لي في ذلك وخرجت
الى المرسى والناس
متسايلون على أثري من
أعيان الدولة والبلد وطلبة
العلم فودعهم وركبت البحر
متنصف شعبان من السنة
وقوضت عنهم بحيث كانت
الخيرة من الله سبحانه
وتفرغت لتجديد ما كان
عندي من آثار العلم والله
ولى الأمور سبحانه

والرحلة الى المشرق

وولاية القضاء بمصر

ولما رحت من تونس
متنصف شعبان من سنة
أربع وثمانين أذنا في

من أهله وهو اتحاد المبدأ وأن كل ماسواك اذا نظرتيه وتأملت رأت بينك وبينه اتحادا في البداية يشهدك به اتحادكما
في الكون ومعناه من وجه آخر أن الوجود يشترك بين الموجودات كاتقوله الحكماء فتود أن تستخرج مما شاهدت
فيه الكمال لتجديه بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ الكون ولما كان أنسب
الاشياء الى الانسان وأقربها الى أن يدرك الكمال في تناسب موضوعها وشكلها للانسان فكان ادراكه للحجما
والحسن في تخاطب طه وأصواته من المصادر التي هي أقرب الى فطرته فيلهج كل انسان بالحسن من المرقى أو
المسموع بتضي الفطرة والحسن في المسموع أن تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة وذلك أن الاصوات لها
كيفية من الهمس والجهر والرخاوة والشدّة والقلقلة والضعف وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها
الحسن فأولاً لأن لا يخرج من الصوت الى مدد دفعية بل بتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لا بد من
توسط المغاير بين الصوتين وتأمل هذا من افتتاح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة الخارج
قائه من بابيه وثانياً تناسبها في الاجزاء كما مر أول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على
حسب ما يكون التنقل مناسباً على ما حصره أهل الصناعة فإذا كانت الاصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره أهل
تلك الصناعة كانت ملائمة ملاذ وذوذة من هذا التناسب ما يكون بسيطاً ويكون الكثير من الناس مطبوعاً عليه
لا يحتاجون فيه الى تعام ولا صناعة كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وأمثال ذلك وتسمي
العامية هذه القابلية بالضممار وكثير من القراء بهذه المأبة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها
الزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوى
في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها في العمل به إذا علم وهذا هو التاجين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما شرحه
بعد عند ذكر العلوم وقد أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتاجين وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس
المراد تاجين الموسيقى الصناعية فإنه لا ينبغي أن يختلف في حفظه أذن صناعة الغناء مبينة للقرآن بكل وجه لأن القراءة
والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعين أداء الحروف لامن حيث اتباع الحركات في وضعها ومقدار المد عند
من يطلعه أو يقصده وأمثال ذلك والتاجين أيضاً تعيين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من أجل التناسب الذي
قلناه في حقيقة التاجين واعتبار أحدهما قد يخل بالآخر إذا تعارضوا وتقديم الرواية متممين من تغيير الرواية المنقولة
في القرآن فلا يمكن اجتماع التاجين والاداء المتعبر في القرآن بوجه وانما مرادهم التاجين البسيط الذي يهتدى
اليه صاحب المضمار بطبعه كما قد مدناه فيرد أصواته تردداً على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك
بوجه كقوله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كذهاب اليه الامام رحمه الله تعالى
لأن القرآن محل خشوع يذكر الموت وما بعده وليس مقام التمدد إذ نادرك الحسن من الاصوات وهكذا كانت
قراءة الصحابة رضي الله عنهم كفي أخبارهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم التمدد أوتي من زمان من زمان آل
داود فليس المراد به التردد والتاجين أنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والابانة في مخارج الحروف
وانطلاقها * وإذا قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العمران أذات وفرو وتجاوز حد الضرورى الى الحاجي ثم
الى الكمال وتشوافية فيحدث هذه الصناعة لأنه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من
المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر أحوالهم فتشافي مذاهب المذذوات وكان في سلطان المعجم
قبل الملة منها بحر زاخر في أمصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك الفرس
اهتماماً بأهل هذه الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم وينفون فيها وهذا
شأن المعجم لهذا العهد في كل أفق من آفاقهم ومملكته من ممالكهم وأما العرب فكان لهم أولافن الشعر يؤلفون
فيه الكلام أجزاً متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والسكونية فيفسلون الكلام في تلك الاجزاء

تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا ينقطع على الآخر ويسمونه الليت فتلائم الطبع بالتجزئة أولا ثم بتناسب الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فلهجوا به فامتاز من بين كلامهم بحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوالاخبارهم وحكمهم وشرفهم وشكلا لقرانهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمر واعلى ذلك وهذا التناسب الذي من اجل الاجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى الا أنهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم يتحلوا علما ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة أغلب نحلهم ثم تفتى الحداثة منهم في حداثا بلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالتهليل أو نوع القراءة تغيير بالنغمين المعجمة والباء الموحدة وعلماها بواضح الزجاج بانها تذكرا بالغاير وهو الباقي أى بأحوال الآخرة وربما ناسبوها في غنائهم بين النعمات مناسبة بسيطة كذا كره ابن رشيح آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السنداد وكان أكثر ما يكون منهم في الحفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحلووم وكانوا يسمون هذا المزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو من أوائلها ولا يبعد أن تنفطن له الطباع من غير تمام شأن البساط كلهم من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بدوتهم وجاهليتهم فلما اجاء الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك أحوال الفراغ وماليس بنافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيئا ما ولم يكن المذود عنددهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم هم الترف وغاب عنهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا الى العرب وغنوا جميعا بالبيدات والطناير والمعاذف والمزامير وسمع العرب تاجينهم للاصوات فلحنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب حاتم ولي عبيد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم أخذ عنهم معبد وطبقة وابن سريج وأنظار وما زالت صناعة الغناء تدرج الى أن مكث أيام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي و ابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث بعده وبمجالسه لهذا المهدي وأمنوا في الله والاب واتخذت آلات الرقص في الملابس والقضبان والاشعار التي يترنمها عليه وجعل صنفوا حدود واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكركج وهي تماثيل خيل مسرحة من الخشب معاقبة باطراف أقبية يابسها النسوان وبمحاكين بها امطاء الحليل فيكرون ويفرون ويثاقفون وأمثال ذلك من اللعب المعدل ولائم والاعراس وأيام الاعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك ببغداد وأمصاير العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصلين غلام اسمه زرياب أخذ عنهم الغناء فاجاد فصر فوه الى المغرب غيره منه فالحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الاندلس فبالغ في تكرمه ووركب لائقته وأسكنه الجوانب والاقطاعات والجرايات وأحله من دولته وندمائه بمكان فاوثر بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى أزمان الطوائف وطما منها بآشيلية بجزر آخر وتناقل منها بسد ذهاب غضايرتها الى بلاد المدوة بأفريقية والمغرب وانقسم على أمصارها وبها الآن منها صابة على تراجع عمراتها وتناقص دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي أيضا أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله أعلم

البحر نحووا من أربعين ليلة
ثم وافينا مرسى الاسكندرية
يوم الفطر ولعشر ليال من
جلاوس الملك الظاهر على
التخت واقام ذكر سي الملك
دون أهله بني قلاوون وكنا
على قرب ذلك لما كان
يؤثر بقاصية البلاد من
سموه لذلك وتمهيد له
وأقت بالاسكندرية شهرا
لهيئة أسباب الحج ولم يقدر
عائذ فانتقلت الى القاهرة
أول ذى القعدة فرأيت
حاضرة الدنيا وبستان
العالم ومحشر الامم ومدرج
الذر من البشر وايوان
الاسلام وكرسي الملك
تلوح القصور والواووين
في جوه وزهر الحوائق
والمدارس والكواكب

قوله الظاهر يريد به الظاهر
برق سوق وهو أول ملوك
الشرا كسبة بمصر وآخرهم
الغوري وانقرضت على يده
دولة الشراكسة اه من
خط الشيخ العطار

تجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات أولا ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى أن يصير ادراكا بالفضل
وعقلا محضا فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيد
عقلا يفيد او الصنائع ابدأ يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة فهذا كانت الحسنة في
التجربة تفيد عقلا او الملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لانها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير
النزل ومباشرة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ثم القيام بامور الدين واعتبار آدابها وشرائعها وهذه
كلها اقوال بين تنظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع أكثر افادة لذلك لانها تشتمل على
العلوم والاعمال بخلاف الصنائع ويانه في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال
ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائما فيحصل له ملكة الانتقال من الادلة الى
المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل
ويحصل بدقوة فطنة وكس في الامور لما تعود ومن ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لما رآهم يتلك
الفطنة والنكس فقال ديوانه أي شياطين وجنون قالوا ذلك أصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك
الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في المدد بالضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى ممتوعدا
لا استدلال والتفكير وهو معنى العقل والله أعلم

فصل السادس من الكتاب الاول في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يمرض

في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولو لاحق

فصل في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وذلك أن الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك وانما
تتميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحقيق مآشيه والتعاون عليه بآبناء جنسه والاجتماع المهيئ لذلك التعاون وقبول
ما جاءت به الا انبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح اخراذ فهو مفكر في ذلك كله دائما لا يفتقر عن الفكر فيه
طرفة عين بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا
الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطبائع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس
عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو ادراك أو أخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين
يؤمنونهم ثمانية فيأتون ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم ان فكره ونظره توجه الى واحد واحد من
الخطائق وينظر ما يمرض له لذاته وواحدة بعد أخرى ويمر على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض بتلك الحقيقة ملكة
له فيكون حينئذ علمه بما يمرض تلك الحقيقة علما مخصوصا وتشوف نفوس أهل الحيل الناشئ الى تحصيل ذلك
فيترعون الى أهل معرفة ويحجي التعليم من هذا فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر

فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك أن الخلق في العلم والتفكير فيه والاستيلاء عليه انما هو يحصل ملكة في الاطاعة بمباديه وقواعده والوقوف
على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما لم يحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه
الملكة هي في غير الفهم والوعي لانما يجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعيا مشتركا بين من شدا في ذلك
الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامى الذي لم يحصل علما وبين العالم النحرير والملكة انما هي للعالم والشاوي في
الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي والملكات كلها اجسامانية سواء كانت في البدن أو في
الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والحسبانيات كلها محسوسة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل
علم أو صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفعي وحيل ويدل ايضا على أن تعليم العلم صناعة اختلاف

بأفاقه وتضيء البسدر
والنكو أكب من عامائه
قدمثل بشاطىء النيل نهر
ومدفع مياه السماء بسيفه
العلل والنهل سيحه ويحجي
أليهم الثمرات والخيرات شج
ومررت في سكك المدينة
تنص زحام المارة وأسواقه
ترخر بالعم ومازلنا نتحدث
بهذا البلد وبعدماده في
العمران واتساع الاحوال
ولقد اختلفت عبارات من
لقيناه من شيوخنا وأصحابنا
حاجهم وتاجرهم في الحديث
عنه سألت صاحبنا كبير
الجماعة بفاس وكبير العلماء
بالمغرب أبا عبد الله المقرئ
فقلت له كيف هذه القاهرة
فقال لم يرها لم يعرف عن
الاسلام وسألت شيخنا

الاصطلاحات فيه فلكل امام من الائمة المشاهير اصطلاح في التعاميم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم والالكان واحد عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم توجه الى مطالعته تجدد الاصطلاحات في تعليمه متخلفة فدل على أنها صناعات في التعاميم والعلم واحد في نفسه واذا قرر ذلك فاعلم أن سند تعاميم العلم لهذا العهد قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كإمرو ذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيها التعاميم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع التعاميم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحيدين براكش مستفاد منها ولم ترسخ الحضارة براكش لبداء الدولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها ببدءتها فلم تتصل أحوال الحضارة فيها الا في الأقل وبعد انقراض الدولة براكش ارتحل الى المشرق من أفريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد وأسط المائة السابعة فأدرك تلميذا الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم وحقق في العقليات والنقلات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعاميم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخة مصر ورجع الى تونس واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فأخذ عنهم أهل تونس واتصل بسند تعليمهم ما في تلاميذها جيلا بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام علي مشيخة واحدة وفي مجالس بأعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بنونس وابن الامام تلمسان لهذا العهد الا أنهم من القلة بحيث يحنى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زاوادة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذ أبي عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحقق في العقليات والنقلات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعاميم مفيد ونزل بجاية واتصل بسند تعليمه في طلبها وربما انتقل الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذيه وأوطها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعاميم من لدن انقراض تعاميم قرطبة والقيروان ولم يتصل بسند التعاميم فيهم ففسر عليهم حصول الملكية والحدق في العلوم وأيسر طرق هذه الملكية فحقق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل هراهم فاجتهد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثيرين من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكو تالينطقون ولا يفاوضون وغنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تلمذته قاصرة في عامه ان فاض أو ناظر أو علم وما أناهم القصور الامن قبل التعاميم وانقطاع سنده والاحتفاظهم بأبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكية العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بنونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل مما تاتي فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكية العلمية أو اليأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لأجل عسرها من قلة الجودة في التعاميم خاصة لا مما سوى ذلك وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعاميم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمهم بينهم فانحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلوا أثر بعد عين وأما العقليات فلا أثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعاميم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسيف البحر شغلهم بما يشغلهم أكثر من شغلهم بما بعدهما والله غالب على أمره وأما المشرق فلم ينقطع سند التعاميم فيه بل أسوأه

أبا العباس بن ادريس كبير العلماء بجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله من السحاب يشير الى كثرة أمته وأمنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضي العسكرية بقاسم الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عثمان منصرفه من السفارة عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الصريح الكريم سنة ست وخمسين فسألته عن القاهرة فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذي تخيله الانسان قائم يرادون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع من كل ما تخيل

نافقة وبحور مزخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله تعالى قد ادال منها بامصار اعظم من تلك واتقل العلم منها الى عراق العجم بنجر اسان وماوراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسند التعاليم باقائما فاهل المشرق على الجملة ارسخ في صناعة تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع حتي انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل من عقول اهل المغرب وانهم اشد نباهة واعظم كسبا فطرتهم الاولى وان نفوسهم الناطقة اكمل فطرتهم من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الانسانية ويتشيعون لذلك ويولعون به لما يرون من كسبهم في العلوم والصنائع وليس كذلك وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة و النفوس علي نسبتها كاسر وانما الذي فضل به اهل المشرق اهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيدي كما تقدم في الصنائع وزيد الان تحقيقات ذلك ان الحضرة لهم آداب في احوالهم في المعاش والمساكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذا سائر اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم يبق في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتبسون به من اخذ وترك حتي كأنها حدود لا تعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا تستعده لقبول صناعة اخرى ويتهايها العقل لسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك مثل انهم يعلمون الحمر الانسبة والحيوانات المعجم من المسائي والطائر مفردات من الكلام والافعال يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واطاعة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قد سمنان النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كسبا لما يرجع الي النفس من الآثار العلمية فيظنه العامي تفاوت في الحقيقة الانسانية وليس كذلك الا ترى الى اهل الحضرة مع اهل البدو وكيف نجد الحضرة متحليا بالذكاء مملئا من الكيس حتي ان البدوي ليظنه أنه قد فاته في حقيقة انسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوي فلما امتلا الحضرة من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات أنها السكالات في عقله وأن نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتهم وجباها عن فطرتهم وليس كذلك فاننا نجد من اهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرتهم انما الذي ظهر على اهل الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعاليم فان لها آثارا ترجع الي النفس كما قدمناه وكذا اهل المشرق لما كانوا في التعاليم والصنائع أربع رتبة وأعلى قدما وكان اهل المغرب أقرب الي البدو وقلأ قدمناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادئ الرأي أنه لكمال في حقيقة الانسانية اختصاصا به عن اهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهيمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

فيها فأعجب السلطان والحاضرون لذلك ولما دخلتها أفت أياما واتصال علي طلبه العلم بها يلتصقون الاستفادة مع قلة البضاعة ولم يوسعوا في عذرا فجلست للتدريس بالجامع الأزهر منها ثم كان الاتصال بالسلطان فأمر مقامى وانس الغربية ووفر الجارية من صدقائه شأنه مع أهل العلم وانتظرت لحاق أهلي وولدي من تونس وقد صدهم السلطان هناك عن السفر اغتباطا بعودي اليه فطلبت من السلطان صاحب مصر الشفاعة اليه لتخليه سيدهم فخطبه في ذلك ثم هلك بعض المدرسين بمدرسة القمححة بمصر من

٣ فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة

والسبب في ذلك ان تعاليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قد سمنان الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجود والكثرة لانه امر زائد على المعاش فتي نصات أعمال اهل العمران عن معاشهم انصرف الى ماوراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرتهم الى العام من نشأ في القرى والامصار غير المتقدمة فلا يجد فيها التعاليم الذي هو صناعي فقد ان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بد له من الرحلة في طلبه الي الامصار المستبحرة شأن الصنائع كلها واعتبر

ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة قلما كثر عمر انما صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفتتوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتي أروا على المتقدمين وقاتوا المتأخرين ولما تناقص عمر انما وأبدع سكانها انطوى ذلك البساط بماعليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غير هامن أمصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمر انما مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفتتت ومن جماتها تعليم العلم وأكذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بهامندما تين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا وذلك ان امراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلاطنتهم علي من يخافونه من ذريتهم ساله عليهم من الرق أو الولاء ولم ينجس من معاطب الملك وتكياته فاستكثر وامن بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المنفلة يجمعون فيها شركا لولدهم ينظر عليها أو نصيب منها مع ما فهم غالبا من الجنوح الي الخير والتمس الاجور في المقاصد والانفال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفتت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله بخاق ما يشاء

فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

٤

(اعلم) ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تخصيلا وتعاميا هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يتهدي اليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم الحكيمية الفاسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويتهدي بمداركه البشرية الي موضوعاتها ومسائلها وأتجاه براهينها ووجود تعليمها حتي يقفه نظره (١) ويحسه علي الصواب من الخط فيها من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الي الخبر عن الواقع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الي الاحقاق بوجه قياسي الآن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلي فرجع هذا القياس الي النقل لتفرعه عنه وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتق بذلك من العلوم التي تهيتها للانفاذة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة به نزل القرآن وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالي المفروضة عليه وعلي أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالاجماع أو بالحقاق فلا بد من النظر في الكتاب بيان الفاظه أولا وهذا هو علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته الي النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم باسناد السنة الي صاحبها والكلام في الروايات الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو أصول الفقه وبمعه هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالي في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم ان التكليف منها بدني ومنها قاي وهو المختص بالايمن وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد اليمانية في الذات والصفات وأهورا الحشر والعيم والعباد والقدر والحجج عن هذه بالدلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لانه توقف عليها وهي أصناف فتنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب حسبا تتكلم عليها كلها وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية وأهلها وان كانت كرامة

(١) قوله حق يقفه نظره يستعمل وقف متعديا فتقول وقفته على كذا أي أطلعته عليه قاله نصر اه

وقف صلاح الدين بن أيوب
فولاني تدريسها مكانه
وبينما نافي ذلك اذ سخط
السلطان قاضي المالكية
في دولته لبعض النزغات
فغزله وهو رابع أربعة بعد
المذاهب يدعى كل منهم
قاضي القضاة تميزا عن
الحكام بالنابة عنهم لاتساع
خطة هذا المعمور وما
يرتفع من الخصومات في
جوانبه وكبير جماعتهم قاضي
الشافعية لعموم ولايته في
الاعمال شرقا وغربا
وبالصعيد والقيوم واستقلا
بالنظر في أموال اليتامى
والوصايا ولتدقيق بان
مباشرة السلطان قديما
بالولاية انما كانت تكون
له فلم اعزل هذا القاضي

علي الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث أنها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها وأما على الخصوص فبإبانة لجميع الملل لأنها ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمحجور والنظر فيها محظور فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بلذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والها والمحكم واحد ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي ثم إن هذه العلوم الشريفة الثقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا فوقها وهذا بالاصطلاحات وربت الفنون لجأت من وراء الغاية في الحسن والتعميق وكان لكل فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبما ذكره الآن عند تعدد هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعالم كما قدمناه في الفصل قبله وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعالم في العلوم وفي سائر الصناعات الضرورية والسكالية لكثرة عمرانها والحضارة وجودها لا عالة لطال العلم بالجراية من الاوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد ويده التوفيق والاعانة

٥ علوم القرآن من التفسير والقراآت

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكنون بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة الآن الصحابة رويوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكميات الحروف في أدائها وتوكل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالنسب إلى من اشتهر بروايتها من الجمل الغفير فصارت هذه القراآت السبع أصولا للقراءة توربما زيد بعد ذلك قراآت أخر لحقت بالسبع الأصلية عند أئمة القراء لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراآت السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لأنها عندهم كميات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن وأباه الأكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كالمدا والتسهيل لعدم الوقوف على كفيته بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراآت وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلماء مفردا وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في حيل بعدجيل إلى أن ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالى السامريين وكان معنيها بهذا الفن من بين فنون القرآن ما أخذ به مولا المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بمحضته فكان سهمه في ذلك وافر واختص مجاهد بذلك بامارة دانية والجزائر الشرقية فنفت بها سوق القراءة قلما كان هو من أتمها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقرآآت خصوصاً فظهر له مهده أبو عمر والداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرقها وانتهت إلى روايته أسانيدها وتعددت تأليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غير ها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاحيال أبو القاسم بن فيرة من أهل شاطبة فعمد إلى تهذيب مادونه أبو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة تلغز فيها أسماء القراء بحروف ا ب ج د ترتيبا أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار وليكون أسهل للاحتفظ لأجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعنى الناس بحفظها وتلقيها لاولاد المتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والاندلس وربما أضيف إلى فن القراآت فن الرسم أيضا وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسمه الخطية لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في بآيدوز زيادة الالف في لا ذبحنه ولا اوضمو او الوافي جزا والظالمين

المالكي سنة ست وثمانين
اختصني السلطان بهذه
الولاية تأهلا لمكانتي وتوحيها
بذكري وشافهته بالتفادي
من ذلك فأبى إلا مضاء وخاع
على بابوانه وبعث من كبار
الخاصة من أقعدني بمجاس
الحكم بالمدرسة الصالحية
بين القصرين ففهمت بما
دفع الي من ذلك المنقام
المحمود ووفيت جهدي
بما أمتنى عليه من أحكام
الله لا تأخذني في الله لومة
ولا يرغبني عنه جاه ولا
سطوة مساويين الخصمين
أخذ الحق الضعيف من
الحكمين معرضا من
الشافعات والوسائل من
الجانين جانحا إلى التثبت في
سماع الشينات والنظر في

وحذف الالفات في مواضع دون أخرى وما رسم فيه من التاآت ممدودا والاصل فيه مربوط على شكل الهاء
 وغير ذلك وقد مر تعاليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه الخالفة لاوضاع الخط
 وقانونه احتسج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى أبي عمر والداني
 المذكور فكتب فيها كتابا من أشهرها كتاب المنقوع وأخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه أبو القاسم الشاطبي في
 قصيدته المشهورة على روى الراي وولع الناس بحفظها ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف أخرى
 ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالى مجاهد في كتبه وهو من تلاميذ أبي عمر والداني والمشتهر بحمل علومه
 ورواية كتبه ثم نقل بعده خلاف آخر فظلم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها علي المنقوع
 خلافا كثيرا وعزا لناقليه واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها كتب أبي داود وأبي عمرو
 والشاطبي في الرسم **﴿وَأَمَّا التفسير﴾** فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كأنهم
 يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جلا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية
 بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما تأخر ويكون
 ناسخا له وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجمع والمبهم من النسخ ويميز النسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب
 نزول الآيات ومقتضى الحال منها متقولا عنه كما علم من قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح أنها نهي النبي صلى الله عليه
 وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل
 ذلك عنهم ولم ينزل ذلك متافلا بين الصدر الأول والسلف حتي صارت المعارف علوم ما دونت الكتب فكتب
 الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهت ذلك الى الطبري والواقدي والتمالي
 وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار ثم صارت علوم اللسان صناعة من الكلام
 في موضوعات اللغة وأحكام الاعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات
 للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتوسى ذلك وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان فاحتسج الى ذلك في
 تفسير القرآن لانه لسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على صنفين تفسير نقلي مسندا الى الآثار المنقولة
 عن السلف وهي معرفة النسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن
 الصحابة والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الآن كتبهم ومنقولاتهم تشمل على الغث والسمين
 والمقبول والمردود والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية
 واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكنونات وبدء الخائفة وأسرار الوجود
 فانما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى
 وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بداية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الاما تعرفه العامة من أهل الكتاب
 ومعظم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا يتعلق له بالأحكام الشرعية
 التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليفة وما يرجع الى الحدان والملاحم وأمثال ذلك وهو لاء مثل كتب الاخبار
 ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم وفي أمثال هذه الأغراض
 أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل ويتساهل المفسرون
 في مثل ذلك ولمؤا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كقلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق
 عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة
 فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتحيز وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب
 فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب

عدالة المنتصين لتحمل
 الشهادات فقد كان البر
 منهم محتاطا بالفاجر والطيب
 ملتبسا بالخير والحكام
 ممسكون عن انتقادهم
 متجاوزون عما يظهر
 عليهم من هتاتهم لما يوهون
 به من الاعتصام بأهل
 الشوكه فان غالبهم محتطون
 بالامراء معلمون للقرآن
 وأئمة في الصلوات يلبسون
 عليهم بالعدالة فيظنون بهم
 الخير ويقسمون الخط من
 الجاه في تركيتهم عند
 القضاة والتوسل لهم
 فأعضل داؤهم وفشت
 المفسد بالتزوير والتدليس
 بين الناس منهم ووقفت
 على بعضها فعاقبت فيه
 بوجع العقاب ومؤلم النكالا

والاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق
 * والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع الى الانسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب
 المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفر دعن الاول اذا الاول هو المقصود بالذات واتما جاء هذا
 بعد أن صار الانسان وغاومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفسير غالبوا من أحسن ما شتمل عليه هذا الفن من
 التفسير كتاب الكشف لآز غشيري من أهل خوارزم العراق الآن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي
 باليجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من أهل
 السنة الخراف عنه وتحذير الجمهور من مكانته مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق بالانسان والبلاغة وإذا كان
 الناظر فيه واقفاً على ذلك على المذهب السنية محسناً لججاج عنها فلا جرم أنه ما مؤمن من غوائله فلتعنتم مطالعته
 لغرابة فنونه في الانسان ولقد وصل اليه في هذا العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل
 توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزخشي هذا وتتبع الفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلة تزيفها
 ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراد أهل السنة لا على ما يراد المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع امتناعه في
 سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

علوم الحديث

٦

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتبعة لأن منها ما ينظر في نسخه ونسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز
 النسخ ووقوعه لظن أن الله بعباده وتحفيقنا عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها
 نأت بخير منها أو مثلها فإذا تعارض الخبران بالنفي والاثبات وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل وعلم تقدم أحدهما
 تبين أن المتأخر ناسخ ومعرفة التأنيخ والنسخ من أهم علوم الحديث وأصعبها قال الزهري أعيان الفقهاء وأعجزهم
 أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة
 ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل والشروط
 لأن العمل إنما يجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد في الطريق التي
 تحصل ذلك الفن وهو بغير فقر وأما الحديث بالعدالة والضبط وإنما ثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعدياتهم
 وبراءتهم من الجرح والغفلة ويكون لذلك دلائل على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة
 والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً وكذلك الأسانيد تتفاوت باصالتها وانقطاعها بأن يكون
 الراوي لم يبق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتهم من العائل الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت الى طرفين حكيم بقبول
 الأعلى ورد الأسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحية
 وضعها لهذا المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب
 وغير ذلك من ألقاب المتداولة بينهم ويؤيدوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان أو الوفاق ثم
 النظر في كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو منأولة أو اجازة وتفاوت رتبها وما لا يعلم في ذلك
 من الخلاف بالقبول والرد ثم أتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف
 أو مفترق منها أو مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه وكانت أحوال نقلة الحديث في
 عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بلد قنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق
 ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون مشهورون في أعصارهم وكانت طريقة أهل الحجاز في أعصارهم في
 الأسانيد أعلى من سواهم وأمن في الصحة لاستبدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتحفيقهم عن
 قبول المجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة ورضي الله تعالى عنه

وتأدى لعلمي الجرح في
 طائفة منهم ففتحهم من تحمل
 الشهادة وكان منهم كتاب
 الدواوين للفضاة والتوقيع
 في مجالسهم وتدرجوا على
 املاء الدعاوى وتسجيل
 الحكومات واستخدموا
 للامراء فيما يرضيهم من
 العقود بأحكام كتابتها
 وتوثيق شروطها فصار
 لهم بذلك شغوف على أهل
 أهل طبقتهم وتمويه على
 القضاة بجهاهم بدرعون
 به مما يتوقعونه من مغتصبهم
 لتعرضهم لذلك بفعلاتهم
 وقد يسلط بعض منهم
 قلمه على العقود الخسيسة
 فيوجد السبيل الى حايها
 بوجه فقهي أو كتابي ويبادر
 الى ذلك متى ما دعا اليه داعي

ثم أصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أحمد بن حنبل وأمثالهم وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الامر نقلا صر فاشمر لها الساف وتحرروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ وأودعه أصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه ثم عنى الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث وأسانيدها المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث أيضا في أبواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها وجاء محمد بن اسمعيل البخاري امام المحدثين في عصره ونشر أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرر الاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فكررت لذلك أحاديثه حتى يقال انه اشتمل (١) على تسعة آلاف حديث ومائتين منها ثلاثة آلاف متكررة وقرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فألف مسنده الصحيح حذاه حذو البخاري في نقل المجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد ووجهه على أبواب الفقه وتراجعه ومع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله وقد استدرك الناس علمه ما في ذلك ثم كتب أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي في السنن بأوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل امامن الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف وامامن الذي دونه من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهي أمهات كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الي هذه في الاغاب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما يفردها الناس والمناسخ فيجعل قنابر أسمه وكذا الغريب وللناس فيه تاليف مشهورة ثم المؤلفات والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثرها من فحول علمائهم وأبوابهم أبو عبد الله الحاكم وتاليفه مشهورة وهو الذي هذبه وأظهر محاسنه وأشهر كتابا للمتأخرين فيه كتاب أبي عمرو بن الصلاح كان له مداد أوائل المائة السابعة وتلاه يحيى الدين النووي يمثل ذلك والفن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المتقولة عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء من الاحاديث واستدراكها على المتقدمين اذ العادة تشهد بان هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكنيتهم واجتهادهم لم يكونوا يغفلوا شيئا من السنة أو يتركوه حتى يثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وانما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفها والنظر في أسانيدها الي مؤلفيها وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والاحكام لتصل الاسانيد محكمة الي منهاها ولم يزدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه الامهات الخمسة الا في القليل * فأما البخاري وهو أعلاها رتبة فاستعجب الناس شره واستغلقوا مناجاه من أجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجاله من أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الي ايمان النظر في الثقة في تراجعه لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند وطريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه ما تضمنه من المعاني الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شره ولم يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المهلب وابن آتين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين علي الامة يعنون ان أحدا من علماء الامة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار * وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له في التراجيم وأملى الامام المسارزي من فقهاء المالكية عليه شرحا وسماه المعلى فوائده مسلم اشتمل على عيون من علم الحديث

(١) قوله تسعة الذي في النووي على مسلم انها سبعة بتقديم السين فخره اه

جاء أو منجحة وخصوصا التي جاوزت حدود النهاية في هذا الصرح لكثرة عوالمه فأصبحت خافية الشهرة مجهولة الاعيان عرضة لبطلان باختلاف المذاهب المنسوبة للاحكام بالبلد فمن اختلف فيها يبعث أو تملكا شاربود وأجابوه مفتاتين فيه على الحكم الذين ضربوا فيه سد الحظر والمنع حماية عن التلاعب وفشام ذلك الضرر في الاوقاف وطرق الضرر في العقود والاملاك فعاملت الله في حسم ذلك

وفنون من الفقه ثم أكمله القاضي عياض من بعده وكنهه وسماه اكمل المعلم وتلاه ما يحيى الدين النووي بشرح
استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما ما نجاها شرحا وافية * وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء
في كثير من حروف كتب الفقه الا ما يخص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم
الحديث وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة * واعلم ان الاحاديث قد
تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وضعيف ومعلول وغيرهاتر لها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق
طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدهابحديث
لوروى حديث بغير سند وطريقه فيضنون الى أنه قد قاب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك للإمام محمد بن اسماعيل
البخاري حين ورد على بغداد وقصد المحدثون امتحانه فساءلوه عن أحاديث قابوا أسانيدها فقال لأعرف هذه
ولكن حديثي فلان ثم أتى بجميع تلك الاحاديث على النوضع الصحيح ورد كل متن الى سنده وأقر والله بالامامة
* واعلم ايضا ان الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه الصناعة والاقبال فابو حنيفة رضي الله تعالى عنه
يقال بلغت روايته اربعة عشر حذيفة ونحوها ومالك رحمه الله (١) انما صح عنده ما في كتاب الموطأ
وغاية ثمانية حديث أو نحوها وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما أداه اليه
اجتهاد في ذلك وقد تقول بعض المبعضين المتعسفين الى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلم يزد قل
روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الأئمة لأن الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل
البضاعة من الحديث فيتمين عليه طاب له وروايته والجد والتشمير في ذلك لياخذ الدين عن أصول صحيحة ويتلقى
الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قال منهم من قال الرواية لأجل المطالع التي تعترض فيها والعلل التي تعرض
في طرقها سيما والجرح مقدم عند الاكثر فيؤديه الاجتهاد الى تركه الاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث
وطرق الاسانيد وكثير ذلك فتقل روايته اضعف في الطرق هذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من
أهل العراق لأن المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة ومن اتقل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر
والامام ابو حنيفة انما ساق روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف رواية الحديث البقي اذا
عارضها الفعل النفسى وقت من أجلها وروايته فقل حديثه لأنه ترك رواية الحديث متعديا خاشعا من ذلك وبدل
على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتبار در داو قبوله وأما غيره من
المحدثين وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع أصحابه من بعده في
الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوي فاكثروا كتب مسنده وهو جليل القدر الا أنه لا يعدل الصحيحين
لأن الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابهما مجمع عليها بين الأمة كما قالوه وشروط الطحاوي غير
متفق عليها كالمرواية عن المستور والخل وغيره فلما تقدم الصحيحين بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه
عن شروطهم ومن أجل هذا قيل في الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع على صحة ما فيهما من
الشروط المتفق عليها فلا تأخذك ريبه في ذلك فالقوم أحق الناس بالظن الجميل بهم والناس الخارج الصحيح
طم والله سبحانه وتعالى أعلم بما في حقائق الامور

علم الفقه وما يتبعه من الفرائض

٧

الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والتدب والكره والاباحة وهي متلفة من
(١) الذي في شرح الزرقاني على الموطأ حكاية أقوال خمسة في عدة أحاديثه أولها خمسمائة ثانياها سبعمائة
ثالثها ألف وثبت رابعها ألف وسبعمائة وعشرون خامسها ستمائة وست وستون وليس فيه قول بما في هذا
النسخة قاله نصر المهوريني اه

بما أسلفهم على وأحقد هم
ثم التفت الى أهل الفتيا
بالمذهب وكان الحكم منهم
على جانب الحيرة لكثرة
معارضتهم وتلقيهم الخصوم
وقيامهم بسند ذو الحكم
واذا فهم أصاغر فيمنعهم
يتشبهون بأذيال الطب
والعدالة ولا يكادون اذا
يهم ظهوروا الى مراتب
الفتيا والتدريس فاقعدوها
وتناولوها بالجلسات
وأجازوها من غير مرتب
ولا مستند الاهلية ولا
مرشح اذ الكثرة فهم بالغة

الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتهما من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقهه وكان الساف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة أن الأدلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضات ألفاظها الكثير من معانيها اختلاف بينهم ومروف. وأيضاً فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الأكثر أحكامها الفتحاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضاً فالادلة من غير النصوص تختلف فيها. وأيضاً فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على مخصوص لمشابهة بينهما وهذه كلها اشارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين الساف والائمة من مذهبهم ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل قيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تاقوه من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعهم منهم من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراءة التي يقرؤون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئاً لكتاب بهذا الاسم لغرضه يومئذ يبق الأمر كذلك صدر الملة ثم عظمت أمار الإسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكل الفقه وأصبح صناعة وعاماً فبدلوا بهم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز. وكان الحديث قليلاً في أهل العراق لما قدم نادفاً سكراناً من القياس ومهر وافية فلذلك قيل أهل الرأي ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أخاياه أبو حنيفة وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من بعده ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الحلي والعلة المنصوصة إلى النص لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان إمام هذا المذهب داود بن علي وابنه وأصحابها وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة (١) وشذاهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنيوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدس وعلى قولهم بصحة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهي كلها أصول وأهية وشذم مثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الانكار والقدس فلا تعرف شيئاً من مذاهبهم ولا تروى كتبهم ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم فكاتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكن منهم كتب وتأليف وآراء في الفقه غريبة ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمتهم وانكار الجمهور على متحلة ولم يبق إلا في الكتب الجسدية وربما يكف كثير من الطالبين ممن تكلف بالتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يخلو بطائل ويصير إلى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما ساعد بهذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعاني وقد فعل ذلك ابن حزم بالاندلس على غاوى رتبته في حفظ الحديث وصار إلى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم وخالف إمامهم داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه أو سمعوا مذهبهم استهجاناً وانكاراً وتلقوا كتبهم بالانغفال والترك حتى أنهم يحظرونه بالأسواق وربما تفرق في بعض الأحيان ولم يبق إلا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز فأما أهل العراق فأماهم الذي استقرت عنده مذاهبهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصاً مالك والشافعي * وأما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصمجي إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى واختص بزيادة مدرك آخر للأحكام غير المدارك المتبعة عند غيره وهو عمل أهل المدينة لأنه أي أهم فيما ينفسون عليه من فعل أو ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة لغيرهم

(١) قوله وشذاهل البيت صوابه وشذية أهل البيت بدليل مقاباتهم بالخوارج اه مصححه

ومن كثرة السالكين مشتقة
وقم الفتيا في هذا المصير
طابق وغناها من رسل تجاذب
كل الخصوم منها رسنا
ويتناول من حافته شقا
يروم بالفتح على خصمه
ويستظهر به لارغامه فيعطيه
الذي من ذلك ملء رضاه
وكفاء أمنيته متبعاً إياه
في شعب الخلاف فتعارض
التناوى وتناقض ويعظم
الشغب أن وقعت بعد نفوذ
الحكم والخلاف في المذاهب
كثير والانصاف متعذر
وأهلية المفتي وشهرة الافتاء

واقدماتهم وهكذا الى الخليل المباشرين لفعل النبي صلى الله عليه وسلم الآخذين ذلك عنه وصار ذلك عنده من أصول
الادلة الشرعية وظن كثير أن ذلك من مسائل الاجماع فأنكره لان دليل الاجماع لا يخص أهل المدينة من
سواهم بل هو شامل للامة واعلم أن الاجماع إنما هو الاتفاق على الامر الذي عن اجتهاد مالك رحمه الله
تعالى لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى وإنما اعتبره من حيث اتباع الخليل بالمشاهدة لا لجيل الى أن ينتهي الى
الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورية اقتدائهم بهين ذلك يع الملة و ذكرت في باب الاجماع الابواب بها من
حيث ما فهم من الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الآن اتفاق أهل الاجماع عن نظار واجتهاد في الادلة واتفاق
هؤلاء في فعل أو ترك مستندين الى مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وتقريره أو مع الادلة المختلف فيها مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان اليق ثم كان من
بم مالك بن أنس محمد بن ادريس المطاطي الشافعي رحمه الله تعالى رحل الى العراق من بعد مالك ولقي أصحاب
الامام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومن جاز طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب وخالف مالكا
رحمه الله تعالى في كثير من مذهبه وجاء من بعدهما أحمد بن حنبل رحمه الله وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه
على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر ووقف التقايد في الامصار عنده
هؤلاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقا كما كثر تشعب الاصطلاحات في
العلوم والمناظر عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ولما خشي من اسناد ذلك الى غير أهله ومن لا يوثق رأيه ولا
بدينه فصرحوا بالمعجز والاعوازوردوا الناس الى تقايده هؤلاء كل بمن اختص به من المقلدين وحظروا أن
يتداول تقايدهم لمصافيه من التلاعب ولم يبق النقل مذاهم وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح
الاصول واتصال سندها بالرواية لا بمحصل اليوم للفقهاء غير هذا ومدعي الاجتهاد لهذا العدم مردود على عقبه
متهجور تقايد وقد صار أهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الائمة الاربعة فأما أحمد بن حنبل فمقلده قليل لبعده
ومذهبه عن الاجتهاد وأصلاته في معاصرة الرواية والخبار بعضها ببعض وأكثروا بالشام والعراق من بغداد
ونواحيها وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث وأما أبو حنيفة فمقلده اليوم أهل العراق ومسامة الهند
والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها ما كان مذهبه أخص بالعراق ودار الاسلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء
من بني العباس فكثرت آلياتهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاء منها بعلم مستطرف
وأناظر غريبة وهي بين أيدي الناس والمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الوليد الباجي في
رحلتها وأما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء
النهر وقاسموا الخففة في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشجعت كتب
الخلافات بأنواع استدلالاتهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي
لما نزل على بني عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم
الحرث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه أهل البيت
وتلاشي من سواهم الى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم
فما شافعي وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى أحسن ما كان وفق سوقه واشتهر منهم يحيى الدين النووي
من الحلب التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين ابن عبد السلام أيضا ثم ابن الرقعة بمصر وتقى الدين
ابن دقيق العيد ثم تقى الدين السبكي بعدهما الى أن انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين
الباقريني فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر كبر العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر * وأما مالك رحمه الله تعالى
فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس وإن كان يوجد في غيرهم الا أنهم لم يخلدوا غيره الا في القليل لما أن

(١) عندنا

فلا يكاد هذا المدى ينحسم
ولا الشعب ينقطع فصدعت
في ذلك بالحق وكفحت
أعنة أهل الهوى والجهل
وردتهم على أعقابهم وكان
فيهم ملتقطون سقطوا من
المغرب يشودون (٢)

وهناك ولا يتمون الى شيخ
معروف مشهود ولا يعرف
لهم كتاب في فن اتخذوا
الناس هزوا وعقدوا
الجالس مثابة الاعراض

الياض في الموضوعين بالاصل

رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقصر وعاد إلى الأندلس وعلما المدينة وشيوخهم يومئذ واما مذهب مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده فراجع اليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه ودون غيره ممن لم اتصل اليهم طريقته وأيضاً فالبدعوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يمانون الحضارة فالتقى لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل للمناسبة البدعوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي مضاعفهم ولم يأخذ تقييح الحضارة وتتميزها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار مذهب كل امام عاملاً مخصوصاً عند أهل مذهب ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا إلى تدبير المسائل في الحلق وتفرقة ما عند الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذهب امامهم وصار ذلك كله محتاجاً إلى مذكرات نسخة يتدبر بها على ذلك النوع من التدبير أو التفرقة واتباع مذهب امامهم فيها ما استطاعوا وهذه المالكية هي علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب جميعاً فلقد دون مالك رحمه الله وقد كان تلميذه اختلفوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خوزيمنداد وابن البان والقاضي أبو بكر الابري والقاضي أبو الحسين بن القصار والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بعض ابن القاسم وأتباعه وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطبقتهم وورث من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبعث مذهب مالك في الأندلس ودون في كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتيبي وورث من أفريقية أسد بن الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل إلى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء إلى القيروان بكتابه وسمي الاسدية نسبة إلى أسد بن الفرات فقرأها بعضون على أسد ثم ارتحل إلى المشرق واتى ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية فراجع عن كثير منها وكتب سجنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لاسد أن يأخذ بكتاب سجنون فانفق من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سجنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى المدونة واختلطت وعكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتيبي ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة واختلط في كتابه المسمي بالختصر وخصه أيضاً أبو سعيد البرذاعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمي بالتهذيب واعتمده المشيخة من أهل أفريقية وأخذوا به وتركوها مسواً وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتيبي وغيره والواضحة وما سواها ولم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات بالشرح والايضاح واجمع فكتب أهل أفريقية على المدونة ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس والبخمي وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم وكتب أهل الأندلس على العتيبي ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد وأمثاله وجميع ابن أبي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع أقوال المذاهب وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة وزخرت بحجج المذهب المالكي في الاقسين إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحارث بن الحص في طرق أهل المذهب في كل باب وتعدد أقوالهم في كل مسألة فجاء كل رابحاً في المذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن المبشر وابن القتيبي وابن رشيق وابن شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني سند وابن عطاء الله ولم أدر ممن أخذها أبو عمرو بن الحارث بن الحص جاء بعد انقراض دولة الميريين وذهب فقه أهل البيت ونظروا فقهاء السنة من الشافعية والمالكية وما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصاً أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه إلى المغرب فانه كان قد أدى أبحاثه بمصر ونسخه من كتابه فجاء به وانشأه في تلاميذه منهم انتقل إلى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسون له لما يؤثر عن الشيخ

ومثابه لا حرم فأرغمهم ذلك
منى و ملاهم حسدا
وحقدوا على وخلوا إلى
أهل جلدتهم من سكان
الزوايا المتجدين للعبادة
ليشترتوا بها الجاه ويحترقوا
به على الله وريما اضطر
أهل الحقوق إلى تحكيمهم
فيحكمون بما يلقى الشيطان
على ألسنتهم يترخصون به
الاصلاح لايزعهم الدين
عن التعرض لاحكام الله
بالجهل فقطعت الجبل في
أيديهم وأمضيت حكم الله
فيمن أجازوه فلم يغتوا عن

ناصر الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن هرون وكلهم من مشيخة أهل تونس وسابق حلبيهم في الاجادة في ذلك ابن عبد السلام وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب الترغيب في دروسهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

علم الفرائض

٨

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الاصول أو مناسبتها وذلك اذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فانه حينئذ يحتاج الى حساب يصحح الفريضة الاولى حتى يصل أهل الفروض جميعا في الفريضة الى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسبات أكثر من واحد واثنين وتعد لذلك بعدد أكثر وقد تعدد ما تعدد يحتاج الى الحسبان وكذلك اذا كانت فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصحح على الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة وكل ذلك يحتاج الى الحسبان وكان غالباً فيه وجعله فامفردا والناس فيه تأليف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الاندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ومن متأخري أفريقية ابن الغرطابى وأمثالهم وأما الشافعية والخلافية والحنابلة فلم ينفردوا فيه تأليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصاً بالمعاملى رضى الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف لجمه بين الممقول والمنقول والوصول به الى الحقوق في الوراثة بوجود صحيحة يقينية عند ما تجهل الحظوظ وتشكل على القاسمين والعلماء من أهل الامصار بها غاية ومن المصنفين من يحتاج فيها الى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج الى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور وأمثال ذلك فلو أنها تأليفهم وهو وان لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما يتداولونه من وراثتهم فمراعاة وقوعه فهو يفيد المراتب وتحصيل الملكية في المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وانما أول ما ينسى وفي رواية تصف العلم خرج به أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا المحمل بعيد وأن المراد بالفرائض انما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة الى علم الشريعة كما هو يعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن مخصوص أو تخصصه بفروض الوراثة انما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن مصدر الاسلام يطلق على هذا الاعلى عموماً مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في اطلاقه الاجمع الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يحمل الاعلى ما كان يحمل في عصرهم فهو الباقى بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم به والتوفيق

أصول الفقه وما يتعلق به من الجدول والخلافات

٩

(اعلم) ان أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الاحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة الميئنة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاحكام تنافي منه بما يوحى اليه من القرآن وبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي ولإيجاز الى نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانخفض القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل اليها منها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذي يثبت على الظن صدقه وتعين دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل

الله شياً وأصبحت زواياهم مهجورة وبترهم السنى يتاحون منها معطلة وانطلقوا يواطئون السفهاء من النيل في مرضي وسوء الاحدثة عنى بمخلوق الافك وقول الزور ويثبونه في الناس ويدسون الى السلطان التظلم منى فلا يصنى اليهم وأنافى ذلك محتسب على الله ما منيت به في هذا الامر ومعرض فيه عن الجاهلين وماض على سبيل سوى من الصرامة وقوة الشكيمة ونجوى العدالة

الاجماع من رتبتهما الاجماع الصحابة على التكبير على مخالفهم ولا يكون ذلك الا عن مستند لان مثلهم لا يتفهمون
 من غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بصحة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق
 استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيسون الاشياء بالاشياء منها وينظرون الامثال بالامثال
 باجماع منهم وتسليم بعضهم بعض في ذلك فان كثيراً من الواقات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج في النصوص
 الثابتة فقاوسوها بما ثبت وألحقوها بما نصح عليه بشروط في ذلك الا لحاق تصحيح تلك المساواة بين الشبهين
 أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو
 رابع الادلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس الا أنه
 شذوذ وألحق بعضهم بهذه الاربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا الى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان
 أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأمّا الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في متنه والتواتر في نقله فلم
 يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل اليها منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتقداً
 بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من انفاذ الكتب والرسائل الى النواحي بالاحكام والشرائع
 أمرها ونهاياها وأما الاجماع فلا نقاهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة وأما
 القياس فباجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه اصول الادلة ثم ان المنقول من السنة يحتاج الى
 تصحيح الخبر في طرق النقل وعدالة الناقلين لتمييز الحالة المحصلة للظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل
 وهذه ايضا من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منهما معرفة النسخ والمنسوخ
 وهي من فصوله ايضا وأوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك أن استفادة المعاني على الاطلاق
 من ترايب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في
 ذلك هي علوم النحو والتصرف والبيان وحين كان الكلام ملكة لاهل لم تكن هذه علومها ولا قوانين ولم يكن الفقه
 حينئذ يحتاج اليها لانها حيلة وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهادة المتجردون لذلك بنقل
 صحيح ومقاييس مستبطة صحيحة وصارت علومها يحتاج اليها الفقيه في معرفة احكام الله تعالى ثم ان هناك استفادات
 أخرى خاصة من ترايب الكلام وهي استفادة الاحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من ترايب
 الكلام وهو الفقه ولا يكتفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الاطلاق بل لابد من معرفة أمور أخرى تتوقف
 عليها تلك الدلالات الخاصة وبها استفاد الاحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه
 قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معناه معا والواو لا تقتضي الترتيب والعام
 اذا أخرجه أفراد الخاص منه هل يبقى حجة في أعيانها والامر للوجوب أو الندب والفوز أو التراخي والهي
 يقتضي الفساد والصحة وانطلق هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف في التعمد أم لا وأمثال هذه فكانت
 كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس من أعظم قواعد هذا
 الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس وبماثل من الاحكام وينفخ الوصف الذي يغلب على الظن أن
 الحكم علق به في الاصل من تين أو صاف ذلك المحل أو وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع من
 ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى من تواج ذلك كلها قواعد هذا الفن (واعلم) أن هذا الفن من الفنون
 المستحدثة في الملة وكان السالف في غيبة عنه ب أن استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها الى أزيد مما عندهم
 من الملكة اللسانية وأما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصاً فنهم أخذ معظمها وأما الاسانيد فلم
 يكونوا يحتاجون الى النظر فيها قرب العصر وممارسة النقطة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب المصدر
 الأول واقتبلت العلوم كلها صناعاً كما قرأناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين

و خلاص الحقوق والتشكيب
 عن خطية الباطل متى
 دعيت اليها وصلابة القود
 عن الجاه والاعراض متى
 غمزني لاسمها ولم يكن ذلك
 شأن من رافقته من القضاة
 فنكرهه مني ودعوني الى
 متابعتهم فيما يطلعون
 عليه من مرضاة الاكابر
 ومراعاة الاعيان والقضاء
 للجاء بالصور الظاهرة أو
 دفع الخصوم اذا تعذرت
 بناء على أن الحاكم لا يتعين
 عليه الحكم مع وجود غيره
 وهم يعلمون أن قد تمالوا

عليه وليت شعري ما عذرهم
في الصور الظاهرة اذا علموا
خلافها والتبى صلى الله
عليه وسلم يقول من قصيت
له من حق أخيه شيئا قائما
أقضي له من النار فأيت من
ذلك كله الاعطاء الهدية
حقها والوفاء لها ومن
قلدنيها فأصبح الجميع على
الباطل من ينادى بالتأفف
مقونا وفي التكبير علي
أمة وأسسموا الشهود
الممنوعين أن قد قصيت
فيهم بغير وجه لاعتماد
على علمي في الجرح وهي

والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكشبوها فثابروا أسسموها أصول الفقه وكان أول من كتب فيه
الشافعي رضي الله تعالى عنه أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم
الملة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهها الخفية فيه وحققوا تلك القواعد وأسسموها القول فيها وكتب
المتكلمون أيضا كذلك لأن كتابة الفقهاء فيها أسس بالفقه واليق بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء
المسائل فيها على النكت الفقهية والمتكلمون يجرّدون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي
ما أمكن لانه غالب فنونهم ومقتضي طريقتهم فكان لفقهاء الخفية فيها السيد الطولي من الغوص على النكت الفقهية
والنقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس بأوسع من
جميعهم وعم الاجاث والشروط التي يحتاج اليها فيه وكلمت صناعة أصول الفقه بكامله وتمهذت مسائله وتمهذت
قواعده وعن الناس بطريقتة المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام
الحرمين والمستصفي لغزالي وهما من الاشريّة وكتاب العهد بعد الحيار وشرحه المعتمد لابن الحسين البصري وهما
من المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن وأركانها ثم لخص هذه الكتب الاربعة فخلان من المتكلمين المتأخرين
وهما الامام نضر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الآمدي في كتاب الاحكام واختلفت طرائقهما
في الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب أميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والآمدي مولع
بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل وأما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الامام سراج الدين الارموي في كتاب
التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب الحاصل واقطف ثياب الدين القرافي منها مقدمات وقواعد في كتاب
صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعن المبتدؤن بهذين الكتابين وشرحهما كثير
من الناس * وأما كتاب الاحكام الآمدي وهو أكثر تحقيقات المسائل فله خصه أبو عمرو بن الحاجب في كتابه
المعروف بالختصر الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعن أهل المشرق والمغرب به وبمطالعته
وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات * وأما طريقة الخفية فكشبوها فيها
كثيرا وكان من أحسن كتابتها للمتقدمين تأليف أبي زيد الدبوسي وأحسن كتابتها المتأخرين فيها تأليف سيف
الاسلام البرزدي من أئمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الخفية فيجمع بين كتاب الاحكام وكتاب
البرزدي في الطريقتين وسمى كتابه بالبداية فجاء من أحسن الاوضاع وأبدعها وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه
قراءتها ويبحثون على كثير من علماء المعجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين
موضوعاته وتعيينات ألف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعا بالعلم ويجعلنا من أهل بهيته وكرمه انه على كل شيء
قدير ﴿وَأَمَّا الْخُلَفَاءُ﴾ فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين
باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما تقدمنا واتفق ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان لمقلدينا
أن يقادوا من شاؤا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الأئمة الاربعة من علماء الامصار وكانوا بإمكان من حسن الظن بهم
اقتصار الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم لهذا الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي موادها
باتصال الزمان واقتحام من يقوم على سوي هذه المذاهب الاربعة فأقيمت هذه المذاهب الاربعة أصول الملة
وأجري الخلاف بين المتسكنين بها والآخذين بأحكامها مجري الخلاف في النصوص الشرعية والاصول
الفقهية وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قويمية
يحتاج بها كل على مذهبه الذي تلده وتمسك به وأجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه فتارة
يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين مالك وأبي حنيفة والشافعي يوافق أحدهما
وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق أحدهما وكان في هذه المناظرات بيان أخذ هؤلاء الأئمة ومشاراتهم

اختلافهم ومواقع اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بادلته وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مأخذ الأئمة وأدلتهم ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه وتاليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تأليف المالكية لان القياس عند الحنفية أصل لاكثر من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك أهل النظر والبحث وأما المالكية فالأثر أكثر معتمدهم وليسوا بأهل نظر وإيضاف أكثرهم أهل المغرب وهم بادية غفل من الصنائع الا في الأقل ولغز الى رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولا يبي زيدا البوسني كتاب التعليق ولان القصار من شيوخ المالكية عيون الادلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلاف في مدرجا في كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافات ﴿وأما الجدل﴾ وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متساويا لكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة الى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون مخصوصا منقطعاً ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد اعم من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ رأى وهدمه كان ذلك الرأي من الفقه أو غيرده وهي طريقتان طريقة البرزدي وهي خاصة بالادلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهي عامة في كل دليل يستدل به من أى علم كان وأكثر استدلال وهو من المناجى الحسنة والمغالطات فيه نفس الامر كثيرة واذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي لان صور الادلة والاقية فيه محفوظة مراعاة تحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العميدى هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وضع الكتاب المسمى بالارشاد مختصر اوتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جاوزوا على أثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التأليف وهي لهذا العهد مهجورة نقص العلم والتعميم في الامصار الاسلامية وهي مع ذلك كالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

﴿علم الكلام﴾

١٠

هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد اليمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد اليمانية هو التوحيد فلنقدم هنا لطيفة في برهان تنقلى يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمآخذ ثم نرجع الى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير الى حدوثه في المسئلة وما دعا الى وضعه فقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الفوات أو من الافعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من هذه الاسباب حادث أيضا فلا بد له من أسباب أخرى ولا تزال تلك الاسباب مرتقبة حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب في ارتقائها تنفصح وتنضاعف طولاً وعرضاً ونحو حمار العنقل في ادراكها وتعيدها فاذا انحصرها الا عالم المحيط سببا الافعال البشرية والحيوانية فان من جملة أسبابها في الشاهد القصور والارادات اذ لا يتم كون الفعل الابارادته والقصد اليه والقصور والارادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بمضات تلك التصورات هي أسباب قصد الفعل وقد تكون أسباب تلك التصورات صوراً أخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع أحد على مبادئ الامور

قضية اجماع وانطلقت
الالسن وارفع الصخب
وأرادنى بعض على الحكم
بغرضهم فتوقفت وأغروا
بي الخصوم فتنادوا بالتظلم
عند السلطان فجمع القضاة
وأهل الفتا في مجلس
جعل للنظر في ذلك فخلصت
تلك الحكومة من الباطل
خلوس الابريز وتبين أمرهم

النفسانية ولا على ترتيبها انما هي أشياء يلقبها الله في الفكر يتبع بعضها بعضا ولا انسان عاجز عن معرفة مباديها
وغاياتها وانما يحيط علما في الغالب بالاسباب التي هي طبيعية ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب لان
الطبيعة محصورة ثلاث نفس وتحت طورها واما التصورات فمطاطة اوسع من النفس لانها للعقل الذي هو فوق طور
النفس فلا تدرك الكثير منها فضلا عن الاحاطة وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب
والوقوف معها فانه وادبهم فيه الفكر ولا يحلومنه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلمبون
وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه واصبح من الضالين الهالكين نعمو ذباله من الحرمان
والخسران المبين ولا تحسبن ان هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس
وصفة تستحكم من الخوض في الاسباب على نسبة لاعلمها اذ لو علمناها لتجرزنا منها فلتجرز من ذلك بقطع النظر
عنها جملة وايضا فوجه تأثير هذه الاسباب في الكثير من مسيبتها مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة لا فتران
الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة وما أوتيتهم من العلم الا قليلا فلذلك امرنا بقطع النظر
عنها والغايات جملة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وقاعها وموجداتها ترسخ صفة التوحيد في النفس على
ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بمصالح الدين وطرق سعادته لاطلاعا على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من
مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فان وقت عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سبح
في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها واحدا بعد واحد فاننا الضامن له ان لا يعود الا بالخشية فلذلك نهانا
الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا باتم جدينا نطلق قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد ولا تثن بمنازعة لك انكر من أنه مقتد على الاحاطة بالكانات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود
كله وسفه رأيه في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مدارك لا يسدوها والامر
في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه ألا ترى الاصح كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الاربع
والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات وكذلك الاعمي أيضا يسقط عنده صنف المراتيات
ولو لا ما يردهم الى ذلك تقاييدا لآباء المشيخة من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به لكنهم يتبعون انكاف في
اثبات هذه الاصناف لا بما تنضى فطرتهم وطبيعتهم ادراكهم ولو مثل الحيوان الاعجم ونطاق لوجوده منسكرا
للمعقولات وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضربان الادراك شير مدركتنا لان ادراكنا
مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والحصر مجهول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم
محيط فاتهم ادراكك ومدركتك في الحصر واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو أحرص على
سعادتك واعلم بما ينفعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في
العقل ومدارك بل العقل ميزان صحيح فلا تكلمه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تقنع أن تزن به أمور التوحيد
والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فاز ذلك طمع في محال ومثل ذلك مثال
رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الحبال وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق
اكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود
الحاصل منه وتقطع في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال
رأيه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فاعلم الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا
خرجت عن أن تكون مدركة فيفضل العقل في يدها الا وهام وشار وينقطع فاذا التوحيد هو الجزء من ادراك
الاسباب وكيفيات تأثيرها وتوحيض ذلك الى خالقها المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكما ترقى اليه وترجع الى قدرته
وعلمنا به انما هو من حيث صدور ناعنه وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك

للساطان وأمضيت فيها
حكم الله تعالى ارغما لهم
فقدوا على جرد قادرين
ودسوا لولاء السلطان
وعظماء الدولة يقبحون
لهم اهل جاههم ورد
شفاعتهم موهين بأن الحامل
على ذلك جهل المصطلح
وينفقون هذا الباطل
بعضائهم ينسبونهم الى تبعث

ثم ان المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكمي فان ذلك من حديث النفس وانما
الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس كأن المطلوب من الاعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعة
والانقياد وتفرغ القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى ينقلب المرید السالك ربانيا والفرق بين الحال والعلم
في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه أن كثيرا من الناس يعلم أن رحمة اليتيم والمسكين قربة إلى الله
تعالى مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ما أخذه من الثمرة ليعتبه وهو لو رأى يتيما أو مسكينا من بناء
المستضعفين لفر عنه واستدكف أن يباشره فضلا عن التمسح عليه لرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف
والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف ومن الناس من
يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بأن رحمة المسكين قربة إلى الله تعالى مقام آخر أعلى من الاول وهو الاتصاف
بالرحمة وحصول ملكة تها في رأي يتيما أو مسكينا بادر اليه ومسح عليه والتبس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر
عن ذلك ولو دفع عنه ثم تصديق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد انصافك به والعلم الحاصل
عن الاتصاف ضرورة وهو أوثق مبنى من العلم الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى
يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الماكة ويحصل الاتصاف والتحقيق ويجيء العلم الثاني النافع في
الآخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع وهذا علم أكثر النظائر والمطلوب انما هو العلم
الحالى الناشئ عن العادة * واعلم أن الكمال عند الشارع في كل ما كلف به انما هو في هذا فما طلب اعتقاده
فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصاف
والتحقيق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه
وسلم في رأس العبادات جعلت قرعة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا لا يجد فيها منتهى لذته وقرعة عينه
وأن هذا من صلاة الناس ومن لهم بها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين فقد تبين لك من جميع ما قررناه أن المطلوب
في التكليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطرابى للنفس هو التوحيد وهو العقيدة
الايمانية وهو الذى يحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكليف القلبية والبدينية ويفهم منه أن الايمان الذي
هو أصل التكليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب وأولها التصديق القلبي الموافق للسان وأعلها حصول
كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتتدرج في طاعتها
جميع التصرفات حتى تتخرط الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا أرفع مراتب الايمان وهو
الايمان الكامل الذى لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف
عن مناهج طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل
أبا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله فقال في أصحابه هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه قال لا قال
وكذلك الايمان حين تحالط بشاشته القلوب ومعناه أن ملكة الايمان اذا استقرت عسرت على النفس تحالفتها
شأن الملكات اذا استقرت فالتحصيل بمثابة الحيلة والفطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان وهي في المرتبة
الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء وجوب سابقا وهذه حاصلة للمؤمنين حصولا تابعا لاعمالهم
وتصديقهم وهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذى يتلى عليك من أقوال السلف وفي تراجم
البخارى رضى الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وان الصلاة
والصيام من الايمان وأن تطوع رمضان من الايمان والحياة من الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل
الذى أشرنا اليه والى ملكته وهو فعلى وأما التصديق الذى هو أول مراتبه فلا تفاوت فيه فمن اعتبر أوائل

الحليم وتقرى الرشيد
يستثرون حفاظهم على
ويشربونهم البغضاء الى
والله مجازيهم وسائلهم
فكثر الشغب على من كل
جانب وأظلم الجوينى وبين
أهل الدولة ووافق ذلك
مصطفى بالاهل والولد
وصلوا من المغرب فى السفير
فأصابها قاصف من الريح

الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال أئمة المتكلمين ومن اعتبر أواخر الاسماء وحمله على هذه الملكية التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع رتبته لانه اقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو الخاص من عهدة الكفر والفصل بين الكافر والمسلم فلا يجزى اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تنفوت وانما التفاوت في الحال الحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهم * واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين أمه وراخصه كاننا تصديق بها بقولنا واعتقادها في أنفسنا مع الاقرار بالسنتنا وهي العقائد التي تقررت في الدين قل صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد اليمانية المقررة في علم الكلام ولنشر اليها محملة لتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوده فنقول * اعلم ان الشارع لما أمرنا بالايمان بهذا الخالق الذي رد الافعال كلها اليه وأفرده به كما قدمناه وعرفنا ان في هذا الايمان نجاتنا عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنهه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ ذلك متمذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكفنا أو لا اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة الخلقين والالما صبح أنه خالق لهم لعدم الفارق على هذا التقدير ثم تنزيهه عن صفات النقص والاشابه الخلقين ثم توحيد به بالايجاد والايانم الخلق للتمانع ثم اعتقاد انه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شاهد قضيتها كمال الاجاد والخلق ومريد والايانم يخص شيء من المخلوقات ومقدر لكل كائن والا فالارادة حادثة وانه يعيدنا بعد الموت تكمينا لعنايته بالايجاد ولو كان لامر فان كان عبثا فهو للبقاء السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعاد لاختلاف أحواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك ونحسب لطفه بنا في الايتاء بذلك وبيان الطريقين وأن اللجنة للتعليم وجهنم له ذاب هذه أهملات العقائد اليمانية معللة بأدلتها العقلية وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد اليها العلماء وحققها الاثمة الا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد أكثر من اها من الآتي المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى النقل لحدث بذلك علم الكلام ولتين لك تفصيل هذا الجمل وذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في أي كثيرة وهي سلوب كلها وصريح في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن أي أخرى قليلة توهم التشبيه مرة في الذات وأخرى في الصفات فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرة ما وضح دلالاتها وعلموا استحالة التشبيه وقضوا بان الآيات من كلام الله فاموا بها ولم تعرضوا معناها بحيث لا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم اقرؤها كما جاءت أي آمنوا بأنهم من عند الله ولا تعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه ففريق أشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد ووضح دلالة لان معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد ووضح دلالة أولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا غنية وجمع بين الدليلين بتأويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول متناقض وجمع بين نفى وإثبات ان كان بالمعقولية واحدة من الجسم وان خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتعارفة فقد وافقوا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسم من اسمائه ويوقف مثله على الاذن وفريق منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك وآل قولهم الى التجسيم فترعوامثال الاولين الى قولهم صوت لا كالأصوات جهة لا كالجهات نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما اندفع به

ففرقت وذهب الموجود
والسكن والمولود فعظم
المصاب والجزع ورجح
الزهد واعتزمت على
الخروج عن المنتصب فلم
يوافقني عليه النصيح
من استشرته خشية من
تكبر الساطان وسخطه
فتوقفت بين الورد والصدر
على صراط الرجاء واليأس

الاول ولم يبق في هذه الظواهر الاعتقادات الساف ومذاهبهم والايان بها كاهي لسلايكر التي على معانيها
 بنفها مع انها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا تنظر مترادف عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب
 الحافظ ابن عبد البر وغيرهم فانهم يحومون على هذا المعنى ولا تنمض عينك عن القرائن الدالة على ذلك في غضون
 كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصناعات وواع الناس بالتدوين والبحث في سائر الانحاء وانف المتكلمون في التنزيه
 حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في اى السلوب فقضوا بنفى صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة
 زائدة على احكامها لما يلزم على ذلك من تعدد القديم زعمهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات ولا غيرها
 وقضوا بنفى السمع والبصر لكونهما من عوارض الاجسام وهو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هذا اللفظ
 واتمها وادراك المسوع أو المبصر وقضوا بنفى الكلام لشبهه ما في السمع والبصر ولم يعلوا صفة الكلام التي تقوم
 بانفس فقضوا بان القرآن مخلوق بدعة صرح الساف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ولقنها بعض الخلفاء عن ائمتهم
 فحمل الناس عليها وخاف ائمة السلف فاستحل خلافهم أيسار كثير منهم ودماهم وكان ذلك سبباً لانهاض أهل
 السنة بالدالة العقلية على هذه العقائد فدعا في صدور هذه البدع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الاشعري امام المتكلمين
 فتوسط بين الطرق وبنى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه الساف وشهدت له
 الادلة المخصصة لعمومه فثبت الصفات الاربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بانفس بطريق النقل
 والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مهد ووطئ هذه البدع من القول بالصلاح والاصحاح والتحسين
 والتقسيح وكل العقائد في البعثة واحوال الجنة والنار واثواب والعقاب والحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر
 حينئذ من بدعة الامامية من قولهم انها من عقائد الايمان وأنه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهد في
 ذلك لمن هي له وكذلك على الامامة وقضوا بامر الامامة انها قضية صاحبة اجاعية ولا تلتحق بالعقائد فلذلك
 ألحقوها بمسائل هذا الفن وسموا مجموع علم الكلام اماما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست
 برابعة الى عمل وامالان سبب وضعه والخوض فيه هو تمازجهم في اثبات الكلام النفسي وكثير اتباع الشيخ أبي
 الحسن الاشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كبن مجاهد وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فقصر
 للامامة في ضريقتهم وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والافانظار وذلك مثل اثبات الجوهر
 الفرد والخلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبق زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم وجعل هذه
 القواعد تبعا للعقائد الايمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الادلة عليها وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان
 المدلول وحجت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الآن صور الادلة تعبر بها
 الاقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به المتكلمون لملا بسببها للعلوم الفاسفية
 المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عندهم لذلك ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني امام الحرمين
 أبوالمعالى فآلى في الطريقة كتاب الشامل وأوسع القول فيه ثم لخصه في كتاب الارشاد وأخذ هذه الناس اماما
 لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون
 ومعياري للادلة فقط يسر به الادلة منها كما يسر من سواها ثم نظر وافي تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام
 للاقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي أدلت الى ذلك وربما ان كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في
 الطبيعيات والاهليات فلما سبروها بمعياري المنطق ردهم الى ذلك فيها ولم يعتدوا ببطلان المدلول من بطلان دليله
 كما صار اليه القاضي فصارت هذه الطريقة من مصطلحاتهم مبينة للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما
 أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجعلواهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير
 من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه

وعن قريب تدار كفي
 اللطف الرباني وشملي
 نعمة السلطان أيده الله في
 النظر بعين الرحمة وتخلي
 سبيل من هذه المهدة التي
 لم أطق حملها ولا عرفت
 كإزعموا مصطلحها فردا
 الى صاحبها الاول وأنشطني
 من عقالي فأنطقت حميد
 الاثر مشيعا من الكافة

الامام ابن الخطيب وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في المعلمين فحسبوه فهموا واحدا من اشتباه المسائل فيهما * واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود البارئ وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الآن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الالهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث أنه يدل على الموجد وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهلنا إنما هو العقائد اليمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبهة عن تلك العقائد وإذا تأملت حال الفتن في حدوده وكيف تدرج كلام الناس فيه صدر بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنص الحجة والأدلة علمت حينئذ ما قررنا ذلك في موضوع الفتن وأنه لا يعدوه واقعا اختلطت الطريقتان عندهما لواء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفتن من الآخر ولا يحصل عليه طالب من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوابع ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأليفهم الآن هذه الطريقة قديمة يعني بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والأغراق في معرفة الحجاج لو فور ذلك فيها وأما محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فأنما هو للطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الارشاد وما حاذوا عنه ومن أراد ادخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الفزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة الاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ الملحة والمتبعة قد انقضوا والائمة من أهل السنة كفوناشأهم فيما كتبوا ودونوا والأدلة العقلية إنما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها الا كلام تزد الباري عن كثير إيهاماته وإطلاقاته ولقد سئل الجنيدي رحمه الله عن قوم مرهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال نفى العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدة في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة إذ لا يحسن بحامل السنة الجاهل بالحجج النظرية على عقائدها والله ولي المؤمنين

علم التصوف

١١

هذا علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامه وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاء والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية والتصوفة وقال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة المربية ولا قياس والظاهر أنه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فيبعد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه * قلت والظاهر أن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصاصا بما خضعه من ذكره لهم وذلك أن الانسان بما هو انسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك للمعلوم

والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وإدراكه للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من إدراكات وأحوال وهي التي يميز بها الإنسان وبعضها ينشأ من بعض كإنباش العلم من الأدلة والفرح والحزن عن إدراك المؤمن أو المتلذذ به والنشاط عن الجمال أو الكسل عن الأعباء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فتتسخ وتصبح مقاما للمريد وإما أن لا تكون عبادة وإنما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقي من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للعبادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترتي في هذه الأطوار وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها وتنشأ عنها الأحوال والصفات تتأخر ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه انما أتى من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فهذه المحتاج المريد إلى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري وتصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك إلا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات إذا لم ينتهوا إلى هذا النوع أنهم يأتون بالطاعات مغلصة من نظر الفقه في الأجزاء والامثال وهو لا يجنون عن نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلعوا على أنها خالصة من التقصير أو لا فظهر أن أصل طريقهم كلها مناسبة للنفس على الأفعال والتروك والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما ويرتقي منها إلى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم وأصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم إذا لوضع الغفوية انما هي للمعاني المتعارفة فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلاحنا عن التعبير عنه بالفظ ييسر فهمه منه فلهم اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتاوى وهي الأحكام العامة في العبادات والمعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترتي منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم فهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهري ووردي في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين الأمرين في كتاب الأحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة عاماما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها انما تلتقي من صدر الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك * ثم إن هذه المجاهدة والخلوقة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والإطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه ونجدد نشوه وأعان على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وزيد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الإدراك فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدينية والفتح الإلهي وتقرب ذاتها في تحقق حقيقة ما من الأفق الأعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كثير ما يمرض لاهل

تدوين أو تأليف مؤملا من
الله قطع صبابة العمر في
العبادة ومحو عائق السعادة
بفضل الله ونعمته

﴿السفر لقضاء الحج﴾

ثم مكثت بعد الغزل ثلاث
سنين واعتزمت على قضاء
الفرصة فودعت السلطان
والأمرأه وزودوا وأعطوا
فوق الكفاية وخرجت

المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثير من الواقيات قبل وقوعها ويتصرفون بهم جميعهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم فالعطاء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يجربون عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالكلام فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعدون منه اذا هاجمهم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحفظ لكانهم لم يتبع لهم بها عناية وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتهرت رسالة التشيرى على ذكرهم ومن تبع طريقة منهم من بعدهم * ثم ان قوما من المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلقت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعابهم في امانة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتمذيتها فاذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حيث شذ وانهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش الى الفرش هكذا قال الغزالي رحمه الله في كتاب الاحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة * ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عنده الا اذا كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والحلوة وان لم يكن هناك استقامة كالسحر والنجار وغيرهم من المراتبين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله ان المرأة الضعيلة اذا كانت محببة أو مقربة وحودى بها جهة المرئي فانه يتشكل فيها معوجا على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحا فلا استقامة للنفس كالتبسط للمرأة فيما يتبع فيها من الاحوال وما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والبرش والكرسى وأمثال ذلك وقصرت مداركهم من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم في ذلك وأهل الفتيا بمنكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ردوا قبول اذهي من قيل الوجدانيات وربما قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتى بالانغمض فالانغمض بالنسبة الى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفراغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي مظهر الاحدية وهما معا صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور بالتجلى وأول مراتب التجليات عندهم تحي الذات عن نفسه وهو يتضمن الكمال بافاضة الابداد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف خلقت الخلق اعرفوني وهذا الكمال في الابداد المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكمالية والحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات والالواح والطاقم وحقائق الانبياء والرسل أجمعين والكمال من أهل الملة المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثلث ثم عنها العرش ثم الكبرياء ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرقي فاذا تجلت فهي في عالم الفتق ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل النظر على محصيل مقتصاده وموضعه وانقلابه وبعديا بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم الى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي أغرب من الاول في معتله وتنازله يزعمون فيه أن الوجود لا قوى في تفاصيله بها كانت حقائق الموجودات وصورها وموادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهيولها وزيادة القوة المعدنية ثم القوى الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها

من القاهرة منتصف رمضان
سنة تسع وثمانين الى
مصر بالطور بالحجاب الغربي
من بحر السويس وركبت
البحر من هناك عاشر الفطر
ووصلنا الى ينبع لشهر
فوافينا المحمل ورافتهم من
هناك الى مكة ودخلتها
ثاني ذى الحجة فقضيت
الفريضة في هذه السنة ثم

في نفسه وكذلك القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الانسانية وزيادة وكذا الذوات الروحانية
 والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجمتها واحاطت
 بها من كل وجه لا من كل جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة فالكل واحد
 وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها كالانسانية مع الحيوانية الا ترى
 انها مندرجة فيها وكائنة بكونها فئارة يمثلونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على
 طريقة المثال وهم في هذا كله يفرون من التركيب والكثرة بوجه من الوجود وانما أوجيها عندهم الوهم والخيال
 والذي يظهر من كلام ابن دهمان في تقرير هذا المذهب أن حقيقة ما يقولونه في الوحدة شبيهة بما تقولوه الحكماء
 في الألوان من أن وجودها مشروط بالضوء فاذا عدم الضوء لم تكن الألوان موجودة بوجه وكذا عندهم
 الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك الحسي بل والموجودات المسقولة والمنوهمة أياضم
 مشروطة بوجود المدرك العقلي فاذا الوجود المفصل كله مشروط بوجود المدرك البشري فلوفرضنا عدم
 المدرك البشري جملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة واللين بل والارض
 والماء والأتار والسماء والكواكب انما وجدت لوجود الحواس المدركة لها ما جعل في المدرك من التفصيل الذي
 ليس في الموجود وانما هو في المدارك فقط فاذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو
 أن لا غيره ويعتبرون ذلك بحال التأثم فانه اذا تأثم وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما فصله له
 الخيال قالوا فكذلك اليقظان انما يتعبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه
 فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهوم لا الوهم الذي هو من جملة المدركات البشرية هذا ملخص رأيهم على
 ما يفهم من كلام ابن دهمان وهو في غاية السقوط لانا نقطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه يقينا مع غيبته
 عن أعيننا وبوجود السماء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا الانسان قاطع بذلك ولا يكابر احد
 نفسه في اليقين مع أن المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المرید عند الكشف ربما يعرض له توهم هذه
 الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو
 مقام العارف الحق ولا بد للمرید عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لانه يخشى على المرید من وقوفه عندها
 فتخسر مسافته فقد تبينت مراتب أهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف
 وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما أشرفنا اليه وملؤا الصحف منه
 مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذه ابن العفيف وابن الفارض
 والتجيم الاسرائيلي في تصانيفهم وكان سلفهم محالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول
 والهيئة الاثمة مذهبهم لا يعرف لا ولهم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت
 عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين زعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه
 في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لا آخر من أهل العرفان وقد أشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات
 في فصول التصوف منها فقال جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل واردا ويطالع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا
 كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقولوه الرافضة ودانوا به ثم
 قالوا ان ترتب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما أسندوا لباس خرقه التصوف ليجعلوه
 أصلا لطريقهم ونجايتهم رفعوا الى على رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا والافعل رضي الله عنه لم يخص من
 من الصحابة بحجة ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله
 في الخلعة واللباس وأكثرهم عبادة وأبجسهم في الدين شي يؤرثونه في الخصوص بل كان الصحابة

ثم عدت الى الينبع فأقت
 بها خمسين ليلة حتى نهيأتنا
 ركوب البحر ثم سافرنا الى
 أن قاربنا مرسى الطور
 فاعترضتنا الرياح فموسف
 الاقطع البحر الى جانب
 الشرقي ونزلنا بساحل
 القصير ثم يندرقنا ثم سراً

مع اعراب تلك الناحية
الى مدينة قوص قاعدة
الصعيد فأرخاها أياما ثم
وكنافي بحر النيل الى مصر
فوصلنا اليها لشهر من
سفرنا ودخلتها في جمادى
سنة تسعين وقضيت حق
السلطان في لقائه واعلامه

كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شجونا كتبهم
في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنى أو اثبات وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم
في كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا اتدبوا الرد على هؤلاء المتأخرين في هذه
المقالات وأمثالها وشملوا بالكثير سائر ما وقع لهم في الطريقة والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في
أربعة مواضع أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال
لتحصل تلك الاذواق التي تصير مقاما ويرتقي منه الى غيره كقلناه وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدرجة من
عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب
أو شاهد وتركيب الاكوان في صدورهم من موجدتها وتكونها كما مر وثالثها التصرفات في العوالم والاكوان
بأنواع الكرامات ورابعها الفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثيرين من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم
بالشبهات تستشكل ظواهرها فتنكر ومحسن ومتأول فأما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من
الاذواق والمواجد في تأنيها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فامر لا مدفع فيه لاحد واذواقهم فيه صحيحة
والتحقق بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالغيبيات وتصرفهم في الكائنات فامر
صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ أبو اسحق
الاسفرايني من أئمة الاشعرية على انكارها للتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتجدي
وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان
دلالة المعجزة على الصدق عقلية فان صفة نفسه التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدت صفة نفسه وهو محال هذا
مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابة وأكابر
السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور وأما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور
الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجداني عندهم وفاقدا للوجدان عندهم بمنزل عن اذواقهم
فيه والغائبات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لانها لم توضع للاطلاع وأكثروا من المحسوسات فينسى أن
لا تعرض لكلامهم في ذلك وتتركه فيما تركناه من المتشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه
الموافق لظاهر الشريعة فأكرمهم بالسعادة * وأما الالفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشبهات ويؤاخذهم
بها أهل الشرع فاعلم أن الانصاف في شأن القوم انهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما
لا يقصدهونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم منهم فضله واقتداؤه حل على القصد الجليل من
هذا وان العبارة عن المواجه صعبة لفقدان الوضع لها كواقع لا يزيده وأمثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ
بما صدر عنه من ذلك اذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه وأما من تكلم فيهما وهو حاضر في حسه ولم
يملكه الحال فؤاخذ ايضا ولهذا أفقي الفقهاء وأكابر المتصوفة بقيل الحاج لانه تكلم في حضور وهو مالك لحاله
والله أعلم وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشرنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف
الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما همم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك
أعرض عنه ولا يحفل به بل يفرون منه ويرون أنه من العوائق والحن وانما ادراك من ادراكات النفس مخلوق
حادث وأن الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان وعلم الله أوسع وخلقها أكبر وشريعته بالهداية أملك فلا
يطعون بشيء مما يدركون بل يحظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من أمحاهم من الخوض
فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقة تم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء ويأمرون
أمحاهم بالتزامها وهكذا ينبغي أن يكون حال المرء الذي يريد الله الموفق للصواب

هذا علم من العلوم السريعة وهو حادث في الملة عند ما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وربما كان في الملوك والأمم من قبل الأناء لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام والأفان رؤيا موجود في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها فاقدها كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له وأول ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اتقى من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليستبشروا وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين واعزازه وأما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو أن الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب لا يحصى ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل أفعال القوى الحوائية وإحساسها فإذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الإحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغنى سطح البدن ما يغناه من برد الليل أنخس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي فيستجم بذلك لما ودعه فله قطعات الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب ثم إن الروح القلبي هو مظية للروح العاقل من الإنسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته إذ حقيقة وذاته عين الإدراك وإنما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب ونجس عنه لرجع إلى حقيقته وهو عين الإدراك فيعقل كل مدرك فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من إدراك لمحة من علمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الأعظم فاستعدت بول ما هنالك من المدارك الثلاثة من علمه وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع إلى بدنه أذهو ما دام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والتصريف منها هو الخيال فانه يتزعج من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس إلى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك إذا أدركت النفس من علمها ما تدركه ألقته إلى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه إلى الحس المشترك فيراه الناس كأنه محسوس فيتزل المدرك من الروح العقل إلى الحس والخيال أيضاً واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث الأحلام الكاذبة فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن إن كانت تلك الصور متزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إليها منذ البقطة فهي أضغاث أحلام وأما معنى التعبير فاعلم أن الروح العقل إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال فيصوره قائماً بصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الأعظم فيصوره الخيال بصورة البحر أو يدرك العداوة فيصوره الخيال في صورة الحية فإذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى البحر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءه هو يهتدي بقرائن أخرى تعين له المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لأن البحر خالق عظيم يناسب أن يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو الأعظم ضررها وكذا الأواني تشبه بالنساء لأنهن أوعية وأمثال ذلك ومن المرئي ما يكون صريحاً لا يفتقر إلى تعبير جلالها ووضوحها أو لقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك

بما اجتهدت فيه من الدعاء
له لتقبل ذلك بقبول حسن
وأقت فيما عهدت من رعايته
وظل إحسانه وكنت لما
نزلت بالينبع لقيت بها
الفيقيه الأديب المتفنن أبا
القاسم بن محمد بن شيخ
الجماعة وفارس الأدباء

ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تشترط أن تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تنفقر
إلى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا أتى إليه الروح مدركه فأتى بصوره في
القوالب المعتادة لا يحس ما لم يكن الحس أدركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد أعني أن يصوره السلطان بالبحر
ولا العدو بالحية ولا النساء بالآواني لانه لم يدرك شيئا من هذه وانما يصوره الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبتها
من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشعومات وليتحفظ المعبر من مثل هذا فرما اختلط به التعبير وفسد
قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على
السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الهم والامر الفادح
ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة
وأمثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تبين من هذه القوانين
ما هو أبقى بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ما يتقدح في نفس المعبر بالخاصة التي خلقت فيه وكل
ميسر لما خاف له ولم يزل هذا العلم متافلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب
عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد وألف الكرماني فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتأخرون
وأكثروا والمتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل
الممتع وغيره وكتاب الأشارة للسالمي وهو علم مضي بنور النبوة للمناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله
علام الغيوب

العلوم العقلية وأصنافها

١٣

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة للإنسان من حيث أنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لأهل الملل
كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمره الخلق وتسمى هذه العلوم
علوم الفلاسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم الأول علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص
المطالب الجوهرة من الأمور الحاصلة المعلومة وفائدة تميز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات
وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم ما في المحسوسات من
الأجسام العنصرية والمكونة عنهما من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي
تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها وما أمان يكون النظر في الأمور التي
وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الإلهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير
ويشتمل على أربعة علوم وتسمى التعاليم أولها علم الهندسة وهو الناظر في المقادير على الإطلاق أما المنفصلة من
حيث كونها معدودة أو المتصلة وهي أما ذو بعد واحد وهو الخط أو ذو بعدين وهو السطح أو ذو أبعاد ثلاثة وهو
الجسم التعاليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها أما من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها إلى بعض ونائها علم
الآرتمطاطي وهو معرفة ما يعرض لكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة
ونائها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد ونمطه معرفة تلاحين
الغناء ورأيه علم الهيئة وهو تعيين الأشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتمدها لكل كوكب من السيارة
والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودات لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها
واقبالها وأدبارها فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالآرتمطاطي
أولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الإلهيات ولكل واحد منها قروع تنفر عنه فمن
قروع الطبيعيات الطب ومن قروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن قروع الهيئة الأرياح وهي

ومنفق سوق البلاغة أبي
اسحق إبراهيم الساحلي
المعروف جده بالطولحي
وقد قدم حاجا وفي صحبته
كتاب رسالة من صاحبنا
الوزير الكبير العالم كاتب
مر السلطان ابن الأحمر
صاحب غرناطة الخطي

قوانين لحساب حركات الكواكب وتعديلها، وقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع الفلك في النجوم
علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى آخرها واعلم أن أكثر من عني بها في الاجيال الذين
عرفنا اخبارهم الامتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على
ما بلغنا من كان العمران موفور افهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصرهم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة
في آفاقهم وأمصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر
والنجامة وما يتبعها من الطلاسم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فأخص بها القبط وطمي بحر هافهم كما
وقع في التلوي من خبر هاروت وماروت وشأن السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر ثم تابعت
الملل بمحيط ذلك ونحرمه قدرست علومه وبطلت كان لم تكن الا بقايا بقايا متحلولة هذه الصنائع والله أعلم
بصحتها مع أن سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختباها وأما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية
عندهم عظيما ونظامها متسما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملك ولقد يقال ان هذه العلوم انما
وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينة فاستولى على كتبهم وعلومهم مالا يأخذ
الحصر ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتب كثيرة كتب سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب
ليستأذنه في شأنها وتلقينها المسلمين فكتب اليه عمر أن اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله
بأهدى منه وان يكن ضالا فقد كفانا الله فطرحوها في الماء وفي النار وذهبت علوم الفرس فيما عدا أن تصل اليها
وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولا وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وحماهم مشاهير من رجالهم مثل
أساطين الحكمة وغيرهم واختص فيها المشاؤون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعاليم كانوا يقرؤون في رواق
يظلمهم من الشمس والبرد على مازعوا واتصل فيها ساند تعاليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه
بقراط الدين ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الافردوسي وتامسطيون
 وغيرهم وكان ارسطو معالما للاسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانزع الملك من أيديهم وكان ارسطو
 في هذه العلوم قدما وأبعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكر * ولما انقرض أمر اليونان
 وصار الامر للقيصرية وأخذوا بدين النصرانية هجر واثلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها وبقيت في
صحفها ودواوينها مخددة باقية في خزائنها ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان
 لاهله الظهور الذي لا كفاله وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه الامم وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن
 الصنائع حتى اذا تجبجج السلطان والدولة وأخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم مع الامم وتفتنوا في
 الصنائع والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض
 ذكرونها بما تسموا اليه افكار الانسان فيها فبحث أبو جعفر المنصور الى ملك الروم أن يبعث اليه بكتب التعاليم
 مترجمة فبعث اليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا
 على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتحمله فانبعث لهذه العلوم حرصا
 وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك
 فأوعى منه واستوعب وعكف عليها الفطاهر من أهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها
 وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودنوا في ذلك الدواوين
 وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا بالمشرق والغاضي
 أبو الوليد بن رشد الوزير أبو بكر بن الصائغ بالاندلس الى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء
 بالشهرة والذكور واقصر كثير على تحال التعاليم وما ينضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت

لديه أبي عبدالله بن زمرك
خاطب في فيه بنظم ونثر
يشرق ويذكر بعهود الصعبة
نصه
سلوا البارقي النجدي على
عمل نجدي
تسم فاستبكي جفوني من
الوجد

الشهرة في هذا المتاحل على مساهمة بن أحمد المجرى بطل من أهل الاندلس وتلميذه ودخل على الملة من هذه العلوم وأهلها داخله واستهوت الكثير من الناس بما جئوا اليها وقلدوا آراءها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه ثم ان المغرب والاندلس لما ركبت ربح العمر ان بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منهما الا قليلا من رسوماته تجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة ويبلغنا عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيها ورأى أهلها أنهم على تبسج من العلوم العقلية لتوفر عمراتهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تأليف متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي أثنائها ما يدل على أن له اطلاعا على العلوم الحكيمة وتدماعا عالية في سائر الفنون العقلية والله يؤيد بنصره من يشاء كذلك بلغنا لهذا المهدي أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنجة من أرض رومة وما إليها من العدو الشمالية نافقة الاسواق وأن رسوماتها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة ومتوفرة وطلبها متكثرة والله أعلم بما هنالك وهو يخاف ما يشاء ويختار

العلوم العددية

١٤

وأولها الارتباط في وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التأليف اما على التوالي أو بالتضيق مثل أن الاعداد اذا توالى متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدها من الطرفين بعد واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الافراد على تواليها والزوج على تواليها ومثل أن الاعداد اذا توالى على نسبة واحدة يكون أولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ أو يكون أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فان ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد أحدهما في الآخر ومثل مربع الواسطة ان كانت العدة فردا وذلك مثل أعداد زوج الزوج المتواليات من اثنين فأربعة ثمانية فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والمخمسات والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بأن يجمع من الواحد الى العدد الاخير فتكون مثلكة وتتوالي المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون أربعة وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون خمسة وهلم جرا وتتوالي الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض في عرضه الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم المخمسات الخ وفي طوله كل عدد وأشكاله بالغا ما بلغ وتحدث في جمعها وقسمتها على بعض طولها وخواص غريبة استقرت منها وتقررت في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج والفرد وزوج الزوج والفرد فان لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن أول أجزاء العالم وأثبتها ويدخل في براهين الحساب والحكمة المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف وأكثرهم يدركونه في العالم ولا يفردونه بالتأليف فمثل ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء والتجاة وغيره من المتقدمين وأما المتأخرون فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفص في البراهين لافي الحساب فهجروه لذلك بعد ان استخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) وهي صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع والتضيق تضاعف عددا بأحد عدد آخر وهذا هو الضرب والتفريق أيضا يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد أو الكسر ومعنى الكسر نسبة

أجاد ربوعى باللوى درك
الوى
وسج به صوب النمام من
بعد
ويا زاجر الانطمان وهى
نوامر
دعوات ردها عا شاعلى
نجد

عدد الى عدد وتلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون بالضم والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب
في مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك الجذور ايضا يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة حادثة احتياج اليها
لالحساب في المعاملات وأنف الناس فيها كثيرا وتداولوها في الامصار بالتعليم للولدان ومن أحسن التعليم
عندهم الابتداء بها لانها معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضي ودرب على الصواب
وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس
فيصير ذلك خلقا وتعود الصدق ويلزمه مذهبها ومن أحسن التأليف المبسوط في هذا العهد بالمغرب كتاب
الحصار الصغير ولابن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سباه رفع
الحجاب وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر أدر كنا
المشيخة تعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاء الاستغلق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لان
مسائلها وأعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فاعلموا اعطاء العلل في تلك الاعمال وفي ذلك من السر
على الفهم ما لا يوجد في أعمال المسائل فتأمله والله يهدي نوره من يشاء وهو القوى المتين (ومن فروع الجبر
والمقابلة) وهي صناعة يستخرج من العدد المجهول من قبل المعلوم المقروض اذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك
فاصلها وحواقيها على أن جعلوا له مجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب أو لها العدد لان به يتعين
المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول اليه وثانها الشيء لان كل مجهول فهو من جهة ابهامه شيء وهو
ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه في الرتبة الثانية وثالثها المال وهو أمر مبهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الاس في
المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فيخرج الى معادلتين مختلفتين أو أكثر من هذه الاجناس
فيقالون بعضها يبعض ويجبرون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحا ويحطون المراتب الى أقل الاسوس ان أمكن
حتى يصير الى الثلاثة التي علمها مدار الجبر عندهم وهي المدد والشيء والمال فان كانت المعادلة بين واحد وواحد
تعين فالمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة المدد وتعين والمال وان عادل الجذور يتعين بعينها وان كانت المعادلة
بين واحد واثنين أخرجه العمل الهندسي من طريق تفصيل الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب
المفصل ولا يمكن المعادلة بين اثنين واثنين وأكثر ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة بين عدد
وجذر ومال مفردة أو مركبة تحي ستة وأول من كتب في هذا الفن أبو عبد الله الخوارزمي وبعده أبو كامل
شجاع بن أسلم وجاء الناس على أثره فيه وكتابه في مسائل الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير
من أهل الاندلس فأجادوا ومن أحسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا أن بعض أئمة التعاليم من أهل المشرق
أنهى المعاملات الى أكثر من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها أعمالا وأتبعه
براهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى (ومن فروع ايضا المعاملات) وهو تصريف
الحساب في معاملات المدن في البيعات والمساحات والركوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف
في ذلك صناعة الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والفروض من تكثير المسائل
المفروضة فيها حصول المران والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب ولاهل الصناعة الحسابية
من أهل الاندلس تأليف فيها متعددة من أشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع وأبي مسلم بن خالدون من
تلميذ مسلمة الجريطي وأما لهم (ومن فروع ايضا الفرائض) وهي صناعة حسابية في تصحيح السهام
لذوى الفروض في الوارثات اذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على وورثته أو زادت الفروض
عند اجتماعها وتزاحمها على المال كله أو كان في الفريضة اقرار وانكار من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله الى
عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مصححا حتى تكون حظوظ الوارثين من المال

ولا تشقوا الانفاس منها مع

الصبا

فان زفير الشوق من مثلها

يمد

براهها لوى بري القداح

وحطها

حزون على صفح من النثر

تمت

على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من مجيحه وكسره وجذره
ومعلومه ومجهوله وترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومساائلها فتشمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من
الفقه وهو أحكام الوراثية من المفروض والعول والاقرار والانتكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها
وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهي وهي من أجل العلوم وقد يورد أهلها
أحاديث نبوية تشهد بفضائلها مثل الفرائض ثلث العلم وانها أول ما يرفع من المعلوم وغير ذلك وعندي أن ظواهر
تلك الأحاديث كلها النماهي في الفرائض العينية كما تقدم لأفرائض الوراثات فلها أقل من أن تكون في كتبها
ثالث العلم وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديما وحديثا وأوعبوا ومن أحسن
التأليف على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنذر
والجعدى والصدردى وغيرهم لكن الفضل للحوفي فكتباه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا أبو عبد الله
سليمان الشطي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب ولأمام الحرميين فيها تأليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع
باعه في العلوم وروسخ قدمه وكذلك الحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي من يشاء بمسره
وكرمه لأرب سواه

العلوم الهندسية

١٥

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد وفيما يمرض لها من
العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزاياه مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجهه ولو
خرج إلى غير نهاية ومثل أن كل خطين متقاطعين فلزوايتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل أن الاربعة مقادير
المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثلة ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه
الصناعة كتاب أوكليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان وهو أبسط ما وضع فيها للمتعلمين وأول
مترجم من كتاب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها خب بن
اسحق ولثابت بن قرة وليوسف ابن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مقالة أربعة في السطوح وواحدة في
الأقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى بعض وثلاث في العدد والعاشر في المنطقات والقوى على
المنطقات ومنها الجذور وخمس في الجسمات وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعله ابن سينا في تعاليم
الشفاء وأفر دله جزأ منها اختصه به وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقصار وغيرهم وشرحه آخرون وشرحا كثيرة
وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق واعلم أن الهندسة تنبذ صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها
كلها بينة الانتظام جليلة الترتيب لا يكاد العاطل يدخل أُنسها الترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ
وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيح وقد زعموا أنه كان مكتوبا على باب أفلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخلن
منزلنا وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الاقدار
ونقيه من الاوضار والادران وانما ذلك لما أشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه ومن فروع هذا الفن الهندسة
المخصوصة بالاشكال الكرية والخروطات أما اشكال الكرية فقها كتابان من كتب اليونانيين ثاود وسيوس
وميسلاوش في سطوحها وقطوعها كتاب ثاود وسيوس مقدم في التعاليم على كتاب ميسلاوش لتوقف كثير من
براهينه عليه ولا بد منها لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليها فالكلام في الهيئة كله كلام
في الكرات السماوية وما يمرض فيها من القطوع والدوائر بسبب الحركات كما ذكره فقد توقف على معرفة
أحكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها وأما الخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم ينظر
فيما يقع في الاجسام المخروطية من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يمرض لذلك من العوارض براهين هندسية

صحت لها أني تجاذبني
الهُوى
وما شوقها شوقي ولا وجدها
وجدى
لئن شاقها بين المسذيب
وبارق
ميامنى القلصل للبان
والرند

متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف
تصنع التماثيل الغريبة والهاياكل النادرة وكيف تحيل على جبر الاثقال ونقل الهاياكل بالهندام والميخال وأمثال
ذلك وقد أفرده بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة
كل عجبية وربما استغلق على الفهم لصعوبة برهينه الهندسية وهو موجود بأيدى الناس ينسبونه الى بني شاكر
والله تعالى أعلم (ومن فروع الهندسة المساحة) وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار
الارض المعلومه بنسبة شبر أو ذراع أو غيرهما ونسبة ارض من ارض اذا قويت بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في
توظيف الخراج على المنزاع والقدن وبساتين الفراسة وفي قسمة الحواط والاراضي بين الشركاء أو الورثة
وأمثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه (المنظر من فروع
الهندسة) وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها ببناء على أن ادراك البصر يكون
بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرفي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبير أو البعيد صغيرا
وكذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما
والمسلة دائرة وأمثال ذلك فيتبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفية البراهين الهندسية ويتبين به أيضا اختلاف
المنظر في القمر باختلاف العروض الذي ينبغي عليه معرفة رؤية الاهلة وحصول الكسوفات وكثير من أمثال
هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين وأشهر من ألف فيه من الاسلاميين ابن الهيثم وغيره فيه أيضا
تأليف وهو من هذه الرياضة وتفايرها

علم الهيئة

١٦

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال
وأوضاع الافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كإبرهن على أن مركز الارض مبين
لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود
افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكإبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب
الثابتة وكإبرهن على تعدد الافلاك للكواكب الواحد بتعدد الميول له وأمثال ذلك وادراك الموجود من
الحركات وكيفياتها وأجناسها انما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال والادبار به وكذا تركيب الافلاك في
طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك وكان اليونانيون يعتنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات
التي توضع ليرصد بها حركة الكواكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في
مطابقة حركاتها بحركة الفلك منقول بأيدى الناس وأما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام
المأمون شيء منه وضع الآلة المعروفة بالرصد المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولماسمات ذهب رسمه
وأغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب وان مطابقة
حركة الآلة في الرصد بحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطي التحقيق فاذا طال الزمان
ظهر تفاوت ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السموات
وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي أن هذه الصور والهاياتل الافلاك لزمت عن هذه الحركات
وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازما لمتخلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على
وجود المزموم ولا يعطي الحقيقة بوجه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعليم ومن أحسن التأليف فيه كتاب
المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حقه شرح الكتاب
وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء ولخصه ابن رشد أيضا من حكماء

فما شاقنى الا بدور
خدورها
وقد لحن يوم النفر في قصب
ملد
فكم في قباب الحمي من شمس
كلمة
وفي فلك الازرار من قمر
سعد

الاندلس وابن السمع وابن الصلت في كتاب الاقتصاد ولابن الفرغاني هيئة مملخصة قريبا وحذف براهينها الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين (ومن فروعه علم الازياج) وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلا كها لاي وقت فرض من قبل حسابان حركتهما على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة وهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية واصول متفرقة من معرفة الاوج والحضيض والميول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهلا على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلا وتقويا للناس فيه تاليف كثيرة لامة تقدمين والمتأخرين مثل البتاني (١) وابن الكباد وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن اسحق من منجمي تونس في أول المائة السابعة ويزعمون أن ابن اسحق عول فيه على الرصد وأن يهوديا كان بصقلية ماهرا في الهيئة والتعالم وكان قد عني بالرصد وكان يعث اليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحرا كاتها فكان أهل المغرب لذلك عنوانا لوفاءه مبناه على ما يزعمون واخصه ابن البناء في آخر سماء المنهاج فوقع به الناس السهل من الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الناك لتنبئ عليها الاحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الانسان من الملك والاول والمواليد البشرية كما نبينه بعد ونوضح فيه أدلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحبه ويرضاه لامة بدوسوا

علم المنطق

١٧

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للماهيات والحجج المفيدة لتصديقات وذلك ان الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في الخيال من الاشخاص المنفصلة صورة متعاقبة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلبي ثم ينظر الذهن بين تلك الاشخاص المنفصلة وأشخاص أخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق أيضا عليها باعتبار ما اتفق فيه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذي لا يجد كليا آخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك بسيطا وهذا مثل ما مجرد من أشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليهما ثم بينهما وبين النباتات الى أن ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا يوافقه في شيء فيقف العقل هنالك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله الفكرة الذي به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصور الماهيات وينبغي به ادراكها من غير حكم معه واما تصديقاتها حكما بنبوت أمر لا مرفصا رسي الفكر في تحصيل المطلوبات اما بأن تجمع تلك الكليات بعضها الى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في الذهن كلية منطبقة على أفراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بأن يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قديكون بطريق صحيح وقديكون بطريق فاسد فاقضي ذلك تمييز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العامة ليميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق وتكلم فيه المتقدمون اربابا ما تكلموا به جلا جلا ومفترقا ولم تهذب طرقة ولم تجمع مسائله حتي ظهرت في يونان ارسطو فهذب

وكم صارم قدسل من لحظ
أحور
وكم ذابل قدده من ناعم
القد
خذوا الحذر من سكان رامة
انها
ضعيفات كسر الالحظ تفكك
بالاسد

(١) قوله البتاني بفتح الموحدة وتشديد المثناة كاضبطه ابن خلكان في ترجمته قيل آخر الحمددين اه

مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله أول العلوم الحكمية وفتحها لذلك يسمى بالعلم الأول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يشتمل على ثمانية كتب أربعة منها في صورة القياس وأربعة في مادته وذلك أن المطالب التصديقية على أنحاء فمنها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يفيد وما ينبغي أن تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن أي جنس يكون من العلم أو من الظن وقد ينظر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة اتساحه خاصة ويقال للنظر الأول أنه من حيث المادة ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين أو ظن ويقال للنظر الثاني أنه من حيث الصورة واتساح القياس على الإطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الأولى في الاجناس العالية التي ينتهي إليها تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية وأصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس وصورة اتساحه على الإطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة ثم الرابع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينية ويختص بشرط أخرى لأفادته اليقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية وأولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعارف والحدود إذا المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والمحدود لا تحت مل غير هاف ذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد لقطع المشاغب وإخفاف الحصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص أيضا من جهة أفادته لهذا الغرض بشرط أخرى من حيث أفادته لهذا الغرض وهي مذكورة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه وفيه عكوس القضايا والسادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا انما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للأقبال على الشيء أو النفرة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا التخيلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم إن حكماء اليونانيين بعد أن تهذب الصناعة وترتبت رأوا أنه لا بد من الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسعا وترجمت كلها في الملة الإسلامية وكتبها وتدواها فلاسفة الاسلام بالشرح والتأخير كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس وابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق وألحقوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته وهي الكلام في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان وحذفوا كتاب المقولات لأن نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات وألحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس لأنه من توابع الكلام في القضايا بوضوح ثم تكلموا في القياس من حيث اتساحه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحذفوا النظر فيه بحسب المادة وعي الكتب الخمسة البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة وربما يلزم بعضهم باليسير منها ما أغفلوها كأن لم تكن وهي المهم المعتمد في الفن ثم تكلموا فيها وضعوه من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث أنه فن برأسه لا من حيث أنه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع وأول من فعل ذلك الامام نضر الدين بن الخطيب ومن بعده أفضل الدين الحونجي وعلي كتبه معتمدا لشارقة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر أربعة أوراق أخذت بجامع الفن وأصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن وهي متمثلة من ثمرات المنطق وفائده كما قلناه والله الهادي للصواب

سهم جفون من قى

حواجب

يصاب بها قلب البرى على

عمد

وروض جمال ضاع عرف

نسيمه

وما ضاع غير الورد في صفحة

الخد

الطبيعات

١٨

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فيتنظر في الاجسام السماوية والارضية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجيوم من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبدء الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتاب ارسطو فيه موجود بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حدودها وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلسفة كما قدمنا ثم لخصه في كتاب النجاء وفي كتاب الاشارات وكأنه يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها وأما ابن رشد فاجتص كتاب ارسطو وشرحه بما تباله غير مخالف وألف الناس في ذلك كثير لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة واهل المشرق عناية بكتاب الاشارات لابن سينا وللإمام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الآمدي وشرحه أيضا نصير الدين الطوسي المعروف بخواجه من اهل المشرق ويبحث مع الامام في كثير من مسائله فأوفي علي أنظاره ويحوته وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

علم الطب

١٩

وترجس لحظ أرسل ألدع

لؤلؤا

فوشى بماء النورد روضان

النورد

وكم غصن قد عانق الغصن

مثله

وكل على كل من الشوق

يستمدى

ومن فروع الطبيعات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبه حفظ الصحة وبرء المرض بالادوية والاغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستلذين على ذلك بأمرجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بضجه وقبوله الدواء ولا في السجية والفضلات والبض محاذين لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمي العلم الجامع لهذا كله علم الطب وربما أفردوا بعض الاعضاء بالكلام وجعلوه علما خاصا كالعين وعللها وأكثالها وكذلك الحقوا بالذن من منافع الاعضاء ومعناها المنفعة التي لاجلها خاق كل عضو من أعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا أنهم جعلوه من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيهم من الاقدمين جالينوس يقال انه كان معاصر العيسى عليه السلام ويقال انه مات بصقلية في سبيل تغلب ومطالوعة اغتراب وتاليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع اطباء بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة أئمة جأؤامن ورء الغاية مثل الرازي والمجوسى وابن سينا ومن اهل الاندلس أيضا كثير وأشهرهم ابن زهر وهو لهذا العهد في المدن الاسلامية كأنها نقصت لوقوف العمران وتناقصه وهي من الصنائع التي لا تستدعيها الحضارة والترف كما ينبغي بعد

(فصل) وللبادية من اهل العمران طب يبتونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثا عن مشايخ الحلى ومجازته وربما يصح منه البعض الا أنه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحرث بن كلدة وغيره والطب المنقول في الشرعيات من هذا القليل وليس من الوحي في شيء وانما هو أمر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجيلة لامن جهة أن ذلك مشروع على ذلك التحوم للعمل فانه صلى الله عليه وسلم انما ثبت ليعلمنا الشرائع ولم يثبت لتعريف الطب ولا غيره من العادات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال أنهم أعلم بأمور دنياكم فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يبدل عليه اللهم الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايماني فيكون له أثر عظيم في

التفجع وليس ذلك في الطب المنزاجي وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية كإوقع في مداواة المبطلون بالعسل والله الهادي
إلى الصواب لا رب سواه

❦ الفلاحة ❦

٢٠

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تدميته ونشؤه بالسقي والعلاج وتعمده بمثل ذلك
وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم عاما في النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه
وروحانيته ومشاكلها الروحانيات الكواكب والهيكل المستعمل ذلك كله في باب السحر فعظمت عنايتهم به لاجل
وذلك ترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة الباطنية منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير ولما
نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا فاقصروا منه على
الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة
واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة الباطنية على هذا المنهاج وبقي الفن الآخر منه مغفلا نقل منه مسلمة في كتبه
السحرية أمهات من مسأله كإن ذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله تعالى وكتب المتأخرين في الفلاحة
كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجهم وعوائقه وما يعرض في ذلك كله
وهي موجودة

❦ علم الاهليات ❦

٢١

وهو علم ينظر في الوجود المطلق فأولا في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدة
والكثرة والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادئ الموجودات وأنهار روحانيات ثم في كيفية صدور
الموجودات عنها ومراتبها ثم في أحوال النفوس بعد مفارقة الاجسام وعودها إلى المبدأ وهو عندهم علم شريف
يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وأن ذلك عين السعادة في زعمهم وسيأتي الرد عليهم وهو تال
للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الأول فيه موجودتين أيدي الناس ولخصه
ابن سينا في كتاب الشفاء والنجا وكذلك لخصها ابن رشد من حكماء الاندلس ولما وضع المتأخرون في علوم
القوم ودونوا فيها ورد عليهم الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل
الفلسفة أعرضها في مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الاهليات ومسائله بمسائلها فصارت كأنها من
واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والاهليات وخلطوها فأتوا أحدا قدموا الكلام في الامور
العامة ثم اتبعوا بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها إلى آخر العلم كفعاله الامام ابن الخطيب في
المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كأن
الغرض من موضوعها ومسائلها واحد والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هي
عقائد متلقاة من الشريعة كأنها من السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه بمعنى أنها لا تثبت إلا بفان
العقل معزول عن الشرع وأنظاره وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج فليس يحتاج الحق فيها للتعايل
بالدليل بعد أن لم يكن معلوما هو شأن الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تمضد عقائد الايمان ومذاهب
السلف فيها وتدفع شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية وذلك بعد أن تفرغ بحجة بالادلة
الثقلية كالتلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك أن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتسع لظواهرها
عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها ومحيط بها الاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر
الضعيف والمدارك الحاط بها فاذا هداها الشارع إلى مدرك فينبغي أن تقدمه على مداركنا ونشوق دونها ولا تنظر
في تصحيحه بمدارك العقل ولوعارضه بل نعلم ما أمرنا به اعتقادا وعلما ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه

قيح وداع قد جلا
لعيوننا
محاسن من روض الجمل بلا
عد
رعي الله ليلى لو علمت
طريقها
فرشت لاخفاف المطى بها
خدى

الى الشارع ونزل العقل عنه والمتكلمون تمادعاهم الى ذلك كلام أهل الاتحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية ومخاداة العقائد السلفية بها وأما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس أفتار المتكلمين فاعلم ذلك لتمييزه بين النزين فانهما مختلطان عند المتأخرين في الوضع والتأليف والحق مغايرة كل منهما صاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وسار احتجاج أهل الكلام كانه انشاء لطلب الاعتماد بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على الماخذين والمطلوب مفروض الصدق معلومه وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواجد أيضاً فخلطوا مسائل الفنين بفهمهم وجمعوا الكلام واحداً فيها كاهام مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متمايزة مختلفة وأبعدها من جنس الفنون والعلوم ومدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدلائل والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وأبحاثها وتوابعها كابتداء ونينه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والله أعلم بالصواب

﴿علوم السحر والطاسمات﴾

٢٢

هي علوم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر اما بغير معين أو بمعين من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو الطاسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقود بين الناس الا ما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين فان جميع من تقدمه من الانبياء بشرعوا الشرائع ولا جاؤا بالحكام انما كانت كتبهم مواظ وتوحيد الله وتذكير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والآثار ولم يترجم لئلا يكتسب فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفتوا فيه ووضعت بعد ذلك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم ثم ظهر بالمشرق جابر حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصنف كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرهما من التأليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لانها من توابعها الان حالة الاجسام النوعية من صور أخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر كما ذكر في موضعه * ثم جاء مسلمة بن أحمد الحر بطلي امام أهل الاندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهدبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده وانقدم هنا مقدمة يبين بها حقيقة السحر وذلك ان النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في الصنف الآخر وصارت تلك الخواص فطرة وحيلة لصفها فنفس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعدها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مروا يتبع ذلك من التأثير في الاكوان واستحلاب روحانية الكواكب لتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية فاما تأثير الانبياء فدلهي وخاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على الغيبات بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث يأتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آله ولا مبدئين وهذا هو الذي تسميه افلاسفة السحر والثاني بمعين من مزاج الافلاك أو العناصر أو خواص الاعداد ويسمونه الطاسمات وهو أضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في القوي المتخيلة بمقد صاحب هذا

وما شاقني والطيف يرهب
أدعي
ويسبح في بحر من الليل
مزبد
وقد سل خفاق الذوائب
بارق
كما سل للعاصف من
الغمد

التأثير التي القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من الرأيتين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكي عن بعضهم انه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذ أو الشعبة هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالريضة وريضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والسياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له والتوجه إلى غير الله كفر فلماذا كان السحر كفر أو الكفر من مواد وأسبابه كآراء وأختلاف الفقهاء في قتل الساحر هل هو كفره السابق على فعله أو لتصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في الاكوان والكل حاصل منه ولم كانت المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثالثة لاحقيقة لها اختلاف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو أنها هوتخيل فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى المرتبتين الاوليين والقائلون بأن لاحقيقة له نظروا إلى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم * واعلم أن وجود السحر لا مصرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على المذكين بابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يجزى إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاطة وجنب جامعة دفن في بئر ذروان فانزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر الغفقات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا نحات وأما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسيرانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثه موسى عليه السلام أسواق نافذة وهذا كان معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر وشواهد الله على ذلك ورأينا بالبيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مما يملكه أو يحاوله وجودة بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عينا ومعنى ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه تكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويقعد على ذلك المعنى في سبب أعداء ذلك تفاؤلا بالعقد والالزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفسه في فعله ذلك استعصار الهزيمة بالمعزم وتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النفخ متعاقبة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يجار له الساحر وشاهدنا أيضا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو متطوع متخرق ويسير إلى بطون النعم كذلك في مراعيها بالمعج إذا أمعأها ساقطة من بطونها إلى الأرض وسمعنا أن بارض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحت قلبه ويقع ميتا ويقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا أن بارض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتحابة وهي رك رفد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وثمانون ومعنى المتحابة أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها إذا جمع كان مساويا للعدد الآخر صاحبه فسمي لاجل ذلك المتحابة ونقل انتخاب الطلسمات أن لتلك الاعداد أثر في الالفه بين المتحابين واجتماعهما إذا وضع لهما مثالا أن أحدهما يطالع الزهرة وهي في بيتها أو شرفها

وهزت محلا بد الشوق في

الدجا

خل الذي أبرمت للصبر من

عقد

وأقلق خفاق الجوانح

نسمة

نتم مع الاصباح خافقة

البرد

ناظرة الى القمر نظر مودة وقبول ويحمل طالع الثاني سابع الاول ويضع على أحد التمثالين أحد الدبدبن والآخر على الآخر ويقصد بالاكثر الذي يراد امثاله أعني المحبوب ما أدى الاكثر كمية أو الاكثر أجزاء فيكون لذلك من التأييد العظيم بين المتحايين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر قاله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طابع الاسد ويسمى أيضا طابع الحمى وهو أن يرسم في قالب هنداصبع صورة أسد شاملا ذنبه عضا على حصة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حية مناسبة من رجليه الى قبالة وجهه فاضرة فاها الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويحين يرسمه حلول الشمس بالوجه الاول والثالث من الاسد بشرط صلاح الثيرين وسلامتهما من النحوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المتقال فسادونه من الذهب وغمس بعد في الزعفران محلولاً بماء الورد ورفع في خرقه حرير صفراء فأنهم يزعمون أن لمسكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت أيديهم ذكر ذلك أيضا أهل هذا الشأن في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ذكروا أنه يوضع عند حلول الشمس في شرفها وسلامتهما من النحوس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع نظر مودة وقبول ويصاح فيه ما يكون في موالي الملوك من الأدلة الشريفة ويرفع في خرقه حرير صفراء بعد أن يغمس في الطيب فزعموا أن له أثر في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وأمثال ذلك كثير وكتاب الغاية لمسامحة بن أحمد المجرطي هو مدونة هذه الصناعة وفيه استيفاءها وكال مسائلاها وذكر لنا أن الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك وسماه بالسمر المكتوم وأنه بالشرق يتداوله أهله ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من أئمة هذا الشأن فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف من هؤلاء المتحايين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت أولا أنهم يشيرون الى الكساء أو الجلد فيتخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام يهرب بذلك أهلهما ليعطو من فضائلها وهم متسترون بذلك في الناية خوفا على أنفسهم من الحكام اقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك وأخبروني أن لهم وجهة ورياسة خاصة بدعوات كفرية واشترك الروحانيات الجن والكواكب سطرت فيها خيفة عندهم تسمى الخزيرية تدارسونها وأن بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم وان التأثير الذي لهم انما هو فيما سوى الانسان الحر من المتاع والحياوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بقولهم انما نفعل فيما نمشي فيه الدراهم أي ما يملك ويبيع ويشترى من سائر المملكات هذا ما زعموه وسألت بعضهم فاجابني به وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفا على الكثير منها وعائدتها من غير ريب في ذلك هذا شأن السحر والطلسمات وآثارها في العالم فاما الفلاسفة ففقر قوا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنها جميعا أثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بأن لهمها آثارا في بدنها على غير المجري الطبيعي وأسبابها الجسمانية بل آثار عارضة من كيفية الارواح تارة كالسحونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط أو على جبل متصب اذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثيرا من الناس يمدون أنفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والجبل المتصب ولا يخافون السقوط فثبت أن ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من أجل الوهم وإذا كان ذلك أثر للنفس في بدنهم من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فحاز أن يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنهم اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه فثبت أنها مؤثرة في سائر الاجسام وأما الفارقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو أن السحر لا يحتاج الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات

وهب عيسى لفطي
بروده
أحاديث أهداها الى النور
من نجد
سوى صادق في الايك لم يدبر
مالهوى
ولكن دما في الشجون على
وعد

يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقول المنجمون ويقولون السحر اتحاد روح والطلم اتحاد روح بحسم ومعناه عندهم ربط الطبايع العلوية السماوية بالطبايع السفلية والطبايع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبها في غالب الأمر بالنجامة والساحر عندهم غير مكنتب لسحره بل هو مفتاور عندهم على تلك الحيلة المختصة بذلك النوع من التأثير والفرق عندهم بين المعجزة والسحر أن المعجزة قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وقوته النفسانية وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال فينبغي ما للفرق في المعقولة والحقيقة والذات في نفس الأمر وإنما استدلل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير ولانفوس المتمحضة للخير والتحدى بها على دعوى النبوة والسحر إنما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب من التفريق بين الزوجين وضرر الأعداء وأمثال ذلك ولانفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهم عند الحكماء الإلهيين وقد يوجد بعض المصوفة وأصحاب الكرامات تأثيراً أيضاً في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر وإنما هو بالإمداد الإلهي لأن طريقهم ونحوهم من آثار النبوة وتوابعها ولهم في المدد الإلهي حظ على قدر حالهم وإيمانهم وتمسكهم بكلمة الله وإذا اقتدر أحد منهم على أفعال الشر فلا يتأثر بها لأنه متعبد فيما يأتيه ويذره للأمر الإلهي فلا يقع لهم فيه الاذن لا يتأثر بوجهه ومن أتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بإمداد روح الله والقوى الإلهية فلذلك لا يعارضها شيء من السحر وانظر شأن سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلتفت ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضمحل كأن لم يكن وكذلك لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر النفثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرؤها على عقد من العقد التي سحر فيها إلا انحلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره وقد نقل المؤرخون أن زركش كلوبان وهي راية كسري كان فيها الفرق الثماني العدي منسوجاً بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الوقت ووجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الأرض بعد أن هزم أهل فارس وشأتهم وهو فيما تزعم أهل الطالسمات والأوقاف مخصوص بالغلب في الحروب وإن الراية التي يكون فيها أو معها الأتفهزم أصلاً الآن هذه عارضها المدد الإلهي من إيمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكلمة الله فأنحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون وأما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطالسمات وجعلته كله باباً واحداً محظوراً لأن الأفعال إنما أباح إننا الشارع منها ما هم منافي ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا وفي معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا هم منافي شيء منها فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع ويالحق به الطالسمات لأن أثرها واحد وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً على نفسه في الضرر وإن لم يكن مهماً علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من أن تركه إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطالسمات والشعوذة باباً واحداً لم فيها من الضرر وخصته بالخطر والتجريم وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدى وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قالوا والساحر مصروف عن مثل هذا التحدى فلا يقع له وقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فإذا اتفق المعجزة مع الكاذب باطلاقاً وأما الحكماء فالفرق بينهم ما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكلهم على طرفي النقيض في أصل فطرتهما والله يهدي من

فهل عند ليلى نعم الله
ليها
بأن جفوا في ما تلم من
السعد
ولاية اذوا في الحجيج الى
مضى
وفتلى المني منها ما شئت من
قصد

على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتشمل حيث هذه الصناعة على جزء من الفسقة وهو أحكام الوراثة من المفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهمان باعتبار الحكم انفعلي وهي من أجل العلوم وقديروا أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل الفرائض ثلث العلم وانها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى أن ظواهر تلك الاحاديث كلها تنسأ في الفرائض العينية كما تقدم لأفرائض الوراثة فلها أقل من أن تكون في كميتها ثلث العلم وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديما وحديثا وأوعبوا ومن أحسن التأليف على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الخو في كتاب ابن المنذر والجمدى والصردى وغيرهم لكن الفضل للحو في كتابه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا أبو عبد الله سليمان الشطبي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب ولا مام الحرم في تأليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع بانه في العلوم ورسوم قدمه وكذلك الخفية والخبابة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي من يشاء بمسره وكرمه لأرب سواه

العلوم الهندسية

١٥

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد وفيما يمرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزولياد مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يتقيان في وجهه ولو خرجا إلى غير نهاية ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزوايا المتقاطعتان منها متساويتان ومثل أن الأربعة مقادير التناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان وهو أبسط ما وضع فيها المتعلمين وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في المثلثات أيام أبي جعفر المنصور ونسخه محتلفة باختلاف المترجمين فيها الخمين بن اسحق واثاب بن قرة وليوسف ابن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مسألة أربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى بعض وثلاث في السدود العاشرة في المنطقات والتتوى على المنطقات ومنهام الجدور وخمس في الجسومات وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كإفساها ابن سينا في تعاليم الشفاء وأفرده جزءا منها اختصده وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصار وغيرهم وشرحه آخرون شرحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاء في عقله واستقامة في فكره لأن براهينها كلها بآلة النظام جلية الترتيب لا يكاد العاقل يدخل أقيسها الترتيبها وانظامها فيعبد الفكر بممارستها عن الخطأ وينشأ صاحبها عقل على ذلك المهييع وقد زعموا أنه كان مكتوبا على باب أفلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل منزلا وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون لاثوب الذي يغسل منه الاقدار وينقيه من الاوضار والادرن وانما ذلك لما أشرنا اليه من ترتيبه وانظامه (ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والخروطات) أما أشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين ثاود وسيوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها كتاب ثاود وسيوس مقدم في التعاليم على كتاب ميلاوش ولوقت كثير من براهينه عليه ولا بد منها لمن يريد الخوض في علم الهيئة لأن براهينها متوقفة عليها فالأقسام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يمرض فيها من القطوع والدوائر بأسباب الحركات كذا ذكره فقد يتوقف على معرفة أحكام الاشكال الكرية بسطوحها وقطوعها وأما الخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطية من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يمرض لذلك من العوارض براهين هندسية

صحت لها أني تجاذبني
الهوى
وما شوقها شوقي ولا وجدها
وجدى
لئن شاقها بين العسديب
وبارق
ميام بقى الظلل لابسان
والرند

متوقفة على التعليم الاول وفانتهاتظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل النجارة والبناء وكيف
تصنع التماثيل الغريبة والهاياكل النادرة وكيف تحيل على جبر الاثقال ونقل الهاياكل بالهندام والميخال وأمثال
ذلك وقد أفرده بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية يتضمن من الصنائع الغريبة والحيل المستظرفة
كل عجيبه وربما استغلق على الفهوم لصعوبة برأيه الهندسية وهو موجود بأيدي الناس ينسبون اليه في شاكر
والله تعالى أعلم (ومن فروع الهندسة المساحة) وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار
الارض المعلومه بنسبة شبر أو ذراع أو غيرها أو نسبة ارض من ارض اذا قويت بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في
توظيف الخراج على المزارع والقدن وبساتين الفراسه وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركاء أو الورثة
وأمثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بتمه وكرمه (المنظر من فروع
الهندسة) وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على أن ادراك البصر يكون
بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبير أو البعيد صغيرا
وكذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما
والساعة دائرة وأمثال ذلك فيتبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفية تلافياها بالبراهين الهندسية ويتبين به أيضا اختلاف
المنظر في القمر باختلاف العروض الذي ينبت عليه معرفة رؤية الاهلة وحصول الكسوفات وكثير من أمثال
هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين وأشهر من ألف فيه من الاسلاميين ابن الهيثم وغيره فبدأ أيضا
تأليف وهو من هذه الرياضة وتفايرها

علم الهيئة

١٦

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال
وأوضاع الافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كبايرهن على أن مركز الارض مبين
لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود
أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكايرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب
الثابتة وكايرهن على تعدد الافلاك للكواكب الواحد بمعدد الميول له وأمثال ذلك وادراك الموجود من
الحركات وكيفية اجناسها انما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال والادبار به وكذا تركيب الافلاك في
طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات
التي توضع لرصدها حركة الكواكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في
مطابقة حركاتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس وأما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام
المأمون شيء منه وصنع الآلة المعروفة بالرصد المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولم يات به رسمه
وأغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحجاب وان مطابقة
حركة الآلة في الرصد بحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطي التحقيق فاذا طال الزمان
ظهر تفاوت ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السموات
وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي أن هذه الهيئة والهاياكل للافلاك لزمت عن هذه الحركات
وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على
وجود الملزوم ولا يعطي الحقيقة بوجهه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعاليم ومن أحسن التأليف فيه كتاب
المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حقه ثم شرح الكتاب
وقد اختصره الائمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء ولخصه ابن رشد أيضا من حكماء

فما شاقني الابدور
خدورها

وقد لحن يوم النفر في قضب

ملد

فكم في قباب الحمي من شمس

كلة

وفي فلك الازرار من قمر

سعد

المشاهدة وانما يرجع الى ما اقتضته أصول طريقهم السحرية من اقسام الكواكب لجميع ما في عالم المكونات من
جواهر وأحراض وذوات ومعان والحروف والاسماء من جملة ما فيه فلكل واحد من الكواكب قسم منها يخصه
وينون على ذلك مباني غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو كما فعله مسلمة الحارثي في
الغاية والظاهر من حال البوني في أنماطه انه اعتبر طريقهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها وتصفحت الدعوات
انتي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها
وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب يسمونها قيامات الكواكب أي الدعوة التي يقام لها شهده ذلك اما بانها من
مادتها أو بان التناسب الذي كان في أصل الابداع وبرزخ العلم قفى بذلك كله وما أوتيتهم من العلم الا قليلا وليس
كل ما حرمه الشارع من العلوم بمنكر ان ثبت ان السحر حق مع حظره لكن حسبنا من العلم ما علمنا (ومن
فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة) بار تباطات بين الكلمات حرفية يوهون أنها أصل
في معرفة ما يحاولون علمه من الكائنات المستقبلية وانما هي شبه المعاني والمساائل السائلة ولهم في ذلك كلام
كثير من أدعية وأعجيبه زيارحة العالم السبتي وقد تقدم ذكرها ونين هنا ما ذكره في كيفية العمل بتلك
الزيارحة بدائرتها وجدولها المذكوب حولها ثم نكشف عن الحق فيها وانما ليست من الغيب وانما هي
مطابقة بين مسألة وجودها في الافادة فقط وقد أشرنا الى ذلك من قبل وليس عندنا رواية يعول عليها في صحة هذه
التقسيدة الا أنما تحريرا أصبح النسخ منها في ظاهرا الامر والله الموفق بمنه وهي هذه

ومن نال في ليل الشباب
ضلالة
سيوقظه صبح المشيب الى
الرشد
أما والهوى ما حدث عن
سنن الهدى
ولا جرت في طرق الصباية
عن قصد

يقول سديقي ويحمد ربه * مصل على هادي الناس أرسلا
محمد المبعوث خاتم الانبيا * ويرضى عن الصجب ومن لهم تلا
أله هذه زيارحة العالم الذي * ترامنجيك وبالعقل قد حلا
فن أحكام الوضع فيحكم جسمه * ويدرك أحكاما تدبرها العدا
ومن أحكام الربط فيدرك قوة * ويدرك للتقوى وللنيل حصلا
ومن أحكام التصريف فيحكم سره * ويعقل نفسه وصح له الولا
وفي عالم الامر تراه محققا * وهذا مقام من بالاذكار كرسلا
فهذي سر اثر عليكم بكتهم * أقسمها دوائرنا وللحاء عدلا
فطاء لها عرش وفيه نقوشنا * بنظم ونثر قد ترامعجدولا
ونسب دوائر كنسبة فلكها * وارسم كواكبا لدراجها العدا
وأخرج لاوتار وأرسم حروفها * وكور بمثلها على حدمن خلا
أقم شكل زيرهم وسو بيوتهم * وحقق بهامهم ونورهم جلا
وحصل علومها للطباع مهندسا * وعلمنا لموسقي والارباع مثلا
وسو لموسيقى وعلم حروفهم * وعلم باللات خفق وحصلا
وسو دوائرنا ونسب حروفها * وعلمها لطلق والاقام جدولا
أمير لنا فهو نهاية دولة * زناية آت وحكم لها خلا
وقطر لأندلس فابن هو دهم * وجاء بنو نصر وظفرهم تلا
ملوك وفرسان وأهل الحكمة * فان شئت نصهم وقطرهم حلا
ومهدى توحيد بتونس حكمهم * ملوك بالشرق بالافاق نزلا
واقسم على القطر وكن متفقدنا * فان شئت للروم فبالحرش كلا

ففضش ويرشنون الرءاء حرفهم * وافر نسهم دال وبالطاء كمالا
ملوك كناوة ودلو لقافهم * واعراب قومنا بترقيق اعملا
فهند حباشى وسند فهرمس * وفرس ططارى وما بهدم طلا
فقيصرهم حاء ويزد جردهم * لكاف وقبطهم بلامه طولا
وعباس كلهم شريف معظم * ولا كن تركى بذال الفعل عطلا
فان شئت تدقيق الملوك وكلهم * نخم يوتاهم نسب وجدولا
على حكم قانون الحروف وعلمها * وعلم طبائنها وكماله مثالا
فمن علم العلوم يعلم علمنا * ويعلم اسرار الوجود وأكمالا
فيرسخ علمه ويعرف ربه * وعلم ملا حيم يحا ميم فصلا
وحيث اتى اسم والعروض يشقه * فحكم الحكيم فيه قطعا ليقلا
وتأنيك أحرف فسوا لضميرها * وأحرف سيويه تأنيك فيصلا
فمكن بتكثير وقابل وعوضن * بترسيمك الغالى للاجزاء خلخلا
وفى العقد والحجز ويعرف غالبا * وزداج وصفه فى العقل فعلا
واختار لمطلع وسويوه رتبة * واعكس مجذريه وبالذور عدلا
ويدركها المرء فيبلغ قصده * وتمطي حروفها وفى نظمها انجلا
اذا كان سعد والكواكب أسعدت * فحسبك فى الملك ونيل اسمه العلا
واقاع دالهم بحر موزنة * فنسب دنادينا تجديف فيه منها
وأوتار زيرهم فللحاء بهم * ومثناهم المثلث بحيمه قدجلا
وادخل بافلاك وعدل بجداول * وارسم أباجاد وبقية جدلا
وجوز شذوذ النحو ويجوز ومثله * أتي فى عروض الشعر عن جملة ملا
فاصل لدينا وأصل افقهنا * وعلم لنحونا فاحفظ وحصلا
فادخل لقسطاط على الوقى جذره * وسبح باسمه وكبر وهالا
فتخرج أينا نا وفى كل مطلب * بنظم طبيعى وسر من العلا
وتنفى بحصرها كذا حكم عدهم * فعمل الفواتيح تري فيه منها
فتخرج أينا نا وعشرون ضعف * من الالف طبيعيا فصاح جدولا
تريك صنائعا من الضرب أكلت * فصح لك المنى وصح لك العلا
وسجع زيرهم وأثنى بنقرة * أقمها دوائر الزير وحصلا
أقمها باوفاق وأصل لعددها * من اسرار أحرفهم فعذبه سلسلا

٤٣ ك و ك ح و ا ه عم له ر لا سع ك ط ا ل م ن ح ع ف
ول منافرة

الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة الدرجة المتميزة بالنسبة الى موضع

المعلق من امتزاج طبائع وعلم طب أو صناعة الكيمياء

أباطالبا للطب مع علم جابر * وعالم مقدار المقادير بالولا

اذا شئت علم الطب لا بداسة * لاحكام ميزان تصادف منها

تجاوزت حد العاشقين الالى
مضوا
وأقفر ربع القلب الامن
الوجد
اليك أبا زيد شكاة
رفعها
وما أنت من عمر ولدى ولا
زيد

طريقك هذا السيل والسبل الذي
إذا شئت تخيافي الوجود مع التقي
كذي الثون والجديد مع سر صنة
وفي العالم العلوي تكون محدثا
طريق رسول الله بالحق سامع
فبطشك تهليل وقوسك مطلع
وفي جملة أيضا بالاسماء مثله
وفي طائفة سر وفي هائه اذا
وساعة سعد شرطهم في نفوسها
وتتلو عليها آخر الحشر دعوة

(اتصال أنوار الكواكب) بلعاني لاهي لا ظغش لدسع قصح ه ف و ي

وفي يدك اليعنى حديد وخاتم
وآية حشر فاجعل القلب وجهها
هي السر في الاكوان لاشئ غيرها
تكون بها قطبا اذا جدت خدمة
سرى بها ناجي ومعروف قبيله
وكان بها الشبل يدأب دائما
فصف من الادناس قلبك جاهدا
فما نال سر القسوم الا محقق

وصفق حتى الريح في لم
الربى
وأشفق حتى الطفل في كبد
الهد
يقاباني منك الصباح
بوجنة
حكي شفافيه الحياه الذي
تبدي

ع صبح وسلم ع ٢٢ ك ملح ١١١ ملح ————— سحاع ٨٨ ح ١١ ح ٢ ف
ك صبح ا ب رم

مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتعشق

وفناء الفناء وتوجه ومراقبة وخلة دائمة

الانفعال الطبيعي

لسبر جيس في الحجة الوفق صرفوا
وقيل بنفضة صحيجا رأيت
توخ به زيادة النور للقم
ويومه والبخور عود الهند هم
ودعوتهم بنساية فهي أعمات
وقيل بدعوة حروف لو ضمها
فتنقش أحرفا بدال ولا مها
اذا لم يكن يهوى هو الك دلا لها
بقردير او نحاس الخلط أكملا
فجماك طالما خطوطه ما علا
وجماك للقبول شمسه أسلا
ووقت لساعة ودعوتها ألا
وعن طسيان دعوة ولها جلا
بحر هو اء أو مطالب أهلا
وذلك وفق للمربع حصلا
فدال ليبدو واو زينب معطلا

فحسن لبائهم وبائهم اذا
هو اك و باقيم قلبيلة حلا
ونقش مشا كل بشرط لوضعهم
وما زدت أنسبه لملك عد لا
ومفتاح مر يم ففعلهما سوي
فيورى وبسطاى بسورتها تالا
وجملك بالقصد وكن متفقدا
أدلة و حتى لقبضة مبيلا
فأعكس بيوتها بالف ونيف
فباطنها سر وفي سرها أنجلا

(فصل في المقامات للنهاية)

لك الغيب صورة من العالم العلا
وتوجدها دار او ملبسها الحلا
ويوسف في الحسن وهذا شديده
بنثرو ترتيل حقيقة أنزلا
وفي يده طول وفي الغيب ناطق
فيحكي الى عود يحاوب بلبللا
وقدجن بهلول بعشق جمالها
وعند تجليها لبسطام اخذلا
ومات أجليته وأشرب حبها
جنيد وبصري وللجسم أهمللا
فقطب في التهايل غايته ومن
بأسعانه الحسنى بالانسة خلا
ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمنى
ويسهم بالزافى لدى حيرة العلا
ونجبر بالغيب اذا جدت خدمة
تريك عجائبها بمن كان موثلا
فهذا هو الفوز وحسن تناله
ومنها زيادات لتفسيرها تلا

(الوصية والتختم والايان والاسلام والتجريم والاهلية)
فهذا قصيدنا وتسعون عده
ومازاد خطبة وخبأ وجدولا
عجبت لايات وتسعون عدها
تولدا يياتا وما حصرها أنجلا
فمن فهم السر فيهم نفسه
ويقيم تفسيراً مشابه اشكلا
حرام وشري لاظهار سرنا
لناس وان خصوا وكان التاهلا
فان شئت أهليه فغاظيهم
وتفهم برحمة ودين تطولا
لملك أن تجو وسامع سرهم
من القطلع والافشا فترأس بالعلا
فنجعل لعباس لمره كاتم
فقال سعادات وتابعه علا
وقام رسول الله في الناس خاطبا
فمن يرأسن عرشا فذلك أكمللا
وقدر كالأرواح أجساد مظهر
فألت لقتلهم بدق تطولا
الى العالم العلوي يفتى فئاونا
ويابس أنواب الوجود على الولا
فقدتم نظمنا وصل الهنا
على خاتم الرسل صلاة بها العلا
وصل اله العرش ذوالمجد والعلا
علي سيد ساد الانام وكمللا
محمد الهادي الشفيع امامنا
وأخو ابيه أهل المكارم والعلا

وتوهي الشمس المنيرة
غرة
بوجهك صان الله وجهك عن
رد
محياك أحلى في العيون من
المنجي
وذكرك أحلى في الشفاه من
الشهد

مرتبة ناسه غن الحله سرح اسع ص مع ٧ ا س ه ح و ط ع

الكو ا ب عند كل تاريخ مطلوب ب س ر ك ل و و ا ه

لوط رح الا وتار الكلية ٢ م م ع ع ا ل ه ح

الاول تم ٨ م ٣ م ٥ م ح عو ٥ عو ٨ عو ح ا د عو عو عو ص ح

كملت الزايرة

كيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زايرة العام بحول الله

منقولاً عن ائمة القائلين عليها

السؤال له ثمانية وستون جواباً بدرجة الدرج وتختلف الاجوبة عن سؤال واحد في طالع مخصوص باختلاف الاسئلة
المضافة الى حروف الاوتار وتناسب العمل من استخراج الاحرف من بيت القصيد (تنبيه) تركيب حروف
الاول والجدول على ثلاثة أصول حروف عربية تنقل على هيأتها وحروف برسم الفبار وهذه تبدل فيها
ما ينقل على هيئته متى لم ترد الاوتار عن أربعة فان زادت عن أربعة نقلت الى المرتبة الثانية من مرتبة العشر مرات
وكذلك المرتبة المئين على حسب العمل كسنيته ومنها حروف برسم الزمام كذلك غير أن رسم الزمام يعطي
نسبة ثانية فهي بمنزلة واحد ألف وبنزلة عشرة وله نسبة من خمسة بالعربي فاستحق البيت من الجدول أن توضع
فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم فاقتصر وامن الجدول بوتاخالية متى كانت أصول الادوار
زائدة على أربعة حسب في العدد في طول الجدول وان لم تزد على أربعة لم يحسب الا العام منها (والعمل في السؤال
يفتقر الى سبعة أصول) عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحتها اثني عشر اثني عشر وهي ثمانية ادوارا
في الكامل وستة في الناقص ابداء معرفة درج الطالع وسلطان البرج والدور الاكبر الاصل وهو واحد ابداء وما
يخرج من اضافة الطالع للدور الاصل وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج واطافة سلطان البرج
للطالع والعمل جميعه ينتج عن ثلاثة ادوار مضروبة في أربعة تكون اثني عشر دورا ونسبة هذه الثلاثة الادوار
التي هي كل دور من أربعة نشأة ثلاثية كل نشأة لها ابتداء ثم انما تضرب ادوارا رباعية ايضا ثلاثية ثم انما من
ضرب ستة في اثنين فكان لها نشأة يظهر ذلك في العمل ويتبع هذه الادوار الاثني عشر نتائج وهي في الادوار اما
أن تكون نتيجة أو أكثر الى ستة فأول ذلك تفرض سؤال الا عن الزايرة هل هي علم قديم أو محدث بطالع أول
درجة من القوس أثناء حروف الاوتار ثم حروف السؤال فوضعنا حروف وتر رأس القوس ونظيره من رأس
الجوزاء وناله وتر رأس الدلو الى حد المركز وأضفنا الى حروف السؤال ونظرنا عدتها وأقل ما تكون ثمانية
وثم اثنين وأكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سؤال الثلاثة وتسعين ويختصر
السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الاثني عشرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في
سؤال السبعة ادوار الباقي تسعة اثني عشر في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثني عشر درجة فان بلغها لم تثبت لها عدة ولا دور
ثم تثبت أعدادها ايضا زاد الطالع عن أربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان
الطالع وهو أربعة والدور الاكبر وهو واحد واجمع ما بين الطالع والدور وهو اثنان في هذا السؤال واضرب
ما خرج منهم في سلطان البرج يبلغ ثمانية وأضف السلطان للطالع فيكون خمسة فهذه سبعة أصول فما خرج من
ضرب الطالع والدور الاكبر في سلطان القوس مما لم يبلغ اثني عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من أسفل الجدول
صاعدا وان زاد على اثني عشر طرح ادوارا تدخل بالباقي في ضلع ثمانية وتعلم على منتهي العدد والخمسة
المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع السطح المتوسط الاعلى من الجدول وتعد متواليات
ادوارا وتحفظها الى أن يقف العدد على حرف من أربعة وهي ألف أو باء أو جيم أو زاي فوق العدد في عملنا على
حرف الف والالف وخلف ثلاثة ادوار فضرر بنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فثبتته واجمع ما بين
الضلعين القائم والمتوسط يكن في بيت ثمانية في مقابلة البيوت العائرة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الحالي
من بيوت الجدول على أحدها فلا يعتبر وتستمر على ادوارك وادخل بعدد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر

وما أنت الا الشمس في علو

أفقه

تفديك من قرب وتلاحظ

من بعد

وفي غمة من لا ترى الشمس

عينه

وما نفع نور الشمس في الاعين

الرمد

الجدول مما يلي البيت الذي اجتماع فيه وهي ثمانية مارا الى جهة اليسار فوقع على حرف لام ألف ولا يخرج منها أبدا حرف مركب وانما هو اذن حرف تاء آر بمائة برسم الزمام فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار وأثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون تدريكم تدور الحروف في النظم الطبيعي وذلك أن تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو أربعة تبلغ ثلاثة عشر أضغفها بمثلها تكون ستة وعشرين أسقط منها درج الطالع وهو واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم ثلاثة وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى أن ينتهي لواحد من آخر البيت المنظوم ولا تقف على أربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد أولا ثم ضع الدور الثاني وأضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من ضرب الطالع والدور في السلطان تكن سبعة عشر الباقي خمسة فاضغف في ضلع ثمانية بخمسة من حيث انتهت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر ثم بخمسة ولا تعد الحالي والدور عشرين فوجدنا حرف تاء خمسة وانما هو نون لان دور ثاني مرتبة العشرات فكانت الخمسة بخمسين لان دور هاسبعة عشر فلم تكن سبعة عشر لكانت مئينا فثبت نونا ثم ادخل بخمسة أيضا من أوله وانظر ما حذى ذلك من السطح تجدد واحد اقته قهر العدد واحد يقع على خمسة أضف لها واحد السطح تكن ستة أثبت واو او علم عليها من بيت القصيد أربعة وأضغفها لثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثني عشر أضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا بسبعة عشر في حروف الاوتار فوقع العدد على واحد أثبت الألف وعلم عليها من بيت القصيد وأسقط من حروف الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث وأضف خمسة الى ثمانية تكن ثلاثة عشر الباقي واحد اقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار وأثبت ما خرج وهو سين وعلم عليه من بيت القصيد ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فخذ مما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو أن تضغف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قبله من السطح وأضغفه بمثله وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت للجملة سبعة فذلك حرف زاي فأثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه أن تضغف السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا آخر أدوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور آخر العمل في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار والصعد بتسعة في ضلع ثمانية وادخل بتسعة من دور الحرف الذي أخذناه آخر من بيت القصيد فالتسع حرف راء فثبتته وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قبلها من السطح يكون ج قهر العدد واحد يكون ألف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد فأثبتته وعلم عليه وعدم ما يلي الثاني تسعة يكون ألف أيضا أثبتته وعلم عليه واضرب على حرف من الاوتار وأضغف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية وأربعين وادخل ثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س أثبتها وعلم عليها اثنين وأضف اثنين الى تسعة تكون أحد عشر ادخل في صدر الجدول بأحد عشر تقابلها من السطح ألف أثبتها وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعده سبعة عشر الباقي خمسة أضغفها بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على حرفين من الاوتار وأضغف

من القوم صانوا المجدصون
عيونهم
كما قد أباحوا المال ينهب
لألف
إذا ازدحموا يوما على الماء
أسوة
فما زدحموا الأعلى مورد
المجد

خسة بمثلها وأضفها الي سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون ادخل بها في حروف الاوتار تقع على ب
 اثبتها وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس اثنين وثلاثين الباقي خسة عشر ادخل
 بها في حروف الاوتار تقف على ق اثبتها وعلم عليها ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بست وعشرين
 تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف ب اثبتها وعلم عليه أربعة وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع
 الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحدتين اذ ذلك أن دور النظم من خسة وعشرين فان الادوار خسة
 وعشرون وسبعة عشر وخسة وثلاثة عشر وواحد فاضرب خسة في خسة تكن خسة وعشرين وهو الدور في
 نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور
 ثان من نشأة تركيبة ثانية بل أضفنا الاربعة التي من أربعة وخمسين الخارجة على حروف ب من بيت القصيد الي
 الواحد تكون خسة تضيف خسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في صدر الجدول وخذ
 ما قابلهما من السطح وهو ألف اثبتها وعلم عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن
 هذا الجدول تنظر أحرف السؤال فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤال
 ليكون داخل في العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد ذلك مناسبا لحروف السؤال فما خرج
 منها زده الي بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم أضف الي ثمانية عشر معلمة على حرف الالف من الأحاد
 فكانت اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء اثبتها وعلم عليه من بيت القصيد
 ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوتري فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتداء
 لمتخرج ثان ينشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة تضيف لها واحداتكون عشرة للنشأة الثانية وهذا
 الواحد تزيد بعد الى اثني عشر دورا اذا كان من هذه النسبة أو تنقصه من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاضمد
 في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسمائة وانما هي خمسون نون مضاعفة بمثلها
 وتلك ق اثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين وأسقط من اثنين وخمسين اثنين وأسقط تسعة التي
 للدور الباقي واحد وأربعون فادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد اثبتها وكذلك ادخل بها في بيت القصيد
 تجدوا حادافها ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني
 وأخرى على الالف الاولى فقط والثانية أربعة وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن
 وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عين سبعين
 اثبتها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قابلهما من السطح وذلك واحد اثبتها وعلم عليه من البيت ثمانية
 وأربعين وأسقط واحدا من ثمانية وأربعين للاس الثاني وأضف اليها خسة الدور الجملة اثنان وخمسون ادخل
 بها في صدر الجدول تقف على حرف ب غبارية وهي مرتبة مئينية لتزايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء
 اثبتها وعلم عليها من القصيد أربعة وعشرين فانتقل الامر من ستة وتسعين الي الابداء وهو أربعة وعشرون
 فاضف الى أربعة وعشرين خمسة الدور وأسقط واحداتكون الجملة ثمانية وعشرين ادخل بالنصف
 منها في بيت القصيد تقف على ثمانية اثبت ٢ وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحدا
 صمد في ضلع ثمانية بواحد وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه
 من النشأة الثانية ولانه أول الثلث الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الاربعة من المثلثات فاضرب ثلاثة
 عشر التي للدور في أربعة التي هي مثلثات البروج السابقة الجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول
 تقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في العدد عن مرتبتي الآحاد والعشرات فأثبت مائتين
 راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية وأربعين وأضف الي ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل بأربعة

ومهما أغار وامنجدين

صريحهم

يشبون نار الحرب في الغور

والنجد

ولم يقتلوا بعد التواء

ذخيرة

سوى الصارم المصقول

والصافن النهد

عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من أربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام أثبتته و علم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خلافا فصعد بتسعة ثمانية تصير في السابع من الابتداء اضرب تسعة في أربعة لصعودنا بتسعين وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول بستة وثلاثين تقف على أربعة زمامية وهي عشرية فأخذناها أحادية لقلّة الادوار فأثبت حرف دال وان أضفت الي ستة وثلاثين واحدا لاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولو دخلت بالتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول لو وقف على ثمانية فاطرح من ثمانية أربعة الباقي أربعة وهو المقصود ولو دخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين لو وقف على واحد زمامي وهو عشرة فاطرح منه اثنين تكرار التسعة الباقي ثمانية نصفها المطلوب ولو دخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضر بها في ثلاثة لو قفت على عشرة زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد وأثبت ما خرج وهو ألف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط واحدا وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين وأثبت ما خرج وهو مائتان بحرف راو علم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الحادي عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر عليه المشي في الدور الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال فخذ ما قبله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في بيت القصيد تكن تسعين أثبتته و علم عليه أربعة ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد ثلاثة وأضعف سبعة عشر بمثلها وأسقط واحدا وأضعفها بمثلها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في الاوتار تقف على ستة أثبتتها و علم عليها وأضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت تقف على لام أثبتتها و علم عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشر وله ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور آخر الادوار وآخر الاختراعين وآخر المراتب الثلاثية وآخر المثلثات الرباعية والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية وانما هي أحاد ثمانية وليس معن من الادوار الواحد فلوزاد عن أربعة من مراتب اثني عشر أو ثلاثة من مثلثات اثني عشر فكانت ح وانما هي د فأثبتها و علم عليها من بيت القصيد أربعة وسبعين ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن خمسة أضعفها بمثلها لاس تبلغ عشرة أثبتت ي و علم عليها وانظر في أي المراتب وقت وجدناها في الرابعة دخنا بسبعة في حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى اتوليد الحرف فكانت ف أثبتتها وأضف الى سبعة واحد الدور الجملية ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س أثبتتها و علم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور فلها آخر مراتب الادوار بالمثلثات تبلغ أربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيد و علم على ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون وهونهاية الدور الثاني في الادوار الحرفية واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة وهذا العدد يناسب أبدا الباقي من حروف الاوتار بعد طرحها أدوار او ذلك تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار وأضف لها واحدا الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ ألف أثبتته و علم عليه ستة وتسعين وان ضربت سبعة التي هي أدوار الحروف التسعينية في أربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية واضرب تسعة في مائتان من السطح وذلك ثلاثة وأضف لذلك سبعة عدد الاوتار الحرفية واطرح واحدا الباقي من دوراتي عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ خمسة فائتها وأضعف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل به في حروف الاوتار تبلغ م أثبتته و علم عليه

وما اقتسم الا نقال الا
مدح
ملاها باعراف المطهمة
الجرد
أتني ولا تنسي لياينا
التي
خلصنا بها العيين من جنة
الجلد

واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر أضف لها واحدا الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل بستة عشر في بيت القصيد تبلغ اثنته وعلم عليه أربعة وستين وأضف الي خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزد واحدا الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجدول تبلغ ثلاثين زما ميسة وانظر ما في السطح تجد واحدا اثنته وعلم عليه من بيت القصيد وهو التاسع أيضا من البيت وادخل بتسعة في صدر الجدول تقف على ثلاثة وهي عشرات ثابتة لا موعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فانقل في ضلع ثمانية بواحد وأضف الي ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكن لا ما اثنته فهذا آخر العمل والمثال في هذا السؤال السابق أردنا أن نعلم أن هذه الزايرة علم محدث أو قديم بطالع أول درجة من القوس أثبتنا حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون أدوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس أربعة الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن * غرائب شك ضبطه الجدم مثلا

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه س ا ن ل م ن ص ع ف
ص و ر س ك ل م ن س ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش ط ي ع
ح ص ر و ح ر و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي

﴿حروف السؤال﴾ ال ز ا ي ر ج ت ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م الدور الاول
٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩ الدور الخامس ١٧
الباقي ٥ الدور السادس ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع
١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور الثاني عشر ١٣ الباقي
١ النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة ١٣ الباقي ١

ه ع ح و ع ع ا ي ع

- ١ س
- ٢ و
- ٣ ا
- ٤ ل
- ٥ ع
- ٦ ظ
- ٧ ي
- ٨ م
- ٩ ا
- ١٠ ل
- ١١ خ

ركبنا الى اللذات في طلق

الصبا

مطايا الليالي وادعين الي

حد

فان لم ندر فيها الكؤوس

فاننا

وردناها للأنس مستعذب

الورد

- ١٢ _____ ل
 ١٣ _____ ق
 ١٤ _____ ح
 ١٥ _____ ز
 ١٦ _____ ت
 ١٧ _____ ف
 ١٨ _____ ص
 ١٩ _____ ن
 ٢٠ _____ ا
 ٢١ _____ ذ
 ٢٢ _____ ن
 ٢٣ _____ غ
 ٢٤ _____ ر
 ٢٥ _____ ا
 ٢٦ _____ ي
 ٢٧ _____ ب
 ٢٨ _____ ش
 ٢٩ _____ ك
 ٣٠ _____ ض
 ٣١ _____ ب
 ٣٢ _____ ط
 ٣٣ _____ ه
 ٣٤ _____ ا
 ٣٥ _____ ل
 ٣٦ _____ ج
 ٣٧ _____ د
 ٣٨ _____ م
 ٣٩ _____ ث
 ٤٠ _____ ل
 ٤١ _____ ا

لقيتكم في غرب وأنت
 رئيسه
 وبابك للاغلام مجتمع
 الوفد
 فأنت حتى ما شكوت
 بغربة
 وواليت حتى أم أجد مضض
 اللقد

ف و ز ا و س ر ر ا ا س ا ب ا ر ق ا ع ا ر ص ح ر ح ل د ا ر س ا ل
 د ي و س ر ا د م ن ا ل ل

دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين الي أن تنهي الي الواحد
 من آخر اليت وتنقل الحروف جميعا والله أعلم ن ف ر و ح ر و ح ا ل و د س ا د ر ر

س ر م ا ل د ر ي س و ا ن س د ر و ا ب ل ا م ر ب و ا ل ع ل ل
هذا آخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايحة العالم منظومة وللقوم طرائق أخرى من غير الزايحة
يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم ان السرف في استخراج الجواب منظومة من الزايحة انما
هو مزجهم بيت مالك بن وهيب وهو * سؤال عظيم الخلق اليت ولذلك يخرج الجواب على رويه وأما
الطرق الاخرى فيخرج الجواب غير منظوم فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما نقله عن بعض
المحققين منهم

فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية

اعلم أرشدنا الله وياك أن هذه الحروف أصل الاسئلة في كل قضية وانما تستنتج الاجوبة على تجزئتها بالكلية وهي
ثلاثة وأربعون حرفا كما تري والله علام الغيوب ا و ل ا ع ظ س ا م خ ي د ل ز ق ت
ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ك ي ب م ض ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا و قد
نظمها بعض الفضلاء في بيت جمل فيه كل حرف مشدد من حرفين وسماه القطب فقال

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن * غرائب شك ضبطه الجدم مثلا

فاذا أردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر من حروفها وأثبت ما فضل منه ثم احذف من الاصل وهو القطب
الكل حرف فضل من المسئلة حرفا ثلثة وأثبت ما فضل منه ثم امزج الفضلين في سطر واحد تبدأ بالاول من
فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا الي أن يتم الفضلان أو ينفذ أحدهما قبل الآخر فتضع البقية على ترتيبها فاذا
كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح حينئذ تنصف اليها
خمسة نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية وأربعين حرفا فتعمر بها جدولاً مراً بما يكون
آخر ما في السطر الاول أول ما في السطر الثاني وتنقل البقية على حالها وهكذا الي أن تتم عبارة الجدول ويعود
السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف بقسمة مربعة على أعظم
جزء يوجب له وتضع الوتر مقابلاً لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية وتعرف قوتها
الطبيعية وموازنها الروحية وغرائبها الفسائية وأسسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه
صورته

وعدت لقطري شاكرا
مابلوته
من الخلق المحمود والحسب
العد
الى أن أجزت البحر يا بحر
نحوها
وزرت مزار الغيث في عتب
الجهد

التي
بالا
ل

ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أسوس أو تاد الفلك الاربعة واحد مابلي الاوتاد وكذلك السواقط لان
نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو أول رتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتحط منها أسوس الموادات يبقى
أس عالم الخلق بعد عروضة للمد الكونية فتحمل عليه بعض الجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج أفق
النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعوالم الاكوان
البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج الأفق الاعلى فتحمل عليه أول رتب
السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان فتضرب مجموع أجزء
العناصر الاربعة أبدأ في رابع مرتبة السريان يخرج أول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل
والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل
وتحط من عالم الكل تبقى العوالم الخمسة فتقسم على الأفق الاعلى يخرج الجزء الاول ويقسم المنكسر على الأفق
الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في الرابع وان شئت أكثر من الرابع

فتستكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوافق بعد الحروف والله يرشدنا ويايك وكذلك اذا قسم
 عالم التجريد على أول رتب السريان خرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم
 الكون فافهم وتدبر والله المرشد المعين * ومن طريقهم أيضا في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم
 اعلام أيده الله ويايك بروح منه أن علم الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل به غيره من العلوم المتداولة بين
 العالم وللعامل به شرائط تلتزم وقد يستخرج العالم أسرار الخلية وسر اثر الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجة
 الفلسفة أعنى السيمياء وأختها ويرفع له حجاب المجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت
 جماعة بأرض المغرب ممن اتصل بذلك فأظهر الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتأييد الله واعلم أن
 ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الماسكة مع الصبر مفتاح كل خير كما أن الخرق والعجلة رأس الحرمان فأقول
 اذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفايطوس أعنى أبجد الى آخر العدد وهذا أول مدخل من علم
 الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحروف هي قوة في الجسمانيات ثم
 اضرب العدد في مثله تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بغير المنقوطة
 لان المنقوطة منها مراتب لمعان يأتي عليها البيان فيما بعد واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلا في
 العالم العلوي أعنى الكروي ومنها المتحرك والسكن والعلوي والسفلي كما هو مرقوم في أما كنه من الجداول
 الموضوع في الزيارج واعلم أن قوى الحروف ثلاثة أقسام الاول وهو أقلها قوة تظهر بعد كتابتها بملء كبر
 كتابته عالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتخرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همه كانت قوى
 الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها
 فهي قوة في الروحانيات العلويات وقوة شكلية في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجمع الباطن أعنى القوت
 النفسانية على تكوينه فتكون قبل التعلق به صورة في النفس وبعد التعلق به صورة في الحروف وقوة في النطق وأما
 طبائعها فهي الطبيعيات المنسوبة للمواد في الحروف وهي الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة والبرودة
 واليبوسة والبرودة والرطوبة فهذا سر العدد اليماني والحرارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش
 ذ ج ز ك س ق ث ظ والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع
 ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض فهذه
 نسبة حروف الطبائع وتداخل أجزاء بعضها في بعض وتداخل أجزاء العالم فيها علويات وسفليات باسباب
 الامهات الاول أعنى الطبائع الاربع المنفردة فتخرج استخرج مجهول من مسألة ما تحقق طالع السائل أو طالع
 مسئلته واستنطق حروف أو تادها الاربعة الاول والرابع والسابع والعاشر مستوية مرتبة واستخرج اعداد
 القوى والاولاد كما سمين واحمل والنسب واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ أو بالمعنى وكذلك
 في كل مسألة تقع لك بيانها اذا أردت أن تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع اعدادها
 بالجل الكبير فكان الطالع الحمل رابعه السرطان سابعه الميزان عاشره الجدي وهو أقوى هذه الاولاد فاسقط من
 كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد المنطقية الموضوع في دائرتها واحذف أجزاء
 الكسر في النسب الاستنطاقية كما هو أثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربعة
 وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله أحرفا ورتب الاولاد والقوى والقرائن سطرًا متميزًا واكسر واضرب
 ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج الجواب يخرج لك الضرب وجوابه مثاله افرض أن الطالع الحمل
 كما تقدم ترسم ح م ل فلهاء من العدد ثمانية لهما النصف والرابع والثلث والاربعة المليم لها من العدد
 أربعون لها النصف والرابع والثلث والعشرون نصف العشر اذا أردت التدقيق م ك ي ه د ب اللام

ألذمن النعمى على حال
 فاقة *
 وأشهي من الوصل الهني على
 صد
 ولوساء أن قوضت رحلك
 بالنوي
 وعوضت منها بالزميل
 وبالوخذ

لهامن العدد ثلاثون لها النصف والثلاثون والثلاث والخمس والستس والعشر كى و ه ج وهكذا
تفعل بسائر حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك وأما استخراج الاوتاد فهو أن تقسم مربع كل حرف على
أعظم جزء يوجد له مثاله حرف د له من الأعداد أربعة مربعها ستة عشر اقسمها على أعظم جزء يوجد لها وهو
اثنان يخرج وتر الدال ثمانية تم تضع كل وتر مقابل الحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح
الاستنطاق ولها قاعدة تطرد في استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذى يحل فيه من الجدول كذا ذكر
الشيخ ابن عرف الاصلاح والله أعلم

فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية

وذلك لو سأل سائل عن غليل لم يعرف مرضه ما علمته وما الموافق ليرثه منه فمر السائل أن يسمى ما شاء من الاشياء
على اسم العلة المجهولة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم استنطاق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم
والساعة ان أردت التدقيق في المسئلة والاقتصرت على الاسم الذى سماه السائل وفعلت به كينين فاقول مثلاً
يسمى السائل فرساً فثبت الحروف الثلاثة مع أعدادها المنطقة ببيان ان للفاء من العدد ثمانين ولها م كى
ح ب ثم الراء لها من العدد مائتان ق ن كى ثم السين لها من العدد ستون ولها م ل كى
فالواو عدد تام له د ج ب والسين مثله ولها م ل كى فاذا بسطت حروف الاسماء وجدت
عنصرين متساويين فاحكم لاكثرهما حروفاً بالغلبة على الآخر ثم احل عدد حروف عناصر اسم المطلوب
وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم الاكثر والاقل بالغبلة
وصفة قوى استخراج العناصر

لقد سرفى ان لحت في أفق
الاعلا
على الطائر الميمون والطالع
السعد
طاعت بأفق الشرق نجح
هداية
خفت مع الانوار فيه علي
وعد

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرود واليبوسة طبع السواد فتحكم على المريض بالسوداء فاذا أنفت من حروف
الاستنطاق كلاماً على نسبة تقريبية خرج موضع الوجع في الحلق وبوافقه من الادوية حقنة ومن الاشربة شراب
الليمون هذا ما خرج من قوى أعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصر وأما استخراج قوى العناصر
من الاسماء العلمية فهو أن تسمى مثلاً محمداً فترسم أحرفه مقطعة ثم تضع أسماء العناصر الاربعة على ترتيب الفلك
يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

نارى	ترابى	هواى	ماى
ا ا ا ا	ب ب ب ب	ج ج ج ج	د د د د
و و و و	و و و و	ز ز ز ز	ح ح ح ح
ط ط ط ط	ى ى ى ى	ك ك ك ك	ل ل ل ل
م م م م	ن ن ن ن	ص ص ص ص	ع ع ع ع
ف ف ف ف	ض ض ض ض	ق ق ق ق	ر ر ر ر
س س س س	ت ت ت ت	ث ث ث ث	خ خ خ خ
ذ ذ ذ ذ	ظ ظ ظ ظ	غ غ غ غ	ش ش ش ش

فتجد أقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لان عدد حروفه عشرون حرفاً فجعلت له الغلبة
على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يفعل بجميع الاسماء حينئذ تضاف الى أوتارها أولاً وتر المنسوب لاطالع في

الزاي رجة أو لوتر البيت المنسوب لمسالك بن وهيب الذي جعله قاعدة لزج الاسئلة وهو هذا

سؤال عظيم الخالق حزت فغن اذن * غرائب شك ضبطه الجدمثلا

وهو وتر مشهور لاستخراج الجهورلات وعاليه كان يتمد ابن الرقام وأبحاه وهو عمل تام قائم نفسه في المثالات
الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذكور أن ترسمه مقطعا متمزجا بالفاظ السؤال على قانون صنعة التكسير وعدة
حروف هذا الوتر أعني البيت ثلاثة وأربعون حرفا لان كل حرف مشدد من حرفين ثم تحذف ما تكرر عند المزج
من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يماثلها وتثبت الفضلين سطرًا متمزجا به بعض
الحروف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السؤال حتي يتم الفضلتان جميعا فتكون ثلاثة وأربعين فضلة
اليها خمس نوات ليكون ثمانية وأربعين لتمد بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فان كان عدد
الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما زجت جدولًا مربعات
يكون آخر ما في السطر الاول أول ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق حتي يعود السطر الاول بعينه وتوالي
الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف كما تقدم وتضعه مقابل الحرفه ثم تستخرج النسب
العنصرية للاحروف الجدولية تعرف قوتها الطبيعية وموازنها الروحانية وغرائزها النفسانية وأسسها الاصلية
من الجدول الموضوع لذلك وصفة استخراج النسب العنصرية هو أن تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته
وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفقت حسن والافاستخرج بين الحرفين نسبة ويتسع هذا القانون في جميع
الحروف الجدولية وتحقق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائر الموسيقى ثم تأخذ وتر كل
حرف بعد ضربه في أسوس أو تاد الفالك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الاوتاد وكذلك السواقط لان نسبتها
مضطربة وهذا الذي يخرج لك هو أول مراتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر ونحط منها أسوس المولدات
يبقى أس عالم الخالق بعد عروضة الامداد الكونية فتعمل عليه بعض المجرذات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج
أفق النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعوالم
الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج الأفق الاعلى فتعمل عليه أول
رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان ثم تضرب مجموع أجزاء
العناصر الاربعة أبدأ في رابع رتب السريان يخرج أول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك
الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل ونحط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة تقسم على الأفق الاعلى يخرج الجزء
الاول ومن هنا يطرء العمل في التامة وله مقامات في كتب ابن وحشية والبونى وغيره وهذا التدبير يجري
على القانون الطبيعى الحكيم في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزاي راج
الحرفية والصناعة الالهية والنيرجات الفلسفية والله الملهم وبه المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله
ونعم الوكيل

﴿علم الكيمياء﴾

٢٤

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الي ذلك في تصفحون
المكونات كما يمد معرفة أمزجتها وقواها لعالمهم يعثرون على المادة المستعمدة لذلك حتي من الفضلات الحيوانية
كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلاء عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى
الفعل مثل حل الاجسام الي أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذائب منها بالتكليس واماء الصلب بالفهر
والصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمى سمونه الاكسبر وانه يلقى منه على
الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والتقصدير

يحيى بمن تسري المطى
سراهم
عليها سهم قد رمت هدف
القصد
الى يتسسه كيا تزور
معاهدا
بان بها جبريل عن كرم
المهد

والنحاس بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً بريزاً ويكون عن ذلك الأكسير إذا ألفروا اصطلاحاتهم بالروح وعن
الجسم الذي يلقي عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقاب هذه الأجساد
المستعدة إلى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً ويعزى الكلام
فيها إلى من ليس من أهلها وإمام المدونين فيها جابر بن حيان حتى أنهم يخضونها به فيسمونها علم جابر وله فيها سبعون
رسالة كلها شديدة بالالغاز وزعموا أنه لا يفتح مقفلها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق
المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسالمة الجريطي من حكماء
الاندلس كتابه الذي سماه تبة الحكم وجعله قريباً للكتابة الآخر في السحر والطاسمات الذي سماه غاية الحكم
وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة ونمراً تان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقدمرة العلم والحكمة أجمع
وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي الغاية بتعذر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك
* ونحن نذكر سبب عدوهم إلى هذه الرموز والالغاز ولان المغربي من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على
حروف المعجم من أبدع ما يحجى في الشعر مغفزة كلها ألفز الاحاجي والمعاينة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون لألفز إلى
رحمة الله بعض التأليف فيها وليس بصحيح لان الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطا ما يذهبون إليه حتى
ينتخذه وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم
البحيث أن خيالاً من الحيل العربي والبداءة إليه أقرب فهو بعيد عن العلوم والصناعات بالجملة فكيف له بصناعة غريبة
المتحجى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم
تترجم اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبهاً باسمه فمكن * وأنا أثقل لك هنا
مرسالة أبي بكر بن بشر بن لابي السمع في هذه الصناعة وكلاهما من تلميذ مسالمة فيستدل من كلامه فيها على ما ذهب
إليه في شأنها إذا أعطيته حقه من التأمل قال ابن بشر بن بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التي
لهذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الأولون واقتص جميعها أهل الفلاسفة من معرفة تكوين المعادن ونخلق الاحجار
والجواهر وطباع البقاع والامكان فمنعنا شأها من ذكرها ولكن أبين لك من هذه الصناعة ما يحتاج إليه فبدأ
بمعرفة فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا أولاً ثلاث خصال أولها هل تكون والثانية من أي تكون
والثالثة من أي كيف تكون فإذا عرف هذه الثلاثة وأحكامها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فأما
البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كفينا كما بهتشتا إليك من الأكسير وأما من أي شيء تكون
فانما يريدون بذلك البحث عن الحجز الذي يمكنه العمل وان كان العمل موجوداً من كل شيء بالقوة لأنها من
الطبائع الأربع منها تركبت ابتداء وإلها تار جع انتهاء ولكن من الأشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك
أن منها ما يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتفصيل يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهي التي تخرج من القوة إلى الفعل
والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لأنها فيها بالقوة فقط وانما يمكن تفصيلها الاستغراق بعض طبائعها في
بعض وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي لك وفقك الله أن تعرف أوفق الاحجار المنفصلة التي لا يمكن فيها
العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من الحل والعقد والتقية والتكليس والتشيف والتقريب فان من لم يعرف
هذه الاصول التي هي عماد هذه الصناعة لم يخج ولم يظفر بخيراً بدأ وينبغي لك أن تعلم هل يمكن أن يستعان عليه بغيره
أو يكفي به وحده وهل هو واحد في الابتداء أو شاركة غيره فصار في التدبير واحداً فسمى حجراً وينبغي لك أن
تعلم كيفية عمله وكيفية أوزانه وأزمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها أم لا
بمذكر كيتها فان لم تقدر فلا يلة وما السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم * واعلم أن الفلاسفة
كلها مدحت النفس وزعمت أنها المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك أن الجسد إذا خرجت

لأننا لثنا مهمما دجاليل
مشكل
قدمت به للتدور وأربا
الزبد
وحيث استقلت في ركاب
اطيه
فأنت تحي النفس في القرب
والبعد

النفس منه مات وبردفلم يقدر على الحركة والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكر كرت الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد الانسان الذي تركيبه على الغذاء والعشاء وقوامه وتمايمه بالنفس الحية النورية التي بها يفعل العظام والاشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غير هابالقوة الحية التي فيها وانما افعل الانسان لاختلاف تركيب طبائعه ولو اتفقت طبائعه لسامت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولكن خلد باقية فسبحان مديبر الاشياء تعالى * واعلم ان الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الابتداء فيضية محتاجة الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا الجسد ان تستحيل الي ما منه تركت كما قلناه انما في الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد تزم بعضها بعضا وصارت شيئا واحدا شبيها بالنفس في قوتها وفعلها وبالجسد في تركيبه ومجسته بعد ان كانت طبائع مفردة باعياها فبا عجايب ما نأفعل الطبايع ان القوة للضعف الذي يقوى على تفصيل الاشياء وتركيبها وتمايمها فلذلك قلت قوى وضعيف وانما وقع التغيير والفناء في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني الاتفاق وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام دقيق المعنى لان الحكميم أراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم الى الوجود لانه مادام على تركيبه الاول فهو قائم لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الفناء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه اعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسرى ذلك ان شاء الله تعالى وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف بالاطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما أريد بذلك التشاكل في الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل باشكالها وذكر لك ذلك لتعلم ان العمل أوفق وأيسر من الطبائع اللطيفة الروحية منها من الغليظة الجسمية وقد تصور في العقل ان الاحجار أقوى وأصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والحديد والنحاس أصبر على النار من الكبريت والزئبق وغيرهما من الارواح فقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بدنها فلما أصابها حر الكيان قلبها أجسادا الزجة غليظة فلم تقدر النار على أكلها لا فرط غلظها وتزجها فاذا أفرطت النار عليها صيرتها ارواحا كما كانت أول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا أصابها النار ابلت ولم تقدر على البقاء عليها فينبغي لك ان تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو أجل ما تعرفه * أقول انما ابلت تلك الارواح لاشتغالها ولطافتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها وان النار اذا أحست بالرطوبة تعلقت بها لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تغذي بها الى أن تنفث وكذلك الاجساد اذا أحست بوصول النار اليها القلة تلزجها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من أرض وماء صابر على النار فلطيفه متحد بكثيفه لطول الطبخ الابن المسازج للاشياء وذلك أن كل متلاش انما يتلانى بالنار لمفارقة لطيفه من كثيفه ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والمواقفة فصارت تلك الانضمام والتداخل مجاورة لا تمازجة فسهل بذلك افتراقهما كالسوء والدهن وما أشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به على تركيب الطبائع وتقابلهما فاذا علمت ذلك علما شافيا فقد أخذت حظك منها وينبغي لك أن تعلم ان الاختلاط التي هي طبائع هذه الصناعة موافقة بعضها لبعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجزء منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا أحكمت تدبير الطبائع وتأليفها ولم تدخل عليها غريبا فقد أحكمت ما أردت احكامه وقوامه اذا الطبيعة واحدة لا غريب فيها فمن أدخل عليها غريبا فقد زاع عنها ووقع في الخطأ * واعلم ان هذه الطبيعة اذا حل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في الحل حتى يشاكلها في الرقة والاطافة انبسطت فيه وجرت معه خيرا جرى لان الاجساد مادامت غليظة جافية لا تنبسط ولا تتراوح وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فانهم هداك الله هذا القول واعلم هداك الله ان هذا الحل في جسد الحيوان هو

واني بباب الملك حيث
عهدتني
مذيل ظلال الجاه مستحجف
العقد
أجهز بالانشاء كل
كتيبة
من الكتب والكتاب في
عرضها جدي

الحق الذي لا يضمحل ولا ينتقض وهو الذي يقبل الطبائع ويمسكها ويظهر لها ألواناً وأزهاراً عجيبة وليس كل جسد يحل خلاف هذا الحل التام لانه مخالف للحياة وانما حله بما يوافق ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتقلب الطبائع عن حالاتها الي ما لها أن تتقلب من اللطافة والغلظ فاذا بانفتاح الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتقوص وتقلب وتنفذ وكل عمل لا يرى له مصداق في اوله فلا خير فيه واعلم أن البار دمن الطبائع هو ببس الاشياء ويعتد رطوبتها والبارد منها يظهر رطوبتها ويعتد يبسها وانما افردت الحر والبر دلانها فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى انفعال كل واحد منهما الصاحبه تحدث الاجسام وتكون وان كان الحر أكثر فعلا في ذلك من البر دلان البر ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحر هو علة الحركة ومقي ضعفت علة الكون وهو الحرارة لم يتم منها شيء أبداً كما انه اذا افرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد أحرقتة وأهلكته فمن أجل هذه العلة احتيج الى البرد في هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم يحذر الفلاسفة أكثر شيء الا من النيران المحرقة وأمرت بتطهير الطبائع والانساف واخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتها وأوساخها عنها على ذلك استقام رأيهم وتديرهم فأنما عملهم انما هو مع النار أولاً واليه يصير آخر فلذلك قالوا بالكم والنيران المحرقات وانما أرادوا بذلك نفي الآفات التي معها فتجتمع على الجسد آفتين فتكون أسرع هلاكة وكذلك كل شيء انما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه فيتوسط بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا قهره بالآفة وأهلكته واعلم أن الحكماء كلما ذكر ترداد الارواح على الاجساد مراراً ليكون ألزم اليها وأقوى على قتال النار اذا هي باشرت عند الالفة أعني بذلك النار العنصرية فاعلمه ونقل الآن على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه في الحيوان ومنهم من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في المعادن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه الدعاوى ليست بنا حاجة الى استقصائها ومناظرها اهلها علمها لان الكلام يطول جداً وقد قلت فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء فهو كذلك فزيداً نعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل فتعقد الى ما قاله الحر اني ان الصبغ كله أحد صبغين اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضمحل منتقض التركيب والصبغ الثاني تغليب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتغليب الشجر بل التراب الى نفسه وقلب الحيوان والنبات الى نفسه حتى يصير التراب نباتاً والنبات حيواناً ولا يكون الا بالروح الحي والكيان الفاعل الذي له توليد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فنقول ان العمل لا بد أن يكون اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انهم ما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما وتماهما فأما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكماء فيه وأما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك أن المعدن يستحيل نباتاً والنبات يستحيل حيواناً والحيوان لا يستحيل الى شيء هو ألطف منه الا أن يعكس راجعاً الى الغلظ وأنه أيضاً لا يوجد في العالم شيء تتعلق به الروح الحية غيره والروح اللطيف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان الا بما كتبه اياه فاما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحر كة اغلظه وغلظ روحه والروح المتحركة ألطف من الروح الكامنة كثيراً وذلك ان المتحركة لها قبول الغذاء والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تحرك اذا قبست بالروح الحية الا كالارض عند المساء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأهون وأيسر فينبغي للماقل اذا عرف ذلك أن يجرب ما كان سهلاً ويترك ما يخشى فيه عسراً * واعلم أن الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساماً من الامهات التي هي الطبائع والحدثة التي هي المواليد وهذه عروف متيسر الفهم فلذلك قسمت الحكماء العناصر والمواليد أقساماً مادية وأقساماً مادية فجعلوا كل متحرك فاعل حياً وكل ساكن

فلو ذمن المولى الامام
محمد
بطل على نهر المسيرة
متد
اذا فاض من يمينه بحير
سماحة
وعم به الطوفان في التجسد
والوهد

مفعولاً ميتاً وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الدائبة وفي العقاقير المعدنية فسموا كل شيء يذوب في النار ويغير ويشتمل حياً وما كان على خلاف ذلك سموه ميتاً فأما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع أرباعاً وما لم ينفصل سموه ميتاً ثم انهم طلبوا جميع الاقسام الحية فلم يجدوا فوق هذه الصناعة مما ينفصل فصولاً أربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوا غير الحجر الذي في الحيوان فبحثوا عن جنسه حتى عرفوه وأخذوه ودرروه فتكيف لهم منه الذي أرادوا وقد يتكيف مثل هذا في المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وخلطها ثم تفصل بعد ذلك فأما النبات فثمة ما ينفصل ببعض هذه الفصول مثل الاشنان وأما المعادن ففيها اجساد وأرواح وأنفاس اذا زجت ودبرت كان منها ماله تأثير وقد برنا كل ذلك فكان الحيوان منها أعلى وأرفع وتديره أسهل وأيسر فينبغي لك أن تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده أنا ينسان الحيوان أرفع المواليسد وكذا ما تركب منه فهو الطيف منه كالنبات من الارض وانما كان النبات اللطيف من الارض لانه انما يكون من جوهر الصافي وجسده اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرقّة وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب وبالجملة فانه ليس في الحيوان شيء ينفصل طبائعه أرباعاً غير ما فهم هذا القول فانه لا يكاد يخفى الاعلى جاهل بين الجهة والقوى من لا عقل له فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر وأعلمتك جنسه وأنا بين لك وجوه تدابير حتى يكمل الذي شرطناه على أنفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) خذ الحجر الكريم فأودعه القرعة والانبيق وفصل طبائعه الاربع التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصبيغ فاذا عززت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في اناء على حدة وخذها لابط أسفل الاناء وهو الثفل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه وسواده ويزول غلظه وجفائه وبيضه تبييضاً محكماً وظير عنه فضول الرطوبات المستجبة فيه فانه يصير عند ذلك ماء أبيض لا ظلمة فيه ولا وسخ ولا تضاد ثم اعد الى تلك الطبائع الاول الصاعدة منه فطهرها بياض من السواد والتضاد وكرر عليها الغسل والتصعيد حتى تاطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك قابلاً بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك أن التركيب لا يكون الا بالتزويج والتعظيم فأما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعظيم فهو التمشية والسحق حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيئاً واحداً لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصبح عليها وتقوى النفس على القوص في الاجساد والديب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لم ازدوج بالروح مازجه بجميع أجزائه ودخل بعضها في بعض لتشاكلها فصار شيئاً واحداً ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والنبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيها بمخدمته التدبير اختلطت أجزاؤه بها بجميع أجزائها الآخرين أعنى الروح والجسد وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعه وانفقت أجزاؤه فاذا بقي هذا المركب الجسد المحلول وألح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا أرادت النار التعلق بها منعها من الاتحاد بالنفس مما زجه الماء فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصاً وكذلك الماء من شأنه النفور من النار فاذا ألححت عليه النار وأردت تطهيره حبسه بالجسد اليابس الممازج له في جوفه فتمعه من الطيران فكان الجسد علة لامساك الماء والماء علة لبقاء الدهن والدهن علة لنبات الصبيغ والصبيغ علة لظهور الدهن واطهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهنالك الصفة التي سألت عنها وهي التي سميتها الحسكة بيضة واياها يسمونها لا بيضة الدجاج * واعلم ان الحكماء لم يسموها بهذا الاسم الغير مقبى بل أشبهتها ولقد سألت مسلماً عن ذلك يوماً وليس عنده غيري فقلت له أيها الحكيم الفاضل أخبرني لاي شيء

ركبنا الى الاحسان في سفن
الرجا
بحور عطاء ليس تزجر عن
صد
فمن ميساغ الانصار عني
الوكة
مغلغلة في الصدق منجزة
الوعد

سمت الحكماء مركب الحيوان بيضة اختيار منهم لذلك أملى دعاهم اليه فقال بل لمعنى غامض فقلت أيها الحكماء
وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها وسموها بيضة فقال لشبهها وقرابها من
المركب ففكر فيه فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفكر الأقدار على الوصول الى معناه فامار أي مابي من
الفكر وأن نفسي قد مضت فيها أخذ بضدى وهزني هزة خفيفة وقال لي بالابكر ذلك بالنسبة التي بينهما في كمية
الانوان عند مزاج الطبائع وتأليفها فاما قال ذلك انجالت عني الظلمة وأضاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمه
فنهضت شاكر الله عليه الى منزلي وأقت على ذلك شكلا هندسيا يبرهن به على صحة ما قاله مسلمة وأنا واضع لك في
هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء
كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبعان الاخران الارض والماء
فأقول ان كل شئين متناسين على هذه الصفة فهما متشابهان ومثال ذلك أن تجعل لسطح البيضة هزوح فاذا أردنا
ذلك فاننا أخذنا قل طبائع المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها مثاهما من طبيعة الرطوبة ونديرها حتى نشف
طبيعة اليبوسة طبيعة الرطوبة وتقبل قوتها وكان في هذا الكلام رمز اول لكنه لا يخفى عليك ثم تحمل عاينها جميعا
مثلهما من الروح وهو الماء فيكون الجميع ستة أمثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثالا من طبيعة الهواء التي
هي النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون الجميع تسعة أمثال اليبوسة بالقوة وتعمل تحت كل ضلعين من المركب الذي
طبيعته محيطة بسطح المركب طبيعتين فتجعل أول الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء دهما ضامعا
اح د وسطا أجدو كذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة اللذان هما الماء والهواء ضامعا هزوح فأقول ان
سطح أجد يشبه سطح هزوح طبيعة الهواء التي تسمى نفسا وكذلك مح من سطح المركب والحكمة لم تسم شيئا
بمعنى شيء الا لشبهه به والكلمات التي سألت عن شرحها الارض المقدسة وهي المنعقدة من الطبائع العلوية
والسفلية والنحاس هو الذي أخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم حمر بالزاج حتى صار نحاسيا والمغنيسيا
حجرهم الذي يجمد فيه الارواح ونخرجه الطبيعة العلوية التي تستجني فيها الارواح لتقابل عليها النار والفرفرة
لون احمر قان يحدته الكليان والرصاص حبر له ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها متشاككة ومتجانسة
فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة غير أنها أغلظ من الاولى
ومركزها دون مركز الاولى والثالثة قوة أرضية حساسة قابضة منعكسة الى مركز الارض لتقلها وهي المساسكة
الروحانية والنفسانية جميعا والمحيطة بهما وأماساثر الباقية فبتدعة ومخترة الباس على الجاهل ومن عرف
المقدمات استغنى عن غيرها فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به اليك مفسرا وارجو بتوفيق الله أن تباع أملك
والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة الحريطي شيخ الاندلس في علوم الكيمياء والسيما
والسحر في القرن الثالث وما بعده وأنت ترى كيف صرف ألفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز والالغاز التي لا تكاد
تبين ولا تعرف وذلك دليل على أنها ليست بصناعة طبيعية * والذي يجب أن يمتدق في أمر الكيمياء وهو الحق
الذي يعضده الواقع أنها من جنس آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة امام نوع الكرامة ان كانت
النفوس خيرة أو من نوع السحرة ان كانت النفوس شريرة فاجرة فأما الكرامة فظاهرة وأما السحر فلان الساحر
كأثبت في مكان تحقيقه قلب الاعيان المسادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري
فيها كتخليق بعض الحيوانات من مادة التراب أو الشجر والنبات وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها كواقع
لسحرة فرعون في الجبال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان والهنود في قاصية الجنوب والترك في قاصية
الشمال أنهم يستحرون الحول للامطار وغير ذلك * ولما كانت هذه تخليقا للذهب في غير مادته الخاصة به كان من
قيل السحر والمتكلمون فيه من أعلام الحكماء مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكماء الامم انما نحوا هذا

بآية ما أعطي الخليفة

ربه

مفاتيح فتح ساقها سائق

السعد

ودونك من روض المحامد

نفحة

تفوق اذا اصطفى الندى

من الند

المتبحر ولهذا كان كلامهم فيه ألفاظا حذرا عليها من انكار الشرائع علي السحر وأنواعه لأن ذلك يرجع الي الضنانية كما هو رأي من لم يذهب الي التحقيق في ذلك وانظر كيف سمي مسلمة كتابه في رتبة الحكم وسمي كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكم اشارة الى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لان الغاية أعلى من الرتبة فكان مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركتها في الموضوعات ومن كلامه في النزين يتبين ما قلناه ونحن نرين فيما بعد غلط من يزعم أن مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

﴿فصل في ابطال الفلاسفة وفساد متحملها﴾

٢٥

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضرر هافي الدين كثير فوجب أن يسدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك أن قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وأن تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وهو لا يسمى من فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فيبحثوا عن ذلك وشعروا له وحو مواعلي اصابة الغرض منه ووضعوا قانونا يهدي به العقل في نظره الي التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الوجودات الشخصية فيجرد منها أولا مورا منطقية على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسمها في طين أو شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم يجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت مشتركة مع معاني أخرى وقد تميزت عنها في الذهن فيجرد منها معاني أخرى وهي التي اشتهر كتبها ثم يجرد دنانيا ان شاركتها غيرها وثالثا الى أن ينتهي التجريد الي المعاني البسيطة الكلية المنطوقة علي جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها يجريد بعد هذا وهي الاجناس العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني فاذا نظر الفسك في هذه المعقولات المجردة وطلب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الي بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصور اجميحا مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر و صنف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عايه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية لطلب الادراك وانما التصديق وسيلة له ومانسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف التصديق عليه فبمعني الشعور لا بمعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون أن السعادة في ادراك الموجودات كلها مافي الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين * وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرغوا عليه قضايانظارهم انهم عثروا أولا على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات ثم أحسوا من قوى النفس بسلطان العقل ووقف ادراكهم كقضاء على الجسم العالي السماوي بخوم القضاء على امر الذات الانسانية ووجب عندهم أن يكون لافلك نفس وعقل كلالانسان ثم أنهم اذ ذلك نهاية عدد الآحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها حمل وواحد أول مفرد وهو العاشر ويزعمون أن السعادة في ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتحلة بالفضائل وأن ذلك ممكن للانسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال بمقتضى عقيله ونفرد وميله الي الحمود منها واجتنابه للمذموم فطوره وأن ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها السعادة واللذة وأن الجبل بذلك هو الشقاء السرمدي وهذا عندهم هو معنى النعم والعذاب في الآخرة الى خبط لهم في تفاصيل

ثناء يقول المسك ان ذاع
عرفه
أيالك من ند أيالك من
ند
وما الماء في جو السحاب
مروقا
بأظهر ذات منك في كنف
المهد

ذلك معروف من كلماتهم وأمام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون علمها وسط حجاجها فيها بلغنا في
هذه الاحقاب هو ارسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر
ويسمونه المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو أول من رتب قانونها
واستوفى مسائلها وأحسن بسطها ولقد أحسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم في الالهيات ثم كان
من بعده في الاسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل الا في القليل وذلك أن كتب أولئك
المقدمين ما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العربي تصفحها كثير من أهل الملة وأخذ
من مذاهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاربعها وكان من أشهرهم
أبو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو علي بن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بني بويه
باصبهان وغيرهما * واعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا اليه باطل بجميع وجوه فأما اسنادهم الموجودات كلها
الى العقل الاول واكتفاؤهم به في الترتيب الى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود أوسع
نطاقا من ذلك ويحاطق ما لا تعلمون وكانهم في اقتصارهم على اثبات لعقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطيمين
المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن الثقل والعقل المعتقدين أنه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء
وأما البراهين التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير
وافية بالغرض أما ما كان منها في الموجودات الجسمية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك
النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقبسية كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقينية لان تلك أحكام ذهنية
كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلبي للخارجي
لشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك فدليله شهوده لان تلك البراهين فإين اليقين الذي يجدونه فيها وربما
يكون تصرف الذهن أضافا للمعقولات الاول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية لافي المعقولات التواني التي
تجريد هافي الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينيا بمثابة المحسوسات اذ المعقولات الاول أقرب الي مطابقة الخارج
لكمال الانطباق فيها فنسلم لهم حينئذ دعاوهم في ذلك الا أنه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم
لما لا ينبغيه فان مسائل الطبيعية لا تنمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها * وأما ما كان منها في الموجودات
التي وراء الحسي وهي الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة رأسا ولا يمكن التوصل
اليها ولا البرهان عليها لان تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيها هو مدرك لنا
ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجري مدنها ما هيأت أخرى بحجاب الحس ينشأ وينها فلا يتأني لنا برهان عليها
ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجملة الا ما نجد بين جنيننا من أمر النفس الانسانية وأحوال مداركها
وخصوصا في الرؤيا التي هي وجدانية لكل أحد وما وراء ذلك من حقيقةها وصفاتها فامر غامض لا سبيل الى
الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى أن ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه لان مقدمات
البرهان من شرطها أن تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الي يقين وانما يقال فيها بالاخلاق
والاولى يعني الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب على الظن فقط فيكفينا الظن الذي كان أولا فأي فائدة
لهذا العلم والاشتغال بها ونحن انما غايتنا تحصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هي غاية الافكار
الانسانية عندهم وأما قولهم ان السعادة في ادراك الموجودات علي ما هي عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود
وتفسيره ان الانسان مركب من جزأين أحدهما جسماني والاخر روحاني فمتزج به ولكل واحد من الجزأين
مدارك مختلفة المدرك فيها واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمية الا
أن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك الجسمية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس

فكيف وقد حلتك أسرارها
الجلال
وباهت بك الاعلام بالعلم
الفرد
وما لطل في نثر من الزهر
باسم
بأصق وأذكي من سنان ومن
ودي

وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه واعتبره بحال الصبي في أول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة كيف يتنهج
بما يبصره من الضوء وما يسمعه من الأصوات فلا شك أن الابتهاج بالادراك الذي للنفس من ذاتها بغير
واسطة يكون أشد والذات للنفس الروحانية إذا شمرت بأدراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها
ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وإنما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان
المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثيرا ما ينعون بحصول هذا الادراك للنفس حصول هذه البهجة
فيحاولون بالرياضة أمانة القوى الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها
من ذاتها عند زوال الشوائب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها وهذا الذي زعموه بتقدير
صحة مسلم لهم وهو مع ذلك غير وافي بمقصودهم فأما قولهم أن البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من
الادراك والابتهاج عنه فباطل كما رأيت أذا البراهين والأدلة من جملة المدارك الجسمانية لأنها بالقوى الدماغية
من الخيال والفكر والذكر ونحن أول شيء نفي به في تحصيل هذا الادراك أمانة هذه القوى الدماغية كلها لأنها
منازعة له قاذحة فيه وتجذب الماهر منهم عاكفا على كتاب الشفاء والإشارات والنجاء وتلاخيص ابن رشد للنفس
من تأليف أرسطو وغيره يبعثر أوراقها ويتوثر من براهينها ويتمس هذا القسط من السعادة فيها ولا يعلم أنه
يستكثر بذلك من الموانع عنها مستندهم في ذلك ما ينقلونه عن أرسطو والفارابي وابن سبنان من حصل له ادراك
العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظ من هذه السعادة والعقل الفعال عندهم عبارة عن أول رتبة
ينكشف عنها الحس من رتب الروحانيات ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الادراك العلمي وقد رأيت
فساده وإنما يعني أرسطو وأصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة
وهو لا يحصل إلا بكشف حجاب الحس وأما قولهم أن البهجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة للموجود
بها فباطل أيضا لأننا نمتين لنا بما قرررنا من وراء الحس مدرك آخر للنفس من غير واسطة وأنها بتنهج بأدراكها
ذلك ابتهاج شديدا وذلك لا يعين لنا أنه عين السعادة الأخرى ولا بدل هي من جملة الملاذ التي لتلك السعادة وأما
قولهم أن السعادة في ادراك هذه الموجودات على ماهي عليه فقول باطل مبنى على ما كنا قد مناه في أصل التوحيد
من الأوهام والاغلاط في أن الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه وبيننا فساده ذلك وأن الوجود أوسع من
أن يحاط به أو يستوفي أدراكه بجملة روحانيا أو جسمانيا والذي يحصل من جميع ما قرررناه من مذاهبهم أن
الجزء الروحاني إذا فارق القوى الجسمانية أدرك أدراكا ذاتياله مختصا بصنف من المدارك وهي الموجودات
التي أحاط بها علمنا وليس بعلم الادراك في الموجودات كلها إذ لم تنحصر وأنه يتنهج بذلك النحو من الادراك
ابتهاجا شديدا كما يتنهج الصبي بمدراكه الحسية في أول نشووه من لنا بعد ذلك بأدراك جميع الموجودات أو بحصول
السعادة التي وعدنا بها الشارع أن لم نعمل لها هيئات لم نعدون وأما قولهم أن الإنسان مستقل بهذيب
نفسه وإصلاحها بملازمة المحمود من الخلق ومجانبة المذموم فأمر مبنى على أن ابتهاج النفس بأدراكها الذي لها من
ذاتها هو عين السعادة الموعود بها لأن الرذائل عاقبة للنفس عن تمام ادراكها ذلك مما يحصل لها من الملكات الجسمانية
وألوانها وقد بينا أن أثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التهذيب الذي توصلوا
إلى معرفته أنما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأما ما وزعنا ذلك
من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما أمر به من الأعمال والأخلاق فأمر لا يحيط به مدارك المدركين وقد
تنبه لذلك زعيمهم أبو علي بن سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه أن المعاد الروحاني وأحواله هو مما توصل
إليه بالبراهين العقلية والمقاييس لأنه على نسبة طبيعية محفوفة وتيرة واحدة فلنا في البراهين عليه شئ وأما المعاد
الجسماني وأحواله فلا يمكن أدراكه بالبرهان لأنه ليس على نسبة واحدة وقد بسطنا في الشريعة الحقة المحمدية

ولا البدر معصوما بتاج
تمامه
بأبر من ودي وأسير من
حمدي
بقيت ابن خلدون أمام
هداية
ولازك من دنياك في جنة
الخلد

فليُنظر فيها ولنرجع في أحواله إليها فهذا العلم كجراثيمه غير واق بمقاصدهم التي حو مواعيلها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس له فيما علمنا الاثمة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصيل ملكة الجود والصواب في البراهين وذلك أن نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام والاتقان هو كاشر طوره في صناعته المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية وهم كثير ما يستعملونها في علومهم الحكيمة من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشر وطها على ملكة الاتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية بمقصودهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الانظار هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم وآرائهم ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن نظره ينظر فيها بعد الاطلاع على التفسير والفقه ولا يكن أحد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للصواب ولا يحق والهادي اليه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

٢٦

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عام العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجموعة فتكون لذلك أوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو أمر تقتصر الاعمار كلها والاجتماع عن تحصيله اذ التجربة إنما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى أماد وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم وربما ذهب ضعفاء منهم الى أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحى وهو رأى فائل وقد كفونا مؤنة ابطاله ومن أوضح الأدلة فيه أن تعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبعد الناس عن الصنائع وأنهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب إلا أن يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعهم من الخلق وأما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون أن دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيرين وأثرهما في العنصريات ظاهر لا يسع أحدا حجبده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأمزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفصل القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفنة وفواكه القثاء وسائر أفعاله ثم قال ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقتان الاولى التقليد لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصناعة إلا أنه غير مقنع للنفس الثانية الحدس والتجربة بقياس كل واحد منهما الى النير الاعظم الذي عرفنا طبيعته في وأثره معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القرار في قوته ومزاجه فعرف موافقته له الطبيعة أو ينقص عنها فعرف مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفنا هامة مركبة وذلك عند تناظرها بأشكال التثليث والتربيع وغيرهما معرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس أيضا الى النير الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهوا يحصل ما تحت من المولدات وتحاق به النطف والبرزق تصير حالا ليدن المتكون عنها ولتنفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتسبة سالها منه وما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كيفيات البرزق والنطفة كيفيات ما يتولد عنه او ينشأ منهما قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شئ وليس هو أيضا من القضاء الا انهم في القدرات انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الا انهم في السابق على كل شئ هذا يحصل كلام بطليموس وأصحابه هو منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك أن العلم بالكائن والظن به العمل يحصل عن العلم بحملة أسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه

ووصلها بقوله سيدى شيخ
الاعلام كنز رؤساء الاسلام
مشرف حملة السيوف
والاقلام جمال الخواص
والظهور أثير الدول خالصة
المسلوك مجتبي الحلفاء سر
العلاء أوحد الفضلاء قدوة
العلماء حجة البلغاء أبقاكم

والقوى النجومية على ما قررناه انما هي فاعلة فقط والجزء العنصرى هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي الفاعل بحجتها بل هناك قوى أخرى فاعلة معها في الجزء المادى مثل قوة التوليد والاب والنوع التي في النطفة وقوى الحاصلة التي تميز بها صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصل كمالها وحصل العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والحدس والتخمين قوة للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من أصول الصناعة فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت أدراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداده ولم تعترضه آفة وهذه موزن لساقيه من معرفة حسابات الكواكب في سيرها لتعرف به أوضاعها ولما أن اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه ومدر ك بطليموس في اثبات القوى للكواكب الحسنة بقياسها الى الشمس مدر ك ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها أو النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها قاذحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذا قديتين في باب التوحيد أن لفاعل الله بطريق استدلالى كما رأيته واحتج له أهل علم الكلام بما هو غنى عن البيان من أن اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل متهم على ما يقضى به فيما يظهر بآدى رأى من التأثير فلعل استنادها على غير صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا سيما والشرع يرد الحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك والنبوات ايضا منكرة لاشان النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته وفي قوله أصبح من عبادى مؤمن بي وكافري فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الانساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الاحايين اتفاقا لا يرجع الى تعديل ولا تحقيق فيلج بذلك من لا معرفة له وينظن اطرا والصدق في سائر أحكامها وليس كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثير في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتربصين بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما فيتمين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع أسباب الشر والمضار وهذا الواجب على من عرف مفاسد هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك أنها وان كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن أحدا من أهل الملة تحصيل علمها ولا ملكتها بل ان نظر فيها ناظر وظن الاحاطة بها فهو في غاية القصور في نفس الامر فان الشر يعمها حضرة النظر فيها فقد الاجتماع من أهل العمران لقراءتها والتحقيق لتعليمها وادوارها من الناس وهم الاقل وأقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في كسريته ومتستر عن الناس وتحت ربة الجمهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم فكيف يحصل منها على طائل ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه دينا ودنيا وسهلت ما خذته من الكتاب والسنة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول الدراسة وكثرة المجالس وتعددها انما يحدق فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاحيال فكيف يعلم به جمهور الناس للشرعية مضروبونه سد الحظر والتحريم مكتوم عن الجمهور صعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد حدس وتخمين يكتفان به من الناظر فاين التحصيل والحدق فيه مع هذه كلها ومدعي

الله بقاء جميلا يعقد لواء
الفخر ويعلو منار الفضل
ويرفع عماد المجد ويوضح
معالم السيادة ويرسل أشعة
السعادة ويفيض أنوار الهداية
ويطلق السنة المحامد وينير
أفق المعارف ويعذب مورد
الغاية ويمتج بعمر النهاية ولا

ذلك من الناس مردود علي عقبه ولا شاهده يقوم بذلك لغرابة الفن بين أهل الملة وقلة حملته فاعتبر ذلك يتبين لك صحة ما ذهبنا اليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر علي غيبه أحدا * ومما وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر أراجاف الفريقين الأولياء والاعداء وقال في ذلك أبو القاسم الرحوى من شعراء أهل تونس

أستغفر الله كل حين * قد ذهب العيش والهنا
أصبح في تونس وأمسى * والصبح لله والمساء
الخوف والجوع والمنايا * يحمدنها الهرج والوباء
والناس في مريبة وحرب * وما عسى ينفع المسراء
فاحمدى يري عليا * حل به الهلك واليؤء
وآخر قال سوف يأتي * به اليكم صبار خاء
والله من فوق ذا وهذا * يقضى لعبده ما يشاء
ياراصد الحنس الجواري * ما فعلت هذه السماء
مطلتمونا وقد زعمتم * أن نكم اليوم أمليا
مر خيس علي خيس * وجاء سبت وأربعا
ونصف شهر وعشر ثمان * وثالث ضمه القضاء
ولا نري غير زور قول * أذاك جهل أم ازدراء
انا لي الله قد علمنا * أن ليس يستدفع القضاء
رضيت بالله لي الها * حسبكم البدر أودكا
ما هذه الانجم السوري * الا عباد يد أو اما
يقضي عليها وليس تقضي * وما لها في الوري اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما * ما شأنه الجرم والقضاء
وحكمت في الوجود طبعا * يحمدنه الماء والهواء
لم تر حلوا ازاء مر * تفذ وهما تربة وماء
الله ربي ولست أدري * ما الجوهر الفرد والحلاء
ولا الهوى التي تنادي * مالي عن صورة عمراء
ولا وجود ولا انعدام * ولا ثبوت ولا اتقاء
لست أدري ما الكسب الا * ما جلب البيع والشراء
وانما مذهبي وديني * ما كان والناس أولياء
اذ لا فصول ولا أصول * ولا جدال ولا ارتياء
ماتبع الصدر واقفين * يا حبهذا كان الاقتفاء
كانوا كما يملعون منهم * ولم يكن ذلك الهداء
يا أشعري الزمان اني * أشعرني الصيف والشتاء
أنا أجزي الشر شرا * والخير عن مثله جزاء
وانني ان أكن مطيعا * فرب أعصى ولي رجاء

نهاية بآي التحيات أفتحك
وقدرك أعلي ومطلع فضلك
أوضح وأجلى ان قلت
تحية كسرى في الشتاء وتبع
فأترك لا يقتنى ولا يتبع
تلك تحية عجماء لا تبين ولا
تبين وزمزمة نافرها
اللسان العربي المين وهذه

و انسي تحت حكم بار * أطاعه العرش والثرء
ليس باسطاركم ولكن * أتاحه الحكم والقضاء
لو حدث الاشعرى عن * له الى رأيه اتصاء
* لقال أخبرهم باني * مما قولونه براء *

٢٧ فصل في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن اتحاليها

اعلم أن كثير من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على اتحال هذه الصنائع ويرون أنها أحد مذاهب المعاش
ووجوده وان اقتناء المال منها أيسر وأسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف
الحكام وخسارة الاموال في النفقات زيادة على النيل من غرضه والعطب آخر اذا ظهر على خيبة وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا وانما أطعمهم في ذلك رؤية أن المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة
فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة ويحسبون أنهم من مكنات عالم الطبيعة ولهم في
علاج ذلك طرق مختلفة لا اختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج المسماة
عندهم بالحجر المكرم هل هي العذرة أو الدم أو الشعر أو البيض أو كذا أو كذا مما سوى ذلك وجملة التدبير عندهم
بمعدتين المادة أن تعمي بالفهر على حجر صلد أملس وتسقى أثناء امهائها بالماء بعد أن يضاف اليها من العقاقير
والادوية ما يناسب التصدي منها او يؤثر في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تجفف بالشمس من بعد السقي أو تطبخ
بالنار أو تصعد أو تنكس لاستخراج ماؤها أو ترابها فاذا رضى بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته أصول
صنعتهم حصل من ذلك كله تراب أو مائع يسمى الكسير ويزعمون أنه اذا ألقى على الفضة المحماة بالنار عادت ذهباً
أو النحاس المحمي بالنار عادت فضة على حسب ما قصد به في عمله ويزعم المحققون منهم أن ذلك الكسير مادة مركبة
من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها
وتقلبه الى صورتها ومزاجها وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخبر لاخبر نقاب المعجين الى ذاتها
وتعمل فيه ما حصل لها من الانشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعا الى الغذاء وكذا الكسير
الذهب والفضة فما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليها وينقلبه الى صورتها هذا يحصل زعمهم على الجملة فيجدهم
عاكفين على هذا العلاج يتبعون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون أحكامه وقواعده من كتب لأئمة الصناعة من قبلهم
يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف أسرارها ذهبي في الاكثر تشبه المعنى كتاب آيف جابر بن
حيان في رسائله السبعين ومسلمة الجريفي في كتابه رتبة الحكيم والطريق والمغيري في قصائده العريقة في اجادة
النظم وأمثالها ولا يحسبون من بعد هذا كله بطلان منها * فلو ضتبوا ما شيعنا بالبركات التلفي في كبر مشيخة
الاندلس في مثل ذلك ووقفه على بعض التآليف فيها فتصفح طويلا ثم رد الي وقال لي وأنا الضامن له أن لا يعود
الى بيته الا بالحية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب أو النحاس
بالفضة أو خلطها على نسبة جزء أو جزأين أو ثلاثة أو الحنية كالفاء الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبييض
النحاس وتأيينه بالزوق المصعد فيجى جسمه معدنيا شبيها بالفضة ويخفى الاعلى التقاد انهره فيقدر أصحاب هذه
الدلس مع دلتهم هذه سكة يسربونها في الناس ويطعمونها بطابع السلطان تمويه على الجمهور بالخلاص وهؤلاء
أخس الناس حرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرقة أموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاسا
في الفضة وفضة في الذهب ليسه تخاضعها لنفسه فهو سارق أو أشرم من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالقرب من
طلبة البربر المتبذرين بأطراف البقاع ومساكن الاغمار يأوون الى مساجد البادية وعموهون على الأغنياء منهم
بأن بأيديهم صناعة الذهب والفضة والنفوس مولعة بحبها والاستهلاك في طامعها فيحصلون من ذلك على معاش

جهالة جهلاء لا ينطبق
على حروفها الاستعلاء
قد محارسومها الحفاء وعلى
آثار دمنها العفاء وان
كانت التجبتان طائفا وجف
بها الركب وقمع البريد
ولكن أين يقمان مما أريد
نحية الاسلام أصل في الفخر
نسبا وأصل بالشرع سببا

ثم بقي ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة الى أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون الى موضع آخر ويستجدون
 حالا أخرى في استهوا بعض أهل الدنيا بطماعهم في الاديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء ما شههم وهذا الصنف
 لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلتهم الا اشتداد الحكم عليهم
 وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم متى ظهر واعلى شأنهم لان فيه افساد للسكة التي تعم بها البلوى وهي متسول
 الناس كافة والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها راما من اتحل هذه الصناعة
 ولم يرض بحال الدلس بل استنكف عنها وزد نفسه عن افساد سكة المسلمين وتقودهم وانما يطلب احالة الفضة
 للذهب والرصاص والنحاس والقزدير الى الفضة بذلك النجوم من العلاج وبالا كسبر الحاصل عنده فلنا مع هؤلاء
 متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع اننا لانعلم أن أحدا من أهل العلم تم له هذا الغرض أو حصل منه علي بغية انما
 تذهب أعمارهم في التدبير والفهر والصلابة والتصعيد والتكليس واعتيام الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها
 ويتناقلون في ذلك حكايات وقمت لغبرهم ممن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول يقنعون باستماعها والمناوضة
 فيها ولا يستريون في تصديدها شأن السكالفين المغرمين بوساوس الاخبار فيما يكلفون به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك
 بالعمانية أنكره وقالوا انما سمعنا ولم نر هكذا شأنهم في كل عصر وحيل * واعلم أن اتحال هذه الصنعة قديم
 في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتأخرين فلنقل مذهبهم في ذلك ثم تلوه بما يظهر فيهم من التحقيق
 الذي عليه الامر في نفسه فنقول ان معنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة المنطوقة
 وهي الذهب والفضة والرصاص والقزدير والنحاس والحديد والخارصيني هل هي مختلفات بالفصول وكلها
 أنواع قائمة بأنفسها وأنما مختلفة بنحو اص من الكيفيات وهي كلها أصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه أبو نصر
 الفارابي وتابعه عليه حكما الاندلس أنها نوع واحد وأن اختلافها انما هو بالكيفيات من الرطوبة واليبوسة واللين
 والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها أصناف لذلك النوع الواحد الذي ذهب اليه ابن سينا
 وتابعه عليه حكما المشرق أنها مختلفة بالفصول وأنما أنواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته له
 فصل وجنس شأن سائر الأنواع وبني أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع امكان انقلاب بعضها الى
 بعض لا يمكن تبدل الاعراض حيث تدو علاجها بالصنعة فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة بسهولة
 المأخذ وبني أبو علي بن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع اسكار هذه الصنعة واستحالة وجودها بنا على أن
 الفصل لا سبيل للصناعة اليه وانما تحقيقه خالق الاشياء ومقدرها هو الله عز وجل والفصول مجهولة للحقائق
 رأسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصنعة وغلطه الطمرا في من أكار أهل هذه الصناعة في هذا القول ورد
 عليه بأن التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل وابداعه وانما هو في اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي من بعد
 الاعداد من لدن خالقه وبارئه كما يفيض النور على الاجسام بالصلقل والامهات ولا حاجة بنا في ذلك الى تصوره
 ومعرفة قال واذا كنا قد عثرنا على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بفصولها مثل العقرب من التراب والنتن
 ومثل الحيات المتكونة من الشعر ومثل ما ذكره أصحاب الفلاحة من تكوين النحل اذا فقدت من عجاجيل البقر
 وتكوين القعب من قرون ذوات الظلف وتصيير مسكر الجحش والقرون بالسل بين يدي ذلك العلاج للقرون من
 المانع اذا من العنور على مثل ذلك في الذهب والفضة فتتخذ مادة قضية تتدبير بعد أن يكون فيها استعداد أول
 لقبول صورة الذهب والفضة ثم تحاولها بالعلاج الى أن يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام الطمرا في معناه
 وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على أهل هذه الصناعة مأخذ آخر يتبين منه استحالة
 وجودها وبطلان مزعمهم أجمعين لا الطمرا في ولا ابن سينا وذلك أن حاصل علاجهم أنهم بعد الوقوف على المادة
 المستعدة بالاستعداد الأول يجمعون لها موضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى

قالوا لي أن تخييك بما حيا
 الله في كتابه رهله وأنباءه
 وحيث به ملائكته في
 جواره أولياءه فأقول
 السلام عليكم يرسل من
 رحمة الله غماما ويفتق من
 الطروس عن ازهار المحامد
 كما ما يستحب من البركات

أحاطه ذهباً أو فضة وبضائع القوى الفاعلة والمنفعة لئيم في زمان أقصر لأنه تبين في موضعه أن مضاعفة قوة
 الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين أن الذهب إنما يتم كونه في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين دورة الشمس
 الكبرى فإذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو تجرون
 بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة تصيرها كالحجارة فتفعل في الجسم المعالج الأفاعيل المطلوبة في
 أحاطته وذلك هو الأكسبر على ما تقدم وأعلم أن كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر
 الأربعة على نسبة متفاوتة إذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في
 كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان فلا بد من
 اختلاف أطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور إلى طور حتى ينتهي إلى غايته وانظر شأن الإنسان في طور
 النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم إلى نهايته ونسب الأجزاء في كل طور
 تختلف في مقاديرها وكيفياتها والالكان الطور بعينه الأول هو الآخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مختلفة
 لها في الطور الآخر فانظر إلى الذهب ما يكون له في معدنه من الأطوار منذ ألف سنة وثمانين وما ينتقل فيه من
 الأحوال فيحتاج صاحب الكيمياء إلى أن يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه إلى أن يتم ومن
 شرط الصناعة أبداً تصور ما يقصد إليه بالصناعة فمن الأمثال السائرة للحكام أول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة
 أول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في أحواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحار
 الغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما يتوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه حتى
 يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن أو تدل بعض المواد بصورة مزاجية تكون كصورة الحجرة للخبز وتعمل في
 هذه المادة بالنسبة لقواها ومقاديرها وهذه كلها إنما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وإنما
 حال من يدعى حصوله على الذهب بهذه الصناعة بمثابة من يدعى بالصناعة تخليق إنسان من المني ونحن إذا سلمنا له
 الإحاطة بأجزائه ونسبته وأطواره وكيفية تخليقه في رحمه وعلم ذلك علماً محصلاً بتفاصيله حتى لا يشذ منه شيء عن
 علمه سلمنا له تخليق هذا الإنسان وأني له ذلك * ولتقرب هذا البرهان بالاختصار يسهل فهمه فتقول حاصل
 صناعة الكيمياء وما يدعونه بهذا التدبير أنه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي ومحاذاتها إلى أن يتم كون
 الجسم المعدني أو تخليق مادة بقوى وأفعال وصورة مزاجية تفعل في الجسم فعلاً طبيعياً قصيره وتقلبه إلى صورتها
 والفعل الصناعي مسبوق بصورات أحوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها أو محاذاتها أو فعل المادة ذات
 القوى فيها تصوراً مفصلاً واحدة بعد أخرى وتلك الأحوال لانهايتها والعلم البشري عاجز عن الإحاطة بما
 دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق إنسان أو حيوان أو نبات هذا محصل هذا البرهان وهو أوثق ما علمته وليست
 الاستحالة فيه من جهة الفصول كجراثيمه ولا من الطبيعة إنما هو من تعذر الإحاطة وقصور البشر عنها وما ذكره
 ابن سينا بمنزل عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك أن حكمة الله في الحجرين وندورهما أنهما
 قيم لمكاسب الناس وتمولانهم فلو حصل عاينهما بالصناعة لبطلت حكمة الله في ذلك وكنز وجودهما حتى لا يحصل
 أحدهما اقتناؤه ما على شيء وله وجه آخر من الاستحالة أيضاً وهو أن الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها
 وترتكب الأعيوش والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح وأنه أقرب من طريق الطبيعة
 في معدنها وأقل زماناً لما تركت الطبيعة إلى طريقها الذي سلكته في كون الفضة والذهب وتخليقهما وأما نشيبه
 الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لأمثاله في الطبيعة كالقرب والتحل والحبة وتخليقها فأمر صحيح
 في هذه أدي إليه العثور كما زعم وأما الكيمياء فلم ينقل عن أحد من أهل العلم أنه عثر عليها ولا على طريقها وما
 زال متحلوها يخطون فيها خبط عشواء إلى هلم جرا ولا يظفرون إلا بالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لأحد

ما يكون على التي هي أحسن
 من ذلك هاهنا وأجسد
 السؤال عن الحال الحالية
 بالعلم والدين المستمدة من
 أنوارها سرج المهتدين
 زاده الله صلاحاً وعرفها
 نجاحاً يتبع فلاحاً وأقر ما
 عندي من تعظيم ارتقى كل

منهم لحفظه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه وتوقف في الأصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده إلى أن ينتشر ويبلغ
الينا أو إلى غيرنا أو ما قولهم أن الأكسير بمثابة الخيرة وأنه مركب يحيل ما يحصل فيه ويقبله إلى ذلك فاعلم أن الخيرة
انما تقاب العجيز وتعد له لضم وهو فساد وانفساد في المواد سهل يقع بإيسر شيء من الأفعال والطابع المطلوب
بالأكسير قاب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصالح والتكوين أصعب من الفساد فلا يقاس
الأكسير بالخيرة وتحقيق الأمر في ذلك أن الكيمياء انصح وجودها كترغم الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن
حيان ومسلمة بن أحمد الجربطي وأما لهم فليست من باب الصنائع الطبيعية ولا تباير صناعي وليس كلامهم فيها
من منجى الطبيعيات انما هو من منجى كلامهم في الأمور السحرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك لا علاج وغيره
وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيم من هذا المنجى وهذا كلام جابر في
رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا إلى شرحه وبالجملة فأمرها عندهم من كليات المواد الخارجة عن
حكم الصنائع فكلا لا يتدبر مامنه الحشب والحيوان في يوم أو شهر خشباً أو حيواناً فإعداد جبري تخليفه كذلك لا يتدبر
ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته الأبارق فادمسا وراء عالم الطبايع وعمل الصنائع فكذلك
من طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم لأن نياها ان كان صحيحاً فهو
وانع مما وراء الطبايع والصنائع فهو كالمشي على الماء وامتطاء الهواء والتفوق في كثائف الأجساد ونحو ذلك من
كرامات الأولياء الخارقة للعادة أو مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى وإذ تخلق من الطين
كهية الطير باذني فتفخخ فيها فتكون طيراً باذني وعلى ذلك فسدليل تيسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما
أو تها الصالح ويؤتاها غير فتكون عنده معارة وربما أو تها الصالح ولا يملك إنشاءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا
الباب يكون عملها سحر يافتقد تين أنما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة ما معجزاً أو كرامة أو سحر أو لهذا
كان كلام الحكماء كلهم فيها الغارز لا يظفر بحقيقته إلا من خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم
الطبيعة وأمور خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد أحد إلى تحصيلها والله بما يعملون محيط وأكثير ما يحمل
على التماس هذه الصناعة واتخاذها هو كقلناه العجز عن الطرق الطبيعية للعاش وابتعاؤه من غير وجودها الطبيعية
كالفلاحة والتجارة والصناعة فيستعصب العاجز ابتغاء من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه
غير طبيعية من الكيمياء وغيرها أو أكثر من يبنى بذلك الفقراء من أهل العمران حتى في الحكماء المتكلمين في
انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء فكان من أهل النفي والثروة الفارابي القائل
بإمكانها كان من أهل الفقر الذين يزعمون أدنى بلغة من المعاش وأسبابه وهذه تهمة ظاهرة في أنظار النفوس
المولعة بطرقها واتخاذها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

آونة شرفه واعتقاد جميل
يرفع عن وجه البدر كلفه
وتناء انشريدك البيضاء
صفحه وعلى ذلك أيها السيد
المالك فقد تشعبت على
في مخاطبتك المسالك ان
أخذت في تقرير فضلك
العميم ونسبك الصميم

فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عاقبة عن التحصيل

٢٨

(اعلم) أنه مما أضرب الناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم
وتعد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها
كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون
رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلاً وما كتب عليه من الشروحات
الفقهية مثل كتاب ابن بونس واللامخي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتية وكذلك
كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القبروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية
وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتاوى كلها متكررة والمضي واحد والمتعلم
مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما ينهوا العمريه في واحد منها ولو اقتصر المتعلمون بالمتعلمين على المسائل

المدنية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير كان التعام سهلا وما اخذه قريبا ولكن داء لا يرتفع لاستقرار العوائد
عاليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويها او يمثل أيضا علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه
وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن
الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينتضي عمره دونه ولا يطعم أحد في الغاية منه
الا في القليل النادر مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر
يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم يحصل الاسيويوه وابن جني
وأهل طبقتها العظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاصيله وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على أن
الفضل ليس منحصر في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن
فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا نادر من نادر الوجود والا فالظاهر أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له
بتحصيل علم العربية مثلا الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله
يهدي من يشاء

فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم

٢٩

ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم بولعون بها ويدونونها من هار نامجا مختصرا في كل علم
يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك
مخللا بالبالغة وعسرا على الفهم وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان
فاختصروها وتقرىباللحفظ كما فعل ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق
وأمناهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تحايطا على المبتدي بالقاء الغايات من العلم عايم
وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم ككسبائي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ
الاختصار العويصة للفهم تزامم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لأن ألفاظ المختصرات مجدها
لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حفظا صالحا من الوقت ثم بعد ذلك فالمملكة الحاصلة من التعليم في تلك
المختصرات اذا تم على سداده ولم تقب آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة
المطولة بكثير مما يقع في تلك من التكرار والاحالة المفيد لحصول الملكة التامة واذا اقتصر على التكرار قصرت
الملكة لقاته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فتقصروا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوا هم صعبا
يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والله
سبحانه وتعالى أعلم

فوالله ما أدري بأى يعة
لفخرتك تدفع الظلم وفي
أى بحر من تائبك يسبح
القلم الامرجال والشمس
تكبر على حلى وحلال وان
أخذت في شكاة الفراق
والاستعداد على الاشواق
وأسله اليراع تحضب مفارق

فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

٣٠

(اعلم) أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا قليلا قليلا ياتي عليه أولا
مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويسر به في شرحها على سبيل الاجمال وبراغي في ذلك قوة
عقله واستعداد لقبول ما يرد عليه حتي ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية
وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفع في تلقين عن تلك الرتبة
إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي
إلى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شذفلا يترك عو يصاولاهما ولا مغالاة واضحة وفتح له مقله
فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد وهو كرايت انما يحصل في ثلاث تكرارات
وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخاق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي

أدر كنا يجهلون طرق التعاميم وأفادته ويحضررون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقلدة من العلم ويطلبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراناً على التعاميم وحسوا بآفها ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويحاطون غايه بما يلحقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعدلفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً ويكون المتعلم أول الامر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن وإذا أقيمت غاياته في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي ويعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتماذى في هجرانه وانما أتى ذلك من سوء التعاميم ولا ينبغي للعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعلم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعاميم مبتدئاً كان أو متنبهاً ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكة ينفع في غيره لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعدها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والتموض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم وإذا خاطب عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه التكالل وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعاميم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد يتفرق الجالس وتقطع ما بينهما لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بغيرها وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة بجانبه للنسيان كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا توسى الفعل توسيت الملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجلية والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علماً من معارفه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما ما ساقه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلطان معا ويستعصمان ويعود منهما بالحيلة وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فربما كان ذلك أجدر بتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(فصل) واعلم أيها المتعلم أني أتحنك بفائدة في تعاملك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكثرة عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها كما فطر سائر مبدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البعث الأوسط من الدماغ تارة يكون مبدأ للافعال الإنسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأ للعلم ما لم يكن حاصلًا بأن يتوجه إلى المطلوب وقد تصور طر فيه ويروم نفسه أو اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر إن كان واحداً وينتقل إلى تحصيل آخر إن كان متعددًا ويصير إلى الظفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفة لتعلم سداده من خطئه لأنها وإن كان الصواب لها ذاتياً إلا أنه قد يعرض لها الخطأ في الأقل من تصور الطرفين على غير صورتها من اشتباه أحياناً في نظم القضايا وترتيبها للتأني فتمين المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد إذا عرض للمنطق إذا أمر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكونه أماً صناعياً استغنى عنه في الأكثر ولذلك تجدد كثير من غفول النظر في الخلقية يحصون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فإن ذلك أعظم معنى ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفضي بالطبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الأمر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم وهي معرفة الألفاظ ودلالاتها على المعاني الذهنية ترد هاهنا من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد

الطروس بصيغ الحبر
المراق وغيره من تركض
في مخاطبته حياد البراع في
مجال الرقاع مستولية على
أمد الأبداع والاختراع
فانما هو بث يكي وفراق
يشكي فيعلم الله مرضى
عن أن أشافه من أنباتك

أيا المتعلم من مجاوز تلك هذه الحجب كلها إلى الفكر في مطلوبك فأولاد الالة الكتابة المرسومة على الالفاظ
المقولة وهي أخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قواها
المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر أشراك يقتضيهما المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض
لرحمة الله ومواهبه وليس كل أحد يجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعلم بسهولة بل ربما
وقف الذهن في حجب الالفاظ بالمناقشات أو عثر في أشراك الأدلة بشغب الجدال والشبهات وقعد عن تحصيل
المطلوب ولم يكدي شخص من تلك الغمرة الا قليل ممن هذا الله فإذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك
أو تشغب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك وانتبذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الامر الصناعي جملة
واخص الى قضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرح نظرك وفرغ ذهنك فيه لفصوص علي مرامك منه واضعا
له بحيث وضعها كابر انظار قبلك مستعرضا للفتح من الله كفتح عليهم من ذهنهم من رحمته وعلمهم مالم
يكونوا يعلمون فإذا فعلت ذلك أشرفت عليك أنوار الفتح من الله بالظفر بمطلوبك وحصل الامام الوسط الذي
جهله الله من مقتضيات هذا الفكر وفطره عليه كقائمه وحيثما ذر جمع به الى قوا الالفة وصورها فأفرغ فيها
ووفه حقه من القانون الصناعي ثم اكسبه صور الالفاظ وأبرزه الى عالم الخطاب والشافهية وثيق العرى صحيح
البيان * وأما ان رقت عند المناقشة والشبهة في الأدلة الصناعية وتمحيض صوابها من خطئها وهذه أمور
صناعية وصعبة تستوى جهاتها المتعددة وتشابه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تتميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما
تستبين اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباك وتسدل الحجب على المطلوب وتقع مد بالناظر عن
تحصيله وهذا شأن الاكثر من النظار والمتأخرين سيما من سبقته له بحجة في اسانه فربطت على ذهنه ومن
حصل له شغب بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد أنه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شبه الالفة
وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى ذلك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كقائمه اذا جرد عن جميع
الاهوام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى وأما المنطق فانما هو واصف لفعل هذا الفكر فيساقه لذلك في
الاثر فاعتبر ذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره بالا الهام الى الصواب
والله الهادي الى رحمته وما العلم الا من عند الله

نفور البروق البواسم وأن
أحملك الرسائل حتى مع
سفر النواسم وأن اجتلي
غرر ذلك الحيين في محيا
الشارق ولج البارق
ولقد وجهت اليك جملة
من الكتب والقصائد ولا
كالة صيدة الفريدة في تأيين

٣١ فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل

(اعلم) أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث
والفقه وعلم الكلام وكالطبيعات والاهليات من الفلسفة وعلوم هي آية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها
لشرعيات وكانها في الفلسفة وربما كان آلة العلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتأخرين فأما العلوم التي هي
مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الأدلة والانظار فان ذلك يزيد طالبا تمكنا في
ملكته وايضا حائلا عليها المقصودة وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن
ينظر فيها الامن حيث هي آلة لذلك الغرض فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك يخرج لها عن
المقصود اذ المقصود منها هي آلة لا غير فكما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود ودار الاشتغال بها للعوام
ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم
المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أن شأنها هم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون
الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضيق بالعمور وشغلا بلا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النجوم وصناعة
المنطق وأصول الفقه لانهم أوسعوا دائرة الكلام فيها وأكثروا من التفاريع والاستدلالات بما أخرجهما عن
كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لاحاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع العلوم وهي

أيضا مضرة بالتعلمين على الإطلاق لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصود أكثر من اهتمامهم بوسائلها فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فتي يفتقرون بالمقاصد فهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستبحروا في شأنها ويبنوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فمن نزعت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل فيرقله ما شاء من المراق صعبا وسهلا وكل ميسر لما خلق له

٣٢ فصل في تعاليم الولدان واختلاف مذاهب المصار الإسلامية في طرقه

(اعلم) أن تعاليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين أخذه أهل الملة ودروا عليه في جميع أمصارهم لما سبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعاليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعض من الملكات وسبب ذلك أن تعاليم الصغار شرسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حساب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبغي عليه واختلفت طرقهم في تعاليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعاليم من الملكات فأما أهل المغرب فذهبهم في الولدان الإقتصار على تعاليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسوا في شيء من مجالس تعليمهم لأم من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحدق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب أهل المصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا أحد البسوغ إلى الشبيبة وكذا في الكبير إذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمر يفهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما أهل الأندلس فذهبهم تعاليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعى في تعاليم الأهل ما كان القرآن أصل ذلك وأسهو ومنبع الدين والعلوم جملة أصلا في التعاليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها ونحو الخط والكتاب ولا يخص عنايتهم في التعاليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شذبا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بها ويرزق في الخط والكتاب وتماق باذيل العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون عند ذلك لا يقطع سند التعاليم في آفاقهم ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعاليم الأول وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعدادا إذا وجد المعلم وأما أهل أفريقيا فيخاطبون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارس قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان آياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لأن سند طريقهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتونس وعندهم أخذ ولدانهم بعد ذلك وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما بلغنا ولا أدري بم عنايتهم منها والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وحفظ العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعاليم الخط بل تعاليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراد كما تعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجابة ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يستج له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويقتنيه من أهل صنفته فأما أهل أفريقيا والمغرب فأذهبهم الإقتصار على القرآن القصور عن ملكة الإنسان جملة وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الاتيان بملته فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في الإنسان العربي وحظه الجود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان أهل أفريقيا في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارة العلوم في قوانينها كإقلاها

الجواهر اللآلئ استأثر به
البحر قدس الله أرواحهم
وأعظم الله أجرك فيهم
فلها أنفت على مائة وخمسين
يتناول أدري هل بانكم
ذلك أم غاله الضياع وعذر
وصوله بعد المسافة والذي
يطرق في سوء الظن بذلك

فيقدرون علي شيء من التصرف ومحاذاة المنسل بالمثل الآن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم بعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها فكانوا لذلك أهل خط وأدب أربع أومة مصر على حسب ما يكون التعميم الثاني من بمدتعليم الصبا ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته الي طريقة غريبة في وجه التعميم وأعاد في ذلك وأبدى وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس قل لان الشعر ديوان العرب ويدعو الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الي الحساب فيجرب فيه حتي يرى القواني ثم ينتقل الي درس القرآن فانه يتيسر عليه هذه المقدمة ثم قال ويا غفلة اهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه ثم قال ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ونهي مع ذلك أن يخلط في التعليم علمان الآن يكون التعلّم قابلاً لذلك بحودة الفهم والنشاط هذا ما أشار اليه القاضي أبو بكر رحمه الله وهو لم يري مذهب حسن الآن العوائد لا تساعد عليه وهي أملاك بالاحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إيثارا للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبام والآفات والقواطع عن العلم فيفوت القرآن لانه مادام في الحجر متقاداً للحكم فإذا تجاوز البلوغ وأنحل من ريقه القهر فربما عصفت به رياح الشبهة فألقته بساحل البطالة فيقتنون في زمان الحجر وريقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلوامنه ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله للتعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى مأخذ به أهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه

فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم

٣٣

وذلك أن ارهاق الحدي في التعليم مضر بالمعلم سيما في أصاغر الولد لانه من سوء المملكة ومن كان مراباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطابة القهر وضيق علي النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودجالى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الايدى بالقهر عليه وعمله المكر والحيلة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقاً فسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والترن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومزله وصار عيالاً على غير ذي ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فالتقيت عن غايتها ومدي انسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبر في كل من يملك أمره عاياه ولا تكون المملكة الكافلة له رقيقة به تجد ذلك فيهم استقراء وانظر في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خالق السوء حتي أنهم بوصفون في كل أفق وعصر بالخرج ومفناد في الاصطلاح المشهور والتخابث والكيد وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب وقد قال أبو محمد بن أبي زبيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزبد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيئاً ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لأدبه الله حرصاً علي صون النفوس عن مذلة التأديب وعلماً بأن المقصد الذي عني الشرع لذلك أملاك له فانه أعلم بمصلحته ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين فقال يا أحمراًن أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمره قلبه ففسر يدك عليه بمسوطة وطاعته لك واجبة فكأن له بحيث وضعتك أمير المؤمنين أقرأ القرآن وعرفه الاخبار ورواه الاشعار وعلّمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبذنه وامنه من الضحك الا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضر واجلسه ولا تفرق بك

ما صدر في مقابلته منكم فاني
على علم من كرم قصدكم
ومن حين استقر بناكم بذلك
الافق الشرق لم يصافى منكم
كتاب مع علمي بضيا عاين
منها بهذا الافق الغربي اه
وفي الكتاب اشارة الي أنه
بعث قصيدة في مدح الملك

ساعة الا وانت مقسم فائدة تفيد اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمنع في مساحته فيستحلي الفراغ وبالفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اياها فعلك بالشدة والغلظة اه

فصل في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم

٣٤

والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخالطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرة لا اختلاف الطرق فيها من المعنيين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجدر العالم عنها ويعلم انها إجماع تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات ويصح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يمر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لابد منها في طاب العالم لاكتساب الفوائد السكال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فصل في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

٣٥

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في ذهن أمور كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس ويطلبون من بعد ذلك انكلي على الحار حيات وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثلة ما اعتادوه من القياس الفقهية فلا تزال أحكامهم وأنظارهم كلها في ذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد ان فراغ من البحث والنظر ولا تصير بالجملة الى مطابقة وانما يتفرع في الخارج عما في ذهن من ذلك كالأحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة فتطابق مطابقة ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها ما في الخارج فهم متعودون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والانظار الفكرية لا يبرفون سواها والسياسة محتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلاحظها من الاحوال ويتبعها فانها خفية ولعل ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشبه أو مثال وينافي انكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شي من أحوال العمران على الاخذ اذ كما اشبه في أمر واحد فاعلمهما الاختلاف في أمور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور بعضها على بعض اذا نظروا في السياسة أفرغوا ذلك في قالب أنظارهم ونوع استدلالهم فيقعون في الغلط كثيرا ولا يؤمن عليهم ويأخذ بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران لانهم ينزعون بثقوب أذهانهم الى مثل شأن الفسقاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف من الاحوال والاشيخاص على ما يخص به ولا يتعدى الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالساج لا يفارق البر عند الموح قال الشاعر

فلا توغلن اذا ما سبحت * فان السلامة في الساحل

فيكون مأموما من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة أبناء جنسه فيحسن معاشه وتدفع آفاته ومضاره باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا يتبين أن صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من الاتزاع وبهذه عن المحسوس فانها تنظر في المقولات الثواني واسل المواد فيها ما يمنع تلك الأحكام وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني وأما النظر في المقولات الاول وهي التي تجر يد هافرير فليس

الظاهر صاحب مصر
ويطلب من رنمها الى
السلطان وعرضها عليه
بحسب الامكان وهي على
روى المهزدة مطلعها

كذلك لانها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق
 (فصل في أن حملة العلم في الاسلام أكثرهم المعجم)

٣٦

من الغريب الواقع أن حملة العلم الاسلامية أكثرهم المعجم لامن العلوم الشرعية ولامن العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيعته مع أن الملة عربية وصاحب شريعتهما عربي والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضي أحوال السداجة والبدوة وانما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولادفعوا اليه ولادعتهم اليه حاجة وجري الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المتخصصين بحمل ذلك ونقله القراء أي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا أميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا يعرفون لحلمة القرآن يومئذ فإشارة الى هذا فهم قراء لكتاب الله والسنة المأثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الامنة ومن الحديث الذي هو في الغالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فساد احتياج الى وضع التفسير القرآني وتفسير الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقين للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما دونه ثم كثرت استخراج أحكام الوقائع من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك لسان فاحتيج الى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ما كانت في الاستنباط والاستخراج والتظير والقياس واحتاجت الى علوم أخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد الايمانية بالدلالة الكثيرة البدع والاحاد فصارت هذه العلوم كلها علوم ذات ملكات محتاجة الى التعاليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضرة وأن العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم بذلك حضرة وبعدها العرب وعن سوقها والحضرة لذلك المعهد هم المعجم أو من في معانهم من الموالى وأهل الخواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضرة وأحوالها من الصنائع والخرف لانهم أقوم على ذلك للحضرة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو سيويو والفارسي من بعدهم والزجاج من بعدهما وكلهم عجمي في أنسابهم وانما ربوا الى لسان العربي فاكتسبوا به رضى ومخالطة العرب وصبروه قوانين وفنائل بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الاسلام أكثرهم عجمي أو مستعجمون باللغة والمربي وكان علماء أصول الفقه كلهم عجمي كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا كثير المفسرين ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعاقب العلم باكتاف السماء لانه قوم من أهل فارس وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضرة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولى سياستها ما يلحقهم من الانفة عن اتحال العلم حينئذ بمصارف جملة الصنائع والرؤساء أبا يستكفون عن الصنائع والمهن وما يجري اليها ودفعوا ذلك الى من قام به من المعجم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحتجرون حملتها كل الاحتقار حتي اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتنع حملتها بما يرون أنهم بداء عنهم مشتغابن بما لا يفي ولا يجدي عنهم في الملك والسياسة كما ذكرناه في نقل المرامب الدينية فهذا الذي قرناه هو السبب في أن حملة الشريعة أو عامتهم من المعجم وأما العلوم العقلية أيضا فلم تظهر في الملة الا بعد أن تميزت بحلمة العلم ومؤلفوه واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالمعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن اتحالها فلم يحملها الا العربون

أمد مع منهلة أم
 لؤلؤ
 لما سهل العارض
 المتلائي
 وبث في طي الكتاب
 واعذر بأنه استتاب في
 نسخها فكتبت همزة رويها
 ألفا قال وحققا أن تكتب

من العجم شأن الصنائع كما قلنا أو لا فلم يزل ذلك في الامصار مادامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم حلة لما شغلهم من البدوة واختص العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أو فر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها فاهم بذلك حصنة من العلوم والصنائع لا تنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تأييد وصلت النبال الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني واما غيره من العجم فلم تر لهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاما يعول على نهايته في الاصابة فاعتبر بذلك وتأمله ترجحاً في احوال الخليفة والله يخاف ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والمحمد لله

﴿فصل في علوم اللسان العربي﴾

٣٧

أركانها أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة اذ مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوتت في التأكيذ بتفاوت مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فافتنا والذي يحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو اذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولا جهل أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولأن أكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يتبق له أثر فلذلك كان علم النحو اهم من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

﴿علم النحو﴾

بالواو لانها تبدل بالواو وتعمل بين الهمزة والواو وحرف الاطلاق يسوقها واواهاذا مقتضى الصناعة وان قال بعض الشيوخ تكتب الفاعل كل حال على لفظة من لا يسهل لكنه ليس بشيء واذن في نسخ

اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير مدركة متبررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم وكانت المملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها بانية عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول والمجرور وأغنى المضاف ومثل الحروف التي تقضي بالافعال الى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب واما غيره هامن اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فصار للمجرور في لغاتهم والحركات والهيئات أي الاوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الاول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز اطلب الملك الذي كان في أيدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بمآتي اليها السمع من المخالطات التي للمتربين والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بمآتي اليها ما ينافر هالجنو حها اليه باعتماد السمع وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينقل القرآن والحديث على الفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها أثر أنواع الكلام ويلحقون الاشياء بالاشياء مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميتها اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدها

القصيدة المذكورة بالخط
المشرقي لتسهيل قراءتها
عليهم ففعلت ذلك ورفعت
النسخة والاصل للسلطان
وقراها كاتب سره ولم
يرجع الي منهاشي ولم يستجد
أن أنسخها قبل رفعها الى
السلطان فصاعت من يدي

بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو وأول من كتب فيها أبو الأسود
الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشارة على رضى الله عنه لأنه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ففرع الي ضبطها
بالقوانين الحاضرة المستقرة ثم كتب فيها الناس من بعده الي أن انتهت الي الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد
أحوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكل أبوابها وأخذها عنه سيويه فكمل
تفاريحها واستكثر من أدلتها وشواهدا ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار اماما لكل ما كتب فيها من بعده ثم
وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتابا مختصرا للمتعلمين يحدون فيه احذوا الامام في كتابه ثم طال
الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين اهلها في الكوفة والبصرة المصريين القديمين للعرب وكثرت الادلة
والحجج بينهم وتباينت الطرق في التعاميم وكثر الاختلاف في اعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك
القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاقتصر واكثر من ذلك الطول
مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وامثاله أو اقتصرهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله
الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له ووربما نظموه ذلك نظاما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبير
والصغرى وابن معطي في الارجوزة الالفية وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها
وطرق التعاميم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون
والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة أن تؤذي بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر
العلوم والصنائع بتناقص العمران ووصل النيبا بالغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الي جمال الدين بن
هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الاعراب بحملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجل وحذف ما في
الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماه بالغم في الاعراب وأشار الي نكت اعراب القرآن كلها وضبطها
بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائر هافوقها منه على علم جه يشهد به لوقدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته
منها وكانه يخوف في طريقته من حادة اهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطاح تعليمه فأثني من ذلك بشي
عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء

(علم اللغة)

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو
بالاعراب واستبطلت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بلا بسة المعجم ومخالطهم حتى تأدى
الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجة المتعربين في
اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس
وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمع كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق
الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فخصر فيه مركات حروف المعجم كلها من الثاني
والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما انتهى اليه التركيب في اللسان العربي وتأتي له حصر ذلك بوجوده عديدة
حاصرة وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الي سبعة وعشرين وهو
دون نهاية حروف المعجم الواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة
وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون
مع الثامن والعشرين فيكون واحدا فتكون كلها اعدادا على التوالي العدم من واحد الي سبعة وعشرين فتجتمع كما
هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثاني لان التقديم والتأخير بين الحروف ممتبر في
التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الي ستة

وعشرين لان كل ثنائية يزيد بها حرف فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجتمع من واحد الى ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم يضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمده في ترتيب الخارج فبدأ بحروف الحلق ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخرها وهي الحروف الهوائية وبدأ من حروف الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمي كتابه بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي أكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ولحق به الثاني لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة فاختصر مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المستعمل ولخصه للاختصار أحسن تلخيص وألف الجوهرى من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداية منها بالهزمة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الأكثر الى أواخر الكلم وحصر اللغة اقتداء بمحصر الخليل ثم ألف فيها من الاندلسيين ابن سنيده من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنهج من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصريفها فجاء من أحسن الدواوين ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أواخر الكلم وبناء التراجيم عليها فكانت أوامحي رحم وسليلى أبوة هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة ببعض الابواب أو كلها الآن وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جليل من قبل التراكيب كرايت ومن الكتب الموضوعة أيضا في اللغة كتاب الزمخشري في المجازين فيه كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة ألفاظ أخرى خاصة بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزير المأخذ كما وضع الابيض بالوضع العام اكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالامح حتى صار استعمال الابيض في هذه كلها خنا وخروجا عن لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنهج الغمالي وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من أكد ما يأخذ به النحوي نفسه أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتي يشهد له استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمه ونثره حذر ان أن يكثر لحنه في الموضوعات النحوية في مفرداتها وتراكيبها وهو أشد من اللحن في الاعراب وأخفى وكذلك ألف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بمصرها وان لم يتابع الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الأكثر استعمالا تسهلا لخلقها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصح الثعلبي وغيرها وقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الاهم على الطالب للمحفظ والله الخلاق العالم لارب سواه

(علم البيان)

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق بالالفاظ وما يقيد ويقصد بها

وكان في الكتاب فصل
عرفني فيه بشأن الوزير
مسمود بن رحو المستبد
بأمر المغرب لذلك العهد
وما جاء به من الانتقاض
عليهم والاكفران لصنيعهم
يقول فيه كان مسمود بن
رحو الذي أقام بالاندلس

الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات
تسند ويسند إليها ويفضي بعضها إلى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال والحروف وأما
تمييز المسندات من المسند إليها أو الأزمنة ويدل عليها بتغير الحركات وهو الأعراب وأبنية الكلمات وهذه كلها هي
صناعة النحوي ويبقى من الأمور المكتتفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه
حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه
وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب فإن كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد
كمال الأعراب والأبانة ألا ترى أن قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند
المتكلم فمن قال جاءني زيد أفاد أن اهتمامه بالجبيء قبل الشخص المسند إليه ومن قال زيد جاءني أفاد أن اهتمامه
بالشخص قبل الجبيء المسند وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة وكذا
تأكيد الاستناد على الجملة كقولهم زيد قائم وإن زيد قائم وإن زيد قائم متغايرة كلها في الدلالة وإن استوت من
طريق الأعراب فإن الأول العاري عن التأكيّد إنما يفيد الحالي الذهن والثاني المؤكّد بان يفيد المتروك
والثالث يفيد المتكرّر في مختلفات وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه جاءني رجل إذا قصدت بذلك
التشكيك تعظيمه وأنه رجل لا يعادله أحد من الرجال ثم الجملة الاستنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج
تطابقه أولاً وإنشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وأنواعه ثم قديمتين ترك العاطف بين الجملتين إذا كان
لثانية محل من الأعراب فينزل بذلك منزلة التابع المنفرد فتعاطف أو يتبعين العطف إذا لم يكن
لثانية محل من الأعراب ثم يقتضي المحل الاطناب والابحاز فيورد الكلام عاينهما ثم قديداً باللفظ ولا يريد
منطوقاً ويريد لازمه إن كان مفرداً كما تقول زيد أسد فلا تريد حقيقة الأسد المنطوقة وإنما تريد شجاعته
اللازمة وتسندوها إلى زيد وتسمي هذه استعارة وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير
الرماد وتريد به ما يلزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لأن كثرة الرماد ناشئة عنه ما فهمي دالة عليهما وهذه كلها
دلالة زائدة على دلالة الألفاظ المفرد والمركب وإنما هي هيات وأحوال لواقعات جعلت للدلالة عليها أحوال
وهيات في الألفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمي بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي
للهيات والأحوال والمقامات وجعل على ثلاثة أصناف الصنف الأول يبحث فيه عن هذه الهيات والأحوال
التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم
اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكناية كإفناءه ويسمى علم البيان والحقوبهم ما صنف آخر وهو النظر
في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه أو
تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لا شتركة اللفظ بينهما وأمثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع
وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدّثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لأن الأقدمين أول ما تكلموا فيه
ثم تلاهت مسائل الفن واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم أملاً أن غير
وأفاه فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً إلى أن محض السكاك زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو
ما ذكرناه آنفاً من الترتيب وألف كتابه المسمى بالفتح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من
بعض أجزائه وأخذ المتأخرون من كتابه ولخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا المهدي كما فعله السكاك في كتاب
التيان وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب الإيضاح والتلخيص وهو أصغر حجماً
من الإيضاح والناية بهذا المهدي عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره وبالجملة فالشارقة على
هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كمال في العلوم اللسانية والصنائع الكالية توجد في العمران

عشرين عاماً يبتك النعم
وقود الدنيا ويغير العيش
والجاء قد أحيز محبة ولد
عثمان كما تعرف من نسخة
كتب انشائه بجبل الفتح
لاهل الحضرة فاستولى
على المملكة وحصل على
الدنيا وانفرد برياسة دار

والمشرق أو فر عمر أن من المغرب كما ذكرناه أو نقول لنناية المعجم وهو معظم أهل المشرق كتنسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله وإنما اختص أهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الادب الشعرية وفرعوا له ألقابا وعددوا أبوابا ونوعوا أنواعا وزعموا أنهم أحصوا ما من لسان العرب وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم ما خذل البلاغة والبيان لدقة أنظارها وغموض معانيها فتجافوا عنها وعن ألف في البديع من أهل أفريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجري كثير من أهل أفريقية والاندلس على منحاه واعلم أن ثمرة هذا الفن انما هي في فهم الإعجاز من القرآن لان إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع السكال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجوده رصفها وتركيبها وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الافهام عن دركه وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ما كتبه فيسدر من إعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما في ذلك لانهم فرسان الكلام وجها بذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصح وأحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جارا لله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فاقر هذا الفضل على جميع التفسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجود البلاغة ولاجل هذا اتجماه كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة فمن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنه بدعة فيعرض عنها ولا تضر في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشئ من الإعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

علم الادب

هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرة وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجسمون لذلك من كلام العرب ما عساه يحصل به الملكة من شعر عالمي الطبقة وسجع متساوي في الاجادة ومساائل من اللغة والنحو بثبوت ثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوافي العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شئ من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا يحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا أرادوا احده هذا الفن قالوا الادب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حيث اذالى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسمعنا من شيوختنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل لابن برود وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي الفاي البغدادي وماسوى هذه الاربعة قبيح لها وفرع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ الغناء انما هو تابعه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وقوته فلم يكن اتحاله قادحا في العدالة والمروءة وقد ألف القاضي أبو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغاني جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجمل

المغرب لضعف السلطان
رحمه الله ولم يكن الا ان
كفرت الحقوق وحظلت
نخلته السحوق وشف
على سواد جلدته سواد
العقوق وداخل من سبتة
فانتقضت طاعة أهلها وظنوا
أن القصة لا تبت لهم وكان

مبناه على الغناء في المسامعة صوت التي اختارها المغنون للرشد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ولعمري انه ديوان العرب وجامع أشات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسعو اليها الاديب ويقف عندها وأنى له بها ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الاجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

﴿فصل أن اللغة ملكة صناعية﴾

٣٨

(اعلم) ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذهى ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التركيب فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة لتعبر بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حيثئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا يحصل الابتكار الا في الالفاظ لان الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة فالتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم هكذا تصيرت اللسان واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو معنى ما قوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الاولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة لمضربا لمضربهم الا عاجم وسبب فسادها أن الناس من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة الخاطئين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ما لم يكن ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها بعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتبهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنو كنانة وغطفان وبنو أسد وبنو تميم وأما من بعدهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وايدو وقضاعة وعرب اليمن المحاورين لأمم الفرس والروم والحبيشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخاطبة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

﴿فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير﴾

٣٩

وذلك أن نجد بها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سبب اللسان المضري ولم يفقد منها الادالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد الآن البيان والبلاغة في اللسان المضري أكثر وأعرف لان الالفاظ باعياها الدالة على المعاني باعياها ويبقى ما يقبضه الاحوال ويسمي بساط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وأن تكتشفه أحوال تخصه فيجب أن تعبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صفاته وتلك الاحوال في جميع اللسان أكثر ما يدل عليها بالالفاظ تخصها بالوضع وأما في اللسان العربي فأنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة اعراب وقيدل عليها بالحروف غير المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل الالفاظ وعبارة من جميع اللسان وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكي عن عيسى

قائدها الشيخ الابهة فدل
الحصار وجلى القتال وعش
الحرب أبوز كريان شعيب
قبت للصدمة ونور للاندلس
فبادره المدد من الجيل ومن
مالقة وتوالت الامداد وخاف
أهل البلد ورجع شرفاؤه
ودخلوا القصة واستغاث

ابن عمر. وقد قال له بعض النحاة اني اجد في كلام العرب تكرار في قولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا قائم
 والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لافادة الحالي الذهن من قيام زيد والثاني لمن سمعه فأنكره
 والثالث لمن صرف بالاصرار على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان
 ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك الى خرفشة النحاة أهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم
 عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع وأخر الكلام
 من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألقاها القصور في أفئدتهم والا
 فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت
 الابانة موجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفيهم
 الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المفلق على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان
 بذلك ولم يفسد من أحوال اللسان المدون الا حركات الاعراب في أواخر الكلام فقط الذي لزم في لسان مضر
 طريقة واحدة وهي ما معروف وهو الاعراب وهو بعض من أحكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان مضر
 لماسد بدعي الطمطم اعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير
 الصورة التي كانت أولا فانقلب لغة أخرى وكان القرآن متزلا به والحديث النبوي منقولا بلغته وهما أصل الدين
 وألمة نخشي تناسيها وانغلاق الافهام عنهما بفسدان اللسان الذي تنزلا به فاحتيج الى تدوين أحكامه ووضع
 مقاييسه واستنباط قوانينه وصار علما ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهل علم النحو وصناعة
 العربية فأصبح فننا محفوظا وعلما مكتوبا وسلمنا الى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافيوا لعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان
 العربي لهذا العهد واستقر بنا أحكامه فمتناض عن الحركات الاعرابية في دلالاتها بأمور أخرى موجودة فيه فتكون
 لها قوانين تخصها ولعلمها تكون في أواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات وملكاتها مجانا ولقد
 كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بهذه المثابة وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري
 وتصاريف كلماته تشهد بذلك الانتقال الموجود لدينا خلافا لمن يحمله التصور على انها لغة واحدة ويلمس
 اجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضربة وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الحميري أنه من
 القول وكثير من أشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها
 وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لهذا العهد ناعم لغة مضر الآن العناية بلسان مضر من أجل الشريعة
 كما قلنا حمل ذلك على الاستنباط والاستقرار وليس عندنا لهذا العهد ما يحمله على مثل ذلك ويدعوننا اليه وما
 وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حديث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من
 مخرج القاف عند أهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى
 وما ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الاعلى كما هي بل
 يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك
 علامة عليهم من بين الامم والاحيالي ومختص بهم لا يشاركونهم فيها غيرهم حتى ان من يريد التعرب والانتساب الى
 الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها وعندهم أنه انما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروية
 والحضري بالنطق بهذه القاف ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقيين معظمهم ورساؤهم شرقا
 وغربا في ولد منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بقي عامر بن صعصعة بن
 معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد أكثر الامم في المعمور وأغلبهم وهم من أعقاب مضر وسائر
 الجيل منهم في النطق بهذه القاف أسوة وهذه اللغة لم يتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من

أهل البلد تن جاوهم
 وجاءهم المدد أيضا ثم
 دخل الصالحون في رغبة
 هذا المقام ورفع القتال
 وفي أثناء ذلك غدر واثانية
 فاستدعي الحال اجازة
 السلطان الخلع أبي العباس
 لتبادر القصة به ويتوجه

ذلك أنها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن أهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي لهذا الحيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فان لغة أهل الامصار أيضا لم يستحدثوها وإنما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح وأهل الحيل أيضا لم يستحدثوها إلا أنهم أبعد من مخالطة الاكاجم من أهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم انه من لغة سلفهم هذا مع اتفاق أهل الحيل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وانها الخاصة التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري فتفهم ذلك والله الهادي المبين

٤٠ ﴿فصل في أن لغة أهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر﴾

اعلم أن عرف التخاطب في الامصار وبين الحضرة ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الحيل بل هي لغة آخرهم قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الحيل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر أبعدت فاما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي يعد عند صناعة أهل التحول لنا وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فالغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب وكذا أهل الاندلس معهم وكل منهم متوصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة بما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الاعراب ليس بصائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد وأما أنها أبعد عن اللسان الاول من لغة هذا الحيل فلان البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة فنخالط المعجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلى أبعد لان الملكة إنما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة من الملكة الاولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعون من العجمة ويربون عليه يبعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق أما افريقية والمغرب فخالط العرب فيها البرابرة من المعجم بوفور عمراتها بهم ولم يكديخلوهم مصر ولا حيل فقلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم وصارت لغة أخرى متميزة والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول أبعد وكذا المشرق لما غلب العرب على أمه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأنظارا وراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى وكذا أهل الاندلس مع عجم الجلالة والافرنجة وصار أهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف أيضا بعضها بعضا كاند كره وكانها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أحيالهم والله يخلق ما يشاء ويقدر

٤١ ﴿فصل في تعليم اللسان المضري﴾

اعلم ان ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الحيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الآن الا ان الغات لما كانت ملكات كما صرنا تعلمها بمكناشان سائر الملكات ووجه التعليم لمن يتبني هذه الملكة ويروى توصيلها بأن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلات المولدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعده وحفظه من أساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والنوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما كما

منها الى المغرب لرغبة بني
مصرين وغيرهم فيه وهو ولد
السلطان المرحوم أبي سالم
الذي قلدكم رئاسة داره
وأوجب لكم المزية على
أولائه وأنصاره وبعده
فصل آخر يطلب فيه كتباً
من مصر يقول فيه والمرغوب

نذكرو على قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظماً ونثراً ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها والله يهدي من يشاء بفضلها وكرمه

٤٢ فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

والسبب في ذلك أن الصناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لافس كيفية فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً مثل أن يقول بصير بالحياطة غير محكم نلكتها في التعبير عن بعض أنواعها الحياطة هي أن يدخل الخيط في خرت الابر ثم يفرزها في لفق الثوب مجتمعين ويخرجهما من الجانب الآخر بمقدار كذا ثم يردّها إلى حيث ابتدأت ويخرجهما قدام منفذها الأول بمطرح ما بين الثقبين الأولين ثم يتبادي على ذلك إلى آخر العمل ويعطى صورة الحبك والتثبيت والتفتيح وسائر أنواع الحياطة وأعمالها وهو إذا طوب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً وكذا الوسئل عالم بالتجارة عن تفصيل الحشب فيقول هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه وآخر قبالتك بمسك بطرفه الآخر وتماقبانه ينسكوا أطرافه المضرسة المحددة تقطع ما صرت عليه ذاهبة وجائية إلى أن ينتهي إلى آخر الخشبة وهو لو طوب بهذا العمل أو شيء منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فإن العلم بقوانين الاعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي وكذلك نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويحيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية فن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب بصير بالجمال هذه الملكة وهو قليل واتفاقياً أكثر ما يقع للمخالفين لكتاب سيبويه فإنه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعبارةهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد المالك كلف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أما كنه ومفاصل حاجته وتنبه به لشأن الملكة فاستوفى تعليمها فكان أباغ في الافادة ومن هؤلاء المخالفين لكتاب سيبويه من يغفل عن التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة وأما المخالفون لكتب المتأخرين الماربية عن ذلك الامن القوانين النحوية مجردة عن اشعار العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو ينتبهون لشأنها فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه وأهل صناعة العربية بالاندلس ومعلوم أنها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيسبق إلى المتبدي كثير من الملكة أثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستمد إلى تحصيلها وقبولها وأما من سواهم من أهل المغرب وأفريقية وغيرهم فاجروا صناعة العربية معجى العلوم بحثاً وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب الآن أعربوا شواهداً أو رجحوا أذهاباً من جهة الاتضاء الذهني لامن جهة محامل اللسان وتراكيبه فاصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين الخلق العقلية أو الجدلو وبدت عن مناحي اللسان وملكته وما ذلك إلا لمدولهم من البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتعمير أساليبه وغفلت عن المراتب في ذلك للتعلم فهو أحسن ما تفيد هذه الملكة في اللسان وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم لكنهم أجزوها على غير ما قصد بها وأصاروها علماً بحثاً وبدوا عن غمرتها وتعلم

من سيدي أن يبعث لي ما أمكن من كلام فضلاء الوقت وأشياخهم على الفاتحة إذ لا يمكن بعث تفسير كامل لأنني أثبت في تفسيرها ما أرجوه النفع عند الله وقد علمتم أن عندي التفسير الذي أوصله عثمان التجاني من

مما قرناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثره الحفظ من كلام العرب حتى يرسم في خياله المتوال الذي نسجوا عليه تراكيهم فينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالف عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الأمور كلها والله أعلم بالغيب

٤٣

﴿فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنه

لا يحصل غالباً للمستعربين من المعجم﴾

اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة لسان وقد مر تفسير البلاغة وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في أفادة ذلك فالتكلم بلسان العرب والبليغ فيه تجرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطبتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التراكيب حتى لا يكاد يخوفه غير منجى البلاغة التي للعرب وإن سمع تركيباً غير جارٍ على ذلك المنحى مجبه ونباعثه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعية وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم أعراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم أنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان فإن هذه القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محالها وقد مر ذلك وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا واقفه عليه لسانه لأنه لا يمتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجبه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يهجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية واليانية فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيماً من صبيانهم نشأ ورثي في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الأعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها وليس من العام القانوني في شيء وإنما هو بمحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك حصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الحيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم ورثي بين أجيالهم والقوانين بمنزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلاح عليه أهل صناعة البيان وإنما هو موضوع لادراك الطعوم ولكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمه وأيضا فهو وجداني لسان كما أن الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق وإذا تبين لك ذلك علمت منه أن الاعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئ عليهم المضطربين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالشرق وكالبربر بالمغرب فإنه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها لاقصاراتهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان وهي لغاتهم أن يستوابعاً يتداوله أهل مصر بينهم في المحاوراة من مفرد ومركب لما يضطرون إليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لأهل الأمصار وبعدها عنها كما تقدم وإنما لهم في ذلك ملكة

تأليف الطيبي والسفر الأول
من تفسير أبي حيان وملخص
أعرابه وكتاب المغنى لابن
هشام وسمعت عن براءة
تفسيراً للامام بهاء الدين
ابن عقيل ووصلت إلى براءة
من كلام (١)
(١) بياض بالأصل

أخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس من
تحصيل الملكة في شيء إنما حصل أحكامها كما عرفت وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتقاد والتكرار
الكلام العرب فان عرض لك ما تسمعه من أن سيديويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فربان الكلام كانوا
أعجبا مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم أن أولئك القوم الذين تسمع عنهم إنما كانوا أعجبا في أنفسهم فقط وأما المرئي
والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها
وكانهم في أول نشأتهم من العرب الذين نشؤوا في أحياهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها فهم وإن كانوا
عجما في النسب فليسوا بأعجبا في اللغة والكلام لأنهم أدركوا الملة في غفوانها واللغة في شبابه ولم تذهب آثار الملكة
ولأن أهل الأمصار ثم عكفوا على الممارسة والمدارس لكلام العرب حتى استولوا على غايته واليوم الواحد من
العجم إذا خاطب أهل اللسان العربي بالأمصار فأول ما يجرد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربي بمنجية الآثار
ويجدهم ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكة اللسان العربي ثم إذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة للكلام العرب
وأشعارهم بالممارسة والحفظ يستفيد تحصيلها فقل أن يحصل له ما قدمناه من أن الملكة إذا سبقها ملكة
أخرى في المحل فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة وإن فرضنا أعجبا في النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلية
وذهب إلى تعلم هذه الملكة بالمدرسة فربما يحصل له ذلك لكنه من التدور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر
وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق لهما وهو غلط أو مغالطة وإنما
حصلت له الملكة إن حصلت في تلك القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء والله يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم

٤٤ فصل في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد
بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان حصوله له أصعب وأعسر

والسبب في ذلك ما سبق إلى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق إليه من اللسان الحضري
الذي أفادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الأولى إلى ملكة أخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد ولهذا نجد
المعلمين يذهبون إلى المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعتقد الحاجة أن هذه المسابقة بصنائعهم وليس كذلك وإنما
هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب نعم صناعة التجوأ أقرب إلى مخالطة ذلك وما كان من لغات
أهل الأمصار أعرق في العجمة وأبعد عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها التي تكن
المنافاة حينئذ واعتبر ذلك في أهل الأمصار فأهل إفريقية والمغرب لمسا كانوا أعرق في العجمة وأبعد عن
اللسان الأول كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقيق أن بعض كتاب القبروان كتب
إلى صاحب له يأخيه ومن لا عدت فقد أعلمني أبو سعيد كلاما أنك كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي
وعاقنا اليوم فلم يتيأ لنا الخروج وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرقا
واحدا وكتابي إليك وأنا مشتاق إليك إن شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري شبيه ما ذكرنا وكذلك
أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان بإفريقية من مشاهير
الشعراء إلا ابن رشيقي وابن شرف وأكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى
الآن مائلة إلى القصور وأهل الاندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثير معاناتهم وامتلائهم من الحفظات
اللغوية نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان المؤرخ أمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن عبدربه
والقسطلاني وأمثالهم من شعراء ملوك الطوائف لما زخرت فيها بحار اللسان والأدب وتداول ذلك فيهم مئين من
السنين حتى كان الانقراض والحلاء أيام تغلب التصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتنافس العمران فتناقص ذلك شأن

الاسرى رضي الله عن
جميعهم ولكني لم أصل إلا
للسملة وذكر أبو حيان في
صدر تفسيره أن شيخه
سليمان النقيب أو أسليمان
لأدري الآن صنف كتابا
في البيان في سفرين جعله
مقدمة لكتاب تفسيره

الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن
المرحل من تامة الطبقة الاشيليين بسبته وكتاب دولة ابن الاخر في أولها وألفت الاندلس أفلاذ كبدها من
أهل تلك الملكة بالجللاء الى العدو الاشيلية الى سبته ومن شرق الاندلس الى أفريقية ولم يلبثوا الى أن انقضوا
واقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدو لها وصوبتها عليهم بوج السنتهم ورسوخهم في العجمة
البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجم بها ابن بشر بن وابن
جابر وابن الحباب وطبقهم ثم ابراهيم الساحلي الطريحي وطبقته وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم المهالك لهذا
العهد شهيدا بسعاية أعدائه وكان له في اللسان ملكة لا تدرك واتبع أثره تلميذه بعده وبالجملة بشأن هذه الملكة
بالاندلس أكثر وتعليمها أيسر وأسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قد مناه من معانة علوم اللسان ومخافتهم
عليها وعلى علوم الادب وسند تعليمها ولأن أهل اللسان المعجمي الذين تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست
عجمتهم أصلا لفة أهل الاندلس والبربر في هذه العدو هم أهلها ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط وهم فيها
منغمسون في بحر عجمتهم وورطاتهم البربرية فيصعب عليهم محصيل الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الاندلس
واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن أهل الاندلس في تمام هذه الملكة
واجادتها بعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخالطهم الا في القليل فكان أمر هذه الملكة في ذلك العهد أقوم
وكان فحول الشعراء والكتاب أو فر لتوفر العرب وأبنائهم بالمشرق وانظر ما شتمل عليه كتاب الاغانى من نظمهم
وشعرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب ودويوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم ومنهم العربية وسيرتهم
وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغناؤهم وسائر مغايرهم فلا كتاب أو عاب منه لاحوال العرب وبقي أمر
هذه الملكة مستحكما في المشرق في الدولتين وريح كانت فيهم أباغ بمن سواهم بمن كان في الجاهلية كذا ذكره
بعد حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم واقضى أمرهم ودولتهم وصار الامر للاعاجم
والملك في أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة الدليم والسلجوقية وخالفوا أهل الامصار والحواضر حتى
بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصار تعلمها منهم مقصرا عن تحصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد
في في المنظوم والمتنوع وان كانوا أكثر من منه والله يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى أعلم وبه
التوفيق لأرب سواه ٤٥ فصل في انقسام الكلام الى في النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه
كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون
ومذاهب في الكلام فأما الشعر فنه المدح والهجاء والرناء وأما النثر فنه السجع الذي يؤتى به قطعا ويأتم في كل
كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا ولا يقطع أجزاء بل يرسل
ارسالا من غير قيد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم وأما القرآن وان
كان من المتنوع الا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مراسلا مطلقا ولا مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي الى
مقاطع يشهد الذوق بآهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الاخرى بعدها حتى من غير التزام حرف يكون
سجعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى افه نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مما نفي تشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم وقال قد فصلنا الآيات وبسمى آخر الآيات منها فواصل اذ ليست أسجعا ولا التزام فيها ما يلتزم في
السجع ولا هي أيضا قواف وأطلق أهم الثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واحتصت بأم
القرآن للقلبة فيها كالتجمل للنثر يا لهذا سميت السبع الثاني وانظر هذا مع قاله المفسرون في تلميل تسميتها بالثاني
يشهد لك الحق برجحنا ما قلناه واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تخص به عند أهله ولا تصالح للفن

الكبير فان أمكن سيدي
توجيهه لأبأس انتهى وفي
الكتاب فصول أخرى في
أغراض متعددة لاحاجة
ألمي ذكرها هنا ثم ختم
الكتاب بالسلام وكتب
اسمه محمد بن يوسف بن
زمر (١)

(١) بياض بالاسم

الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات
وأما ذلك وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام التقية
وتقديم النسب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملته من باب الشعر وقته ولم يفترقا في الوزن واستمر
التأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنشور كله
على هذا الفن الذي ارتضوه وخطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناشوه وخصوصا أهل المشرق وصارت
المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الأسلوب الذي أشرنا اليه وهو غير صواب من
جهة البلاغة لمبالغة في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنشور
المقفي أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر فوجب أن تزه المخاطبات السلطانية عنه إذا سلب الشعر تافها
الودعية وخطا الجبد بالهزل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث
لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام التقية أيضا من اللوذعة والتزين وجلال الملك والسلطان وخطاب
الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب يأتي في ذلك ويبيانه والحمد وفي المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق
الكلام وارساله من غير تسجييع الا في الاقل التادر وحيث ترسله الملكة ارساله من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام
حقه في مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من اطناب أو إيجاز أو حذف أو
اثبات أو نصير ثم أو إشارة وكناية واستمارة أو أفعال المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب
الشعر فذموم وما حمل عليه أهل العصر الاستيلاء المعجزة على السنتهم وقصروهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في
مطابقته لمقتضى الحال فمعجز واعن الكلام المرسل بعد أمده في البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا المسجع
يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويحبرونه بذلك القدر من التزين بالاسجاع
والالقاء البديعة ويفلقون عما سوى ذلك وأكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر أنحاء كلامهم كتاب
المشرق وشعر أو دل هذا العهد حتى أنهم ليخلون بالاعراب في الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم في تجنيس أو
مطابقة لا يجتمعان معهما فيرجحون ذلك النصف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها
تصايف التجنيس فتأمل ذلك بما قد مدنا لك تقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق للصواب بمنه وكرمه والله
تعالى أعلم ٤٦ (فصل في أنه لا تتفق الاجادة في فن المنظوم والمنثور معا الا لقل)

والسبب في ذلك أنه كما ينشأ ملكة في اللسان فاذا تسبقت الي محله ملكة أخرى قصرت بالحمل عن تمام الملكة
اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطباع التي على الفطرة الاولى أسهل وأيسر واذا تقدمت ملكة أخرى
كانت منازعة لها في المسادة القابلة وعاقبة عن سرعة القبول فوقت المنافسة وتندر التمام في الملكة وهذا موجود
في الملكات الصناعية كلها على الاطلاق وقدر هنا عليه في موضعه بخوم هذا البرهان فاعتبر مثله في اللغات
فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من المعجزة كيف يكون قاصر في اللسان العربي
أبدا فالأعجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه
وعلمه وكذا البربري والرومي والأفريقي قل أن يجدا أحدا منهم محكما لملكة اللسان العربي وما ذلك الا لما سبق
الى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر حتى أن طالب العلم من أهل هذه اللسان اذا طلبه بين أهل اللسان العربي جاء
مقصرا في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتى الامن قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل أن اللسان واللغات
شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك أن الصنائع وملكاتها لا تزدهم وان من سبق له اجادة في صناعة فقل أن يجيد أخرى
أو يستولي فيها على الغاية والله خلقكم وما تعملون

وتاريخه العشر ون من
محرم سنة تسع وثمانين
(وكتب الى) قاضي الجماعة
بفرناطة أبو الحسن علي بن
الحسن بن أبي الحمد لله والصلا
والسلام على سيدنا ومولانا
محمد رسول الله ياسيدي
وواحدني ودا وحبنا

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات إلا أن أنما تتكلم في الشعر الذي للعرب فإن أمكن أن تجد فيه أهل اللسان الأخرى مقصودهم من كلامهم والأفكل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى أذهو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الأخير الذي يتفق فيه رويًا وقافية ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكله وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام واحد مستقل عما قبله وما بعده وإذا أفر دكان تاماً في باب في مدح أو تشييب أو رثاء فيحصر الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود بان يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن يناسب المقصود الثاني ويعبد الكلام عن التناثر كما يستطرد من التشييب إلى المدح ومن وصف اليداء والظلول إلى وصف الركب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والعزاء في الرثاء إلى التأثر وأمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس ولهذا الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعماله العرب في هذا الفن وأنما هي أوزان مخصوصة تسمى بأهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة عشر مجزاً بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظاماً واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللسانيات كلها أنما تتكسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد أن يتسبب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن ينفرد دون مسواه فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلاً بنفسه ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم بيت ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالاتها بعضاً مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة منجاده وغرابة فنه كان محكلاً للقرائح في استجداء أساليبه وشحذ الأفكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق بل يحتاج بخصوصه إلى تلطف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصتها العرب بها واستعمالها ولذلك هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بهافي إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الأعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وأنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة يتزعمها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم يتسقى التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان فيرصها في رصاً كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بمحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فإن لكل فن من الكلام أساليباً يختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فسؤال الطول في الشعر يكون بخطاب الطول كقوله * يادارمية بالعلياء فالسند * ويكون باستدعاء الصبح للوقوف والسؤال كقوله * قفا نسأل الدار التي خفت أهلها * أو باستدعاء

ونحي الروح بسداً وقرباً
أبقاكم الله وثوب سيادتكم
صايغ وقرس عادتكم كلما
أفلت الأقارب بازغ أسلم
بأرسلهم عليكم وأقرر
بعض مالدى من الاشواق
اليكم من حضرة غرناطة
مهسداً الله عن ذكر لكم

لصحب علي الطلل كقوله * قفانك من ذكرى حبيب ومنزل * أوبالاستفهام عن الجواب لمخاطب
 اغير معين كقوله * ألم تسأل فخبرك الرسوم * ومثل تحية الطول بالامر لمخاطب غير معين تحيتها
 كقوله * حى الديار بجانب الغزل * أوبالدعاء لها بالسقيا كقوله
 أسقى طولهم أجش هذيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم
 أو سؤاله السقيا لها من البرق كقوله

يبارق طالع منزلا بالبرق * واحد السحاب لها حذاء لا يبق
 أو مثل التفجع في الجرع باستدعاء البكاء كقوله

كذا فاجعل الخطب وليقذع الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر
 أو باستعظام الحادث كقوله * رأيت من حملوا على الاعواد * أوبالتسجيل على الاكوان بالمصيبة
 لفقده كقوله منابت العشب لاحام ولا راى * مضى الردى بطويل الرمح والباع
 أو بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجنح على ابن طريف
 أو بهتة فريقه بالراحة من نقل وطائه كقوله

ألقى الرماح ربيعة بن زار * أودى الردى بفريقك المغوار

وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظم التراكيب فيه بالجل وغير الجمل انشائية وخبرية اسمية
 وفعلية متفقة وغير متفقة مفصلة وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من
 الاخرى يعرفك فيه ما تستفيد به بالارتياض في أشعار العرب من القالب الكلبي المجرد في الذهن من التراكيب
 المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالباء أو النساج والصورة الذهنية المنطبقة
 كالقالب الذي يبني فيه أو المتوال الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب في بنائه أو عن المتوال في نسجه كان فاسدا
 ولا تقول ان معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك لاننا نقول قوانين البلاغة انما هي قواعد علمية قياسية تفيد
 جواز استعمال التراكيب على هيئتها الخاصة بالقياس وهو قياس علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين
 الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقرر هالست من القياس في شئ انما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع
 التراكيب في شعر العرب لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاختداء بها
 في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من العربية والبيان لا تفيد تعليمه
 بوجه وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعماله وانما المستعمل عندهم من ذلك انحاء
 معروفة يطالع عليها الحافظون الكلامهم تتدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فاذا نظر في شعر العرب
 على هذا النحو وبهذه الاساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظرا في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه
 القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب في الذهن انما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما
 تكون في المنظوم تكون في المنثور فان العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين وجاؤا به مفصلا في النوعين ففي
 الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي المنثور يتبرون الموازنة والتشابه بين
 القطع غالبا وقد يقيده بانه بالاسجاع وقد يرسلونه وكل واحدة من هذه معروفة في لسان العرب والمستعمل منها
 عندهم هو الذي يبني مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يجرد في ذهنه من القوالب
 المعينة الشخصية قالب كلي مطلق يحدو حدوه في التأليف كما يحد البناء على القالب والنساج على المتوال فلهذا كان
 من تأليف الكلام منفردا عن نظر النحوى والبيان والعروضى نعم ان مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم

يتضوع طيبه وشكر لا يدوى
 وان طال الزمان رطيبه قد
 كان بلغ ماجرى من تأخيركم
 عن الولاية التي تقلدتم امرها
 ونحمتهم مرها فتمثلت بما
 قاله شيخنا أبو الحسن بن
 الحباب عندا تفصال صاحبه
 الشريف أبي القاسم عن

بدونها فاذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يسمونها
 أساليب ولا يفيد الا حفظ كلام العرب نظما ونثرا واذا قرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده حدا أو رسما
 للشعر به تفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض فانما نقف عليه لاحد من المتقدمين فيأرأناهم وقول المرؤسين في
 حده انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر الذي نحن بصدد له ولا رسم له وصناعتهم انما تنظر في الشعر
 باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد
 من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيلية فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والوصاف المفصل
 باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب
 العرب المخصوصة به فنقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والوصاف فصل عما يخلو من
 هذه فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزاء متفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنشور الذي ليس
 بشعر عند الكل وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون
 أبياته الا كذلك ولم يفصل به شيء وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على أساليب
 العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب يخصصه لا تكون للمنثور وكذا
 أساليب المنشور لا تكون للشعر فسا كان من الكلام منظوما وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعرا وبهذا
 الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر
 في شيء لانهما لم يجريا على أساليب العرب عند من يرى ان الشعر لا يوجد لغيرهم وأما من يرى انه يوجد للعرب
 وغيرهم من الامم فلا يحتاج الي ذلك ويقول مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة واذا قد فرغنا من الكلام
 على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول * اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا اولها
 الحفاظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتي تتشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويؤخر المحفوظ من الحر
 الثقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن أبي
 ربيعة وكثير وذي الرمة وجريز وأبي نواس وحبيب والبحري والرضي وأبي فراس وأكثره شعر كتاب
 الاغاني لانه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فظفمه
 قاصر ردي ولا يطيعه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فن قل حفظه أو عدمه لم يكن له شعر وانما هو نظم
 ساقط واجتتاب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفاظ وشحن القرينة للنسج على المنوال
 يقبل على النظم وبالاكثر منه تستحكم ملكته وترسخ وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتجدي
 رسومه الحرفية الظاهرة اذ هي صادرة عن استعمالها بغيرها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها تنقش الاسلوب فيها
 كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بامثالها من كلمات أخرى ضرورة ثم لا بد له من الحلاوة واستجادة المكان
 المنظور فيه من المياه والازهار وكذا المسموع لاستنارة القرينة باستجماعها وتشيعها بما لا ذا سرور ثم مع هذا
 كله فشرطه ان يكون على جسام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقرينة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في
 حفظه قالوا خيرا الاوقات لذلك اوقات البكر عند الهبوب من النوم وفرار المددة ونشاط الفكر وفي هؤلاء
 الجسام وربما قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب
 الذي افرده هذه الصناعة واعطاء حقه ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله
 فليتركه الى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه ويبني الكلام عليها
 الى آخره لانه ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعه في محله فربما تجيء نادرة قلقة واذا سمح
 الحاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الالبق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يبق الا المناسبة

خطبة القضاء

لامر حبا بالناس أنفارك

اذ جهات رفعة مقدارك

لو أنها قد أوتيت رشدها

ما برحت تمشوا الى نارك

ثم تعرفت كيفية انفصالكم

وانه كان عن رغبة من

السلطان المؤيد هناككم

فلتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتقيح والنقد ولا يرضى به على الترتك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذهوبت فكره واخترع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من الضرورات اللسانية فليهمجها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حطرت أئمة اللسان عن المولدات كتاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى من الملكة ويحجب أيضا المعقدم من التراكيب جهده وانما يقصدهما كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تمقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت ألفاظه طبقة على معانيه أو أوفى فان كانت المعاني كثيرة كان حشو أو استعمل الذهن بالغوص عليها فنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيرون شعرا أبي بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيرون شعر المتنبي والمعري بعدم النسيج على الاساليب العربية كما صرف كان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق وليجنب الشاعر أيضا الخوض من الالفاظ والمقصر وكذلك السوق المتبدل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضا فيصير مبتذلا ويقترب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا وبمقدار ما يقترب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذها طرفان ولهذا كان الشعر في الربائيات والنبويات قليل الاجادة في الغالب ولا يحذف فيه الا الفجول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الجمهور قصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بهذا كله فليروا وضوءا ويداودوا في القرينة فان القرينة مثل الضرع يدرب بالامتراء ويحجب بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك وهذه نبذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنه لابن رشيق

فرددت وقد توهمت
مشاهد تكلم هذه الايات
لك الله يا بدر السماحة
والبشر
لقد حزت في الاحكام منزلة
الفخر

لعن الله صنعة الشعر ماذا * من صنوف الجهال منه لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما * كان سهلا للسامعين مينا
ويرون المحال معنى صحيحا * وخسيس الكلام شيئا ثميننا
يجهلون الصواب منه ولا يد * رونا للجهل أنهم يجهلوننا
فهم عند من سوانا يلامو * ن وفي الحق عندنا يعذروننا
انما الشعر ما يناسب في النظ * م وان كان في الصفات فتونا
فاني بعضه يشاكل بعضا * وأقامت له الصدور المتونا
كل معنى أذاك عنه على ما * تمنى ولم يكن أو يكونا
فتناهى من اليسان الى أن * كاد حسنايين لناظرنا
فكان الالفاظ منه وجوه * والمعاني ركن فيها عيسونا
ان ما في المرام حسب الاماني * يحكي بحسنه المنشدوننا
فاذا ما مدحت بالشعر خرا * رمت فيه مذاهب المشتيننا
جعلت النسب سهلا قريبا * وجلت المدح صدقا ميننا
ونلت ما يهجن في السه * ع وان كان لفظه موزونا
واذا ما عرضته بهجاء * عبت فيه مذاهب المرقيننا
جعلت التصريح منه دواء * وجلت التعريض داء دفينا

واذا ما بكيت فيه علي العا * دين يوم اللبين والظاعينا
 حلت دون الاسى وذلت ما كا * ن من الدمع في العيون مصونا
 ثم ان كنت عاتبا جئت بالوع * د وعيدا وبالصحوبة لينا
 فتركت الذي عتبت عليه * حذرا آمنا عززا مهينا
 وأصح القرىض ما قارب النظ * م وان كان وانحما مستينا
 فاذا قيل أطمع الناس طرا * واذا ريم أعجز المعجزينا
 ومن ذلك أيضا قول بعضهم

الشعر ما قومت ربيع صدوره * وشددت بالتهذيب أس متونه
 ورأيت بالاطناب شهب صدوعه * وفتحت بالايحاز عور عيونه
 وجمت بين قريبه وبعيده * وجمت بين محبه ومعيه
 واذا مدحت به جوادا ماجدا * وقضيت به بالشكر حق ديونه
 أصفيت به بتفش ورضيته * وخصصته بخطيره وثمينه
 فيكون جزلا في مساق صنوفه * ويكون سهلا في اتفاق فتونه
 واذا بكيت به الديار وأهلها * أجريت للمحزون ماء شؤونه
 واذا أردت كناية عن ربية * باينت بين ظهوره وبطونه
 فجمت سامعه يشوب شكوكه * بنبوت وظنونه يقينه

٤٨ ﴿فصل في أن صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لافي المعاني﴾

وامكنك استعفيت عنها
 تورعا
 وتلك سبيل الصالحين كما
 تدرى
 جريت علي نهج السلامة في
 الذي
 تخبرته للنشر منك
 وللحشر

(اعلم) أن صناعة الكلام نظم ونثر انما هي في الالفاظ لافي المعاني وانما المعاني تبع لها وهي أصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاول في الالفاظ بحفظ أمثاله من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسانه مضر ويخاف من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليدينشافي جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقيها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك أن أقدمنا أن لسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر وأيضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا تحتاج الى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوال للمعاني فكأن الأواني التي يفتقر بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم التهوؤ ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

٤٩ ﴿فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بمجودة الحفظ﴾

قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلي قدر جودة الحفظ وطيبته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ فمن كان محفوظه شعر حبيب أو الغاني أو ابن المعتز أو ابن هاني أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابي تكون ملكته أجود وأعلى مقاما ورتبة في البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن التيه أو ترسل اليساني أو العماد

الاصحاحي نزول طبقة هؤلاء عن أولئك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقة من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لان الطبع انما ينسج على منوالها وتمتد قوى الملكة بتفسيدها وذلك أن النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراكات واختلافها انما هو باختلاف ما يرادعيا من الادراكات والملكات والالوان التي تكيفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملكة الشعرية تتشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتظهير المسائل وتقريرها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الى بانية بالعبادات والاذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالحلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى يحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وروحه وينقلب ربانيا وكذا ساثرها وللنفس في كل واحد منها لون تشكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها فلكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ويمتلي به من القوانين العامة والعبارات الفقهية الخارجية عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة لان العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثرت وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لم يمتلي من حفظ النقي الحر من كلام العرب * أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لهذه فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوى ولم أنسبها له وهو هذا

لم أدر حين وقفت بالاطلال * ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال لي علي البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذهي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له والله أبوك انه ابن النحوى وأما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخاطبتهم كلام العرب وأساليبهم في الترسل وانتقامهم له الحيد من الكلام * ذاكرت يوما صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاحمر وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة فقلت له أجد استصعابا علي في نظم الشعر متى رمت مع بصري به وحفظي للجميل من الكلام من القرآن والحديث وقنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلا وانما أتيت والله أعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدة الشاطبي الكبرى والصغرى في القراآت وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول وجل الخونجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس فامتلا محفوظي من ذلك وخدش وجه الملكة التي استمدت لها بالمحفوظ الحيد من القرآن والحديث وكلام العرب ففاق القرينة عن بلوغها فنظر الى ساعة معجبا ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثالك ويظهر لك من هذا الفصل وما تقر فيه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في متورهم ومنظومهم فانما نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطيب وجبريل والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبارش ثم كلام الساف من العرب في الدولة الاموية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم ونرسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في متورهم ومحاوراتهم

وحق بأن العلم ولاك
خطة
من الغزلات فك عنهامدى
العمر
تزيد على مر الجدىدين
جدة
وتسرى النجوم الزاهرات
ولاتسرى

والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للتأقيد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أذكروا
الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث الذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونها ولجت
في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل
الجاهلية بمن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم وشرهم أحسن ديباجة وأسمى رونقا من
أولئك وأرصف مبنى وأعدل تنقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهدك به ذوقك إن
كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة ولقد سألت يوما شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة له مدنا وكان
شيخ هذه الصناعة أخذ بسبته عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء
الغاية فيه فسأله يوما ما بال العرب الاسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن يستنكر ذلك بذوقه
فسكت طويلا ثم قال لي والله ما أدري فقلت أعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك ولله السبب فيه وذكرت له هذا
الذي كتبت فسكت معجبا ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب وكان من بعدها يؤثر محلي ويصيح
في مجالس التعاليم الي قولي ويشهد لي بالنباهة في العلوم والله خالق الانسان وعلمه البيان

فصل في ترفع أهل المراتب عن اتحال الشعر

٥٠

ومن لاحظ الاحوال

وازن ينها

وكم لذوى الدنيا الدنية

من خطر

وأسمى لانواع الولايات

نابذا

فغير نكبر أن يواجه

بالنكر

(اعلم) أن الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب من ملغسين فيه وكانوا يفتون
بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على خول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا الي
المنافاة في تعليق أشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كفاعل امرؤ القيس بن حجر
والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وغنرة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى من أصحاب
المعلقات السبع وغيرهم فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصيته
ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك أول الاسلام بما شغلهم من
أمر الدين والتبوة والوحى وما أدشدهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخروا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في
النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى
الله عليه وسلم وأتاب عليه فرجعوا حينئذ الى دينهم منه وكان لعمر بن أبي ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات
فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجبا به ثم جاء من بعد ذلك
الملك والدولة العزيزة وتقرّب اليهم العرب بأشعارهم يمدحونهم بها ويحجزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة
الجودة في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرضون على استهداء أشعارهم يطلعون منها على الآثار والاخبار
واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هذا الشأن أيام بني أمية وصدر من دولة بني
العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد
من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية باتحاله والتبصر بحبيد الكلام ورديته وكثرة محفوظه منه ثم جاء خلق من
بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء
العجم الذين ليس اللسان لهم طالين معروفهم فقط لاسوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحري والتمني
وابن هاني ومن بعدهم الى هلم جرا فصار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع
التي كانت فيه للاولين كما ذكرناه آنفا وانما من ذلك أهل العلم والمراتب من المتأخرين وتغير الحال وأصبح
تعاطيه هبة في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقاب الليل والنهار

فصل في أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد

٥١

(اعلم) أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية أو هندية وقد كان

في الفرس شعر امو في يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق أو يروس الشاعر وأثنى عليه وكان في حمير
أيضا شعر امة مقدمون ولم افسد لسان مضر ولنهم التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها وفسدت اللغات من
بعد بحسب ما خالطها وما زجها من المحجة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الازهراب
جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحضرة اهل الامصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت
لسان مضر في الازهراب وأكثر الاوضاع والتعاريف وخالفت أيضا لغة الحيل من العرب لهذا العهد واحتلفت
هي في نفسها بحسب اصطلاحات اهل الآفاق فلاهل الشرق وأمصار لغة غير لغة اهل المغرب وأمصاره وتخالفتها
أيضا لغة اهل الاندلس وأمصاره نعم لسان الشعر موجودا بالطبع في اهل كل لسان لان الموازين على نسبة
واحدة في أعداد المتحرركات والسواكن وتقابلها موجود في طباع البشر فلم يجر الشعر بقدر لغة واحدة وهي
لغة مضر الذين كانوا اخوه وفرسان ميدانه حسبما اشتهر بين اهل الخليفة بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب
المستعجمين والحضر اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في اتحاله ووصف بنائه على مهيح كلامهم فالما العرب
أهل هذا الحيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان
عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والثناء
والهجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم وأكثر
ابتدأهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فاهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد
بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي راوية العرب في أشعارهم وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر
بالبدوي وربما يلحون فيه ألحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم
الخوراني نسبة الى خوران من أطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد
ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يحوون به مصبا على أربعة أجزأ يخالف آخرها الثلاثة في رويته ويلتزمون
القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيها بالربيع والخمس الذي أحدثه المتأخرون من المولدين ول هؤلاء
العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفهم الفحول والمتأخرون والكثير من المتجولين للعلوم لهذا العهد وخصوصا
علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا أنشد ويعتقد أن ذوقه انما سابعها لاستهجانها
وقد ان الأعراب منها وهذا انما أتى من فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه
وذوقه ببلاغتها ان كان سليما من الآفات في فطرته ونظرة والا فالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة
مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع والاعلى الفاعل والنصب والاعلى المفعول
أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرآن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه اهل الملكة
فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة واذا طبقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت
البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وقونه موجود في أشعارهم هذه ما عدا حركات
الاعراب في أواخر الكلم فان غالب كلماتهم موقوفة الآخرو يتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر
بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب فن أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يبي الحجازية بنت سرحان ويذكر
ظنه ان مع قومها الى المغرب

فهنيك يهنيك الذي أنت
أهله
من الزهد فيها والتوقى من
الوزر
ولا تكترث من حاسدك
فانهم
حساوا الحسا لا يرتقى مرتقى
الدر

قال الشريف بن هاشم عبي * ترى كبدى حرا شكت من زفيرها
يعز للاعلام أين مارأت خاطرى * يرد اعلام البدوي باقى عصيرها
وما ذا شكاة الروح بمطرها * عذاب ودائع تلف الله خبيرها
يحسن قطاع عامرى ضميرها * طوى وهند جاني ذكرها

وعادت كما خورة في بدغاسل
تجابدوها اثنين والزرع بينهم
وباتت دموع العين ذارقات لسانها
تدارك منها الحلم حذر اورادها
لصب من النقيعان من جانب الصفا
ها أبقني مني سنا بلت غدوة
ونادي المتأدي بالرحيل وشدوا
وشد لها الادهم دياب بن غانم
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا
ويدلص وسده سها بالتساح
غدرني زمان السفح من عابس الوغي
غدرني وهوز عماصدي وصاحي
ورجع يقول لهم بلاد ابن هاشم
حرام على باب بغداد وأرضها
فصدق درمي من بلاد ابن هاشم
وباتت نيران العذاري قوادح
(ومن قولهم في رثاء أمير زانة أبي سعدي البكري مقارعهم
بافريقية وأرض الزاب ورثاءهم له على جهة التهنئة)

لها في ظعون الباكين عويل
خذا نعت مني لا تكون هيسل
من الربط عيساوي بناء طويسل
به الواد شرقا والسراغ دليل
قد كان لاعتقاب الحيات سليل
جراحه كافوا الميزاد تسيل
لا ترحل إلا أن يريد رحيل
وعشرا وستا في النهار قليل

(ومن قولهم على لسان الشريف ابن هاشم يذكر عتابا وقع بينه وبين ماضي بن مقرب)

تبسدي لي ماضي الحيات وقال لي
أيا شكر عدى مابق ود ينسا
نحن عدينا فصادقوا ما قضى لنا
باعدنا يا شكر عدى لبر سلامه
ان كانت بنت سيد هم بأرضهم
هي العرب ما ردنا لمن طيش

(ومن قولهم في ذكر رحلتهم إلى التبر وغلبيهم زانة عليه)

وأى جيل ضاع لي في ابن هاشم
أنا كنت أنا وياه في زهويتنا
وأى جيل ضاع قبل جيلنا
عناني لحجه ما عناني دليلنا

ومن عامل الاقوام بالله
مخلصا
له فيهم نال الجزيل من
الاجر
بقيت لرفع المجد تحمي
ذماره
وخارك الرحمن في كل
ما يجري

وعدت كافي شارب من مدامة
أو مثل شمطامات مضبون كبدها
أناها زمان السوء حتى ادوخت
وكذلك أنا مما لحاني من الوحي
أمرت قومي بالرحيل وبكروا
فعدنا سبعة أيام محبوس نجنا
تظل على أحداث الثنايا سواري
(ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزواودة أحد بطون رياح وأهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل بالمهديّة في سجن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص أول ملوك أفريقية من الموحدين)

يقول وفي نوح الدجا بعد ذهبة
أيامن لقي حالف الوجد والاسى
حجازية بدوية عسرية
مولمة بالبد ولا تألف القرى
عسان ومشتهيا بها كل سرية
ومرباعها عشب الاراضي من الحيا
تسوق بسوق العين مما تداركت
وماذا بكت بالما وماذا تبلحطت
كان عروس البكر لاحت ثيابها
فلاة ودنها واتساع ومنه
ومشروبها من مخض ألبان شولها
تعاتب على الابواب والموقف الذي
سقى الله ذا الوادى المشجر بالحيا
فكفاتها بالودمى وليتنى
ليالى أقواس الصبا في سواعدى
وفرسى عبد تحت سرجى مسافة
وكم من رداح أسهرتني ولم أرى
وكم غيرها من كاعب مرجحة
وصفت من وجدى عليها طريحة
ونار يخطب الوجد توهج في الحشا
أيامن وعدتي الوعد هذا الى متى
ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة
بنود وزايات من السعد أقبلت
أرى في الفلا بالعين أظعان عزوتي
بجر عاتق التوق من عوذ شامس

ايه سيدي رضي الله عنكم
وأرضاكم أطنبتم في كتابكم
في الثناء على السلطان الذي
أنعم بالاعفاء والمساعدة
على الانفصال عن خطه
القضاء واستوهبتم الدعاء
له من الاولياء والله دركم
في التنبية على الارشاد الي

الى منزل بالجسفرة للسدى مقبم بها مالد عندي مقامها
وتلقى سراة من هلال بن عامر يزيل الصدا والف عن سلامها
بهم تضرب الامثال شرقا ومغربا اذا قاتلوا قوما سريعا نهزامها
عليهم ومن هو في حماهم نجية من الدهر ما غنى بقبه حمامها
فدع ذا ولا تأسف على سالف مضى ترى الدنيا مادام لا حدد وامها

(ومن أشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من أولاد أبي الليل يعاتب أقتلهم أولاد مهملل ويحيب شاعرهم شبلى بن مسكيانة بن مهملل عن أبيات نحر عليهم فيها بقومه)

يقول وذا قول المصاب الذى نشأ قسوا رعيان يعانى صما بها
يرجى بها حادى المصاب اذا استقى فنونا من انشاد القوا فى عرابها
محبرة مختارة من نشادنا تحدى بها تام الوشامتها بها
مغربة عن ناقد فى غضونها محكمة القيعان دابى ودابها
وهيض تذكارى لها ياذوى التدي قوارع من شبلى وهذى جوابها
أشبلى جنيئا من حبالك طرائفنا فراح يرجع الموجهين القنا بها
نفسرت ولم تقصر ولا أنت عادم سوي قلت فى جمهورها ما أعابها
لقولك فى أم المتين بن حمزة وحامي حماها عادياني حرابها
أما تعلم انه قامها بعد مالتى رصاص بني يحيى وعلاق دابها
شها بامن اهل الامر ياشبلى خارق وهل ريت من جالوغي واصطلى بها
شواهد طفها أضرمت بعد طففيه وأنا طفها حاسر الأها بها
وأضرم بعد الطفيتين التى صحت ناعسا الى بيت المتنا يقتدى بها
كما كان هو يطلب على دانجبت رجال بني كعب الذي يتقى بها

ومنها فى العتاب

وليد ا تعاتبوا أنا اغنى لاني غنيت بعلاق التنا واغتصا بها
على ونادى بها كل مبضع بالاسياف تنتاش العدا من رقابها
فان كانت الاملاك بفت عرايس علينا باطراف القنا احتضا بها
ولا تقرها الارهاف ودبل وزرق الساياب والمطايار كايها
بني عمنا ما نر تضي الذل علة تسير كألسته الحناش انسلابها
وهي عالما بان النايبا تقيها بلاشك والدنيا سريعا انقلابها

ومنها فى وصف الطعام

بظمن قطوع اليد لا تختشى العدا فتوق بحربات مخوف جنابها
ترى العين فيها قل لشبلى غرائف واكل مهاة محتظيا ربابها
ترى أهلها غيب الصباح يفلها بكل حلوب الجوف ماسد بابها
لها كل يوم فى الارامى قتائل ورا الفاجر المزوج غنوا صلبها

ومن قولهم فى الامثال الحكمية

وطلبك فى المنوع منك سفاهة وصدك عن صدعك صواب

ذلكم قاله عامله من الواجب
الذى فيه استقامة الامور
وسلاح الخاصة والجمهور
وعند ذلك ارتفعت أصوات
العلماء والصلحاء بهذا
القطر له ولكم بحميد الدعاء
أجاب الله فيكم أحسنه وأجله
وبلغ كل واحد منكم ما قصده

أذريت ناسا يفلقوا عنك باهم
 ومن قول شبل يذكر انتساب الكموب الي برجم
 فشباب وشباب من أولاد برجم
 ومن قوله يعاتب اخوانه في موالاته شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكين المستبد بحجابة السلطان بتونس على
 سلطانها مكفولة أبي اسحق ابن السلطان أبي يحيى وذلك في اقرب من عصرنا

يقول بلا جهل في الجود خالد

مقالة حيران بذهن ولم يكن

تهجست معنائها بالاحاجة

ولبت بها كبدى وهي نعم صاحبه

تفوهت بادى شرحها عن ما رب

بني كعب أدني الاقربين لدننا

جری عند فتح الوطن منا لبعضهم

وبعضهم ملنا له عن خصيمه

وبعضهم مرهوب من بعض ملكنا

وبعضهم جانا جر يحا تسمحت

وبعضهم نظار فينا بسوة

* رجع ينتهي بماسفنا قبيحه

وبعضهم شاكي من اوغاد قادر

فصمناه عنه واقتضي منه مورد

ونحن على دافي المدا نطلب الملا

وحزنناحي وطن بترسيس بعدما

ومهد من الاملاك ما كان خارجا

بردع قروم من قسروم قيلنا

جربناهم عن كل تأليف في المدا

الي أن عاد من لا كان فيهم بهمة

وركبوا السبايا لثمنات من أهلها

وساقوا المطايا بالشر الانسوا له

وكسبوا من اصناف السمايا دخائر

وعادوا نظير البره مكين قبل دا

وكا نوالنا د رعا لكل مهمة

خلوا الدار في جنح الظلام ولا اتقوا

كسوا الحمي جلباب اليهم لستره

كذلك منهم حابس مادي التبا

يظن ظنونا ليس نحن بأهلها

مقالة قوال وقال صواب

هر يحاولا فيما يقول ذهاب

ولا هرج ينقاد منه معاب

حزينة فكر والحزين يصاب

جرت من رجال في القيل قراب

بني عم منهم شايب وشباب

مصافاة ود واتساع جناب

كايملوا قولي يقينه صواب

جزاعا وفي جو الضمير كتاب

خواطرنا للزليل وهاب

نقهناء حتي ما غاب ساب

مرارا وفي بعض المراسم سباب

غلق عنه في احكام السقايف باب

على كره مولى الباقي ودياب

لهم ما حططنا للفجور نقاب

نفقنا عليها سبقا ورقاب

علي احكام والى امرها له ناب

بني كعب لاواها الفريم وطاب

وقناهم عن كل قيد مناب

ربها وخيراتاه عليه نصاب

ولبسوا من انواع الحرير ثياب

جماهير ما يغلو بها بحلاب

ضخام لحزات الزمان نصاب

والاهلالا في زمان دياب

الي ان بان من نار العدو شهاب

ملامه ولاداري الكرام عتاب

وهم لودرو لبسوا قبيح جباب

ذهل حلمي له أن كان عقه له غاب

تمنى يكن له في السماح شعاب

وأمله وأثم أيضا من أهل
 العلم والجلالة والفضل
 والأصالة وقد بلغتم بهذه
 البلاد الغاية من التنويه والحفظ
 الشريف النبیه لكن أراد
 الله سبحانه أن يكون لحاسنكم
 في تلك البلاد العظيمة ظهور
 ونحدث بمدالامور أمور

خطا هو ومن وانه في سوطه
فواعز وقى ان الفتي بو محمد
وبرحت الاوغاد منه ويحسبوا
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع
وهو لو عطي ما كان للراى عارف
وان نحن مانستأملوا غشه راحة
وان ماوطا ترسيس يضيق وسهما
وانه منها عن قريب مفاصل
وعن فانتات الطرف بيض غوانج
يتيه اذا تاهوا و يصبو اذا صبا
يضلوه من عدم اليقين وربما
هم حازله ذمه وطوع أوامر
حرام على ابن تافرا كين مامضى
وان كان له عقل رجيع وفطنة
وأما البدا لا بد ها من فيا عل
ويحكي بها سوق علينا سلاعه
ويسمى غلام طالب ربح ملكنا
أيا وا كلين الحبر تبغسوا ادا مه

ومن شعر علي بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر لهذا المهد أحد بطون زغبة يما تبني عمه المتطاولين
الى رياسته

محبرة كالدري يد صانع
أباحها منها فيه أسباب مامضى
غدامنه لام الحلي حين وانشطت
ولكن ضميرى يوم بان به الدنيا
والا كبراص اتها مى قوادح
والالكان القلب في يد قابض
لما قات سما من شقا الين زارنى
ألا ياربوع كان بالامس عامر
وغيد تداني للخطا في ملاعب
ونم يشوق الناظرين التحامها
وعرود باسمها ليدعو لسربها
واليوم ما فيها سوى اليوم حولها
وقفنا بها طورا طويلا نساها
ولا صحت منها سوى وحش خاطرى
ومن بعد ذاتى المنصور بو على

وبكل اعتبار فالزمان بكم
حيث كنتم مباه والحمد
مجموعة لكم جمع تناء ولما
وقف على مكتوبكم مولانا
السلطان أبو عبد الله أطال
الله التناء على مقاصدكم
وتحقق جميل ودادكم
وصحیح اعتقادكم وعمر

اذا كان في سلك الحرير نظام
وشاء تبارك والضمون تسام
عصاها ولا صبا عليه حكاهم
تبرم على شوك القتاد برام
وبين عواج الكافيات ضرام
أناهم بمنشار القطيع غشام

اذا كان ينادى بالفراق وخام
بحي وحله والقطين لمام
دجي الليل فيهم ساهر ونيام
لنا ما بدا من مهرق وكظام
واطلاق من سرب المها ونيام
ينوح على اطلال لها وخيام
بين سخيها والدموع سجام
وسقي من اسباب عرفات او هام
سلام ومن بعد السلام سلام

وقولوا له يا بوالوفا كلح رأيكم
زواخر ماتتقاس بالمود انما
ولا تستموا فيها قياسا بذكركم
وعانوا على هلكاتكم في ورودها
أيا عزوة ركبوا الضلالة ولا لهم
الاغناهم لو ترى كيف رأيهم
خلوا القنايفون في مرقب الملا
وحق النبي واليت واركانه العلى
لبر الايالى فيه ان طالت الحيا
ولا برها تبقى البوادي عوا كف
وكل مسافه كالسد اياه عابر
وكل كيت يكتص عض نابه
وتحمل بنا الارض العقيمة مدة
بالابطال والقود الهجان وبالقنا
تجحد في وانا عقيسد نفودها
ونحن كاضر اس المواني نجحكم
متي كان يوم القحط يا مير ابو على
كذلك بوحو الى اليسرا بته
وخل رجالا لا يري الضيم جارهم
الا يقيموا وعقد بؤسهم
وكم نار طعنوا على البدو سابق
ففي نار قطار الصوي يومنا على
وكم ذابحوا اثرها من غنيمة
وان جاء خافوا الملوك وسموا
عليكم سلام الله من لسن فاهم

ومن شعر عرب نمر بنواحي حوران لامرأة قتل زوجها

قول فتاة الحبي أم سلامه
تيت بطول الليل ما تألف الكرى
على ماجرى في دارهاو بو عيها
فقد ناشها الدين يا قيس كلكم
أنا قلت اذا ورد الكتاب يسرني
أيا حين تسريح الذوايب والاحي

الموشحات والأزجال للاندلس

وأما أهل الاندلس فلما كثرت الشعر في قطرهم وتهذبت مناجيه وقنونه وبلغ التعميق فيه الغاية استحدثت المتأخرون

بجملته يومئذ بالثناء عليكم
والشكر الما لديكم ثم ختم
الكتاب بالسلام من كاتبه
على بن عبد الله بن الحسن
مؤرخا بصفر سنة تسعين
وفي طيه مذكرة بخطه وقد
قصر فيها عن الاجادة نصها
سيدى رضى الله عنه

منهم فقامه سموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً يكثر من أعار يضها المختلفة ويسمون المتعدد منها يتأواحد ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متالفاً بما يسد إلى آخر القطعة وأكثر مما تنهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد وتجاروا في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس جلة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان الخنوع لها يجزيرة الاندلس مقدم بن معافر الفريرى من شعراء الاميرة بدالله بن محمد المرواني وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبدربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر له ما مع التأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكره الاظم البليوسي انه سمع أبا بكر بن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فما اتفق له من قوله

بدرتم * شمس نحا * غصن نفا * مسك شم
ما أنتم * ما أوضحا * ما أورقا * ما أنم
لا جرم * من لحا * قد عشقا * قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف * وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع راسه شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قالوا قد أحسن في ابتدائه في موشحته التي طارت له حيث يقول العود قد ترنم * بابدع تلحين * وسقت المذائب * رياض البساتين وفي انتهائه حيث يقول

تخطروا لا تسلم * عساك المأمون * مروع الكتاب * يحيى بن ذى النون
ثم جاءت الحلبة التي كانت في دولة الملتصين فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حلبتهم الاعمي الطليطلى ثم يحيى بن بقرى وللطليطلى من الموشحات المهدبة قوله

كيف السيسل الي * صبرى وفي المعالم أشجان
والركب في وسط الفلا * بالجرود التواعم قد بان

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتألق فيها فقدم الاعمي الطليطلى للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جمان * سافر عن در ضاق عنه الزمان * وحواء صدرى

صرف ابن بقرى موشحته وتبعه الباقرى وذكر الاعمي البليوسي أنه سمع ابن زهير يقول ما حدثت قط وشاحاً على قول الابن بقرى حين وقع له

أما تر أحمد * في مجده العالي لا يلحق * أطلعه الغرب * فأرنا مثله يامشرق

وكان في عصرهما من الموشحين المطبوعين أبو بكر الأبيض وكان في عصرهما أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلوت صاحب سر قسطة فالتقى على بعض قيناه موشحته

جبر الذيل أيماجر * وصل الشكر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك فلما حتمها بقوله

عقد الله راية النصر * لا مير العلاء أبى بكر

فلما طرقت ذلك التلحين سمع ابن تيفلوت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما حتمت وحلف

وأرضاكم وأظفركم بمناكم
أعذر لكم من الكتاب
المدرج به هذا غير خطي
فاني في ذلك الوقت بحال
مرض من عيى ولكم العافية
الوافية فيسمعي سمحكم ورب
كان لديكم تشوف بما نزل في
المدة بالمغرب من الهرج

بالإيمان المتعلظة لا يمشي ابن باجة إلى داره الأعلى الذهب نخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بان جعل ذهباً في نمله
ومشي عليه * وذكر أبو الخطاب ابن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهير ذكر أبي بكر الأبيض الوشاح
المتقدم الذكر فنفض منه بعض الحاضرين فقال كيف تنفض ممن يقول

مالذي شرابرح * علي رياض الاقحاح * لولا هضم الوشاح * اذا أتني في الصباح
أوفى الاصيل * أضحى يقول * مالا شمول * لطمت خدي
وللشمال * هبت فسالى * غصن اعتدال * ضمه بردي
مما أباد القلوبا * يمضي لنا مستريا * بالحظه رد نوبا * وبالماء الشنبا
برد غليل * صب عليل * لا يستحيل * فيه عن عهدي
ولا يزال * في كل حال * يرجو الوصال * وهو في الصد

واشتهر بعده هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف قال الحسن بن دويده رأيت حاتم بن

سعيد على هذا الاقتحاح شمس قاربت بدرا * راح ونديم
وابن بهرودس الذي له باليلة الوصل والسعود * بالله عودى
وابن موهل الذي له مالا عدي حلة وطاق * وشم طيب
واتما العدي في التلاقي * مع الحبيب

وأبو اسحق الرويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول أنه دخل علي ابن زهير وقد أسن وعليه
زي البادية اذ كان يسكن بمحضر أسنائه فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة فانشد لنفسه
موشحة وقع فيها كحل الدجى يجرى * من مقلة الفجر * على الصباح * ومعهم النهر
في حلال خضر * من البطاح

فتعرك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اختر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن
سعيد وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت أبا الحسن
سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت أقول

مالا موله * من سكره لا يفيق * ياله سكران * من غير خمر * مالا كتبت المشوق * يندب الاوطان
هل تستعاد * أيا منى بالحليج * وليالينا * أو ستفاد * من النسيم الارجح * مسك دارينا
وادي سكا * حسن المكان البهيج * أن يحينا * ونهر ظله * دوح عليه أنيق * مورق فينان
والماء يجري * وعالم وغريق * من جنى الرمان

واشتهر بعده ابن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله تفوق بينهم كل حين * بما سبب من يدوعين
وينشد في القصيد علفت ملبح علمت رامي * فليس يحل ساع من قال

ويعمل بذالعين منامى * ما يعمل فينا بذى النبال

واشتهر معهم يامو مثذ بقر ناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله

فما كان من يوم بهيج * بنهر حمص على تلك المروج * ثم انطفئنا على فم الحليج * نقض مسك الحتام
عن عسجد والمسداه * وردا الاصيل يطويه كف الظلام

قال ابن زهير كنا نحن عنده هذا الرداء وكان معه في بلد ماطر * أخبر ابن سعيد عن والده أن مطر فاهذا
دخل على ابن الفرس فقام له وأكرمه فقال لا تفعل فقال ابن الفرس كيف لأقوم لمن يقول
قلوب مصائب * بالحاظ تصيب * فقل كيف يتي * بلا وجد

أما طه الله وآمن بلاد المسلمين
والموجب أن الحصة الموجهة
في خدمة أميرهم الواثق ظهر
له ولوزيريه ومن ساعده
على رأيه امساكها رهينة
وجعلهم في القيود الى أن يقع
الخروج لهم على مدينة سبتة
وكان القائد علي هذه الحصة

وبعد هذا ابن جرّون بمصرية * ذكر ابن الراسين أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة لنفسه فقال له ابن جرّون لا يكون الموشح موشح حتى يكون عارياً عن التكلف قال على مثل ماذا قال على مثل قولي

ياهاجري هل الي الوصال * منك سيديل * أو هل ترى عن هواك سالي * قلب العليل
وأبو الحسن سهل بن مالك بفرناطة قال ابن سعيد كان والدي يسحب بقوله

أن سيل الصباح في الشرق * عاد بحر في أجمع الأفق * فتداعت نوادب الورق
أتراها خافت من الفرق * فبكت سحرة على الورق

واشتهر بأشيدلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل ابن مالك يقول يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

واحمرنا لزمان مضي * عشية بان الهوى وانقضى * وأفردت بالرغم لا بالرضي

وبت على جرّات الغضي * أعانق بالفكر تلك الطلول * وأثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الأستاذاً بالحسن الزجاج موشحاً غير مامرة فاسمعه يقول له لله درك الأبي قوله

قسماً بالهوى لدى حجر * مالايل المشوق من حجر * خمد الصباح ليس يطرد

ماليلي فيما ظن غد * صح يا ليل ألك الأبد أو قطعت قوادم النسر * فنجوم السماء لا تسمى

ومن موشحات ابن الصابوني قوله

عالمه محبوبه باجتباب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب * جفا جفوني التوم لكنني

لما بكه الألف قد الحيال * وذا الوصال اليوم قد غفري * منه كاشا وساء الوصال

فلست باللائم من صدي * بصورة الحق أو بالمثال

واشتهر بين أهل العدو ابن خلف الجزايري صاحب الموشحة المشهورة

بدا الصباح قد قدحت * زناد الأنوار * في مجامر الزهر

وابن هزرا البجائي وله من موشحة

تغر الزمان موافق * حياك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر أشيدلية وسبته من بعدها فمها قوله

هل دري ظبي الحمي أن قد حمي * قلب صب حله عن مكس

فهو في نار وضيق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره وقدم ذكره فقال

جادك الغيث إذا الغيث هما * يا زمان الوصل بالاندلس * لم يكن وصالك الاحلما

في الكري أو خلسة المختلس * أذيقول الدهر أسباب المني * تتقل الخطو على مازسم

زمر اين فرادى ونسى * مثل ما يدعوا الوفود الموسم * والحياء قد جلال الروض سنا

فسنا الأزهاري فيه تبسم * وروى النعمان عن ماء السما * كيف يروي مالك عن أنس

فكساه الحمن نوبا معالما * يزدهي منه بأهبي ملبس * في ليل كتمت سر الهوى

بالدجى لولا شموس القسدر * مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم الحصر سعد الأثر

وطر ما فيه من عيب سوى * أنه مر كل صبح البصر * حين لذ التوم منا أو كما

هم الصبح يحوم الحرس * غارت الشهب بنا أوربما * أثرت فينا عيون الترجس

الملح المدعو المهندو صاحبه
الفي المدعو نصر الله وكثير
الترديد في القضية الي أن أبرز
القدر توحيه السلطان أبي
العباس تولاه الله بحجة فرج
ابن رضوان بحصة ثانية وكان
ما كان حسباً تلقته من
الركبان هذا ما وسع الوقت

أى شيء لأمري قد خلاها * فيكون الروض قد كفن فيه * تنهب الازهار فيه الفرصا
 أنمت من مكره ماتقيه * فاذا الماء تناسج والحصا * وخلا كل خليل باخيه
 تبصر الورد غيبورا بدما * يكتسي من غيظه ما يكتسى * وترى الآس ليلى فبما
 ينسرق الدمع بادني فدرس * يا أهيل الحى من وادى الغضي * وبقي مسكن أنتم به
 ضاق عن وجدى بكم رجب الفضا * لا أبالى شرقه من غربه * فأعيدوا عهد أنس قدمضي
 تقدوا عائدكم من كربه * واتقوا الله وأحيوا مفرما * يتسلاشي نفسا فى نفس
 حبس القلب عليكم كراما * أفترضون خراب الحبس * وبقي فيكمو مقتررب
 باحدث المني وهو بعيد * قمر أطلع منه المغرب * شقوة المغري به وهو سعيد
 قد تساوى محسن ومذنب * في هواه بين وعدو وعيد * ساحر المقاتلة معسول اللمى
 جال في النفس بحال النفس * سد السهم وسمي ورمي * بفؤدي نهبة المفترس
 ان يكن جارو خاب الامل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب * فهو للنفس حبيب أول
 ليس في الحب محبوب ذنوب * أمره معتمل متمثل * في ضلوع قدبرها وقلوب
 حكم لاحظ بها فاحتسكا * لم يراقب في ضامف الانفس * ينصف المظلوم ممن ظلما
 ويجازي البر منها والتمني * ما لقي كسا هبت صبا * عادته عيدهم الشوق جديد
 كأن في السوح له مكتبا * قوله ان عذابي أشديد * جاب الهدم له والوصبا
 فهو الاشجان في جهد جهيد * لا عج في أضامي قد أضمرما * فهي نار في هشيم اليبس
 لم تدع من مهجتي الا النما * كبقاع الصبح بعد الغاس * سلمى يا نفس في حكم القضا
 واعمرى الوقت برجعي ومتاب * واتركى ذكرى زمان قدمضي * بين عتي قد تقضت وعتاب
 واصرف في القول الى المولي الرضى * ملهم التوفيق في أم الكتاب الكريم المنتهي والمنتهي
 أسد السرح وبدر المجلس ينزل النضر عليه مثل ما ينزل الوحي بروح القدس
 وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سنا الملك
 المصري اشتهرت شرقا وغربا وأولها

يا حيي ارفع حجاب النور * عن العذار

تنظر المسك على الكافور * في جناح ر

كللى يا سحبت تيجان الربى * بالخلي * واجعلى سوارها منعطف الجدول

ولما شاع فن التوشيح في أهل الاندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتميق كلامه وترصيع أجزائه نسجت
 العامة من أهل الامصار على منواله ونظموه في طريقته بلقهم الحضرة من غير أن يلتزموا فيها اعرابا واستحدثوه
 فاسموا بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فجاء فيه بالغرائب واتسع فيه لابلابة مجال بحسب
 لفهم المستعجمة وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قرمان وان كانت قبله بالاندلس لكن
 لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا في زمانه وكان لعهد الملتئين وهو امام الزجالين على
 الاطلاق قال ابن سعيد رأيت أزجاله مروية يفغدا كثر مما رأيتهم يحواضر المغرب قال وسمعت أبا الحسن
 ابن جحدر الاشيلي امام الزجالين في عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ
 الصناعة وقد خرج الي منتزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء من فيه
 على صفائح من الحجر مدرجة فقال وعريش قد قام على دكان بحال رواق

من الكلام ثم ختم الكتاب
 وانما كتبت هذه الاخبار
 وان كانت خارجة عن غرض
 هذا الكتاب المؤلف لان
 فيها تحقيقا لهذه الواقعات وهو
 مذكورة في أما كتبها فرما
 يحتاج الناظر الي تحقيقها من
 هذا الموضع وبعد قضاء

وأسد قد ابتلع ثعبان في غلظ ساق وفتح فم بحال انسان فيه الفواق
وانطلق يجري على الصفاح ولقى الصباح

وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثير ما يتردد الى اشبيلية ويبيت بنهرها فاتفق أن اجتمع ذات يوم جماعة من
أعلام هذا الشأن وقدر كبروا في النهر للزهوة ومعهم غلام جميل الصورة من سروات أهل البلد ويوتهم وكانوا
مجتسمين في زورق للصيد فظنوا في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البليدي فقال
يطمع بالخلاص قاي وقد فاتوا وقد ضمو عشقو بسهماتو تراء قد حصل مسكين حملاتو
فقاق ولذلك أمر عظيم صاباتو توحش الجفون الكحل اذا عاتو وذلك الجفون الكحل ابلاتو
ثم قال أبو عمرو بن الزاهر الاشبيلي

نشب والهوى من لج فيه ينشب ترى اش كان دعاءه يشقى ويتعذب
مع العشيق قام في مالو يلعب وخلق كثير من ذا اللب ما توا
ثم قال أبو الحسن المقرئ الداني

نهار مليح تعجبي أوصافوا شراب وملاح من حـ ولى طافوا
والمعلمين يقولوا بصفصا فو والنور ي أخرى بمقلاتو
ثم قال أبو بكر بن مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد في الواد الخير والمنزه والصاد
تنبه حيتان ذلك الذي يصطاد قلوب الوري هي في شيكاتو
ثم قال أبو بكر بن قرمان

اذا شمرا ككما مورميها ترى النور يرشيق لذيك الجيها
وليس مراد وأن يقع فيها الا أن يقبل بد يد اتو
وكان في عصرهم بشرق الاندلس محاف الاسود له محاسن من الزجل منها قوله

قد كنت مشبوب واختشيت الشيب وردني ذا العشيق لامر صعب
يقول فيه حين تنظرا لحد الشريف البهي تنتهي في الحمرة الي ما تنتهي
يا طالب الكيما في عيسنى هي تنظريها الفضة ترجع ذهب

وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغيس وقعت له المعائب في هذه الطريقة فن قوله في زجله المشهور
ور ذا ذوق ينزل وشماع الشمس يضرب فترى الواحد يفضض
وترى الآخر يذهب والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وتريد نجي الينا ثم تستحي وتهرب

ومن محاسن أزجاله قوله

لاح الضيا والنجوم حيارى فقم بنا تنزع الكسل شربت نمر وجا من قراعا
أحلي هي عندي من العسل يامن يامن كما تقلد قدك الله بما تقسول
يقول بأن الذنوب مولد وأنه يفسد العقول لارض الحجاز يكون لك أرشد
اش ما ساقك لذى الفضول مرأت لا حج والزيارا ودعنى في الثرب منهمل
من ليس لوقدره ولا استطاعا الثبة أبلغ من العمل

وظهر بعده هؤلاء باشبيلية ابن جحدر الذي فضل على الزجالين في فتح منورقة بالزجل الذي أوله هذا

انقر يضرة رجعت الي القاهرة
محفوظا بستر الله ولطفه ولقيت
السلطان فتلقاني أيده الله
بعمود مبرته وغنايته
ولحقت السلطان النكبة التي
محصه الله فيها وأقاله وجعل
الي الخير فيها عاقبه وما له
ثم أعاده الي كرسية لانظر في

من طائفة التوحيد بالسيف يحق أن أرى من يعاند الحق

قال ابن سعيدي لقيته ولقيت تلميذه المجمع صاحب الزجل المشهور الذي أوله

يا ليتني أن رأيت حبيبي أقبل أذنو بالرميل ليس آخذ عنق النزيل وأسرق فم الحجيل

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك أمام الأدب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن

الخطيب أمام النظم والنثر في الملة الإسلامية من غير مدافع فن محاسنه في هذه الطريقة

امزج الأكواس واملأ لي تجدد ما خلق المسال إلا أن يبدد

ومن قوله علي طريقة الصوفية ويخون منحي الششتري منهم

بين طلوع ونزول احتلقت الغزول ومضي من لم يكن وبقي من لم يزول

ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى

البعد عنك يا بني أعظم مصابي وحين حصل لي قربك نسيت قرابي

وكان لمصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش وكان أما في هذه الطريقة وله من

زجل يمارض به مدغيس في قوله * لاح الضيا والنجوم حيارى * بقوله

حل المجون يا أهل الشطار مذحلت الشمس بالحمل جدوا كل يوم خلافا

لا تجمعوا أسماها يميل إليها يتعلموا في سبيل على خضورة ذاك النبات

وصل بغداد واجتاز النيل أحسن عندي من ذيك الجهات وطاقتها أصلح من أربعين ميل

إن مررت الريح عليه وجات لم يلتق القبار أمارا ولا بقدار ما يكتحل

وكيف ولا فيه موضع رفاة الا ويسرح فيه التحل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا المهدمي فن العامة بالاندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى أنهم لينظمون بها في سائر

البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم

لي دهر بمشوق جفونك وسنين وأنت لاشفقه ولا قلب يلين

حتى ترى قلبي من أجلك كيف رجع صنعة السكة ما بين الحدادين

الدموع تر شرش والتار تنهب والمطارق من شمال ومن يمين

خلق الله التصاري للفوز وأنت تغزوني قلوب العاشقين

وكان من المجيدين لهذه الطريقة لأول هذه المائة الأديب أبو عبد الله الألويسي وله من قصيدة يمدح فيها السلطان

ابن الأحمر طل الصباح قم يانديني نشربو ونضحكو من بعد ما نطربو

سيكة الفجر أحلت شفقاً في ميلق الليل قوم قلبو

ترى غبار خالص أبيض نقي فضه هو لكن الشفق ذهبو

وسقو سكتو عند البشر نور الحفون من نورها تكسبو

فهو النهار يا صاحبي للمعاش عيش الفتى فيه بالله ما طيبو

والليل نصال القيسل والعناق على سرير الوصل يتقلبو

جاد الزمان من بعد ما كان بخيل واش كقلته من يريه عقر بو

كأجرع مروقيا قد مضى يشرب سواه ويا كل طيبو

قال الرقيب يا أدبالاشذ في الشرب والعشق ترى تحبو

وتعجبوا عدالي من ذا الخبر قلت يا قوم مما تعجبو

في مصالح عباده وطوقه
القلادة التي ألبسه كالكائنات
فأعاد لي ما كان أجرام من
نمته ولزمت كسر البيت

يمشق مديح الارقيق الطباع
 ليس يريح الحس الاشاعر اديب
 اما الكاس فحرام نعم هو حرام
 ويد الذي يحسب حسابه ولم
 واهل العقل والفكر والمجون
 ظني بهي فيها يطنى الجمر
 غزال بهي ينظر قلوب الاسود
 ثم يحبيهم اذا ابتسم يضحكوا
 فوهم كالحاتم وتفسر تقي
 جوهر ومرجان أى عقد يافلان
 وشارب أخضر يريد لاش يريد
 يسبل دلال مثل جناح الغراب
 على بدن أبيض بلون الحليب
 وزوج هندات ما علمت قبلها
 تحت العكا حكن منها خضر رقيق
 أرق هو من ديني فيما تقول
 أى دين يقالي معاك وأى عقيل
 تحمل أرق داف نقال كالرقب
 ان لم ينفس غدر أو ينشيع
 يصير اليك المكان حين نجى
 عما سنك مثل خصال الامير
 عماد الامصار وفصيح العرب
 بحمل العلم انقردو العمل
 فنى الصدور بالرمح ما طغنه
 من السماء يحسد فى أربع صفات
 الشمس نورو والقمر همتو
 يركب جواد الجود ويطلق عنان
 من خلعتو يلبس كل يوم بطيب
 نعمتو تظهر على كل من يحبه
 قد اظهر الحق وكان فى حجاب
 وقد بنى بالسرد كن التسقى
 تخاف حين تلقاه كتر تحببه
 يلتقى الحروب ضاحك وهى عابسه
 اذا جسد سيفه ما ين الرود

علاش تكفرو بالله أو تكتبو
 يفض بكرو ويدع نيبو
 على الذى ما يدري كيف يشربو
 يقدر يحسن الفاظ أن يجلبو
 يفقر ذنوبهم لهذا ان اذنبو
 وقلبي في جمر الغضي يلهبو
 وما لهم قبل النظر يذهبو
 ويفرحوا من بعد ما يندبو
 خطيب الامه للقبيل يخطبو
 قد صفة الناظم ولم يقبو
 من شبهه بالمسك قد عيبو
 ليالى هجرى منه يستقربو
 ما قط راعى للفسخ يحلبو
 ديك الصلا ياريت ما أصلبو
 من رقتو يخفى اذا تطلبو
 جديد عتبك حق ما أكذبو
 من يترك من ذا ذات سلبو
 حين ينظر العاشق وحين يرقبو
 في طرف ديسا والبشر تطلبو
 وحين تغيب ترجع فى عيني تبو
 أو الرمل من هو الذى يحسبو
 من فصاحة لفظه يتقربو
 ومع بديع الشعر ما أكتبو
 وفى الرقاب بالسيف ما أخربو
 فمن يمد قلبي أو يحسبو
 والقيت جود والنجوم منصبو
 الاغنيا والجند حين يركبو
 منه بنات المعالي تطيبو
 قاصد ووارد قط ما خيبو
 لاش يقدر الباطل بعد ما يحسبو
 من بعد ما كان الزمان خربو
 فمع سماحة وجهه ما أسيبو
 غلاب هو لاشي فى الدنيا يفلبو
 فليس شئ يفسى من يضربو

ممتنا بالغاية لا يساير رد الغزاة
 عاكفا على قراءة العلم
 وتدرسه لهذا العهد فاع
 صبح وتسمين والله يبرقا

وهو سمي المصطفى والاله
 ترام خليفة أمير المؤمنين
 الذي الامارة تخضع الرؤس
 بيته بقي بدور الزمان
 وفي المعالي والشرف يبعثوا
 واقفه يبقيههم مدار الفلك
 وما تنفي ذا القصيد في عروض
 للسلطنة اختاروا واستنخبوا
 يقود جيوشه ويزين موكبوا
 نعم وفي تقييل يديه يرغبوا
 يطلعوا في المجد لا يفرحوا
 وفي التواضع والحيا يقربوا
 واشرفت شمس ولاح كوكبوا
 باسمه خدر ما لها مغربوا

ثم استحدث أهل الامصار بالغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالמושع نظموا فيه بلفتهم الحضرة
 أيضا وسموه عروض البلد وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الاندلس نزل بغاس يعرف بابن حمير فظم
 قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب معلما

أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام
 وكف السحر يمحو مداد الضلام
 باكرت الرياض والطل فيها افتراق
 ودمع النسوان ينهرق انهرق
 لو وابل الغصون خلخال على كل ساق
 وأيدى التدي تخرق جيوب الكمام
 وعاج الصبا يطلي بمسك الغمام
 رأيت الحمام بين الورق في القضيبي
 تنوح مثل ذلك المستهام الغريب
 ولكن بما أحر وسا قو خضيب
 جالس بين الاغصان جالسة المستهام
 وصار يشكي ما في الفؤاد من غرام
 فقل يا حمام أحرمت عيني الهجوع
 قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع
 على فرخ طار لي لم يكن لو رجوع
 كذا هو الوفاء كذا هو الزمام
 وأنتم من بكى منكم اذا تم عام
 قلت يا حمام لو خضت بحر الضيق
 ولو كان بقلبك ما بقلبي أنا
 اليوم أقاسي الهجر كم من سنا
 ومما كسا جسمي التحول والسقام
 لو جئني المنيا كان يموت في المقام
 قال لي لو رقدت لا وراق الرياض
 وتخضبت من دمي وذاك اليسا
 على النصف في البستان قريب الصباح
 وماء التدي يجري بنجر الاقحاح
 سر الجواهر في منحور الجوار
 يحاكي ثعابين حلقست بالثمار
 ودار الجميع بالروض دور السوار
 ويحمل نسيم المسك عنها رياح
 وجر النسيم ذيلو عليها وقاح
 قد ابتلت ارياشو بقطر التدي
 قد التفت من توبو الجديد في ردا
 ينظم سلوكه جوهر ويتقلاها
 جناح توسد والتوى في جناح
 منها ضم منقاره لصدوره وصاح
 أراك ما تزال تبكي بدمع سفوح
 بلا دمع نبتى طول حياتي ننوح
 ألفت البكا والحزن من عهد نوح
 انظر جفون صارت بحال الجراح
 يقول عناني ذال البكا والنواح
 كنت تبكي وترني لي بدمع هتون
 ما كان يصير تحتك فروع الغصون
 حتى لاسيل جملة تراني العيون
 خفا في نحو لي عن عيون الدواح
 ومن مات بعد يا قوم لقد استراح
 من خوفه عليه ودال نفوس الفؤاد
 طوق المهد في عنق ليوم التناد

عوارف اطفه ويمد هينا
 ظل ستره ويمحتم لنا باصالح
 الامم وهذا آخر

أما طرف منقارى حديثو استفاض باطراف البلد والجسم صار في الرماذ
فاستحسنه أهل فاس ولما وبه ونظموا على طريقته وتركوا الأعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم
واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكارى والملمبة والفزل واختلفت أسماؤها باختلاف
ازدواجهوا وملاحظتهم فيها فن المزدوج ماقاله ابن شجاع من غولهم وهو من أهل تازا

المال زينة الدنيا وعز النفوس يهي وجوها ليس هي باهيا فها كل من هو كثير الفلوس
ولوه الكلام والرتبة العاليا يكبر من كثر مالو ولو كان صغير ويصرغ في القوم اذا يفتة
من ذا ينطبق صدري ومن ذا يصير يكاد ينقع لولا الرجوع للقندر حتى يلتي من هو في قومو كبير
ان لا اصل عندو ولا لخطر لذا ينبغي يحزن على ذى المكوس ويصنع عليه ثوب فراش صافيا

اللي صارت الاذنان أمام الرأس وصار يستفيد الواد من الساقيا
ضعف الناس على ذا وفسد ذا الزمان ما يدروا على من يكثروا اذا العتاب
اللي صار فلان يصبح بوفلان ولوريت كيف يرد الجواب
عشنا والسلام حتى رأينا عيان أنفاس السلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جد اضعاف الاسوس هم ناحيا والمحج في ناحيا
يروا أنهم والناس يروهم يوس وجوه البلد والعمدة الراسيا
ومن مذاهم قول ابن شجاع منهم في بعض مزدوجاته

ما شئت اليه وقد نجز
الغرض مما أردت ابراده
في هذا الكتاب والله

أهمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان
قليل من عليه تجسس ويحبس عليك مامهم مليح عاهدا لاوخان
ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال يهبوا على العشاق ويتمنوا
وان واصلو امن حينهم يقطعوا وان واصلو امن حينهم يقطعوا
وصبرت من خدى لقدمو نعال مليح كان هو يتو وشت قلبي معو
وقلت لقلبي اكرم لمن حل فيك ومهدت لو من وسط قلبي مكان
فلا بد من هول الهوى يعتريك وهون عليك ما يعتريك من هوان
فلو كان يري حالي اذا يبصره حكمتو على وار تضييت بوأمير
مرديه ويتمطس بحال انحروا يرجع مثل در حولي بوجه القدير
ويفهم مراد وقبل أن يذكر وتعلمت من ساعا بسبق الضمير
عصر في الربيع أو في الليالي يريك ويحتل في مطلوبو ولو أن كان
وايش ما يقل يحتاج يقل لويحيك ويمشى سوقو ولو كان باصبهان

حتى أتى على آخرها * وكان منهم على بن المؤذن سلمان * وكان لهذه العصور القرية من غولهم بزرهون
من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن ومن أحسن ما علق له بمحفوظي قوله
في رحلة السلطان أبي الحسن وبنى مريين إلى أفريقية يصف من يمتهم بالقبور وان يعزبهم عنها ويؤنسهم بمواقم
لغيرهم بعد أن عيهم على غزاتهم إلى أفريقية في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتحتها وهو من أبدع
مذاهب البلاغة في الأشعار بالمقصد في مطالع الكلام واقتتاحه ويسمى براعة الاستهلال

سبحان مالك خواطر الامرا ونواصيا في كل حين وزمان
ان طعناه عطفهم لنا قسرا وان عصينا عاقب بكل هوان

الي أن يقول في السؤال عن حيوش المغرب بعد التخاص

كن مرعي قل ولا تكن راعي فالراعي عن رعيته مسؤول
 الاسلام والرضا السني الكحول على الخلفاء الراشدين والاتباع
 أحجبا جاتحلموا الصحرا ودواسرح البلاد مع سكان
 وين سارت بو عزائم السلطان أحجاج بالنسي الذي زرم
 عن جيش الغرب حين يسألكم المتلوف في أفريقيا السودا
 ويدع برية الحجاز رغدا قائم قل للسد صاف الجزرا
 ويزف كردوم وتهب في الغبرا أي مازاد غز الهسم سبحان
 وبلاد الغرب سد السكندر مبني من شرقها الي غربا
 لا بد الطسير أن تحجب نبا أو يأتى الريح عنهم بفرد خبر
 لو تقرأ كل يوم على الديوان لجرت بالدم وانصدع حجرا
 أدركى بعقلك الفحاص وتفكر لي بخاطر كرجما
 عن السلطان شهر وقبله سبعا تظهر عند المهيمن القصاص
 الاقنوم عار بين فلاسترا مجهولين لا مكان ولا امكان
 وكيف دخلوا مدينة القبروان أمولاي أبو الحسن خطينا الباب
 كنا على الجريدوا الزاب واش لك في أعراب أفريقيا القويس
 الفاروق فاتح القرى المواس ملك الشام والحجاز وتاج كبرى
 ردولت لو كره ذكرى ونقل فيها تفرق الاخوان
 صرح في أفريقيا هذا التصريح وبقت حي الى زمن عثمان
 لمن دخلت غنائها الديوان مات عثمان واقلب علينا الريح
 وبقي ماهدول سكوت عنوان اذا كان ذافي مدة البربرا
 وأنحباب الحضرة في مكناساتا وفي تاريخ كائنا وكيوانا
 شبق وسطيح وابن مرانا ان مرين اذا انكف براياتنا
 قد ذكر ناما قال سيد الوزرا عيسى بن الحسن الرفيع الشأن
 لكن اذا جاء القدر عميت الاعيان ويقول لك مادهي المرينبا
 من حضرة فاس الى عرب دياب

أراد المولى بموت ابن يحيى سلطان تونس وصاحب الابواب

ثم أخذني ترحيل السلطان وحيوشه الي آخر رحلته ومنتهمي أمره مع اعراب أفريقية وأتي فيها بكل غريبة من
 الابداع وأما أهل تونس فاستجدوا في الملعبه أيضا على لغتهم الحضرية الا أن أكثره ردي ولم يعلق بحفظي منه
 شيء لردائه وكان لعامة بغداد أيضا من الشعر يسمونه المواليات وتحتنون كثيرة يسمون منها القوما وكان
 وكان ومنه مفردونه في بيتين ويسمونه دويت على الاختلافات المتبعة عندهم في كل واحد منها وغالها مزدوجة
 من أربعة أغصان وتعمهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب وتجرأ فيها في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم
 الحضرية فجاءوا بالعجائب ومن أعجب ما علق بحفظي منه قول شاعرهم

هذا جرى حى طريا * والدماتضج وقاتي يا أخيا * في الفلايمرح قالوا وناخذ بئارك * قلت ذا أقبح
 ولغيره طارقت باب الحبا قالت من الطارق فقلت مقتون لانا بولاسارق

الموفق برحمته للصواب
 والهادي الي حسن المآب
 والصلاة والسلام على

ولغيره تبسمت لاحلى من نغسرها بارق * رجعت حيران في بحر ادمى فارق
عهدى بها وهي لاتأمن على الدين * وان شكوت الهوى قالت فدتك العين
لمن تمسقى لها غيرى غاسيم زين * ذكرتها المهد قالت لك على دين
ولغيره في وصف الحشيش

دى خر صرف التي عهدي بها باقي * تفنى عن الحمر والخمر والساقى
نجا ومن فيها تعمل على احراقى * خيتها في الحشى طلعت من احداق
يامن وصا لولاطفال المحب معج * كم توجع القلب بالهجران أو أمح
أودعت قلبى حوحو والتصبر معج * كل الورى كتح في عيني وشخصك دح
ناديتها ومشبي قد طواني طي * جودي علي قبيله في الهوى يامى
ولغيره

ولغيره قالت وقد لي كوت داخل فؤادى كى * ما هكذا القطن يحشى فم من هو حى
رآني ابتسم سبقت سحب ادمى برقه * ما ط اللثام تبدي بدر في شرقه
أسبل دجى الشعر تاه القلب في طرقه * رجع هدا بنا يخط الصبح من فرق
يا حادى العيس ازجر باطما يازجر * وقف على منزل احباني قيل الفجر
وصبح في حيهام يامن يريد الاجر * ينهض يصلي على ميت قبل الهجر
عيسى التي كنت أزعك همها بات * ترعى التجوم وبالتسهيد اقات
وأسهم البدين صابنى ولاقات * وسلوتى عظم الله أجر كم مات
هويت في قطرتكم ياملاح الحكر * غزال يلى الاسود الضار بالسكر
ولغيره غصن اذا ما تقي يسمي البنات البكر * وان تهمل فالبلد رعد وذكرك

ومن الذى يسمونه دويت

قد أقسم من أحبه بالبارى * أن يبعث طيفه مع الاسحار
يانار اشواقى به فاقدى * ليل عساه يهتدى بالنار

واعلم أن الاذواق في معرفة البلاغة كلها اتم ما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعمالها ومخاطبته بين
أجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية فلا الاندلسى بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا المغربي
بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس والمشرق ولا المشرقى بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس والمغرب لان اللسان
الحضري وتراكيه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق بحاسن الشعر من أهل جلده وفي خلق
السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم آيات وقد كدنا أن نخرج عن الغرض وعزنا أن نقبض
العنان عن القول في هذا الكتاب الاول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله
ما حسبناه كفاية ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يفوس من مسائله على أكثر مما
كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه تعيين موضع العلم وتوزيع فصوله وما يتكلم فيه
والمأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا الى أن يكمل والله يعلم وأنتم لاتعلمون
قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التقيق والتهديب في مدة خمسة
أشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبع مائة ثم فتحت بعد ذلك وهذبه وألحقت به تواريخ الامم كما ذكرت
في أوله وشرطته وما لى الامن عند الله العزيز الحكيم

سيدنا ومولانا محمد وعلي
آله والاصحاب والحمد لله
رب العالمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

باعايتك يا ذا القوة والحول نقول اذ ليس لنا فعل ولا قول نحمدك اللهم يا خالق الاشباح وباعث الارواح
ومجزل العطاء ومسبل الغطاء حمدا يوردنا منهل احسانك ويحلنا يوم الفزع الاكبر دار رضوانك ونصلي
ونسلم على من حتمت به رساله وانتقذت من آمن به واتبع سبيله من الضلالة وعلى آله واصحابه اصحاب النجدة
والباس والتابعين لهم من أمته الذين هم خير أمة أخرجت للناس (أمامه) فمن جزيل فضل الله العظيم
وجميل احسانه العميم تسهيل السيل طبع هذا الكتاب الذي ليس له في بابه مثيل (مقدمة) الامام
المحقق الدراكة المدقق المتقن المتفنن في جميع الفنون الكاتب المنشى العلامة ابن (خلدون) فهي والحق يقال
مقدمة أنتجت كل الفضائل وأوجبت أن يعول عليها الملوك والامراء وأرباب السياسة والرسائل كيف
لا وقد أودع فيها مؤلفها أنواع السياسة والاخلاق والعادات واختلاف الناس في معاشهم وتبائهم
في الاصطلاحات واستوعب فيها الكلام على العلوم والفنون والحرف والصناعات ووقاها ولم ينفادر من
شوارد البلاغة صغيرة ولا كبيرة الأحصاها من أجل ذلك تلقاها الناس بالقبول وأقبل عليها ذوو العلم
اذ وجدوها غاية المأمول وحاجتهم المفقودة وضاتهم المنشودة ومع تكرر طبعها مرات عديدة
لا تزال الحاجة اليها شديدة ولهذا قام بطبعها من وفقه الله لنشر الآداب الهمام الانجم حضرة السيد
(عمر حسين الخشاب) بمطبعته الخيرية العامرة بمصر المعزية القاهرة محلاة الهوامش والطرر
موشاة الحواشي والقرر بتعريف مؤلفها وذكر مناقبه وأصوله ورحلته

ونزوله حتي جاءت تيس في حلل طبعها الجميل وتزهو بحلي بهجتها
اذ لم يسبق لطبعها هذا مثيل وذلك في أول أول الجمادين سنة

١٣٢٢ من هجرة سيد الكونين والتقلين سيدنا

محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

وعلى آله واصحابه نجوم

الهدى وبدور

التمام



مصحفة	مصحفة
٤٠ المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهب	٤٠ المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهب
والامناع لما يعرض للمؤرخين من المغالط	والامناع لما يعرض للمؤرخين من المغالط
والاهام وذكر شئ من اسبابها	والاهام وذكر شئ من اسبابها
٢٠ الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما	٢٠ الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما
يعرض فيها من البدو والحضر والقلب والكسب	يعرض فيها من البدو والحضر والقلب والكسب
والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من	والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من
العلل والاسباب (وفيه ستة فصول كبار)	العلل والاسباب (وفيه ستة فصول كبار)
٢٤ الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران	٢٤ الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران
البشري على الجملة وفيه مقدمات	البشري على الجملة وفيه مقدمات
٢٤ المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري	٢٤ المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري
٢٥ المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض	٢٥ المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض
والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار	والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار
والاقليم	والاقليم
٢٨ تكلمة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي	٢٨ تكلمة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي
من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي	من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي
وذكر السبب في ذلك	وذكر السبب في ذلك
٣٠ تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا	٣٠ تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا
٣٠ الاقليم الاول ٣٣ الاقليم الثاني	٣٠ الاقليم الاول ٣٣ الاقليم الثاني
٣٣ الاقليم الثالث ٣٧ الاقليم الرابع	٣٣ الاقليم الثالث ٣٧ الاقليم الرابع
٤١ الاقليم الخامس ٤٤ الاقليم السادس	٤١ الاقليم الخامس ٤٤ الاقليم السادس
٤٦ الاقليم السابع	٤٦ الاقليم السابع
٤٧ المقدمة الثالثة في المعدل من الاقليم والمخرف	٤٧ المقدمة الثالثة في المعدل من الاقليم والمخرف
وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من	وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من
أحوالهم	أحوالهم
٤٩ المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر	٤٩ المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر
٥٠ المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في	٥٠ المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في
الحصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في	الحصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في
أبدان البشر وأخلاقهم	أبدان البشر وأخلاقهم
٥٢ المقدمة السادسة في أصناف المدركين للقيظ من	٥٢ المقدمة السادسة في أصناف المدركين للقيظ من
البشر بالقطرة أو بالرياضة ويتقدمه الكلام في	البشر بالقطرة أو بالرياضة ويتقدمه الكلام في
الوحي والرؤيا	الوحي والرؤيا
٥٤ حقيقة النبوة والكهانة والرؤيا وشأن العرافين	٥٤ حقيقة النبوة والكهانة والرؤيا وشأن العرافين
وغير ذلك من مدارك الغيب	وغير ذلك من مدارك الغيب
٦٧ الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران	٦٧ الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران
البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض	البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض
في ذلك من الاحوال وفيه أصول وتمهيدات	في ذلك من الاحوال وفيه أصول وتمهيدات
٦٧ فصل في أن أحيال البدو والحضر طبيعية	٦٧ فصل في أن أحيال البدو والحضر طبيعية
٦٨ فصل في أن جيل العرب في الحلقة طيب	٦٨ فصل في أن جيل العرب في الحلقة طيب
٦٨ فصل في أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه وان	٦٨ فصل في أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه وان
البادية أصل العمران والامصار مدد لها	البادية أصل العمران والامصار مدد لها
٦٩ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل	٦٩ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل
الحضر	الحضر
٧٠ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من	٧٠ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من
أهل الحضرة	أهل الحضرة
٧٠ فصل في أن معاناة أهل الحضرة للاحكام مفسدة	٧٠ فصل في أن معاناة أهل الحضرة للاحكام مفسدة
للأصناف فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم	للأصناف فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم
٧١ فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل	٧١ فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل
العصية	العصية
٧٢ فصل في أن العصية انما تكون من الاتهام بالنسب	٧٢ فصل في أن العصية انما تكون من الاتهام بالنسب
أو ما في معناه	أو ما في معناه
٧٢ فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد	٧٢ فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد
للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معانهم	للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معانهم
٧٣ فصل في اختلاط الانساب كيف يقع	٧٣ فصل في اختلاط الانساب كيف يقع
٧٣ فصل في أن الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص	٧٣ فصل في أن الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص
من هل العصية	من هل العصية
٧٣ فصل في أن الرياسة على أهل العصية لا تكون في	٧٣ فصل في أن الرياسة على أهل العصية لا تكون في
غير نسبهم	غير نسبهم
٧٤ فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة	٧٤ فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة
لاهل العصية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه	لاهل العصية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه
٧٥ فصل في أن البيت والشرف للموالي وأهل	٧٥ فصل في أن البيت والشرف للموالي وأهل
الاصطناع انما هو بموالبهم لا بالنسب	الاصطناع انما هو بموالبهم لا بالنسب
٧٦ فصل في أن نهاية الحصب في القرب الواحد أربعة	٧٦ فصل في أن نهاية الحصب في القرب الواحد أربعة
آباء	آباء
٧٧ فصل في أن الامم الوحشية أقدر على التغلب بمن	٧٧ فصل في أن الامم الوحشية أقدر على التغلب بمن

٧٧ فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك

٧٨ فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القليل في التعميم

٧٨ فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقليل والانتقاد الي سواهم

٧٩ فصل في أن من علامات الملك التنافس في الحلال الحميدة وبالعكس

٨٠ فصل في أنه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها أوسع

٨٠ فصل في أن الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بد من عودته الى شعب آخر منها مادامت لهم العصبية

٨١ فصل في أن المغلوب مولع أبدا بالاعتداء بالغالب في شعاره وزينه ومخلته وسائر أحواله وعوائده

٨٢ فصل في أن الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليه القضاء

٨٢ فصل في أن العرب لا يتغلبون الا على البسائط

٨٢ فصل في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب

٨٣ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة

٨٣ فصل في أن العرب أبعد الامم عن سياسة الملك

٨٤ فصل في أن البوادي من القبائل والمصائب مغلوبون لاهل الامصار

٨٥ الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يمرض

في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

٨٥ فصل في أن الملك والدولة العامة انما يحصل بالقليل والعصبية

٨٥ فصل في أن اذا استقرت الدولة وتمهدت ففسد تستغنى عن العصبية

٨٦ فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل التصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية

٨٦ فصل في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة للملك أصلها الدين امان نبوة أو دعوة حق

٨٧ فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

٨٧ فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

٨٩ فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها

٨٩ فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة

٩٠ فصل في أن الاطوان الكثيرة القبائل والمصائب قل أن تستجركم فيها دولة

٩١ فصل في أن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

٩١ فصل في أن من طبيعة الملك الترف

٩٢ فصل في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون

٩٢ فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة أقبلت الدولة على الهرم

٩٣ فصل في أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص

٩٤ فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

٩٥ فصل في أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة الي قوتها

٩٦ فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها لاختلاف الاطوار

٩٧ فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها

١٠٠ فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبية بالموالي والمصطفيين

١٠١ فصل في أحوال الموالي والمصطفيين في الدول

١٠١ فصل فيما يمرض في الدول من حجب السلطان

والاستبداد عليه

١٠٢ فصل في أن المتغلبين على السلطان لا يشاركون في

صفحة	صفحة
١٤٩ فصل وبلغنا أن أمم الترك لهذا العهد وقتالهم	١٠٢ القلب الخاص بالملك
مناضلة بالسهم	١٠٢ فصل في حقيقة الملك وأصنافه
١٥٠ فصل وكان من مذاهب الأول في حروبهم حفر	١٠٣ فصل في أن أرهاق الخدم مضر بالملك ومفسد له
الختادق على معسكرهم الخ	في الأكثر
١٥٢ فصل في الحياة وسبب قتلها وكثرتها	١٠٤ فصل في معنى الخلافة والإمامة
١٥٣ فصل في ضرب المكوس وأخر الدولة	١٠٤ فصل في اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب
١٥٣ فصل في أن التجارة من الساطان مضره بالرايا	وشروطه
مفسدة للجباية	١٠٧ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة
١٥٤ فصل في أن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون	١١٠ فصل في انقلاب الخلافة إلى الملك
في وسط الدولة	١١٤ فصل في معنى البيعة
١٥٥ فصل ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه	١١٤ فصل في ولاية العهد
المعاطب صار الكثير منهم يزعون إلى الفرار	١١٩ فصل في الخطط الدينية للخلافة
عن الرتب والتخلص من رتبة السلطان الخ	١٢٣ فصل في اللقب بأمر المؤمنين وأنه من سمات
١٥٦ فصل في أن نقص المعطاء من السلطان نقص في	الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء
الحياة	١٢٥ فصل في شرح اسم البسابا والبطرك في المسلة
١٥٦ فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران	النصرانية واسم الكوهن عند اليهود
١٥٨ فصل ومن أشد الظلمات وأعظمها في فساد	١٢٨ فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابهما
العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير	١٣٢ ديوان الاعمال والحيايات
حق	١٣٤ ديوان الرسائل والكتابة
١٥٨ فصل وأعظم من ذلك في الظلم وافساد العمران	١٣٩ قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)
والدولة التسلط على أموال الناس بشراء ما بين	١٤٠ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في
أيديهم بأجنس الأثمان	الدول
١٥٨ فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم	١٤٠ فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به
عند الهرم	١٤٢ السريرو والمنبر والتخت والكرسي
١٥٩ فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين	١٤٢ السكة ١٤٤ الخاتم ١٤٥ الطراز
١٦٠ فصل في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع	١٤٥ الفساطيط والسياج
١٦١ فصل في كيفية طروق الخلل للدولة	١٤٦ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة
١٦٢ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع	١٤٧ فصل في الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها
١٦٣ فصل في أن الدولة المستجدة إنما تستولي على	١٤٨ فصل ومن مذاهب أهل الكبر والفر في الحروب
الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة	ضرب المصاف وراء معسكرهم الخ
١٦٤ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها	١٤٩ فصل ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء
من كثرة الموتان والهجمات	العساكر وتأكده في قتال الكبر والفر صار ملوك
١٦٥ فصل في أن العمران البشري لا بدله من سياسة	المغرب يتخذون طائفة من الأفرنج في جندهم الخ

- ١٧٠ ينظمها أمره
فصل في أمر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك
- ١٨٠ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملازم والكشف عن مسمى الجفر
- ١٨٧ الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولو احق
- ١٨٧ فصل في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثانية عن الملك
- ١٨٨ فصل في أن الملك يدعوا الى نزول الامصار
- ١٨٨ فصل في أن المدن العظيمة والهيأ كل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير
- ١٨٩ فصل في أن الهيأ كل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة
- ١٩٠ فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراعاة
- ١٩١ فصل في مبادئ في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الامم الخ
- ١٩١ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم
- ١٩٥ فصل في أن المدن والامصار باقر يقية والمغرب قليلة
- ١٩٦ فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول
- ١٩٦ فصل في أن المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل
- ١٩٦ فصل في مبادئ الخراب في الامصار
- ١٩٧ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الزحف لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمراتها في الكثرة والقلة
- ١٩٨ فصل في أسعار المدن
- ١٩٩ فصل في تصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران
- ٢٠٠ فصل في أن الاقطار في اختلاف أحوالها بالرفه والفقر مثل الامصار
- ٢٠١ فصل في تأثر العقار والضياح في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها
- ٢٠١ فصل في حاجات التمويل من أهل الامصار الى الجاه والمدافعة
- ٢٠١ فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ اتصال الدولة وورسوخها
- ٢٠٣ فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده
- ٢٠٥ فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملك تحرب بخراب الدولة واتقاضها
- ٢٠٦ فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض
- ٢٠٦ فصل في وجود العصية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض
- ٢٠٧ فصل في لغات أهل الامصار
- ٢٠٨ الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل
- ٢٠٨ فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية
- ٢٠٩ فصل في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه
- ٢١٠ فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي
- ٢١٠ فصل في أن ابتغاء الاموال من الدقائق والكنوز ليس بمعاش طبيعي
- ٢١٣ فصل في أن الجاه مفيد للمال
- ٢١٣ فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتعلق وان هذا الخلق من أسباب السعادة
- ٢١٥ فصل في أن القائمين بامور الدين من القضاء

والقيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب	٢٢٦ فصل في صناعة الطب وأنها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية
٢١٥ فصل في أن الفلاح من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو	٢٢٨ فصل في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية
٢١٦ فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها	٢٣٠ فصل في صناعة الوراقة
٢١٦ فصل في أي أصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها	٢٣١ فصل في صناعة الغناء
٢١٦ فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك	٢٣٣ فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب
٢١٦ فصل في نقل التاجر للسلع	١٣٤ الفصل السادس من الكتاب الاول في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يمرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق
٢١٧ فصل في الاحتكار	٢٣٤ فصل في أن العلم والتعليم طيب في العمران البشري
٢١٧ فصل في أن رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص	٢٣٤ فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع
٢١٨ فصل في أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المرواة	٢٣٦ فصل في أن العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتمظم الحضارة
٢١٨ فصل في أن الصنائع لا بد لها من المعلم	٢٣٧ فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا الحضري وكثرته
٢١٩ فصل في أن الصنائع انما تكمل بكامل العمران	٢٣٨ علوم القرآن من التفسير والقراآت
٢١٩ فصل في أن رسخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها	٢٤٠ علوم الحديث
٢٢٠ فصل في أن الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طلبها	٢٤٢ علم الفقه وما يتبعه من الفرائض
٢٢٠ فصل في أن الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع	٢٤٦ علم الفرائض
٢٢٠ فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع	٢٤٦ أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات
٢٢١ فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى	٣٤٩ علم الكلام ٢٥٤ علم التصوف
٢٢١ فصل في الإشارة إلى أمهات الصنائع	٢٥٩ تمييز الرؤيا ٢٦٠ العلوم العقلية وأصنافها
٢٢٢ فصل في صناعة الفلاحة	٢٦٢ العلوم العددية
٢٢٢ فصل في صناعة البناء	٢٦٢ ومن فروع علم العدد صناعة الحساب
٢٢٤ فصل في صناعة التجارة	٢٦٣ ومن فروع الحبر والمقابلة
٢٢٤ فصل في صناعة الحياكة والخياطة	٢٦٣ ومن فروعها أيضا المعاملات
٢٢٥ فصل في صناعة التوليد	٢٦٣ ومن فروعها أيضا الفرائض
	٢٦٤ العلوم الهندسية
	٢٦٤ ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة

صحيفة	صحيفة
٢٨٧ فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية	بالاشكال الكرية والمخروطات
٢٨٩ فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية	٢٦٥ ومن فروع الهندسة المساحة
٢٩٠ علم الكيمياء	٢٦٥ المناظر من فروع الهندسة
٢٩٦ فصل في ابطال الفلسفة وفساد منتحليها	٢٦٥ علم الهيئة ٢٦٦ ومن فروع علم الازياج
٢٩٩ فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غاياتها	٢٦٦ علم المنطق ٢٦٨ الطبيعيات
٣٠٢ فصل في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن اتحائها	٢٦٨ علم الطب
٣٠٥ فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عاقبة عن التحصيل	٢٦٨ فصل وللإبادة من أهل العمران طب بينونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص الخ
٣٠٦ فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم	٢٦٩ الفلاحة ٢٦٩ علم الالهيات
٣٠٦ فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته	٢٧٠ علوم السحر والطلسمات
٣٠٧ فصل واعلم أيها المتعلم الخ	٢٧٧ فصل ومن قيسل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين
٣٠٨ فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظر ولا تفرع المسائل	٢٧٤ علم أسرار الحروف
٣٠٩ فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرده	٢٧٦ ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة
٣١٠ فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم	٢٧٧ الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة الدرجة المتميزة بالنسبة الي موضع المعلق من امتزاج طبائع وعلم طب أو صناعة الكيمياء
٣١١ فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة من يدك في العلم	٢٧٨ الطب الروحاني
٣١١ فصل في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها	٢٧٨ مطار يخ الشعاعات في مواليد الملوك وبنهم
٣١٢ فصل في أن حملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم	٢٨٨ الانفعال الروحاني والانتقاد الرباني
٣١٣ فصل في علوم الانسان العربي	٢٧٩ اتصال أنظار الكواكب
٣١٤ علم النحو	٢٧٩ مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتمشيق وفناء الفناء وتوجه ومراقبة وخلعة دائمة
٣١٥ علم البيان	٢٨٠ فصل في المقامات والنهاية
٣١٨ فصل في أن اللغة ملكة صناعة	٢٨٠ الوصية والتختم والايمان والاسلام والتحرير والاهلية
٣١٨ فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضرة وحمير	٢٨١ كيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زائرجة العالم بحول الله متقولا من انبياء من القائمين عليها

صفحة	صفحة
٣٢٠	فصل في أن لغة الحضرة والامصار قائمة بنفسها
٣٢٠	مخالفة لغة مضر
٣٢٠	فصل في تعليم اللسان المصري
٣٢١	فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية
٣٣٠	ومستغنية عنها في التعليم
٣٢٢	فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان
٣٣٠	وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل غالباً للمستعربين
٣٣٠	من المعجم
٣٣٢	فصل في أن أهل الامصار على الاطلاق قاصرون
٣٣٢	في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم
٣٣٢	ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان
٣٣٨	حصوله أصعب وأعسر
٣٢٤	فصل في اقسام الكلام الى في النظم والنثر
٣٢٥	فصل في أنه لا تتفق الاجادة في فنى المنظوم
	والمنثور معاً الا لقل
٣٢٥	فصل في أن صناعة الشعر ووجه تعلمه
٣٣٠	فصل في صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا
	المعاني
٣٣٠	فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ
	وجودتها بمجودة المحفوظ
٣٣٢	فصل في رفع أهل المراتب عن انحال الشعر
٣٣٢	فصل في أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد
	(وفيه أشعار الهلالية والزناية)
٣٣٨	الموشحات والازجال للاندلس

﴿تمت﴾

